

صِيَاءُ الْعَالَمِينَ

فِي

بَيَانِ إِهْلَامِ الْأَسْتِخْطِيفِينَ

تَأليف

الولامة الفشتوني

الشهيد الميرزا الحسين بن محمد طاهر الزين القمي

المشرف ١١٣٨ هـ

المجلد الأول

تدقيق

مؤسسة آل البيت  لجنة التراث

ضِيَاءُ الْعَالَمِينَ

رِفِ

بَيَانِ إِهَابَةِ الْأُمَّةِ الْمُصْطَفِيَّةِ

تَأليفُ

الْعَلَامَةِ الْفُتُووِيِّ

الشَّيخِ نَبِيِّ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ طَاهِرِ الْعِزَّافِيِّ

المُتَوَفَّى ١١٣٨ هـ

الجُزْءُ الْأَوَّلُ

تَحْقِيقُ

مَوْتَسِّرَاتِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَحْيَاءِ الْبَرْتِ



الشريف، أبو الحسن بن محمد طاهر، ١٠٧٠ - ١١٣٨ هـ. ق .
ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمة المصطفين / تأليف: الفتوني الشريف
أبو الحسن محمد طاهر العاملي تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء
التراث. قم، ١٣٨٩.

ج ١٠

الفهرسة طبق نظام فيبا.

المصادر بالهامش.

١ - الإمامة ٢ - حديث ٣ - آيات قرآنية - ألف: مؤسسة آل البيت عليه السلام
لإحياء التراث (قم) ب: العنوان.

٢٩٧ / ٤٥

٩ ض ٤٦ ش / ٢٢٣ BP

٢٠٧١٤٢٤

الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية

شابك (ردمك) ٠ - ٣٣٠ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ / دورة ١٠ أجزاء احتمالاً

ISBN 978 - 964 - 319 - 330 - 0 / 10 VOLS.

شابك (ردمك) ٧ - ٣٣١ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ / ج ١

ISBN 978 - 964 - 319 - 331 - 7 / VOL.1

الكتاب: ضياء العالمين في بيان إمامة الأئمة المصطفين / ج ١

المؤلف: العلامة الفتوني

تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

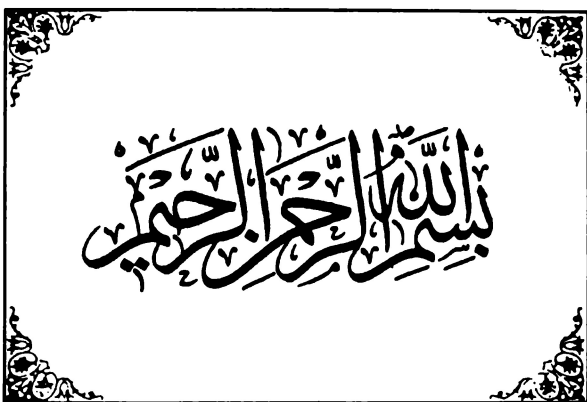
الطبعة: الأولى - رمضان المبارك - ١٤٣١ هـ

الفلم والألواح الحساسة (الزينك): تيز هوش - قم

المطبعة: ستارة - قم

الكمية: ٣٠٠٠ نسخة

السعر: ٣٥٠٠٠ ريال



جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دور شهر) زقاق ٩ رقم ١-٣
ص. ب ٩٩٦/٣٧١٨٥ هاتف: ٥-٠١-٧٧٣٠٠٠١ فاكس: ٧٧٣٠٠٢٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله أن يحمد ، وصلى الله على عبده المنتجب ورسوله المصطفى ، الذي غمسه في بحر الفضيلة ، واستأنه على رسالته الخاتمة ، وبعثه إلى آخر الأمم نبياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، اتخذ الحكمة منهجاً والنصيحة سبيلاً وطريقاً ، فبالغ في النصيحة وبذل غاية الجهد في سبيل انقاذ خلق الله من غياهب الضلالة ، وإخراجهم من ظلمات الغي وحيرة الجهالة ، محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الغر الميامين ، الذين اختارهم الله خلفاء لرسوله ، وأئمة لعباده ، وأركاناً لبلاده ، وأبواباً لرحمته ، وخزاناً لعلمه ، وترجماناً لوحيه ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قبيل رحيل رسول الرحمة وينبوع الحكمة نزل جبرئيل الأمين إلى الرسول الكريم ليخبره بأن يستغفر لأهل البقيع ؛ ليكون هذا إبلاغاً وإنذاراً للأمة الإسلامية ، فقد قال رسول الله ﷺ مخاطباً أهل البقيع : «السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها . . .»^(١) .

(١) انظره في : الإرشاد للمفيد ١ : ١٨١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

فقد ضاق الوقت وأن الرحيل فلا بدّ - وهو الحكيم البليغ - أن يجمع كل معنى ممكن مطلوب في كل حرف منه ملفوظ ، فلو نظرت إلى قوله ﷺ : «مما فيه الناس» تراه يرى الفتن أمراً واقعاً ، وقد انغمس الناس فيها وصدق الرسول الأمين فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فلو عطفنا النظر إلى تاريخ الأمة الإسلامية منذ رحيل رسولها وإلى يومنا هذا لرأيت ما يجعل الولدان شيباً ، ويكفيك يوم الحرّة ، وقتل مالك بن نويرة ، وقتل سبط الرسول ، وغصب ابنته نخلتها من أبيها ، ولو أحصيت ما صنعتها الفتن في بلاد المسلمين من هتك الأعراض وسفك الدماء سواء التي بينهم أو فتن مغول وتر الأمس واليوم ، لكانت النتيجة عالماً يضاهاي عالمنا هذا أبحره دماً ، جباله جماجم ، سهوله اشلاءً مقطعة .

ثم لو أحصيت المذاهب وما فعله أصحابها من التلاعب بالدين لرأيت العجب العجاب ، فلو علمت أنّ عدد المذاهب والفرق التي حصلت يتجاوز عددها عدد القرى والقصبات في بلاد المسلمين ، لكان يكفي لأن تقف وتتساءل كيف يترك رسول الرحمة أمّة مثل هذه وهو يرى رأي العين أنها في فتن كهذه - ياليتها كانت كقطع الليل المظلم - بلا نصيحة وبلا مأمن؟! ليس هذا فعل من يقول : «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» ، ومن هو مبعوث رحمة للعالمين ، كيف ولا يرضى بهذا ذو أدنى وجدان إنساني ! نعم ، لا يفعل هذا رسول الرحمة ، وقد تحمّل ما تحمّل في سبيل إنقاذها حتى قال : «ما أؤذي نبي بمثل ما أؤذيت»^(١) ، بل أشار إلى الركن

١٠٣ : ١٨٣ و ١٣ : ٢٧ ، مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٤٨٨ ، المستدرک للحاکم ٣ : ٥٦ .

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٢٨٦ ، بحار الأنوار ٣٩ : ٥٦ ، كشف الغمّة ٣ : ٣٤٦ ،

الأمين والملاذ الحسين علي باب حكمة رب العالمين^(١)، وأولاده الأئمة المعصومين، فقد قال عليه السلام: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقال: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا وأنتما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢)، وهذا حديث متفق عليه عند جميع المسلمين، ولا خلاف فيه.

إنما حصل الخلاف في تفسيره، والمراد منه وإن كان واضحاً كوضوح الشمس في رابعة النهار، لكن من في قلبه مرض يتبع الهوى فيضل عن سبيل الحق. ومن هنا بدأ الحوار وتحمل الشيعة وأئمتهم ما تحمّلوا في سبيل إرشاد العباد إلى صواب الكلام وطريق الرشاد.

الحوار طريقة الأنبياء والصالحين، بل طريقة رب العالمين فقد بدأ الله هذه الطريقة حين خلق آدم، وتساؤل الملائكة عن حكمة هذا الخلق، والاستخلاف في الأرض، وما يمتاز هذا المخلوق عنهم وهم يسبحون الله ويحمدوه ويقدمونه، ومثل هذا يسفك الدماء ويهتك الأعراض؟ ثم جعل سبحانه هذه الطريقة هي طريقة أنبيائه في دعوتهم عباده إلى الصواب وجادة الحق، واتخذها من تبعهم بحق وإحسان.

فظاهرة الحوار هذه تجدها بين المرشد الناصح العالم بالحال، وبين الجاهل محاولة من العالم لإنقاذ الجاهل من جهله، فترى الأنبياء والصالحين يبذلون قصارى جهودهم في سبيل هداية عباد الله وإرشادهم، فالجهل بأمر

(١) كما في: الإقبال لابن طائوس ٣: ٣٤١، المزار للشهيد الأول: ١٤٣، بحار الأنوار ٨٩: ٣٣٦.

(٢) انظره في: بصائر الدرجات، ٤٣٣، الإمامة والتبصرة: ١٥٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٠: ٢، مسند أحمد ٣: ٣٨٨/١٠٧٢٠ و٣٩٣/١٠٧٤٧ و٤٠٨/١٠٨٢٨، المستدرک للحاكم ٣: ١٠٩، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣٠.

يثير هذه الظاهرة بين العالم والجاهل .

ومن أهم المسائل التي كثر حولها الحوار هي مسألة الإمامة ، فقد تعددت فيها المذاهب ، واختلفت حولها الآراء ، وذهب كل قوم بها إلى حيث يشاءون ، وليس من الغريب ذلك فقد اتبعوا أهواءهم ورغباتهم وتركوا الوحي وأهله جانباً ، فتعددت آراؤهم لتعدد أهوائهم والفرع تابع لأصله .

فالعامّة من الناس عذرهم جهلهم ، فهم يرون أنّ الإمامة زعامة وسلطان وحكم ، ولكن هذا فهم خاطئ للإمامة ، وخلط بين وظائف الإمام وما عليه من المسؤوليات وبين الإمامة نفسها ، حصل من الواقع الذي يعيشه المسلم ، فكل من تصدّى للحكم جعل نفسه إماماً فأوحى هذا إلى العوام بأنّ الإمامة هي السلطان .

وأما الخاصّة من الناس فقد عرّفها بعضهم بأنّها: رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ^(١) ، أو: أنّها الرئاسة العامة في أمر الدين والدنيا لشخص من الأشخاص^(٢) ، وأمثال هذه التعاريف وجميعها تدور حول هذا المحور ، لكن لم يوضّحوا ما هي هذه الرئاسة والخلافة ولمن وممن تكون ، فتركوها على عهدة القارئ وفهمه اللغوي ، وكأنّهم جهلوا - بل تجاهلوا - أنّها منزلة يختصّ الله بها خلص عباده . نعم من شؤون الإمامة الحكم والرئاسة .

ولأجل معرفة موقف المدرسة الإمامية من مسألة الإمامة نستعرض هذا النص المروي في الكافي عن الإمام الرضا عليه السلام .

(١) شرح المقاصد ٥ : ٢٣٢ .

(٢) شرح المقاصد ٥ : ٢٣٤ .

وقبل استعراض النص هناك عدّة أسئلة نترك الجواب عنها للنص .
 فالسؤال الأول سؤال موضوعي ، وهو : هل يحقّ لنا الكلام في هذا
 المجال ؟ ! ومن المعلوم الكلام إنّما يصحّ في منطقه الفراغ سواء كان
 تشريعياً أو سياسياً أو غير ذلك . ثمّ ما هي الإمامة ؟ ومن هو الإمام ؟ وما
 هي الشروط المطلوب توفّرها في الإمام ؟ وهل الإمامة منحصرة في طائفة
 معيّنة ؟ وما هي وظائف الإمام وغيرها من قبيل مصدر علم الإمام عليه السلام و...
 وفي جانب الرعية هل يمكنهم معرفة الإمام ؟ وهل يحقّ لهم ويصحّ
 منهم الاختيار للإمام وأسئلة أخرى .

أمّا النص : فقد روي في الكافي عن عبدالعزيز بن مسلم ، قال : كنّا
 مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا
 أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدي عليه السلام
 فأعلمته خوض الناس فيه فتبسّم عليه السلام ، ثمّ قال : «ياعبدالعزیز ! جهل القوم
 وخدعوا عن آرائهم» ، فقد وضح عليه السلام منشأ الاختلاف والسبب في تعدّد
 الآراء ، وبيّن أنّه لا داعي للرأي ولا مجال للقول ، فقال عليه السلام : «إنّ الله
 عزّ وجلّ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه
 تبيان كلّ شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما
 يحتاج إليه الناس كمالاً فقال عزّ وجلّ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ
 شَيْءٍ ﴾ ^(١) .

ثمّ بيّن عليه السلام كيفية حصول تمام الدين وبمّ كمل ، حيث قال عليه السلام :
 «وأنزل في حجة الوداع ، وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١)، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى بين لأُمَّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أن الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به».

الإمامة إذْ كمال الدين، فكيف يُعقل أن يدع الله من لا معرفة له بالدين ولا اطلاع له على غيب أن يكمل دينه؟! هذه المعلومة الأولى عن الإمامة، أما المعلومة الثانية فهي إنّ الإمامة منزلة يخصّ الله فيها من يشاء: «إِنَّ الْإِمَامَةَ حَصَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، وَالْحَلَّةَ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَفَضِيلَةً شَرَفَهُ بِهَا وَأَشَادَ بِهَا ذَكَرَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٢)، فقال الخليل سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٣) فلم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً».

فمن هنا يتّضح أنّها خاصة بالله تعالى يرثها من يشاء من عباده فليس للعباد التدخل ومنحها حسب أهوائهم.

(١) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٧٣ .

المعلومة الثالثة عن الإمامة ، هي : انحصارها في رسول الله وأهل بيته حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ ، فقال جلّ وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على اسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة ؛ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ ، فمن أين يختار هؤلاء الجهال !؟

أما المعلومة الرابعة عن الإمامة - وبها إتمام بيان معنى ومنزلة الإمامة - : إن الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء . إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام . إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين .

إن الإمامة أسس الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، بالإمام تمام الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهد ، وتوفير الفيء ، والصدقات ، وإمضاء الحدود ، والأحكام ومنع الثغور والأطراف .

بعد معرفة حقيقة الإمامة ، يتضح الجواب عن سؤال قد يطرح نفسه ، وهو : لماذا لا يحق لنا التدخل في هذه المسألة ، وأنها ليست من مقولة حق تقرير المصير وغير هذا من الجمل البراقة ؟

(١) سورة آل عمران ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الروم ٣٠ : ٥٦ .

ولأجل إيضاح المسألة أكثر انتقل الإمام عليه السلام لبيان صفات الإمام ومن هو، فقال: «الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويدبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحبّة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار.
الإمام الماء العذب على الظماء والدالّ على الهدى والمنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع^(١) الحار لمن اصطلى به، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.
الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النّاد.

الإمام أمين الله في خلقه، وحبّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله والذابّ عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبيوار الكافرين.

(١) اليَفَاعُ: ما ارتفع من الأرض. الصحاح للجوهري ٣: ٦١٢ «يفع».

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضّل الوهاب» .

بعد بيان هذه الصفات التي من الواضح أنّها ليست حاصلة بالتعلم والاكْتساب ، بل هي بإرادة الله تعالى فهو أعلم حيث يجعل رسالته سأله عليه السلام أنّه هل يمكن لأحد أن يشخص تواجد واجتماع هذه الصفات في شخص «فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره هيئات هيئات ! ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الأبواب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلمااء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الألباء ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف بكُلّه ، أو ينعت بكُنْهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه لا كيف وأتى ؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم ، ومثّهم الأباطيل ، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزّل عنه إلى الحضيض أقدامهم» .

بعد بيان أنّ المسألة سالبة بانتفاء الموضوع ولأجل إقناع الطرف المقابل ، غصّ الإمام عليه السلام النظر عن هذا الجواب ، وأخذ ببيان آخر وهو : بيان أطراف الموضوع ، فوضّح الإمامة ما هي ، ووضّح صفات الإمام ، أي : من هو الإمام ، وبيّن أنّ الإمامة من الأمور الخاصة به ، ومن المعلوم معنى الاختصاص : هو انحصار المعرفة به ، كما سبق بيانه ، فلا يجوز لغيره

الجاهل بالموضوع العديم المعرفة التدخل .

جاء دور مسألة حق تقرير المصير، وحق الاختيار، والجواب واضح وهو: كيف يختار الجاهل، فالاختيار فرع معرفة الأطراف حتى يختار أحدها، قال عليه السلام: «هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة، فيجوز فيها اختيارهم؟! إن الإمامة أجل قدرأ، وأعظم شأنأ، وأعلا مكانأ، وأمنع جانبأ، وأبعد غورأ من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إمامأ باختيارهم» .

وقال أيضاً: «راموا إمامة الإمام بعقول حائرة جائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بُعدأ ﴿قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾»^(١) .

ولقد راموا صعبأ، وقالوا إفكأ، وضلّوا ضلالأ بعيدأ، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، رغبوا عن اختيار الله واختيار الرسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣) وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ * إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

(١) سورة التوبة ٩ : ٣٠ .

(٢) سورة القصص ٢٨ : ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٦ .

فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
 الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢) ، أم : ﴿ طُبِعَ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
 يَفْقَهُونَ ﴾ (٣) ، أم : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ
 اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
 وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤) ، أم : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (٥) ،
 بل هو : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦) ، فكيف
 لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لايجهل ، وراع لا ينكل ، معدن القدس
 والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول ﷺ
 ونسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب في
 البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول والرضا من الله
 عزوجل ، شرف الأشراف والفرع من عبدمناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ،
 مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عزوجل ،
 ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله .

ولزيادة الاقتناع ، وإتمام الحجّة في الجواب ، وضّح عليه السلام مصدر علم
 الإمام ، وأنه معصوم بتسديد من الله تعالى ، ومن المعلوم أنّ شمول التسديد
 من الله لعبدٍ والعصمة له وتعليمه إنّما يكون باختيار الله واصطفائه ، وبهذا تمّ

(١) سورة القلم : ٦٨ - ٣٧ - ٤٢ .

(٢) سورة محمد : ٤٧ : ٢٤ .

(٣) سورة التوبة : ٩ : ٧٨ .

(٤) سورة الأنفال : ٨ : ٢١ - ٢٣ .

(٥) سورة البقرة : ٢ : ٩٣ .

(٦) سورة الحديد : ٥٧ : ٢١ .

الاختيار ، فماذا يختار العباد ؟! فالمؤمن ليس له حق الاختيار بعد اختيار الله تعالى وهذا أمر نص عليه القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١) .

«إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوقفهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتية غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٢) ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٣) ، وقوله في طالوت : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤) ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٥) ، وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (٦) .

وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر عبادته شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ - ٣٦ .

(٢) سورة يونس : ١٠ - ٣٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢ : ٢٦٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢ : ٢٤٧ .

(٥) سورة النساء : ٤ : ١١٣ .

(٦) سورة النساء : ٤ : ٥٣ - ٥٤ .

ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمين من الخطايا والزلل والعتار يخصه الله بذلك؛ ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟ تعدّوا - وبيت الله - الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأنعسهم، فقال جلّ وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وقال: ﴿فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣) (٤).

فمن خلال هذا الحديث نعرف أنّ الإمامة مسؤولية كبرى تعطى من قبّل الله تعالى بعد الاختبار والكمال، فالإمام قدوة للمجتمع والقاعدة الإيمانية المتجسّدة التي يتحرك المجتمع منها، فهو قدوة الناس في أفعالهم وأقوالهم، بحيث يمثل القاعدة التي ينطلق من خلالها الناس إلى القيم التي يؤمنون بها، لتكون حياته الوجه الأمثل للقيمة الروحية للحياة، فهي تختلف عن النبوة في مفهومها؛ فإنّ النبوة تعتبر منطلقاً للدعوة على أساس الوحي والرسالة، بينما تعتبر الإمامة قاعدة للاقتداء والاتباع على أساس الطاقات الفكرية والروحية والعلمية التي يملكها، فكأنّ النبوة صفة تأتي

(١) سورة القصص ٨ : ٥٠ .

(٢) سورة محمد ٤٧ : ٨ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٣٥ .

(٤) الكافي ١ : ١٥٤ / ١ (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته) .

النبي من الخارج ، أما الإمامة فهي صفة ترتبط بالذات من خلال المعاني الكامنة في الداخل ، وبعبارة أخرى : النبوة تمثل بداية الدعوة ، فالنبي يستلم الشريعة من الله تعالى عن طريق الوحي فيبلغها الناس ، ويغرسها في شخص مختار من قبل الله تعالى ، وبكمال الشريعة من الله تعالى تكمل في ذلك الشخص ، فتكون ذاته تجسداً لتلك الشريعة وانعكاساً لها في المجتمع ، فلا بد من مؤهلات من حيث العلم والإيمان والعمل والتاريخ الذي تحمله الشخصية لتحمل مسؤولية الإمامة ، فالإمامة كمال ولا يناسبها إلا الكامل ، والظالم لنفسه فيه شائبة تمنعه من تحمل مثل هذه المسؤولية .

نعم ، سعيد الذات بنفسه أهل لها دون من يحتاج إلى الغير لتحصيل هذه السعادة ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ (١) .

ومن هنا يتضح عدم إمكان إخضاع الإمامة للشورى أو اختيار أهل العقد والحل أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها من تعرض لمسألة الإمامة ، بل هي بالنص من الله تعالى العالم بكمّل الناس لا غير ، ومسألة النص سنة الله سبحانه وتعالى في الأمم السابقة .

هذا ، بالإضافة إلى أن القوم أنفسهم تدور تعاريفهم للإمامة بأنها خلافة الرسول وكون الإمام من يخلف الرسول ﷺ ؛ فهي استخلاف شخص لرسول الله ﷺ ، فهنا يأتي السؤال ، وهو : من له حق جعل الخلافة؟ هل الناس يعطون الخلافة لشخص ما ، ليكون هو الرابط بينهم وبين الله تعالى ، كيف عرفوا رضا الله تعالى لأن يكون هذا الشخص مبلغاً

لرسالته؟ ما هو مائز هذا عن غيره؟ فإن الله سبحانه لا يُطلع على علمه وأحكامه إلا من ارتضى من رسول، فلا بدّ من دليل يدلّ على رضا الله تعالى له، والتزكية لا تجوز من أحد إلا من الله تعالى، ولا سبيل لمعرفة التزكية إلا النصّ، وهو لا يرد إلا لمن يرضاه الله تعالى، فحصل الدور ولا منجى من الدور إلا الوصاية من رسول الله تعالى.

هذا، ومن الواضح أنّه لا يصح لأحد أن يجعل خليفة لأحد إلا إذا كان ذا علاقة بالموضوع، وصاحب العلاقة هو الله تعالى فقط؛ لأنّ الرسالة رسالته والرسول رسوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾^(١) فهو صاحب حقّ الاستخلاف، وله وحده لا شريك له حقّ جعل الخليفة.

هذا بالإضافة إلى ضرورة اتّصال الخليفة بنفس المصدر الذي كان المستخلف متّصلاً به، حتّى يمكنه مواصلة المسير والاطّلاع على أحكام وأسرار الرسالة.

ثمّ إنّ الوصول إلى مرحلة بحيث يهتدى ويقتدى به يحتاج إلى دليل وشاهد، وما هو الشاهد وأين الدليل؟!

ولا يمكن جعل الإمامة لشخص وجعل الإمام والحاكم شخصاً آخر؛ فإنّ هذا عزل للدين عن عباد الله تعالى، وكون المسلمين جديدي عهد بالإسلام لا يطيقون العدل، فلا بدّ من عزلهم عن الدين كلام لا محصل له، فهم في حين عدم إسلامهم لم يعزلوا، كيف يعزلوا بعد إسلامهم؟! فلا مناص من الأخذ بنظرية الشيعة الإمامية في مسألة الإمامة، وهي

النص والوصاية من رسول الله تعالى لا غير، بالاضافة أيضاً أن مقتضى العبودية أن لا يتكلم العبد إلا بإذن من مولاه، ولا يفعل شيئاً إلا بالأذن الصريح من مولاه، خصوصاً إذا كان الأمر ليس من الأمور التي تخصهم حتى يكون حلّه بالشورى، فأمرهم شورى بينهم، لا الأمر الذي هو من شؤون الله تعالى، فكيف يتكلمون فيه؟!

ومن جملة اختلاف المسلمين في مسألة الإمامة: الاختلاف في استحقاق الإمامة بماذا يكون، فهنا عدة أقوال، قول: إنها بالشورى، وقول: إنها بالنص، وقول: إنها بالقرىبي والوراثة، وقول: إنها بالطلب والخروج بالسيف و...

وأيضاً الاختلاف في جواز وجود إمامين أو أكثر في وقت واحد، أو لا يجوز ذلك، وفي صورة الجواز هل يجوز ذلك في بلد واحد أم لا و... ثم اختلفوا في إمامة المفضل هل تجوز أم لا؟ فبعض قال: نعم، وبعض قال: لا يجوز ذلك ولا يستحقها إلا الفاضل.

وجرى الاختلاف في أن الإمامة في أي طائفة من الناس تكون، فبعض قال: لا تنحصر في طائفة، بل تجوز في جميع الناس، فمن تتوفر فيه شروط الاستحقاق يستحقها.

وبعض قال: إنها لأكرم الخلق وخيرهم عند الله تعالى. وذهبت طائفة إلى أنها منحصرة في قريش ما وجد فيهم من يصلح لها، وإن لم يوجد فيهم الصالح لها جازت في الفضلاء من سائر الناس. وقال قوم: إنها منحصرة في قريش ولا تخرج من قريش ولن تخلو قريش من الصالح للإمامة.

وذهب بعض إلى أن الأعجمي أولى بها من العربي. وقول: إنها للعباس

ابن عبدالمطلب وبنيه ، وآخَر قال : إنّها متوارثة في ولد الحسين عليه السلام .
 واختلف من قال : إنّ الاستحقاق بالنص ، فبعض ذهب إلى أنّها
 منصوطة بالتسمية والإشارة والوصف ، ومنهم من قال : إنّها منصوطة
 بالتسمية والتعيين .

واختلفوا أيضاً ، فقال قوم : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على أبي بكر
 بالإشارة والصفة ، وقال آخرون : إنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أبي بكر
 بالتسمية والتعيين .

وقالت الشيعة : إنّ عليّاً كان أولى الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله .
 وقال قوم : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على عليّ عليه السلام بالإشارة والوصف
 دون التسمية والتعيين ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على الحسن والحسين عليهما السلام
 بمثل نصّه على عليّ عليه السلام ، ثمّ الإمام بعد هؤلاء ليس بمنصوص عليه ، ولكن
 الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين ، فمن شهر منهم
 السيف فهو الإمام .

ثمّ هناك اختلاف آخر ، وهو أنّ عليّاً عليه السلام كان أفضل الناس بعد
 رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاهم بالإمامة ، وأنّ بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ .
 وبعض قال : إنّ عليّاً كان الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّ بيعة أبي
 بكر كانت خطأ لا يستحقّ عليها اسم الكفر ولا اسم الفسوق ، وإنّ الأئمة قد
 تركت الأصلح .

وقال بعض : إنّ الأئمة كفرت وضلّت بصرفها الأمر إلى غير عليّ عليه السلام .
 وهناك اختلاف من نوع آخر ، وهو دعوى بعض الفرق عدم موت
 من ذهب إليه وأنه حيٌّ .

وهناك اختلاف في خطأ جبرئيل وعدم خطئه في تبليغ الرسالة إلى

رسول الله ﷺ ، فقد ادعى البعض أنه اشتبه الأمر عليه وخطأ بين رسول الله وعلّي .

وهناك اختلاف مقدّم على جميع هذه الاختلافات ، وهو الاختلاف في وجوب الإمامة وعدمها ، فبعض قال بوجوبها على الله مطلقاً ، وبعض قال : هي فرض واجب من الله تعالى يجب على المسلمين إقامتها ، وأنّ الناس لا يصلحون إلا على إمام واحد يجمعهم ، وقال بعض بعدم وجوبها وعدم لزومها . نعم ، إنّ إقامتها أمر حسن لكن بشرط عدم إراقة دم ..

وبعض قال : إنّها لا تجب مطلقاً ، بل هي واجبة في حال دون حال ، واختلفوا في هذا الحال فبعض قال : إنّها تجب عند انتشار الظلم وظهوره ، ولا تجب في حال ظهور العدل والإنصاف بين الخلق ، وبعض قال : إنّما تجب عند ظهور العدل والإنصاف ، ولا تجب عند ظهور الظلم وانتشاره . ثمّ من قال : إنّها تجب على الناس اختلف ، فبعض قال : إنّها تجب سمعاً ، وبعض قال : إنّها تجب سمعاً وعقلاً .

ومن قال بالوجوب المطلق اختلف أيضاً ، فبعض أوجبها على الله مطلقاً وجعل طريق وجوبها العقل فقط ، وبعض قال : إنّ الإمامة لطف في الدين فتجب على الله تعالى بأن لا يخلي الزمان عنه .

هذا ولا بدّ من الإشارة إلى وجود اختلافات في من يقول بهذه الأقوال وفي من يذهب إلى هذه الآراء من الطوائف ، فهناك اختلاف في نسبة الأقوال إلى الطوائف ، بل اختلاف في تسمية الطوائف واختلاف في مؤسسيها ..

هذا ، ولو نظرت إلى آراء وعقائد الفرق الإسلامية في باقي المسائل الكلامية وغيرها ، لرأيت أنّها آراء حكمتها عقولهم وهي قاصرة باعترافهم بأنّه

لا مثل لأهل البيت عليهم السلام في العلم والمعرفة، فلماذا لا يكون القول الفصل لهم.. انظر إلى قول ابن عطاء: مارأيت العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند أبي جعفر عليه السلام، لقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالة في القوم كأنه صبي بين يدي معلّمه.

ولأجل أنّصاح حال الفرق الكلامية عند المسلمين إليك بعض منها، فإنك بعد ملاحظتها تحكم أنّ بعضها فوق بعض ركام، بل كثير منها من صنائع السياسة والحكام آنذاك، وما هذه المذكورات إلا قطرة من بحر من الظلمات إن أخرجت يدك لم تكد تراها:

المحكّمة

ويقال لهم: الخوارج، وهي حركة سياسية في الأصل، ثمّ لأجل احتكاكها بالفرق الكلامية - أو بالأحرى لأجل توجيه بعض أفكارهم - ثبتت بعض الأصول الكلامية، فهم ذو أصول كلامية أوليّة، وهي عبارة عن:

- ١ - تكفير مرتكب الكبيرة.
- ٢ - إنكار مبدأ التحكيم.
- ٣ - تكفير عثمان وعليّ ومعاوية وطلحة والزبير ومن سار على دربهم.

ثمّ أضافوا إليها أصولاً أخرى، وهي عبارة عن:

- ١ - عدم اشتراط القرشية في الإمام.
- ٢ - صفات الله عين ذاته.
- ٣ - امتناع رؤية الله في الآخرة.
- ٤ - القرآن حادث غير قديم.

ما عدى الشرط الأول هذه الشروط الثلاثة متفق عليها بينهم وبين المعتزلة والإمامية .

- ٥ - الشفاعة معناها السرعة في دخول الجنة ، لا بمعنى مغفرة الذنب ، وهذا ما ذهب إليه المعتزلة .
- ٦ - التولي والتبري .

المعتزلة

وهي : حركة فكرية منذ نشأتها ، على اختلافٍ في بداية نشوؤها ، ولهم بعض الأصول الكلامية التي هي عبارة عن :

- ١ - التوحيد .
- ٢ - العدل .
- ٣ - الوعد والوعيد ، أي : يجب العمل بالوعيد كوجوبه في الوعد .
- ٤ - المنزلة بين المنزلتين ، بمعنى : إن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر .

٥ - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقلياً وليس وجوبهما شرعياً ، وهذا لما أولته هذه المدرسة من الأهمية للعقل وإعطائه دوراً أكبر من حقه .

ومن أهم أقطابها :

- ١ - واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١هـ) .
- ٢ - عمر بن عبيد (٨٠ - ١٤٣هـ) .
- ٣ - أبو هذيل العلاف (١٣٥ - ٢٣٥هـ) .
- ٤ - النظام (١٦٠ - ٢٣١هـ) .

٥ - أبو عليّ الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣هـ) .

٦ - أبو هاشم الجبائي (٢٧٨ - ٣٢١هـ) .

٧ - القاضي عبد الجبار (٣٢٤ - ٤١٥هـ) .

وكان آخر علّم لهم برز في ساحة الفكر هو الزمخشري المتوفى عام (٥٣٨هـ) ، وابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى عام (٦٥٦هـ) ، ولم يظهر لهم علّم بعد هؤلاء .

وقد لمع نجمهم واشتهر اسمهم في الفترة ما بين حكم أبي جعفر المنصور إلى خلافة الواثق (٢٢٧ - ٣٣٢هـ) ، وكان لهم في فترة حكم هارون خمول في الحركة والنشاط .

الجهميّة

وهي حركة منسوبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي ، الذي قتل عام ١٢٨هـ ، وكان جهم هذا رأس الجبر وأساسه ؛ لأنه كان يقول بالجبر ونفي الاستطاعة . ومن أفكارهم : تعطيل ذات الله تعالى عن تمام الصفات الجمالية والكمالية ، ولأجل هذا قيل لهم بالمعطلّة ، وكان سبب التعطيل هذا إفراط جهم بن صفوان في تنزيه الذات المقدّسة . وقال بعض عنهم : إنهم هم المعتزلة .

المجسّمة

وهي فرقة منسوبة إلى مقاتل بن سليمان المتوفى عام ١٥٠هـ ، وهذا أفرط في التشبيه فصار مجسّماً ، فهو على طرف نقيض مع الجهمية في هذه الجهة .

الكرامية

نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني المتوفى عام ٢٥٥هـ، وكان يذهب إلى أن الله تبارك وتعالى جسم لكنّه لا كأجسام.

الأشعرية

وهي من حيث الشهرة والسعة كالمعتزلة، وقد وضع أساسها أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، وهو من أحفاد أبي موسى الأشعري، ولد عام ٢٦٠هـ وتوفى عام ٣٢٤ أو ٣٣٠هـ، كان بدء أمره من المعتزلة، وكان من تلامذة أبي علي الجبائي، ولكن بعد وفاة أستاذه بستين ترك الاعتزال، وصار من أصحاب أحمد بن حنبل ومن أنصار الحديث، لكنّه وللخلفية الفكرية التي حصل عليها من مدرسة الاعتزال أبدع في مجال الاستدلال العقلي على العقائد الدينية لمذهبه الجديد، ولكن لم يوافقه الحظ في نشر أفكاره إلا بعد جيلين من تلامذته، ففي الجيل الثالث لهم حصل لهذه الأفكار الأشعرية بعض الانتشار والاتساع حتى صار المذهب الرسمي في باب العقائد لأهل الجماعة. ولهم بعض الآراء الكلامية التي منها:

١ - إن الله سبحانه منزّه عن الجسميّة .

٢ - صفات الله تعالى قديمة .

٣ - صفاته زائدة على ذاته .

٤ - الصفات الخبرية تحمل عليه تعالى بلا كيف، مثلاً: له يد ووجه

بلا كيف .

- ٥ - الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد والعباد هو كاسب ، وهو الذي يقال عنه (بالكسب) .
 - ٦ - الاستطاعة مع الفعل لا قبله .
 - ٧ - رؤية الله سبحانه ممكنة في الآخرة .
 - ٨ - كلام الله سبحانه قديم وليس بحادث ، وهو الكلام النفسي .
 - ٩ - الحسن والقبح أمور شرعية لا ربط للعقل بها .
- ومن أبرز سمات هذه المدرسة نفي وتعطيل السببية والعلية بين الأشياء وحصرها في الله تعالى .

من أعيانهم :

- ١ - أبو بكر الباقلاني ، المتوفى عام (٤٠٣ هـ) .
- ٢ - أبو منصور عبدالقاهر البغدادي ، المتوفى عام (٤٢٩ هـ) .
- ٣ - أبو المعلن الجويني إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) .
- ٤ - أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) .
- ٥ - أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) .
- ٦ - فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) .
- ٧ - سيف الدين الأمدي (٥٥١ - ٦٣١ هـ) .
- ٨ - عبدالرحمن بن أحمد الأيجي (٧٠٨ - ٧٥٦ هـ) .
- ٩ - سعد الدين التفتازاني (٧١٢ - ٧٩١ هـ) .
- ١٠ - علاء الدين علي بن محمد السمرقندي القوشجي ، المتوفى عام (٨٧٩ هـ) .

الماتريديّة

فرقة تنسب إلى محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ،

المتوفى عام ٣٣٣ هـ، كان همّه مكافحة مذهب المعتزلة وإقصاءهم عن السامة الفكرية آنذاك، وهو من أتباع الفقه الحنفي، ويفارق الأشعرية في أمور منها:

١ - معرفة الله تعالى واجبة عقلاً، بخلاف الأشعرية حيث قالوا بالوجوب عن طريق السمع .

٢ - التحسين والتقييح عقلي وليس شرعياً .

٣ - عدم جواز التكليف بما لا يطاق، خلافاً للأشاعرة .

٤ - أفعال الله تعالى معلّلة بالأغراض عند الماتريدية، خلافاً للأشاعرة .

٥ - صفات الله عين ذاته، خلافاً للأشاعرة حيث قالوا بأنها زائدة عن

الذات .

٦ - بُعد الماتريدية في أفكارهم عن التجسيم والتشبيه، وقرب

الأشعرية من ذلك .

ومن أعيانهم :

١ - القاضي أبو اليسر محمد بن محمد بن عبدالكريم البزدوي (٤٢١-٤٩٣ هـ) .

٤٩٣ هـ) .

٢ - أبو المعين النسفي، المتوفى عام (٥٠٢ هـ) .

٣ - نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي، المتوفى

(٥٣٧ هـ) .

٤ - مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى عام (٧٩١ هـ) .

٥ - كمال الدين محمد بن همام المعروف بابن الهمام المتوفى عام

(٨٦١ هـ) .

٦ - كمال الدين أحمد البياضي الحنفي .

٧- محمد زاهد بن الحسن الكوثري المصري المتوفى عام (١٣٧٢ هـ).

الزيدية

وهي فرقة تنسب إلى زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهي فرقة لها أفكار قد التقطت من المذهب الحنفي في الفقه ، ومن المدرسة المعتزلية في العقائد والكلام . ومن بعض آرائهم :

١ - الوعد والوعيد .

٢ - المنزلة بين المنزلتين .

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عقلاً ، وهذه وفاقاً

للمعتزلة .

٤ - صفات الله عين ذاته وفاقاً للإمامية .

٥ - إدراك العقل للحسن والقبح .

٦ - إنه سبحانه متكلم بكلام ، وكلامه فعله الحروف والأصوات .

٧ - الله سبحانه يريد بإزادة حادثة .

٨ - أفعال العباد ليست مخلوقة لله سبحانه .

٩ - تكليف ما لا يطاق قبيح ، خلافاً للمجبرة والأشاعرة .

١٠ - المعاصي ليست بقضاء الله تعالى .

١١ - وجوب الإمامة شرعاً لا عقلاً ، خلافاً للإمامية .

١٢ - النص على إمامة عليّ والحسين عند أكثرهم .

١٣ - القضاء في فدك صحيح ، خلافاً للإمامية .

١٤ - خطأ المتقدمين على عليّ في الخلافة قطعي .

١٥ - خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعي .

١٦ - خطأ توبة الناكثين .

١٧ - معاوية بن أبي سفيان فاسق لبغيه ، ولم تثبت توبته .

الإسماعيلية

دعت هذه الطائفة إلى إمامة إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام من دون دخل له في الأمر ، حالهم حال الزيدية في الانتساب . وقد توفي إسماعيل عليه السلام في زمن أبيه الصادق عليه السلام ودفن في البقيع .

ولهذا المذهب بعض السمات منها :

١ - تأويل الظواهر ، وهي أبرز سمة لهم وبها يمتازون عن سائر فرق

الشيعة .

٢ - تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية حيث جعلوها من صميم الدين

وجذوره ، ومن عقائدهم :

١ - التوحيد .

٢ - نفي مطلق الصفات عن الله تعالى .

٣ - الإنسان مخير لا مسير .

٤ - القضاء والقدر لا يسلبان الاختيار .

٥ - الرسالة تنقسم إلى عامة وخاصة .

٦ - النبوة أعلى مراتب البشر .

ولا بأس بالإشارة إلى المذهب الحقّ .

الشيعة الإمامية

وهم من أحبّ علياً عليه السلام وأولاده واتّبعهم بالقول والفعل ، وقد نشأت

منذ زمن رسول الله ﷺ ، وعقائدهم واضحة للمتّبع . ويمتازون عن المعتزلة بأمر منها :

١ - الشفاعة ، هي : غفران الذنوب وإخراج العصاة من النار ، وعند المعتزلة هي : ترفيع الدرجة .

٢ - مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق ، والمعتزلة قالوا بالمنزلة .

٣ - الجنّة والنار مخلوقتان منذ الخلق ، وموجودتان بالفعل ، خلافاً للمعتزلة حيث ذهبوا إلى خلقهما بعد ذلك .

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الشرعيّة ، وعند المعتزلة عقليّة .

٥ - بطلان القول بالإحباط ، خلافاً للمعتزلة .

٦ - التوبة تفضّل من الله تعالى على العبد ، وليست جزماً تسقط العقوبة ، وقبولها ليس بواجب على الله تعالى إلا من باب اللطف ، خلافاً للمعتزلة .

٧ - لا بدّ من الدلالة والبيان من الرسول على التكليف ولا يكفي الفعل ، خلافاً للمعتزلة .

٨ - الإنسان لا مسير ولا مفوض بل أمر بين أمرين .

٩ - غالت المعتزلة في منزلة العقل ، وأهل الظاهر في الجمود على ظاهر النصّ ، والإماميّة اتخذوا الوسط في الأمرين .

وافترقت الإمامية عن الأشاعرة في أمور منها :

١ - صفات الله عين ذاته ، خلافاً للأشاعرة ، حيث قالوا : إنّها زائدة على الذات .

٢ - أفعال العباد على نحو الحقيقة تصدر من العباد ، خلافاً للأشاعرة ،

حيث قالوا بعدم دخل إرادة العبد في أفعاله ولا دخل لقدرته فيها .

٣ - عدم إمكان رؤية الله في الآخرة بالرؤية البصرية ، خلافاً لهم .

٤ - التحسين والتقيح عقلي ، خلافاً للأشاعرة ، حيث قالوا بالشرعية .

ومن جملة عقائد الشيعة الإمامية :

١ - القول بعصمة الإمام ووجوبها فيه .

٢ - نصب الإمام واجب على الله تعالى .

٣ - القول بالبراءة .

٤ - الرجعة ، وهي : عودة جماعة إلى دار الدنيا بعد موتهم وقبل يوم

القيامة .

٥ - أئمتهم : عليّ بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وتسعة من

ذرية الحسين عليه السلام ..

ومن جملة متكلميهم :

سلمان الفارسي (٣٤هـ) .

أبو ذرّ الغفاري (٣٢هـ) .

كميل بن زياد (٨٢هـ) .

المقداد بن الأسود (٣٧ أو ٣٣هـ) .

حول الكتاب

الحوار في الحياة الاجتماعية من أهم ركائز التعايش السلمي فهو

السُّلم للوصول إلى المعارف الحقّة ، والتفاهم بين أبناء المجتمع الواحد

ذوي الاتجاهات الفكرية المتعدّدة ، فهو من أبداع الوسائل لتلاقح الأفكار ،

وحفظها ، ونقلها صحيحة إلى الأجيال الأخرى ، ومما لا شكّ فيه أنّ الحوار

إنّما يكون ذو نتائج إيجابية إذا كان قائماً على الأسس العلمية للحوار والتفاهم المسبق والالتزام بآدابه ، وعندئذٍ يكون وسيلة من وسائل الإقناع العلمي وبه تكشف الحقائق ، أما إذا صار شجاراً لا حواراً ، فالظاهر أنّه شعلة نار خطرهما أكثر من نفعها .

ومما يدلّ على أهميّة الحوار الهادف ما سبق ، وهو أنّ الله تعالى بدأ خلقه مع الحوار ، فأوّل حوار حصل إنّما هو مع الله وملائكته وآدم عليه السلام ، وكان الهدف منه هو تعليم الملائكة ، وتلقين آدم عليه السلام هذه الطريقة حتّى يبدأ بها دعوته لله تعالى في خلافته في الأرض ، واستمرت هذه الطريقة ، وتوارثها الأنبياء والصالحون من عباد الله حتّى وصلت إلى نبينا عليه الصلاة والسلام والأئمّة الهداة وعلمائنا الأبرار ، فهي طريقتهم مع خصومهم ومع محبيهم لتوضيح الحقائق وإماطة ستار الجهل ، طريقة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالحوار هو الجدل بالأحسن .

الأسس العلمية للحوار

لابدّ للحوار من جوّ علمي ومناخ يعيش فيه حتّى يكون الأسلوب العلمي المنتج ، لا أن يكون عقيم الفائدة ، مولدّاً للبغض والعداوة ، فلا بدّ من خلق الأجواء العلمية الهادفة للتفكير ، وهذه إنّما تحصل بتوفير الشروط والعناصر التي يجب أن تكون في عملية الحوار ، وهذه العناصر هي :

- ١ - شخصية المحاور الذي يدير عمليّة الحوار .
- ٢ - شخصية الطرف الآخر للحوار .
- ٣ - خلق الجوّ الهادئ للتفكير المستقلّ .
- ٤ - موضوع الحوار ووضوحه ومعرفة لطرفي الحوار .

٥ - أسلوب الحوار .

٦ - وقت الحوار .

١ - شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار : لأجل أن يكون

الحوار منتجاً لهدفه وموصلاً إليه ، لابد للمحاور من امتلاكه الخلق النبيل ، والثقة بالنفس ، والإيمان بما يقول ويدعو إليه ، بالإضافة إلى حبه للإنسان مطلقاً ، وبعبارة موجزة : امتلاكه الروح الإنسانية العالية .

٢ - شخصية الطرف الآخر للحوار : أن تكون شخصية تملك الروح

العلمية ، بأن تحاول معرفة الحق وتكون مصداقاً لقوله ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن أو المسلم» . وهذه يمكن صنعها وإيجادها من قبل مدير الحوار ، بأن يكون ذا قدرة يمكنه بواسطتها إثارة هذه الخصلة في طرفه المقابل ، فهناك كثير من النماذج التي لا ترغب بسماع ما يقوله الطرف المقابل فضلاً عن التفكير فيه ، هل هو صحيح أم لا .

٣ - خلق الجو الهادي للتفكير المستقل : هذا العنصر الحواري من

العناصر التي وجودها يؤكد لانتاجية الحوار ، ويرجع وجوده وعدم وجوده إلى قوة شخصية المحاور ، فهو يستطيع بقدرته أن يقدم المقدمات كي يستخرج الطرف المقابل من مثلث أفكاره إلى دائرة الفكر الحرّ المستقل عن أي شيء سبق الدليل القانع والبرهان الساطع .

٤ - المعرفة لموضوع الحوار : وهو عنصر أساسي في عملية

الحوار ، وذلك لأن عدم معرفة الموضوع يعني عقم الحوار ، فلا بد للطرف المحاور من معرفة الموضوع بصورة كاملة من وجهة نظر الطرف المقابل ، ومن وجهة نظره هو ، حتى يستطيع إثبات مذهبه وإبطال مذهب الطرف المقابل ، وذلك بإثبات فساد ركائز المذهب المقابل .

٥ - أسلوب الحوار : وهو عنصر جني الثمار ؛ وذلك لأنَّ للأسلوب الأثر البالغ في الاستفادة من المعلومات والفرص المتاحة ، وعدم إضاعة ما هو نافع ، والقدرة على تجنّب الضارّ ، فربما كلمة حقّ لكن لا تطرح بأسلوب علمي دقيق قد تزعج وتنفر الطرف المقابل ؛ فإنّ الكلمة الطيبة صدقة .

٦ - وقت الحوار : ويمكن عدّ هذا من جملة المهارات الحوارية ، وكذا سابقه ؛ فإنّ للوقت والحالة النفسية للطرف المقابل - بل لنفس المحاور - الأثر البالغ في عود الحوار بالنفع والغاية المطلوبة .

هذا ، ويمكن للمحاور استخدام الطريقة العقلية في الحوار بأن يبدأ بتحليل الفكرة للطرف المقابل ويستدلّ على بطلانها ، أو الطريقة الحسّية بأن يرشد الطرف المقابل إلى نقاط الخلاف في الفكرة التي يملكها ويعطيه المصايدق الحية لصحة قوله ، وفي كتابنا الحاضر قد أتبع المؤلف تمام هذه العناصر والنقاط ، فمن باب المثال في بدء الكتاب لم يتعرّض لأصل موضوع الكتاب ، بل تعرّض إلى أمور من قبيل الصُّور التي يقع بها الامتحان الإلهي وما هو الواجب على طالب الحقّ ، وما هي سنة الله تعالى في الأمم السابقة وكيفية امتحانهم ، ومن المعلوم أنّ هذه الأمور وأمثالها توجب تحقّق جوّ نفسي خالٍ عن التعصّب وينقل الطرف إلى عالم الآخرة والخوف من الله تعالى ويوم الحساب ... ، وأيضاً ذكره في مقام الاستدلال الروايات التي يرويها الطرف المقابل نفسه ممّا يزيل عنه صفة العناد والتحقّظ عن قبول الكلمة والكلام ، ونقل مساوئ القوم عن أنفسهم ومن لسانهم ، وفضائل أهل البيت عن علماء الطرف المقابل ، ومن يُعتمد على قوله عندهم ، وابتداؤه البحث في فصول الكتاب بالآيات القرآنية الصريحة التي لا تحتاج

إلى تفسير لوضوحها، ودعم هذا المفهوم الواضح بروايات الطرف المقابل، كل هذا مما يؤدي إلى انشراح صدر المقابل، بل يكون المؤلف بهذه الأمور مهيمناً على الطرف المقابل روحياً ونفسياً.

مشارب العلماء في طريقة الحوار :

اختلفت مشارب العلماء في الحوار، فبعض اتخذ طريقة الفلاسفة والمتكلمين، واستعمل البراهين الكلامية والفلسفية في الحوار، وبعض اكتفى بحديث أهل البيت ورسول الله ﷺ كمادة للحوار، وكان هذا ضرورياً؛ وذلك لأن الطرف المقابل أيضاً كذلك، فكانت الضرورة تستدعي أن تدفع كل حجة بمثلا.

نعم، إن كان في الأسلوب اختلاف فلم يكن اختلاف في المحافظة على أدب الحوار الذي أكد القرآن الكريم عليه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وقال عز من قائل: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَللَّهُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢).

الحوار في القرآن الكريم

هذا وقد بين لنا القرآن الكريم طريقة الأنبياء والصالحين، والطريقة التي أمر الله بها رسوله الكريم، وأسلوب الدعوة إلى الحق .. ويمكن إجمال القول بأن القرآن الكريم استخدم المحسوسات - لأنس الإنسان بها - أكثر من المعقولات في حوار مع الإنسان، هذا هو

(١) سورة النحل ١٦ : ١٢٥ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ٤٤ .

المائز الأول للحوار القرآني .

المائز الثاني : إفراغ دعوته في قالب رقة الرحمة والعطف الأبوي .

المائز الثالث : استخدام العامل المشترك وكسر حاجز الاثنينية بين

الذاعي والمدعو إلى الإسلام .

فقد حصر الإنسان بين حواسه وحبّه للعطف ، وميله للاجتماع . فلم

يكن هناك شيء يمنع العقل والنفس من أن تصغي لكلام الرسول ﷺ ، ثم

استخدم المرغبات والتخويف كعامل لإيقاظ جانب الإرادة في الإنسان ،

فالقرآن الكريم أكد على المرونة في الكلمة والابتعاد عن جانب العنف فيها ،

حتى يضمن تفاعل المخاطب معه ، ويتذوق الكلام ، وما البلاغة إلا لتسهيل

تفاعل المخاطب مع القرآن في دعوته إلى الحق ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ * وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا

وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ، وقال تعالى

مخاطباً لرسوله أن قل للكافرين : ﴿وَأَنَا أَوْيَاكُمْ لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾^(٢) .

وفي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه قد حكى القرآن لنا كيف

استعمل إبراهيم عليه السلام ما عندهم من البديهيات في حوارهم معهم لغرض

إقناعهم ، وكيف أراهم الأمر المحسوس الواقعي حيث اضطرتهم إلى أن

ينكسوا رؤوسهم ، بل حتى في عبادتهم لما هو أكبر أقنعهم أن هناك أكبر

من القمر ، ثم أراهم أن الأكبر يزول وهو يحب الإله الذي لا يزول ، فهذه

كلها أمور محسوسة عندهم يرونها رأي العين ، ثم قرن المحسوس بالأمور

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٦ .

(٢) سورة سبأ ٣٤ : ٢٤ .

البديهية عندهم لغرض تقوية الإقناع وتفريغ ما عندهم من الاعتراضات؛ فإنَّ تفريغ ذهن المخاطب من الاعتراضات والمشوَّشات أمر ضروري لإنجاح الحوار .

فعدوية الكلمة ، وحسن الأسلوب ، وجلالة المتكلِّم - شخصية المحاور - ، وجمع مشاعر المخاطب وترغيبه ، أو قل : شدَّه نحو المتكلِّم من منتجات الحوار وأمور أخرى يملئها الذكاء وفطنة المحاور ، بالإضافة إلى ما تقدّم ذكره من النكات العلمية في الحوار ، والأسس المنطقية كتوضيح محلّ الكلام ، وإزالة الإبهام ، وعفّة الكلام ، واستخدام ما يعطي النتيجة في ذهن المخاطب ، وغيرها .

وما هذا الكتاب إلا نموذجاً من الحوار الفكري الرصين الذي يمتاز بأسلوبه الدقيق اللطيف ، فهو لا يجرح عواطف الآخرين ، ولا يمسّهم بالقول الجارح ، بل يعطيهم الكلمة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ولا يذهب في استدلاله إلى غوامض الفلسفة ، ولا إلى طريقة علم الكلام إلا في الأمور العقلية الواضحة التي صارت من العرفيات لوضوحها ، إن صحَّ التعبير ، فقد اعتمد طريقة القرآن الكريم ، وأسلوب الحديث ، وكوّن دليلاً من الحديث والآيات القرآنية ، والعقليات العرفية ، لا الفلسفية ولا الكلامية .

فهو أولاً: حاول تفريغ ذهن المخاطب من كلّ سؤال قد يمنع من تصحيح الفكرة أو سماع الكلمة ، وبهذا فقد عبّد طريق الحوار حتّى يسهل الوصول للنتيجة ، فالمؤلف ببراعة أسلوبه وفطنته كأنه يقرأ ذهن القارئ ، فهو يتسلسل مع القارئ بكلّ هدوء ويذكر الفكرة التي قد تحلّ في ذهن المخاطب مع الجواب عنها ، ثمّ يوضّح محلّ الكلام ، ويشرح المفردات ، وبعدها يأتي بالآيات القرآنية ، ثمّ الأحاديث الدالّة على المطلوب وخصوصاً

تلك التي يرويها الطرف المقابل ؛ حتى تكون أقوى في الحجّة وأكد في الاستدلال . هذا مجمل عن الكتاب ، وبشيء من التفصيل نقول :
هذا الكتاب المائل أمامك كباقي البحوث العلميّة يحتوي على :
موضوع ، ودليل ، واستدلال ، ومقدّمة .

أما المقدّمة فقد مهّد فيها طريق البحث وذكر فيها ما جرت عليه سنة الله تعالى من امتحان عباده ، وكيف يمتحنهم ، وبماذا يمتحنهم ، وذكر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال .

أما الموضوع : فهو الإمامة وإثباتها لأهل البيت عليهم السلام ، فهي من المسائل التي كثر فيها الكلام وطال النزاع ، وتعدّدت الآراء والأقوال فيها ، فقد حاول المؤلف إثبات أحقيّة أهل البيت عليهم السلام لها ، وإبطال دعوى كلّ مدّعٍ لها وكونه ضالاً مضالاً .

ومن المعلوم أنّ لكلّ باحث منهجه الخاص ، وطريقته في البحث ، وقد ذكر المؤلف طريقته ومنهجيّته في البحث بقوله : لمّا تبين لي أنّ مناط كلام جمهور المؤلّفين في هذا البحث المتين على نهج أطوار المخالفين من أنواع المناظرات والمجادلات الدائرة على ألسنة المتكلّمين ، من غير ملاحظة طريقة سلوك الأئمّة الطاهرين في الاستدلال على أعداء الدين ... من كلامه هذا نعرف أنّه خالف طريقة المتكلّمين ، وانتهج لإثبات الإمامة منهجاً آخر ، وهو الاعتماد في تكوين دليّله وفي طريقة استدلاله على الحديث الشريف المروي عن أهل البيت عليهم السلام .

أما الدليل الذي اعتمده المؤلف فهو مستفاد من جملة من الأحاديث المروية في الكتب المعتمدة لدى علماء الطائفة ، كما أشار إلى ذلك المؤلف في المقدّمة حيث قال : اعلم أنّ مضمون هذا الدليل ممّا يستفاد ولو متفرّقاً

من الروايات المعتبرة المروية عن أهل البيت عليهم السلام ، وهي عبارة عن :

ما رواه علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عمّن ذكره ، عن يونس بن يعقوب ، في الكافي ١ : ١٣٠ باب الاضطرار إلى الحجّة .

وما رواه محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور بن حازم ، في الكافي ١ : ١٠/١٤٠ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام .

وما رواه أبو محمد القاسم بن العلاء ، عن عبدالعزيز بن مسلم ، في الكافي ١ : ١/١٥٤ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته .

وما رواه علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر القمي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، في الكافي ١ : ١/١٢٩ باب الاضطرار إلى الحجّة .

وما رواه محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن إسحاق بن غالب ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، في الكافي ١ : ٢/١٥٨ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته .

وما ورد في شأن نزول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، في الكافي ١ : ٦/١٩٣ .

وما أورده الطبرسي في الاحتجاج ١ : ٥٨٠ من جواب أمير المؤمنين عليه السلام للزنديق .

وما ورد في الاحتجاج أيضاً ٢ : ٢٢٣/٢١٢ في علة إيجاد الخلق ، وهي الطاعة .

وما ورد في الكافي ٨ : ١/٢ من رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى جماعة الشيعة ، وأيضاً الكافي ٨ : ١٦/٥٢ و ١٧/٥٦ ، في أبواب أخرى .

وبعض الأحاديث الأخرى التي تدور في محور هذه الأحاديث ، ومن مجموع هذه الأحاديث استفاد المؤلف دليله الذي جعله المحور الذي يدور عليه البحث في هذا الكتاب .

وخلاصة الدليل كما جاء في مقدمة المؤلف : إن الله عزَّوجلَّ خلق الخلائق لعبادته ، وكلَّفهم بطاعته ، ولم يرض عنهم بإتيانها على أيَّ نهج كان ، بل لم يجز عنه ، غير ما أمر به في صريح البيان ، كما ينادي به حكمه بالضلالة والبطلان على أهل الملل الذين كان تعبدهم فيها على مقتضى الظن والاستحسان من غير سماع ممَّن أرسله بالبيان والتبيان .

وتوضيح الدليل كما جاء في المقدمة أيضاً أن نقول :

إنَّ من المسلَّمات لدى جميع المسلمين كون العبد مكلفاً بالطاعة والعمل بالأحكام ، وأيضاً مسلَّم أنه لا بدَّ من معرفة طريق الطاعة ، ومعرفة التكليف ، وتحصيل العلم ، ثمَّ العلم لا يحصل بدون تعليم ومعلِّم .
ومن الواضح أيضاً ضرورة كون المعلِّم عارفاً بالأحكام ، ومن المسلَّم أن تعلِّم الأحكام لا بدَّ وأن يكون من صاحبها وممَّن شرعها ، بل تعليم الأحكام من وظائف صاحب الشريعة ، ومن وظائفه أيضاً تعريف الناس به - بالمعلِّم - ودعمه بالمعجزات أو الشواهد على صدق كونه المعلِّم المتعلِّم من صاحب الشريعة .

فصاحب الشريعة هو المعلِّم الأوَّل ، وهذا المعلِّم طريقته أن لا يتكلَّم مع العباد إلا عن طريق غير مباشر ، أي : عبر الوسائط ، وجرت عاداته على تعريف وسائظه لعباده .

ومن المسلَّم أيضاً عدم قدرة الناس كافة على فهم مراده سبحانه من كلامه في كتابه الكريم الذي جعله واسطة بينه وبين عباده مع رسوله ،

فصارت الحاجة إلى المعلم أمراً مبرهنأ عليه ، فكان المتعلم الأول من الله عزوجل رسولهُ الكريم ، ولما كان الشرع مستمراً والتكليف بعده في أطواره الأولى احتاج المسلمون لمن يخلف رسول الله ﷺ في التعليم والتبليغ بنفس المواصفات ، ومن جعلتها اتصاله بالسماء .

فتراه في دليله اعتمد الأمور المسلم بها من قبل جميع المسلمين ، بل حتى غيرهم ، لوضوحها فطرةً ودليلاً ، فمثلاً وجود التكليف ، ولزوم طاعته وبقاؤه إلى آخر الزمان ، وكون الطاعة بطريقة خاصة ، وضرورة تعليم صاحب التكليف ما هي طريقة الطاعة ، وهذا عن طريق معلم منه ، أموراً واضحة لدى كل إنسان سواء كان من أبناء الدين أو الدنيا .

خلاصة الدليل :

- ١ - وجود التكليف أمر مسلم .
- ٢ - دوام التكليف قطعي .
- ٣ - هدف الخلقة هو التكليف .
- ٤ - طريقة امثال التكليف طريقة خاصة ، وبالنحو الذي يريده الله سبحانه وتعالى .
- ٥ - ضرورة وجود معلم ، وكونه معلم من الله تعالى فقط ، وهذه الضرورة على نحو الدوام .
- ٦ - لزوم إخبار الناس وتعريفهم بالمعلم من قبل الله ، فهو يعرف من يمكنه أن يقوم بمهمة التعليم والتبليغ .
- ٧ - عدم كفاية القرآن والسنة من دون من ينطق بهما عارفاً لهما .
- ٨ - وهذه الأمور تستدعي معرفة الإمامة والإمام .

وهناك أمور أخرى أشرنا إلى أهمّتها .

وفي الختام يمكن تقسيم البحث في الكتاب إلى عدّة محاور :
 فالمحور الأول : عبارة عن تمهيد للكلام ، وبصورة غير مباشرة
 يستدلّ المؤلّف على أنّ الأمر ليس خارجاً عن إرادة الله تعالى ، فلو شاء الله
 أن يهدي الناس كلّهم أجمع لفعّل ، لكن مسألة الامتحان والاختبار وتفاوت
 الدرجات يوم القيامة وفي الدار الآخرة تستدعي هذه المسيرة ، وهي سنّة
 الله تعالى الجارية في تمام الأمم ، وعلى مرّ العصور والأزمان ، بل صرّح
 المؤلّف في الكتاب بأنّ مسألة الولاية ، وانقسام الناس فيها امتحان إلهي
 لعباده ؛ ليعلم من يطيعه في الغيب ، ففي هذا المحور يذكر أنّ الامتحان سنّة
 الله في عباده ، ثمّ يذكر أنّ الواجب على طالب الحقّ بذل الجهد لتحصيل
 المطلوب ، والصبر وتصفية النفس وجعلها خالصة لله تعالى .

ثمّ يذكر الطرق والأساليب التي يمتحن الله بها عباده ، مثلاً : حبّ
 السلف وطريقتهم ، والشهوات ، والراحة ، واختلاف الآراء ، وقابليات
 الناس ، وملكاتهم .

ثمّ يدفع توهمًا قد يدخل إلى الذهن ، ويقول بأنّ امتحان أولياء الله
 بالصبر على الأذى من أعدائهم ، وإمهال أهل الدنيا امتحان لهم ولعباده
 الصالحين ، ثمّ قلّة أهل الحقّ امتحان آخر ، ثمّ ينبّه بأنّ سيرة الأنبياء التسليم
 لأمر الله تعالى .. وهناك صور أخرى للامتحان ، لكن إنّما اقتصر على هذه ؛
 لأهمّيتها ، ولأنّها تعطي أنّ اتّفاق الناس على أمر لا يخلو من صعوبة ، فلا بدّ
 من أن يكون هناك من يرجع إليه الناس معيّن من الله تعالى معصوماً ؛ حتّى
 يسدّدهم في امتحانهم .

وبعد هذه المقدّمة يدخل في المحور الثاني ، وهو تفصيل أجزاء

الدليل والبرهنة عليها عن طريق الحديث والقرآن والبداهة العقلية . ويستدل أيضاً عن طريق أحاديث ومرويات العامة على حصر الحق في أهل البيت عليهم السلام ويذكر مناقبهم وفضائلهم ، ومعجزهم ، وادّعائهم الإمامة ، وعدم نقل خلاف دعواهم من أحدٍ عدوّاً كان أو موالياً ، ثمّ يذكر عددهم وأسماهم ، كلّ هذا بالنصّ والحديث من المخالف .

ثمّ يتحوّل إلى المحور الآخر ، وهو ما استدلّ به الخصم على إمامة غيرهم ، وإبطاله بكلامهم ، فهو يذكر من كلام عمر بن الخطاب في لعن القياس والرأي ، بل يذكر أنّ نفس عمر أبطل مسألة اجتماع أهل الحلّ والعقد في اختيار خليفة حيث قال : بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، وأقرّ بأنّ مسألة النصّ هي الطريقة الصحيحة حيث ينصّ هو على معيّنين من بعده ، وأيضاً يوضح أنّ سكوت أمير المؤمنين عليه السلام كان لأجل التقيّة والمدارة ، بل يبطل صلاحية غير أهل البيت عليهم السلام بما ذكره خصومهم من معائب ومثالب الصحابة الذين تصدّوا للخلافة .

وفي الختام والمحور الأخير يذكر أموراً ذكرها العامة زعماً منهم أنّها لهم ، ولكن مرور الزمن كشف أنّها عليهم ، فهم بأنفسهم وإصرارهم عليها أتموا الحجّة على أنفسهم .

ميزات الكتاب :

- ١ - وحدة الأسلوب في تمام الكتاب .
- ٢ - عدم الخروج عن محلّ الكلام وموضوع البحث .
- ٣ - احترام الطرف المقابل والحرص على المجادلة بالتي هي أحسن .
- ٤ - التسلسل في البحث ، فهو لا يخرج من موضوع ويدخل في غيره

إلا مع ترتبه على الذي قبله .

٥ - عدم الاستفادة من طريقة الفلاسفة والمتكلمين في البحث .

٦ - فهرسة المطالب فهرسة علمية .

٧ - المنهجية العلمية في البحث ، فهو أولاً يذكر الكتاب ملخصاً ، ثم

يذكر الفهرس المفصل للكتاب ، ثم يدخل في مقدمة الكتاب ، هذا بالإضافة

إلى أنه يحدّد مورد البحث في بدء الكلام ، ثم بعد ذلك يدخل في البحث .

٨ - وأخيراً الكتاب يعتبر استدلال على عقيدة الإمامية في الإمامة

والخلافة بدليل مكوّن من حديث أهل البيت عليهم السلام وإثباته عن طريق

أحاديث مشتركة بين الشيعة والجماعة المقابلة لهم .

الداعي إلى التأليف :

جاء في مقدمة المؤلف في بيان الغرض والداعي لتأليف هذا الكتاب :

لما تبين لي أنّ مناط كلام جمهور المؤلفين في هذا المبحث المتين

على نهج أطوار المخالفين من أنواع المناظرات والمجادلات الدائرة على

السنة المتكلمين من غير ملاحظة طريقة سلوك الأئمة الطاهرين في

الاستدلال على أعداء الدين ... ، فالمؤلف قصد طريقة في الاستدلال

تخالف طريقة المتكلمين ، وهي اعتماد الحديث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام

والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند القوم ، ولم يعتمد الأدلة

والبراهين التي اعتاد أهل الكلام استعمالها .

نعم ، اعتمد بعض البديهيّات العقلية ، وهي ليست من علم الكلام

وخارجة عن نطاقه ، فهذا الكتاب يعتبر من الكتب التي اعتمدت الآيات

والروايات في إثبات الإمامة وحصرها في أهل البيت عليهم السلام ، بل في بيان

معتقد الشيعة الإمامية في مسألة الإمامة ، وأنه ليس خارجاً عن نطاق حديث الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ، ومن خلاله أثبت عدم الحاجة إلى طريقة أهل الكلام لإثبات هذه المسألة ، إلا اللهم لردّ مقولاتهم بطريقتهم الكلامية ، وإن العقل حاكم بما يقوله الشيعة الإمامية الإثنا عشرية .

ترجمة المؤلف :

هو الشيخ أبو الحسن ابن الشيخ محمد طاهر ابن الشيخ عبدالحميد ابن الشيخ موسى ابن الشيخ علي بن معتوق بن عبدالحميد الفتوني النباطي العاملي النجفي الإصفهاني الإمامي الشريف .

ولادته :

ولد في اصفهان في محلة : درب إمام - ولذلك عرف بالإمامي - سنة ١٠٧٠هـ ، عاش في اصفهان فترة من الزمن ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف . والده الشيخ محمد طاهر توفي سنة ١١١٥هـ وقبره في مدينة الكاظمية في العراق .

وأما والدته فهي العلوية بنت السيد عبدالواسع أخت السيد محمد صالح الخاتون آبادي ، وهم من أجلاء سادات إيران .

واسم والدته طيبة خانم أو سيدة خانم . ولأجل سيادة أمه عُرف بالشريف ، فالشريف ليس اسماً له ، وإن احتمل صاحب أعيان الشيعة أن اسمه شريف ، بل هو لقب له ، وخاله السيد محمد صالح الخاتون آبادي صهر العلامة المجلسي على بنته .

آل الفتوني : أسرة المؤلّف .

أسرة من أَسر العلم المعروفة في النجف الأشرف في القرن التاسع الهجري ، ودوحة من دوحات الفضل ، أسرة علمية أدبية خدموا المذهب الجعفري بمؤلفاتهم ونصروا الدين بأقلامهم ، تنسب إلى فتون إحدى قرى جبل عامل ، كما في : نجوم السماء .

هاجروا من قريتهم إلى النجف الأشرف ، وبعض منهم سكن اصفهان ، ثم هاجر إلى النجف ، والظاهر أنّ جدّهم الأعلى هو الصحابي الصادق أبوذر الغفاري رضي الله عنه ، كما ذكر في : ماضي النجف وحاضرها .

كانت دارهم في النجف قريبة من الروضة الحيدرية الشريفة .
وتوجد في كربلاء عائلة تعرف بآل الفتوني أيضاً ، أمّا الآن فقد خلت منهم النجف وكربلاء .

ومن مشاهير رجال هذه الأسرة وأعيان علمائها :

١ - الشيخ أبو طالب ابن الشيخ أبو الحسن الفتوني ، من العلماء الأدباء اجتهد في العلم حتّى أطاعه عاصيه .

قال عنه السيّد عبدالله الجزائري في إجازته الكبيرة : كان فاضلاً محققاً متبّعاً في غاية الذكاء ^(١) .

توفّي في إيران ، وأعقب ولداً وهو الشيخ علي ، وأعقب الشيخ علي هذا الشيخ حسن ، وأعقب الشيخ حسن هذا الشيخ حسين والشيخ محمّد .

٢ - الشيخ أحمد ، وهو من أجداد الشيخ أبو الحسن الشريف .

(١) الإجازة الكبيرة : ١٢٤ .

قال عنه في أمل الأمل : كان فاضلاً صالحاً عابداً سكن النجف وتوفّي فيها^(١).

٣ - الشيخ حسن الوسواسي بن أبي طالب بن أبو الحسن الشريف ، كان من العلماء والمتبحرين في الحديث ، وفي العلوم الرياضية ، وكان فقيهاً ، عاصر جمعاً من العلماء منهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والشيخ إبراهيم آل نصار وغيرهم ، توفّي في أواخر المائة الثانية عشر ، وأعقب الشيخ محمّد والشيخ حسين ، وأعقب الشيخ حسين هذا الشيخ مهدي الفتوني .

٤ - الشيخ حسين الفتوني ، كان معاصراً للعلامة الشيخ محمّد حسين الكاظمي ، توفّي بعد الثلاثمائة - كما في التكملة - وهو ابن الشيخ حسن المتقدم الذكر .

٥ - الشيخ محمّد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن أبو الحسن الفتوني ، وهو المولى الجليل والفاضل النبيل والعالم الخبير والأديب البصير .

٦ - الشيخ محمّد مهدي بن بهاء الدين محمّد بن علي النباطي العاملي ، وهو الملقّب بالصالح الفتوني الغروي ، وهو ابن عم الشريف أبو الحسن وتلميذه والراوي عنه ، وهو من العلماء الذين لهم القدر المعلى في العلم والنصيب الوافر من الأدب ، توفّي سنة ١١٩٠هـ .

٧ - الشيخ موسى بن علي بن محمّد بن معتوق بن عبد الحميد الفتوني ، وهو الجدّ الأعلى للمولى أبو الحسن الشريف ، كان عالماً جليلاً ،

وكان معاصراً للشيخ البهائي .

٨ - الشيخ مهدي بن حسين بن حسن بن علي بن أبي طالب بن الشريف أبو الحسن ، كان معروفاً بعلم الرمل مبرزاً فيه ، توفي سنة ١٢٩٧هـ .

٩ - الشيخ محمد بن محمد مهدي بن بهاء الدين محمد ، كان من أهل العلم والفضل والكمال والأدب .

١٠ - الشيخ علي بن أحمد بن موسى العاملي النباطي .

قال عنه في أمل الآمل : كان فاضلاً عالماً صالحاً عبداً^(١) .

١١ - الشيخ أحمد بن موسى العاملي ، لعنه من أجداد الشيخ أبو الحسن الشريف ، ووالد الشيخ علي المتقدم الذكر .

١٢ - الشيخ بهاء الدين بن علي العاملي النباطي ، كان من الفضلاء .

١٣ - الشيخ حسين بن علي بن محمد بن محمد التقي الفتوني

الهمداني العاملي ابن بهاء الدين الفتوني .

١٤ - الشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد التقي بن بهاء الدين

الفتوني العاملي الحائري ، وهو والد الشيخ حسين المتقدم ، توفي سنة ١١٩٢هـ .

علاقة عائلة الفتوني بعائلة صاحب الجواهر :

المولى أبو الحسن الشريف جدّ صاحب الجواهر لأم والده ؛ وذلك أنّ جدّ صاحب الجواهر والد الشيخ باقر كان قد تزوّج من أمنة بنت فاطمة بنت الشريف المولى أبو الحسن ؛ فتكون علاقة هذه العائلة العلمية

(١) أمل الآمل ١ : ١١٨/١١٩ .

المعروفة من غير حاجة إلى تعريف - عائلة صاحب الجواهر - بعائلة المولى أبو الحسن الفتوني عن طريق أمنة، التي هي بنت فاطمة بنت المولى أبو الحسن، والتي هي والدة الشيخ باقر والد صاحب الجواهر.

وهناك قول آخر، وهو أن أم الشيخ باقر والد صاحب الجواهر هي بنت الشيخ أبو الحسن الفتوني؛ فيكون المولى أبو الحسن جدّ صاحب الجواهر على هذا القول، وعلى القول الأول جدّ والده الشيخ باقر.

مشايخ إجازاته ومن يروي عنهم:

- ١ - العلامة المجلسي رحمته الله هو أول من أجازته وكتب له إجازتين أحدهما مؤرّخة سنة ١٠٩٦هـ، والثانية مؤرّخة سنة ١١٠٧هـ.
- ٢ - خاله السيّد الأمير محمّد صالح الحسيني الخاتون آبادي، له منه إجازة مؤرّخة أوائل المحرم سنة ١١٠٧هـ.
- ٣ - الشيخ محمّد حسين بن الحسن بن إبراهيم بن عليّ بن عبدالعالي العاملي الميسي، له منه إجازة مؤرّخة شهر صفر سنة ١١٠٠هـ.
- ٤ - الشيخ عبدالواحد البوراني النخعي، له منه إجازة مؤرّخة سنة ١١٠٣هـ.
- ٥ - الشيخ صفّي الدين الطريحي، له منه إجازة مؤرّخة يوم السبت في شهر ربيع الأول سنة ١١٠٠هـ.
- ٦ - الشيخ أحمد البحراني، له منه إجازة مؤرّخة في شوال سنة ١١٠٥هـ، وهو أحمد بن محمّد بن يوسف بن صالح الخطي المقابي البحراني المتوفّي سنة ١١٠٢ أو ١١٠٠هـ.

٧- الحاج محمود الميمندي ، له منه إجازة مؤرّخة أوائل المحرم سنة ١١٠٧هـ ، وهو محمود بن علي المبيدي (الميمندي) المشهدي .

٨ - السيّد نعمة الله الجزائري ، هذه الطرق ذكرها السيّد عبدالله الجزائري في إجازته الكبيرة ، ثم إن له طرّقاً أخرى أيضاً .

٩ - الشيخ قاسم بن محمّد الفقيه الكاظمي النجفي ، له منه إجازة مؤرّخة ١٠٩٩هـ .

١٠ - يروي أيضاً عن المحقق المولى محسن الكاشاني ، صاحب الوافي ، المتوفّي سنة ١٠٩١هـ .

١١ - يروي عن المولى آقا حسين الخوانساري المتوفّي سنة ١٠٩٩هـ .

١٢ - يروي عن الشيخ عبدالحميد بن محمّد التونسي الراوي عن الشيخ صفّي الدين الطريحي .

١٣ - يروي عن الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي ، صاحب أمل الأمل ، المتوفّي سنة ١١٠٤هـ .

١٤ - ويروي أيضاً عن الأمير شرف الدين علي الشولستاني المتوفّي سنة ١٠٦٠هـ .

١٥ - ويروي كذلك عن الميرزا محمّد الاسترآبادي ، المتوفّي سنة ١١٢٦هـ .

تلامذته والراوون عنه :

تلمذ عليه وروى عنه الكثير من أجلة الطائفة وفضلائها نذكر منهم :

١ - الشيخ أبو صالح محمّد مهدي العاملي الفتوني ، المتوفّي ١١٨٣هـ

وهو ابن عمّ المولى أبو الحسن الشريف .

٢ - السيّد محمّد بن علي بن حيدر المكيّ العاملي .

٣ - الشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائري النجفي ابن عبد النبي بن

سعيد .

٤ - المولى محمّد إبراهيم بن غياث الدين الحويزاوي الشهيد بيد

نادر شاه سنة ١١٦٠هـ .

٥ - السيّد نصر الله الموسوي الحائري ، له منه إجازة مؤرّخة سنة

١١٢٧هـ ، الشهيد أيضاً سنة ١١٦٨هـ .

٦ - السيّد حسين القزويني أحد مشايخ العلامة بحر العلوم .

٧ - السيّد محمّد بن أمير الحاج شارح قصيدة أبي فراس .

٨ - الشيخ أحمد بن الشيخ حسن النحوي .

٩ - محمّد حسين بن محمّد مناقب الفضلاء .

١٠ - الشيخ عبدالله بن الحاج صالح بن جمعة البحراني .

١١ - الشيخ عبدالله بن كرم الله الحويزي ، له منه إجازة كتبها له علي

آخر التهذيب المستنسخ سنة ١٠٩٧هـ .

١٢ - الشيخ درويش المجاور بالغري ، له منه إجازة مؤرّخة سنة

١١١٠هـ ، كتبها له خلف كتاب الاستبصار المستنسخ سنة ١٠٩٩ بيد خلف

ابن عبد الحسين البارماني .

١٣ - المولى عبدالمطلب ابن المولى عبدالله ابن المولى طاهر

الكليدار ، وله منه إجازة مؤرّخة ١١٢٨هـ ، كتبها له علي نسخة كتاب الكافي

التي كتب فيها الحاشية على الكافي .

١٤ - محمّد بن تنوان بن عبدالواحد المشعشي الحويزاوي الموسوي .

١٥ - محمّد باقر الشوشثري ، وله منه إجازة .

١٦ - الأمير محمّد صادق الشيرازي سبط المولى محمّد طاهر ، وله

منه إجازة مؤرّخة سنة ١١٣٣هـ .

١٧ - المولى محمّد طاهر ، وله إجازة منه .

١٨ - المولى محسن بن محمّد باقر لشكر خاني المشهدي الخراساني ،

المتوفى سنة ١١٥٣هـ ، وله منه إجازة مؤرّخة سنة ١١٣٠هـ .

إطراء العلماء عليه ومنزلته العلمية :

قد أثنى ، بل بالغ في الثناء عليه محقّقاً كلّ من تعرّض لذكره ولترجمة حياته ، ذاكراً جلاله قدره ، وسموّ منزلته العلميّة ، ورفعة شأنه ، ومكانته العالية عند العلماء ، وفي سوح العلم والمعرفة .

قال العلامة الميرزا محمّد باقر الخوانساري في روضات الجنات : أمّا الرجل الثاني فهو الفاضل العريف ، والباذل جهده في سبيل التكليف ، مولانا أبوالحسن ... وقد كان من أعظم فقهاءنا المتأخرين ، وأفاحم نبلائنا المتبحرين^(١) .

وفي طرائف المقال : قال العلامة السيّد علي أصغر الجابلق البروجردي عند ذكره : وهو على ما وصف في بعض الإجازات رئيس المحدثين في عصره وقدوة الفقهاء في دهره^(٢) .

(١) روضات الجنات ٧ : ١٤٢ .

(٢) طرائف المقال ١ : ٦٧ .

وقال في نجوم السماء-الميرزا محمد علي الكشميري ناقلاً عن تلميذ أبي الحسن أحمد بن إسماعيل -قوله: أروي بطريق القراءة والسماع والإجازة عن أستاذه خاتم العلماء الماضين الشيخ الأجل الأعظم أبي الحسن (١).
وقد ذكره السيد محمد الغروي في كتابه مع علماء النجف الأشرف، قائلاً: الشريف الكامل الفاضل، العالم العامل، الباهر العدل، الرضي المرضي البدل، قدوة العلماء والمحدثين (٢).
ووصفه الميرزا النوري في خاتمة مستدركه بأفقه المحدثين وأكمل الربانيين، وقال أيضاً: كان أفضل أهل عصره وأطولهم بقاءً (٣).
ووصفه العلامة المجلسي في بحاره بالعالم النحرير، النقاد البصير (٤).
وأيضاً قال في حقّه العلامة النوري في كتابه الفيض القدسي في ترجمة العلامة المجلسي: العالم العامل، الفاضل الكامل، المدقق العلامة، أفقه المحدثين وأكمل الربانيين (٥). وفي طي كلامه قال أيضاً: وهذا الشيخ جليل القدر، عظيم الشأن، أفضل أهل عصره فيما أعلم (٦).
وقال العلامة النوري أيضاً في الفائدة الثالثة: وسادسهم نخبة الفقهاء والمحدثين وزبدة العلماء العاملين أبو صالح محمد مهدي الفتوني، عن شيخه الأعظم أبي الحسن الشريف (٧).

(١) نجوم السماء : ٣١٩ .

(٢) مع علماء النجف الأشرف : ١ : ٣٥٧ .

(٣) خاتمة المستدرک ٢ : ٥٤ .

(٤) بحار الأنوار ٥٢ : ٢٧٦ . - أو العلامة النوري في بحاره ٥٣ - أو الأعلام للمحدث النوري

(٥) بحار الأنوار ١٠٥ : ٨٦ . العلامة المجلسي لا في هذا القسم بل في نسخة الـ

(٦) بحار الأنوار ١٠٥ : ٨٨ . في أخبار نفسه لسبحنا المجلسي قدس سره

(٧) خاتمة المستدرک ٢ : ٦٤ .

وقال صاحب جواهر الكلام عند ذكره: جدِّي الفاضل المتبحر
الأخوند الملا أبو الحسن (١).

وقال صاحب الحدائق في كتابه الحدائق الناضرة: ومنهم الفاضل
المحقق المولى أبو الحسن... وهو أفضل تلامذة شيخنا المجلسي (٢).
وقال المحدّث الخبير الشيخ عباس القمّي في كتابه الكنى والألقاب
في حقّه: أفضل أهل عصره وأطولهم باعاً (٣).

وقال أيضاً في الفوائد الرضوية في حقّه: شيخ جليل علامة، أكمل
المتبحرين، وأفقه المحدّثين، من أجلاء تلامذة العلامة المجلسي، عظيم
القدر، رفيع الشأن، أفضل أهل عصره (٤).

وقال الشيخ يوسف البحراني في اللؤلؤة: وكان الملا أبو الحسن
المذكور محققاً مدققاً، ثقةً، صالحاً، عدلاً (٥).

أقول: هذا ليس إطرأ سلطان طمعاً في جوائزه، بل قول حقّ وأداء أمانة.

مؤلّفاتّه :

كتب - رضوان الله عليه - الكثير في مختلف العلوم الشرعية، بعضها
باللغة الفارسية، وأكثرها باللغة العربية لغة القرآن والمذهب، وبدل ما أجاد
به براعه الشريف على تبخره في العقليات والنقليات، وعلى سمو منزلته
وعلو قدره وجلالة مرتبته، وروعة بيانه وقوة أسلوبه، ومما يؤسف له أن

(١) جواهر الكلام ٢٩ : ٣١٣ .

(٢) الحدائق الناضرة ٣ : ٤٠٦ .

(٣) الكنى والألقاب ١ : ٤٨ .

(٤) الفوائد الرضوية : ٤٥٥ .

(٥) لؤلؤة البحرين : ١٠٧ - ١٠٨ .

أكثر مؤلفاته لم ترَ النور، ولم يسمح الزمان لرواد العلم وطلاب الفضيلة أن يغتربوا من منهلها العذب شرباً طهوراً، ويستلذوا منها لذة العلم والفضيلة، شأنها في ذلك شأن الكثير من المؤلفات لسادة القلم، وربان سفن العلم، ورشاد طريق النجاة، نسأل الله تعالى أن يمدَّ العاملين لإحياء جهود طلاب علوم أهل البيت عليهم السلام بالعون والتوفيق والسداد في طريقهم، وفي عملهم، ويشكر جهودهم التي يبذلونها رخيصة لإطلاق سراح وتحرير هذه الأنوار من قيود الغبار؛ ليرى عباد الله، وأيتام آل محمد عليهم السلام طريق رشدهم، وسبل نجاتهم حامدين شاكرين رب العالمين، ومصليين على الرسول الأمين محمد خير المرسلين وآله الطاهرين.

وأما مؤلفاته فهي عبارة عن :

١ - أصول دين يشتمل على (٣٠) فصلاً في الأصول الاعتقادية مع إشارات إلى أدلتها بصورة مختصرة، كتبه باللغة الفارسية .

٢ - الأنساب في فك رموز وشرح كتاب حدائق الألباب في معرفة الأنساب :

قسمان : أحدهما في آباء، والآخر في أبناء السبطين الحسن والحسين عليهم السلام .

٣ - تفسير القرآن الكريم من بداية القرآن إلى سورة الصافات، مع مقدمات في علم التفسير .

٤ - تنزيه القميين عن المطاعن :

وهو عبارة عن رسالة في رد من زعم أن القميين كانوا مشبهة مجبرة، وأضاف في آخره فهرساً بأسماء المحدثين وأحاديثهم في التوحيد ونفي التشبيه.

٥ - الحاشية على الكافي :

كتبها عبدالمطلب على هامش كتاب الصلاة من الكافي سنة ١١٢٨هـ .
٦ - حقيقة مذهب الإمامية :

ويبدو أنه آخر ما كتبه حيث تأليفه سنة ١١٣٨هـ .

٧ - ديوان شعر في المراثي .

٨ - الرسالة الرضاعية :

وهي رسالة استدلائية مفصلة كثيرة الفروع بخاصة ما كان منها موضع خلاف بين الفقهاء ، تحتوي على مقدمة وخمسة أبواب ، فرغ منها سنة ١١١٠هـ في النجف الأشرف .

٩ - شرح الصحيفة السجادية .

١٠ - شرح كفاية المقتصد :

وهو شرح الكفاية السبزوارية ، والظاهر أنه لم يشرح منها إلا كتاب المتاجر .

١١ - شريعة الشيعة ودلائل الشريعة :

وهو شرح ل: مفاتيح الشرائع ، خرج منه شرح الباب الأول ، فرغ منه في سنة ١١٢٩ هـ ، وقال الشيخ يوسف البحراني في اللؤلؤة : وهو يشهد بفضلته وتحقيقه ودورانه مدار الأخبار المأمونة عن العثار في جليله ودقيقه .

١٢ - ضياء العالمين وسيأتي بعض الكلام عنه .

١٣ - طريق الرواية عن ابن أبي الدنيا .

١٤ - الفوائد الغروية والدرّة النجفية :

ضمّ مقصدين ، الأول في الاعتقادات ، فرغ منه سنة ١١٠٤هـ ، والثاني

في أصول الفقه ، فرغ منه سنة ١١١٢هـ .

١٥ - الفوائد المكيّة ، كتبها أيام مجاورته بيت الله الحرام .

١٦ - الكشكول .

١٧ - مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار :

في مقدّمات علوم القرآن ، وتفسير إلى أواخر سورة البقرة ، وخاتمة تعرّض فيها إلى بعض الفوائد ك: الحروف المقطّعة التي في أوائل بعض السور ، وهناك كلام حول هذا المؤلّف حيث طبع في مقدّمة تفسير البرهان ، ونسب إلى العلامة عبداللطيف الكازروني ، ولكن ردّ هذه النسبة علماء التراجم وكلّ من تعرّض لذكر هذا الكتاب وصحّح نسبه إلى أبي الحسن الشريف .

١٨ - مصباح السالكين :

أحال عليه في كتابه أصول الدين .

١٩ - معراج نامه ، أو معراج الكمال .

٢٠ - نصائح الملوك وآداب السلوك :

شرح عهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى مالك الأشر حين ولّاه مصر ، وهو باللغة الفارسية ، ويحتمل أنّ الكتاب الذي قبل هذا بالفارسية أيضاً ، كما هو ظاهر اسمه ، إن لم يكن قد تُرجم من العربية .

ولأجل التعرّف والاطّلاع على مخطوطات هذه المؤلّفات : راجع

كتاب : موسوعة مؤلّفي الإماميّة ، الجزء الثاني ص ١١٧ ، فقد ذكر محلّها وشرحها مفصّلاً ، جزاه الله خيراً .

٢١ - كتاب ضياء العالمين :

قال العلامة النوري : وكتاب ضياء العالمين في الإمامة يزيد من ستين

ألف بيت ، أجمع وأجل ما كتب في هذا الفنّ . خاتمة المستدرک ٢ : ٥٥ .

وقال الشيخ آغا بزرك في الذريعة في وصف الكتاب : وضياء العالمين هذا في مجلدين في أكثر من ٦٥٠٠٠ بيت ، وهو مرتّب على مقدّمة ومقصدين وخاتمة ، قال فيه : وقد انتظم تمام الكلام من البدء إلى الختام في ضمن بيان فاتحة ومقدّمة ومقصدين وخاتمة وختام فيه تمام الكلام ، والمقدّمة مرتّبة على تبيان وخمسة أبواب كلّ منها ذو فصول . وتمام المقدّمة في مجلّد ، ذكر فيها الفهرس لتمام الكتاب مفصّلاً ، والمقصد الأوّل في إثبات إمامة الأئمّة الإثني عشر ، مرتّباً على إثنتي عشرة مقالة ، والمقصد الثاني أيضاً في مجلّد ، في إبطال أدلّة من قال بإمامة غيرهم ، والخاتمة في مثالب أعدائهم عن طريق لسان أتباعهم ، الذريعة ١٥ : ١٢٤ .

أقول : وفي فاتحة الكتاب ذكر خلاصة دليله ، أي : خلاصة الكتاب . وفي الواقع هو أوسع ما كتب في هذا المجال ، واعتمد فيه المؤلف أسلوباً منطقيّاً رائعاً تدرّج فيه المقدمات ، ثمّ حصل على نتيجة ناصعة صادقة لا تقبل الجدل والنقاش ، وهو يقع في ثلاث مجلّدات لا في مجلّدين .

ثمّ إنّ قال بعض من تعرّض له : إنّ ناقص ، لكن الظاهر الأمر على العكس ، فهو كامل في الظاهر والباطن . نعم ، بعض نسخ الكتاب فيها بعض السقوبات لكنّها موجودة في النسخ الأخرى .

وأخيراً درب الامام أضياء للعالمين طريق الظلام ، وجاء بما كانت تصبو إليه الأنام ، وحقّق أنشودة الأحلام ، وما عجزت عن وصفه الأقلام ، كتاب أراح الأوهام بأحسن كلام ، وأسهل وأطيب بيان ، بعيداً عن متاهات الفلسفة وتعقيدات علم الكلام ، اعتمد فيه المؤلف على الحقائق الحقّة وما حدث وما هو كائن ، فكان حسناً في المقدمة ، وجميلاً في الختام لمن أراد حقّ الكلام ، والحجّة بالغة في الخصام على الخصوم اللثام يوم لا ينطق

٦٠ ضياء العالمين / ج ١

إنس ولا جان إلا من أذن له الرحيم العلام ، فهذا كتاب ناطق بالحق ، فمن شاء اتخذته إلى ربوة الحق سبيلاً واضحاً لا عوج فيه ولا أمتاً هادياً مهدياً .

مخطوطاته :

قد ذكرت له عدّة مخطوطات في كتاب موسوعة مؤلفي الإمامية ج ٢ ص ١٢٠ ، وإليك نصها :

التسترية/ النجف (نشرية ٨٠٥/١١) [٧٤٣] - (١٤٢ و) - ١٣٣٢هـ ،
مج ١ .

التسترية/ النجف (نشرية ٨٠٥/١١) [٧٤٤] - (٣٣٢ و) - ١٣٣٢هـ ، مج ١ .
التسترية/ النجف (نشرية ٨٠٥/١١) [٧٤٥] - (٢٠٦ و) - ١٣٣٢هـ ،
مج ١ .

الحكيم العامة/ النجف (مخطوطات محمد الرشدي : ١٤٥) [١٢٧] -
(٣٦٦ و) - ١١٣٦هـ ، مج ١ .

الحكيم العامة/ النجف (مخطوطات محمد الرشدي : ١٤٥) [١٢٨] -
(١٨٥ و) - ١١٣٧هـ ، مج ٣ .

العتبة الرضوية المقدسة/ مشهد ٢٣٢/١١ [٧٨٠٢] - (١٢٣ و) - ، مج ١ .
محمد البغدادي الخاصة/ النجف : ١١٤ (٤٠٨ ص) ، لعلها بخط
المؤلف .

محمد البغدادي الخاصة/ النجف : ١١٦ (٦١٤ ص) ، لعلها بخط
المؤلف .

محمد البغدادي الخاصة/ النجف : ١١٦ (٣٠٤ ص) ، لعلها بخط
المؤلف .

واحتمل صاحب معجم مؤلفي الإمامية أن ما حوته مكتبة البغدادي من مخطوطة كتاب ضياء العالمين ، أنها بخط المؤلف ، ومن أندر المخطوطات وأصحها .

أما النسخ المعتمدة في عملنا في تحقيق هذا السفر الجليل القيم فهي :

١ - نسخة مكتبة الجواهري في النجف الأشرف : وهي من أول الكتاب إلى آخره كاملة في ثلاث أجزاء ، تاريخ نسخها في ١٦ صفر سنة ١٢٦٩هـ ، ناسخها محمد حسن الجواهري ، وهي التي أشرنا إليها برمز «م» .
 ٢ - النسخة المحفوظة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف : وهي أيضاً كاملة من أول الكتاب إلى آخره في ثلاث أجزاء في ضمن مجلدين ، تاريخ نسخها سنة ١٢٨٤هـ ، ناسخها محمد صادق الكروني ، وقد أشرنا إليها برمز «ن» .

٣ - النسخة المحفوظة في مكتبة الاستانة المقدسة الرضوية : وهي كاملة أيضاً في ثلاث أجزاء ، الجزء الأول من مكتبة الاستانة المقدسة الرضوية ، والجزء الثاني والثالث تفضل بها مركز الفقيه العاملي مصورة عن مكتبة آية الله الحكيم ، شاكرين لفضلهم وجهودهم ، وقد أشرنا إليها برمز «س» .

٤ - نسخة حصلنا عليها من مكتبة آية الله النجفي - آية الله مجد العلماء النجفي - في إصفهان : وهي شاملة الجزء الأول والثاني من المطبوع ، تاريخ نسخها سنة ألف وثلاثمائة وخمس من الهجرة النبوية ، كما جاء في آخرها والتي أشرنا إليها برمز «ش» .

٥ - نسخة تفضل بها علينا مركز الفقيه العاملي أيضاً : وهي في ضمن أربع أجزاء تشمل الجزء الثاني من ضياء العالمين ، وتبدأ من الجزء الثالث من المطبوع إلى الجزء السابع ، وهي من نسخ وتصحيح سبط المصنف

محمد حسن بن محسن بن شريف بن عبدالحسين بن محمد حسن (صاحب الجواهر) بن باقر بن عبدالرحيم بن محمد بن عبدالرحيم الشريف الكبير، تاريخ النسخ والتصحيح: يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام من سنة سبعين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ﷺ، وقد أشرنا إليها برمز «ل».

وفاته ومدفته:

توفي رحمة الله عليه، بعد أن أدى رسالته، ودافع عن حق مذهبه وأهل بيت نبيه ﷺ، وأثار لطلاب الحق طريق العلم والمعرفة بعد أن أظلمه شياطين الإنس، وأعداء المعرفة، في الغري الشريف سنة ١١٣٨هـ، كما كتبه بعض أحفاده على الفوائد الغروية.

وأعقب رضوان الله عليه: الشيخ أبا طالب، وهو والد الأسرة الفتوية، وفاطمة، وهي والدة الشيخ باقر والد الشيخ صاحب الجواهر^(١). وقيل: إنه توفي سنة ١١٣٩هـ^(٢).

وقال في تمة أمل الآمل: توفي في أواخر العشر الأربعين بعد المائة والألف^(٣).

وقال الميرزا محمد علي الكشميري في نجوم السماء: إنه دفن في النجف الأشرف^(٤).

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٤٩ .

(٢) أعيان الشيعة ٧ : ٣٤٢ .

(٣) أعيان الشيعة ٧ : ٣٤٢ .

(٤) نجوم السماء : ٢١٨ .

منهجية التحقيق :

يَتَسَمَّ العمل التحقيقي في مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بسمه العمل الجماعي ؛ وذلك لأجل جمع الخبرات التحقيقية والاستفادة من طاقات الجميع والإسراع في العمل ، وكتابتنا الحاضر كباقي الكتب التي حققت والتي في طريقها إلى التحقيق سار في الطريق ذاته ، فكانت مراحل التحقيق كالتالي :

١ - مقابلة النسخ الخطية وتثبيت الاختلافات الواردة بينها .

وقد قام بهذه المهمة الإخوة الأماجد الحاج عزالدين عبدالملك وصاحب ناصر سعيد الباقر وفضيلة الشيخ محمد صادق .

٢ - استخراج الآيات الشريفة والروايات الكريمة والأقوال الواردة في المتن صريحاً أو التي تعرض لها المصنف بالإشارة من مصادرها الرئيسية أو من المصادر الناقلة لها عند عدم توفر المصدر الأصل .

وقد قام بهذه المهمة أصحاب الفضيلة الشيخ محمد القاروبي التبريزي ، والسيد عباس بني هاشمي ، والأخ الماجد حامد الطائي .

٣ - تدقيق الاستخراجات للتأكد وتصحيح موارد الاشتباه المحتملة .

وقام بهذه المهمة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله الصالحي والأخ الفاضل عطاء الله رسولي .

٤ - تقويم النص حسب القواعد اللغوية، وتقطيعه إلى عدة فقرات حسب حاجة العبارة ، مع ملاحظة الاختلافات الموجودة بين النسخ المعتمدة وتثبيت الراجع منها في المتن والإشارة إلى المرجوح في الهامش ، وتفسير المفردات اللغوية الغريبة .

وقد قام بهذه المهمة صاحب الفضيلة الشيخ علي شريعتي ، والأخ
الفاضل الحاج حكمت الحكيمي .

٥ - المراجعة النهائية للكتاب، وتصحيح ما زاغ عن البصر وإبداء
الملاحظات النهائية .

وكانت على عاتق سماحة آية الله السيد علي الميلاني الحسيني .

ولا يفوتنا تقديم الشكر لفضيلة حجة الاسلام والمسلمين المحقق

الشيخ محمد الباقر علي إبدائه الملاحظات القيمة عند مطالعته الكتاب .

والشكر متواصل إلى الإخوة الأماجد في قسم الطباعة والإخراج

الفتي : السيد عدنان حمزة الحسيني ، السيد مهدي يوسف الحكيم ، سعد

فوزي العليايوي ، حيدر غازي النجار ، أحمد عباس الأنصاري .

سائليه تبارك وتعالى قبول هذا الجهد المتواضع بوسع منه ولطفه .

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابنا آسان فهم
ولم يصعب

لقد خلق الله العباد و امرهم بعبادته ليظهرهم الخلق على خلقها لهم . و اوجب عليهم طلب ما كلفهم به من
فنون طاعته . لكي يكونوا من الذين عرفها لهم . فاحسن لتعليمهم ارسلا و الانبياء و انزل البيان ذلك
الكتب من السماء و عين للتبيين لهم الاوصياء . لئلا يكون للكتاب حجة بعد ارساله حيث لا يجزى بعد تبيان
الحق لهم . فمن النبي ان الفرق بالاعتراف بنبوته بالاعتراف بالوحيه و اختصه من تكريمه بالوصول اليها من
الحق سبحانه و مولانا قد اصابنا الله عليه السلام في ارساله حجة حقيقة و اعلاء كلمته و اعلان الحجة و تبيان
الطاعة و الوسيلة له عبادة . فانزل عليه الكتاب فيه بيان كل شيء لئلا يضلوا و اجازل من كان قبلهم
فصلوات الله و سلامه عليه و على الاله الاوصياء في الدين و الراسخين في العلم خلفه امته و طغف الحكمة و علما
لمن الله جعلهم ارجح على كل معرفة له بكتبة الربوبية و رسوله بتسطة النبوية . فاصطف منصفه لانه الامام و علي
اصحابه الوفاين بعدهم المسلمين لاوه . الذين حفظوا وصيته من بعدهم في الثقلين و تمسكوا بالاية عترته المصطفين
و لم يكونوا من الذين اعمى ابصارهم و اضل اعلامهم فلما نزلهم
في تحقيق ادراك امته الالهية و بيان حصرها في امته النورانية المحقة الامامية اعز الطائفة الناجية الاثنى
عشرة فانه لما تبين بان مناط كلام جمهور المؤلفين في هذا البحث الحسيني على نبع اطوار الخلفاء
من انواع المناظرات و الجدلالات الدائرة ~~على~~ على السنة المتكلمين و من محض اتباع الخلفاء
في كثير مما صوت به الاكثر و زيف من غير ملاحظة طريقتهم سلوك الاثمة اطوارهم
في الاستدلال على اعداء الذين من التمك بالبراهين الموجبة لليقين الناشئة

الذين هم في حجة

ايز ثم خاطبني وخطابته بما يخاطب به الانبياء الاوصياء ثم عاد الى حال طفولتيه وهكذا الصدق
 اما من نسله فلم يخزنون وماذا عليكم من قول اهل الشك والشك بانه هل تعلمون ان افضل
 النبيين وان وصي افضل الوصيين وان ابي ادم عماري اسمي واسم علي وابنتي فاطمة والحسن
 واسماء اولادهم مكتوبه على ساق العرش بالنور قال النبي صلى الله عليه وسلم هل طقت خلقا هو اكرم عليكم
 فقال يا ادم لو اهدت الاسماء لما خلقت سماؤ سبته ولا ارضاً صغيت ولا ملكاً مقرباً ولا نبياً

مرسلاً ولا خلقت يا ادم فلما عصى ادم ربه سأله بحقنا ان يتقبل توبته ويغفر خطيئتنا
 وكنا ^{التي} التماساً تلقاها ادم من ربه فاجاب عليه وغفر له فقال له يا ادم انظر فان هذه الاسماء

ذريتك وولدت محمد ادم ربه عز وجل واقتصر على الملائكة بنا وان هذا من فضلنا وفضل الله
 علينا فقام سلمان ومن معه وهم يقولون نحن الغائبون فقال سبحانه انتم الغائبون ولكم خلقت
 الجنة ولا عدائنا اعداءكم خلقت النار اقول ولكن هذا الايمان الذي ابراهم في كذبنا هذا المومنين

العالمين في بيان امامته الاثني عشرية وفضلهم صلواتهم عليهم اجمعين وقد اتفق ختمه على يد اكرم
 الغدير في الشهادة الشريف الغروي على شرف الآف الصلوات من اجله على ما سنه سبع وعشرين سنة

بعد الفاتحة الاموية كما آتته تعالى على نوره وبنده مفضلين

على رسوله والائمة الطاهرين من آل ابي طالب من آل محمد

ان يجعل خالص التوجه اليكم هو جبارتنا والالتفات اليكم

التمتع بكم في كل يوم وليلة ودموعكم التي تنزل

آمين

ادوم نور

عز وجل اول ادم مقامهما ابنة شيث بناد هان اول عرف فيها الى اخره فيها من لوح حفظ شيث لا قوله انما حفظ له
ثم تلا حفصا بروحمه عليه السلام ثم قرأ الزور في لوح حفص موسى عليه السلام لا قوله با انه احفظها منه ثم قرأ روي وادته
لوح حفص واو روي عليه السلام لا قوله با انه احفظها منه ثم قرأ انجيل عليه السلام لا قوله با انه احفظها له ابنة
ثم قرأ القرآن الذي انزلنا من قبله الى اخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة زجر ان اسم صفة آية ثم قرأ
وخط طيبة ما يحيا طيبا لا ينفاء الا وصية ثم عاد الى حال طفولته وهكذا امدت سر امامنا من تسلسل فلم تقم نون ويا
عليكم من قول هذا الشك وفسدت باقة هل خلون اني فضل النبيين وان وصيتي افضل الوصيين ولذا انزل الله
عليهم لما رافى ربي واسم علي عيسى وابنوه طه واحسن واحسين واسماء اولادهم عليهم مكنون في عمل شيا الترش
بالنور قال المي وسيدى هل خلقنا خلقا هو اكرم عليك من فقال يا ادم لو لا صلاتك هذه الاسماء لما خلقت
سبيته ولا امرنا من حينه لو لا انكما قرأوا لا بنيا مهلا ولا خلقك ولا دم تبارك بالرضا ان يفسد
من غير خطية ما جابه وكما الكلاب التي تكافها ادم من ربه من جعل فتا عليه وعزله فقال يا ادم ابشر بان هذا
الاسماء من ذريتك وكذلك غلام ربه عز وجل لا تفر على الملائكة بلوان هذا من فضلنا وفضل الله علينا
سلطان ومن معروهم يقولون نحن الغالبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغالبون وانكم خلفنا لجهنم والاعمال
واعدا لكر خلقنا انما اقول ولكن هذا امرنا امرنا في كتابنا هذا المرسوم بعبادة العالمين في نبيا
امامة الائمة المصطفين وفضائلهم سلوان لانه عليهم اجمعين وقد انقضى خمرة على هوي في يوم القدير في الشهد
الشرهني الفروع على شهادته الذي الصلوان من امة الجليل صلى في سنة سبع وثلاثين ومائة بعد

الا لفا الحجة حامدا قد تقابل بحسنه هذا فضليا سأل على سوله والائمة
الطاهرين من آلهم واجيا من الله عز وجل قد يجدوا البصا
لوجه الكرم موجب المنة والاجر العظيم
اندرهم كريم والحمد لله
تم انكنا بختمه
وقدمت في سنة اوله في الرابع والعشرون من شهر ربيع الاول سنة ثمان مائة واربعمائة
ع ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ضِيَاءُ الْعَالَمِينَ

في

بَيَانِ إِهَابَةِ الْأُئْتِمَارِ الْمُصْطَفِيِّينَ عليهم السلام

تَأليفُ

الْعَلَامَةِ الْفُتُووِيِّ

الشَّيخِ الْفُتُووِيِّ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ طَاهِرِ الْعِزَّافِيِّ

السُّوُوفِيِّ ١١٣٨ هـ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

تَحْقِيقُ

مَوْسَمِ الْبَيْتِ عليه السلام الْأَحْيَاءِ الْبَرَّةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمد لله الذي خلق العباد وأمرهم بعبادته ؛ ليدخلهم الجنة التي خلقها لهم ، وأوجب عليهم طلب ما كلفهم به من فنون طاعته ؛ لكي يكونوا من الذين عرفها لهم ، فأرسل لتعليمهم الرسل والأنبياء ، وأنزل لبيان ذلك الكتب من السماء ، وعين للتبيين ^(١) لهم الأوصياء ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ ^(٢) ؛ حيث لا حجة بعد تبيان الحق لهم ، فمنهم النبي ﷺ الذي قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بألوهيته ، واختصه من تكريمه بما لم يصل إليه أحد من بريته ، أعني : سيدنا ومولانا محمد ﷺ الذي أرسله الله رحمةً لخليقته ، وإعلاءً لكلمته ، وإعلاناً لحجته ، وتبياناً للوصلة إلى طاعته ، والوسيلة إلى عبادته ، فأنزل عليه الكتاب فيه تبيان كل شيء ؛ لئلا يضلوا كما ضل من كان قبلهم .

(١) في نسخة «ح» و«م» و«ن» : للبينين وما أثبتناه من نسخة «ش» .

(٢) سورة النساء : ٤ : ١٦٥ .

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأوصياء في الدين والراسخين في العلم ، خلفاء أمته ، وحلفاء حكمته ، وعلماء ملته ، الذين جعلهم الله الحجج على كل معترف له بملكمة الربوبية ، ولرسوله بالسلطنة ^(١) النبوية ، فاصطفى منصب ولاية الأمر لهم ، وعلى أصحابه الموفين بعهده ، المسلمین لأمره ، الذين حفظوا وصيته من بعده في الثقلين ، وتمسكوا بولاية عترته المصطفين ، ولم يكونوا من الذين أعمى الله أبصارهم ، وأضل أعمالهم فلا ناصر لهم .

وبعد :

فهذا تنميق ^(٢) أنيق ، وتأليف أليف ، رقمته في تحقيق أمر الإمامة ، وتنقيح الإمارة الإيمانية ، وبيان حصرها في أئمة الفرقة المحقة الإمامية ، أعني : الطائفة الناجية الإثني عشرية ، رضوان الله عليهم أجمعين .

فإنه لما تبين لي أن مناط كلام جمهور المؤلفين في هذا المبحث المتين على نهج أطوار المخالفين من أنواع المناظرات والمجادلات الدائرة على السنة المتكلمين ، ومن محض اتباع الخلف السلف في كثير مما صوبه الأكثر وزيف ، من غير ملاحظة طريقة سلوك الأئمة الطاهرين عليهم السلام في الاستدلال على أعداء الدين من التمسك بالبراهين الموجبة لليقين ، الناشئة من محكمات كتاب الله المبين ، والمعتمديات الواردة عن سيد المرسلين ، ووجدت أكثر المؤلفات أيضاً مشحونة بالمطاعن التي توجب تنفر طابع الخصوم عن النظر فيها ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٣) وقال أيضاً :

(١) في «م» : بالسلطة .

(٢) في «م» : تبيان .

(٣) سورة النحل ١٦ : ١٢٥ .

﴿اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) وقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢).

وكنت قد ظفرت أيضاً في خزائن علوم أهل بيت العصمة والطهارة، وكنوز رموز حكمهم على دليل متين، وأصل أصيل ما سمحت به أفكار السلف، ولا أتت بمثله أبكار^(٣) الخلف، فائح العلم، واضح الفهم، بين الدلالة، مسلمة مقدماته، بل معلومة بالبداهة، مطابقاً لما ورد في محكمات القرآن وما نقله الفريقان عن منابع العلم والعرفان، مع كونه مشتملاً على أمهات سائر الدلائل، كاشفاً عن مشكلات كثير من المسائل.

هذا، مع أنني كنت أيضاً قد اطلعت على كثير من الأشياء التي ذكرها المخالفون في كتبهم، وهي من شواهد صحة ما ادعاه الإمامية على سلفهم، وكأنهم ذكروها غفلة من غير تفتنهم بكونها حجة عليهم.

فعزمت حينئذٍ مستعيناً بتوفيق الله وحسن تأييده على تأليف هذا الكتاب المسطور على غير النهج الذي ذكرنا أنه عادة الجمهور، مشتملاً على الدليل المذكور، بحيث يتضمّن سائر الأدلة ممّا هو المشهور، فجعلت هذا الدليل أصل مبنى وضع الكتاب، ومناط الاستدلال فيه، لكن بحيث يمكن إلحاق غيره من الأدلة به، وربّبت بعض مقدماته على بعض، بحيث يستلزم ثبوت كلّ مقدّمة سابقة ثبوت اللاحقة، وترتّبها عليها، ومع هذا جعلت لكلّ مقدّمة منه مقالة ذكرتها فيها مع ما يشهد بصحة ما في متونها،

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ٩٦.

(٢) سورة طه ٢٠ : ٤٤.

(٣) الأحداث، وأبكار النحل : أفراخها، وبكر الرجل : أوّل ولده. انظر النهاية لابن

ويوضح حقيقة^(١) مضمونها من محكمات الآيات والروايات الموافقة لها، ونقلت معظم تلك الروايات من كتب القوم؛ ليكون أتمّ في الحجّة عليهم، ولوجوه^(٢) أخرى أيضاً.

وقد شفعت بعض ذلك بشيء من المقدمات العقلية من البراهين القطعية والمسلمات اليقينية، وبيّنت كثيراً من مكالمات الفريقين في تحقيق ما ذكروه من أدلة الطرفين، بحيث تبين الرشد من الغي والزين من الشين، واندفع كثير من الشبه والشكوك، بحيث ارتفع المين من البين، وسمّيته بـ: «ضياء العالمين»، راجياً من فضل الله العظيم أن يجعله كاسمه في النشأتين هادياً لمن أراد متابعة من اختاره الله من المصطفين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً لثوابه العظيم.

وقد بذلت جهدي - مهما أمكنني في كلّ مقام - أن يكون في الوضو بحيث ينتفع منه الخاصّ والعامّ، ويحكم بصحته كلّ منصف متّصف بكون قصده تحقيق الحقّ لا محض الجدال والإلزام.

وقد انتظم تمام الكلام من المبدأ إلى الختام في ضمن بيان فاتحة ومقدمة، ومقصدتين، وخاتمة، وختام فيه تمام الكلام، مع اشتمال بعض منها على مقالات، وبعض منها^(٣) على أبواب وفصول، بل على مباحث ومطالب بل على غيرها أيضاً من متمّات الكلام.

(١) في «ن»: حقيقة.

(٢) منها: أن نقل المدعي ما ينفخ خصمه قرينة صدقه فيما نقله، كما تحكم به العادة بدية.

ومنها: أن المقصود ما يوافق كتاب الله من أيّ جهة جاء.

ومنها: أن نقلهم ما يوافق الإمامية ومنقولاتهم يجعل المنقول من المتفق عليه بين الفريقين، بل يدلّ على أن نقل خلاف ذلك ممّا فيه ما فيه، فافهم. منه، ﷻ.

(٣) في «ش» زيادة: (حتى بعض المقالات أيضاً).

أما الفاتحة :

فلنذكر^(١) فيها قبل الشروع في بسط المقال خلاصة الدليل الذي أشرنا إليه على سبيل الإجمال ، مع نقل فهرست المقدمة وغيرها من المقاصد والمقالات والخاتمة والختام والأبواب والفصول على نهج لا يكون خالياً عن نوع من الاستفصال ، حتى يكون الناظر في كتابنا هذا على زيادة بصيرة في أصل المقال من مبدأ الحال ، بحيث يسهل عليه استخراج كل ما احتاج إليه عند الاشتغال بتصحيح المقصود على وجه الكمال . فنقول وبالله التوفيق :

لا يخفى أن من أجلى الضروريات الدينية والمسلمات اليقينية عند جميع الطوائف المليية ، لاسيما كافة هذه الفرق الإسلامية ، أن العباد مكلّفون - إيجاباً - بعبادة الله عزّ وجلّ والتزام طاعته - التي هي بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه - بمعنى أن الواجب عليهم أن يكون ما صدر منهم على وفق أمره وإرادته ، دون نهيه وكرهته .

ومن الواضحات أيضاً: أن لا مجال للكلام حينئذٍ في وجوب معرفة طريق ذلك ، ولزوم تحصيل العلم به ، وتشخيص ما يتعلّق به من تعلّم المأمورات والمناهي بشرائظها وآدابها وحدودها وسائر ما يتعلّق بها ، بحيث يتبيّن أنّها على ما هي عليه عند الله ، أي : على وفق إرادته وكرهته وأمره

(١) في «م» : فنذكر .

ونهيه ؛ ضرورة لزوم تشخيص ما كلف به .

ولا شك في استلزام ذلك لزوم التعليم ووجود المعلم ؛ ضرورة امتناع تحقق التعلّم بدون التعليم الذي لا يكون إلا بالمعلم ، فظهر أنّه لا بدّ في مدّة زمان التكليف وما دام واجب^(١) التعلّم من المعلم الذي يرشد إلى الأشياء التي وقع التكليف بها على وفق ما هي عليه عند الله ؛ حيث ظهر أنّ المقصود تلك المعرفة الخاصّة ، ومنه يظهر لزوم كون المعلم عالماً (بيّن العلم)^(٢) بما يحتاج إليه المتعلّم ، بحيث لا يحتمل الخطأ والغلط ؛ ضرورة عدم إمكان تعلّم الشيء من الجاهل به ، وكذا لا اعتماد على ما يحتمل الخطأ والكذب ؛ ولهذا يلزم أيضاً كونه صدوقاً ثابت الصدق ، موثقاً به في جميع الأقوال والأحوال^(٣) ، وكذلك يظهر وجوب التعليم والتبليغ عليه ؛ لئلا يلزم التقصير عليه ، ويتمّ الحجّة على المقصّر في التعلّم .

وحيث ظهر أنّ ذلك كلّهُ إنّما هو لتشخيص ما كلف الله به ، ومعرفته على ما هو عند الله ، ظهر أنّ أصل التعليم لا بدّ أن يكون من الله عزّوجلّ ؛ ضرورة أنّ ما عند الله لا يعلم به غير الله ، إلا بإعلام من الله ولو بالواسطة الثابتة وساطتها ، وأنها منه [عزّوجلّ] ، مع أنّ الجزم بموافقة أمر الله لا يحصل إلا بالأخذ من الله ، فظهر أنّ الله سبحانه هو المرجع في معرفة جميع ما كلف به طول مدّة التكليف ، وأنّه هو المعلم الذي علم ما يحتاجون إليه فيها ؛ ضرورة لزوم تشخيص الجميع ، وتعليمه للمكلّف ما دام الاحتياج وهو في طول المدّة ، كما تبين ممّا ذكرنا .

(١) في «م» : وجوب .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٣) في «م» : الأفعال .

هذا، مع ما سنذكره في المقالات من الآيات المصرحة بأن الله عزوجل هو المعلم لما لا يعلمون، وأنه علم الكتاب والحكمة ونحو ذلك، ومن الآيات المشتملة صريحاً على بيان صنوف الأحكام الكثيرة حتى الجزئيات الصغيرة، ومن الآيات المتضمنة صريحاً بأن الله عزوجل أكمل الدين وأتم النعمة والحجة^(١)، وأنه رؤوف بالعباد^(٢)، لم يرض لهم بجهالة^(٣)، ولا البقاء على ضلالة^(٤)، وأنه لم يفرط في الكتاب من شيء^(٥)، وأن لا رطب ولا يابس إلا فيه^(٦)، وأنه أحصى كل شيء فيه^(٧)، وأن فيه تبيان كل شيء^(٨)، وأمثالها من الآيات الكثيرة الآتية .

ثم إن من الواضحات قطعاً: أن حكمة الله اقتضت وعادته جرت - من بدو الزمان إلى هذا الأوان، ومن زمن آدم إلى عصر الخاتم - على عدم مخاطبته ومكالمته بنفسه مع عامة العباد في هذا العالم، أي بدون واسطة أصلاً، عند بيان الأشياء بل مطلقاً، كما أنه لم يكتف بتدبيرهم بما يدركون بعقولهم أيضاً، بل مداره على اختياره من خلقه وسائط وسفراء وهداة وأمناء، من الأنبياء والأوصياء، والكتب والعلماء، متمماً بهم الحجة على غيرهم بالمعاجز الباهرة، والبراهين الوافرة من الفضائل الفاخرة، والعلوم المتكاثرة، الذين أفضلهم وأكملهم كان نبينا محمد ﷺ الذي أرسله إلى

(١) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٠٧ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٣٥ .

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ٧ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٣٨ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٥٩ .

(٧) سورة يس ٣٦ : ١٢ .

(٨) سورة النحل ١٦ : ٨٩ .

كافة الإنس والجان، وأنزل عليه القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ
وَالْفُرْقَانِ﴾^(١).

فباليقين رسول الله ﷺ والقرآن واسطتان ثابتتان، وحبّتان قائمتان،
ومعلّمان مبلّغان من طرف الله عزّوجلّ وبأمره واختياره، بالبيان والعلم
والبرهان، فيجب الرجوع إليهما مطلقاً، وترك مخالفتهما رأساً، وعدم
الاعتماد على ما لم يكن منهما أصلاً، ما لم يثبت كونه ممّا هو حجّة ثابتة
من الله أيضاً.

وحيث لا شك في عجز الناس عن فهم جميع القرآن، وأن الله
الحكيم - المصرّ - بإتمام النعمة والحجة - لم يكن لينزل شيئاً لم يفهمه
لأحد، ومن الواضحات أيضاً: أن النبي ﷺ كان ترجمان القرآن، وقيمه،
وعالمه، وحافظه، ومبيّن تفسيره وتأويله؛ إذ قد أنزله الله له وإليه، فهو
المختصّ بفهم كلّ ما فيه، وأمّا^(٢) فهم غيره لا يدانيه، وما لا يمكن استنباط
المراد منه إلا بتعليم من الله، فالبيّقين كان هو المعلم حقيقة من الله تعالى
قطعاً، وحجّة على الأمة قاطبة؛ ولهذا كان عالماً بكلّ ما تحتاج إليه الأمة؛
بحيث لا يجهل شيئاً، وكان بنصّ من الله مطاعاً، أمراً، ناهياً، مفروض
الطاعة على الكافة، لم يكن يجوز مخالفته، ولم يسغ معارضته، ولا
الاعتماد على ما لم يكن منه، بل كان يجب على الجميع الرجوع إليه،
والتسليم له، ومتابعة أمره في كلّ مقال، وعلى جميع الأحوال، ولم يجز
لأحد إلا الأخذ منه، ولو بالواسطة المعلومة حقيقتها، دون غير ذلك؛ لما
هو ثابت من كثرة الكذّابة عليه.

(١) سورة البقرة ٢ : ١٨٥ .

(٢) في «س» و«ن» و«ش» : ما .

فقد ظهر من هذا كله أنه لم يكن للنبي ﷺ ولا لغيره الاعتماد على ما لم يكن من الله، لاسيما مما لم يكن مصنوعاً عن الإيقاع في الخطأ والتأدية إلى خلاف ما عند الله؛ ضرورة أنه بعد ما ظهر من ورود الأشياء كلها من الله مع تعيين المعلم، لا يبقى احتمال اختيار للمعلم ولا لغيره ما سوى التسليم.

(هذا، مع أن^(١) النبي ﷺ لم يكن يحتاج إليه؛ إذ لا حاجة إلى البرهان فيما يكون معلوماً بالبيان، لاسيما إذا كان في حكم العيان، ولا يتصور الظن والتخمين فيما يكون معلوماً باليقين، وكذلك حال الأمة، لما ظهر من انحصار طريق التعلم من الله في الأخذ من المعلم من الله دون غير ذلك.

ثم إن من الواضحات البينة أن النبي ﷺ لم يبق طول زمان التكليف حتى يوفي لجميع أمته جميع ما يحتاجون إلى تعليمه بنفسه إلى آخر الزمان، ومعلوم أيضاً أنه لم يُعلم في حياته جميع الأشياء - لاسيما الذي يحتاجون إليه فيما بعد - لسائر الأمة، وأن كل أحد لا يفهم جميع ما في القرآن.

وهذا - مع إضافة ما هو ثابت من عدم تقصيره في التبليغ، وما تبين صريحاً من انحصار طريق التعلم في الأخذ من المعلم من الله - ينادي بأن لا بدّ ومن الواجبات اللازمة: أن يكون بعده إلى آخر الزمان في كل عصر - بل في كل آين - من ينوب منابه ويقوم مقامه في هذا الأمر، يكون إماماً للخلق، وهادياً إلى الحق، ولو رجلاً بعد رجل، وأن يكون كل واحد بخصال النبي ﷺ، لاسيما في الصفات اللازمة في التعليم من كونه

(١) بدل ما بين القوسين في «ن»: لأن.

معصوماً عن الخطأ والشك والجهل ، عالماً بالكتاب كله ، غير عاجز عما يحتاج إليه أهل عصره ، آخذاً كل علمه من الله ورسوله ؛ ضرورة أن لا اعتماد عليه ، ولا على علمه ما لم يكن كذلك قطعاً .

فظهر أنه لا بد أن يكون أيضاً متعياً من الله ورسوله ﷺ ، مختاراً باختيار الله ، مصطفىً من صفوة الله ، مفروض الطاعة بأمر الله ؛ ضرورة كون تعيينه (١) من الأزْم ما وجب تعليمه ، وأعظم ما تحتم تعريفه من وجوه كثيرة تبين بعضها ممّا حرّراه ، وسيتبين جميعها فيما سيأتي .

ولقد كفى في هذا أن النائب إذا كان بحيث لا بد أن يكون مثل النبي ﷺ أميناً من الله على علمه وكتابه ودينه وشريعته ، ووساطة (٢) التبليغ والتعليم ، بحيث إن به يتمّ تبليغ النبي ﷺ جميع ما أنزله الله عليه ، فكيف يمكن أن يعرف مثل هذا بدون إعلام من الله ورسوله ؟ .

بل من الواضحات أن فرض سكوتهما عن إعلام مثل هذا الأمر العظيم ينافي ما ثبت من إكمال الله الدين وإتمامه النعمة ، وتبليغ النبي ﷺ جميع ما تحتاج إليه أمته في زمانه .

وحينئذ لا يخفى ، بل لا كلام أيضاً في أن مثل هذا الرجل إنْما كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ الحسنين ، ثمّ التسعة المعلومين (٣) من نسل الحسين عليه السلام ؛ لوجوه كثيرة سنذكرها مفصلة .

وكفى في هذا اعتراف الأمة جميعاً بعدم نصّ ، ولا عصمة ، ولا كمال علم في غير أهل البيت ، وأنّ كلاً من ذلك إن كان فهو في عليّ وذريته

(١) في «ن» : تعليمه ، وفي «م» : تعيينه .

(٢) في «م» : ووساطته .

(٣) في «ش» : المعصومين ، أقول : دأب المؤلف التعبير بالمعالمين .

المذكورين ، مع تسليمهم - كما سيأتي مفصلاً - حديث الأمر بالتمسك بالنقلين ، ووصاية عليّ للنبي ﷺ بنصّه ، وكذا الحسن عليّ لأبيه والحسين عليّ لأخيه وهكذا كلّ لاحق لسابقه ، كما كان ذلك دأب من سلف من الأنبياء والأوصياء ، وكذا كونهم أعلم الناس بالكتاب والسنة ، وأكملهم من كلّ جهة .

هذا كلّّه ، مع ما سيأتي من نصوص الكتاب والسنة التي منها حكاية الغدير .

فظهر أنّ حكاية السقيفة ، وادّعاء عدم تعيين أحد من الله ورسوله ﷺ ، كان توهماً فاسداً ناشئاً من الأشياء التي سنذكرها ، موجباً للمفاسد العظيمة . هذا خلاصة الدليل المذكور ، وسيأتي تفصيل بيان كلّ مقدّمة منه في مقامه ^(١) ، بحيث لا يبقى شبهة لمشكك .

وإن أردت حاصله تلخيصاً ، ومحصوله تخليصاً ، فهو : أنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلائق لعبادته ، وكلفهم بطاعته ، ولم يرض عنهم بإتيانها على أيّ نهج كان ، بل لم يجز عنده غير ما أمر به في صريح البيان ، كما ينادي به حكمه بالضلالة ^(٢) والبطلان على أهل الملل الذين كان تعبدهم فيها على مقتضى الظنّ كالرأي والاستحسان من غير سماع ممّن أرسله بالبيان والتبيان .

ولا شكّ أنّه حينئذٍ لا بدّ ^(٣) من العلم بها الموقوف على التعليم والمعلّم ، فعليه سبحانه أن يعلمهم إيّاها ، بحيث لا يحتاجون إلى ما لم يجز

(١) في «م» و«ش» : مقاله .

(٢) في «ن» و«س» و«ش» : بالضلّال .

(٣) في «ن» : لا بدّ له .

عنده ، وقد فعل ذلك ، حيث أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وعيّن الأوصياء ، حتّى انتهى إلى حبيبه محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، فأرسله بالكتاب المبين ، وعلمه ما احتاجوا إليه من أمور الدين ، وحيث ثبت أنه لم يبق طول مدّة التكليف ، ولم يُعلم جميع الأمة جميع ما احتاجوا إليه ، فلا جرم من وجود معلّم معيّن من الله ورسوله ﷺ في كلّ عصر بنحو ما كان في سائر الأمم ، يكون مثل النبي ﷺ في الصفات عارفاً بجميع ما تحتاج الأمة إليه على ما هو الوارد من الله ؛ حتّى لا يلزم التقصير في التبليغ ، ويتمّ الحجّة والنعمة ، ولا شكّ في أن ليس في مثل هذه الصفات ولا ادعى ذلك أحد غير عليّ بن أبي طالب والحسين والتسعة المعلومين من ذريّة الحسين صلوات الله عليهم أجمعين .

وإذا تبيّن هذا ، فاعلم أنّ مضمون هذا الدليل ممّا يستفاد - ولو متفرقاً - من المرويّات المعتمدة المتعدّدة عن أهل بيت الوحي والتنزيل ، وعلماء التفسير والتأويل ، فلا بأس إن ذكرنا ها هنا نبذاً من تلك الأخبار لمزيد البصيرة لمن أراد الاستبصار :

فالأوّل منها : ما رواه جماعة من أصحاب أهل البيت عليهم السلام في كتبهم بأسانيد ، منها :

ما ذكره الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني ^(١) في كتاب الكافي

(١) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي البغدادي ، يكتنّى أبا جعفر ، المشتهر بثقة الإسلام ، من أئمة الإماميّة وعلمائهم ، وأوثق الناس في الحديث وأثبتهم ، وله كتب كثيرة منها : كتاب الكافي ، صنفه في عشرين سنة ، وتوفّي في بغداد سنة ٣٢٨ هـ . انظر : رجال النجاشي : ١٠٢٦/٣٧٧ ، الفهرست للشيخ الطوسي ٦٠٢/٢١٠ ، الخلاصة : ٨٣٥/٢٤٥ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٩٩ .

عن هشام بن الحكم ^(١) أنه قال: أتى زنديق إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فسأله عن مسائل في التوحيد وصفات الله عزّ وجلّ، وفاز بأجوبة شافية، حتّى انجزّ الكلام إلى أن سأله، فقال: من أين أثبت الأنبياء والرسول؟

فقال عليه السلام: «إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ويلا مسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمر والنهْي عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة.

ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهرٍ ^(٢) وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين؛ لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته» ^(٣) الخبر.

(١) يكتفى أبا محمّد وأبا الحكم، وأصله كوفي، من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، كان فقيهاً وحاذقاً بصناعة الكلام، وروى عنه أحاديث كثيرة، وله كتب منها: كتاب الإمامة، والدلالات على حدوث الأشياء، والرّد على الزنادقة، وتوفّي سنة ١٧٩ هـ بالكوفة في أيام الرشيد.

انظر: رجال الكشي: ٤٧٥/٢٥٥، أعيان الشيعة ٢٦٤/١٠، مجمع الرجال ٦:

٢١٦ و٢٣٢.

(٢) من هنا إلى صفحة ٢٠ هامش (٢) سقط في «م».

(٣) الكافي ١: ١/١٢٨ (باب الاضطرار إلى الحجّة).

ويتبين منه أشياء :

أحدها: أنه لا بدّ ما دام زمان التكليف أن يكون في كلّ عصر سفير بين الله وبين خلقه من الأنبياء والأوصياء ؛ ليعبّر ما احتاجوا إليه عنه إليهم ، ويدلّهم على مصالحهم ممّا خلقوا لأجله .

وثانيها: أن يكون ذلك السفير كاملاً في العلم والعمل والتقوى وسائر الكمالات ، فائقاً على جميع أهل عصره من كلّ الجهات ، منزهاً عن الجهل والردالات ، مؤدّباً بأداب الله ، مؤيداً من طرف الله ، بحيث لا يتطرّق إليه الخطأ والزلل ، ولم يصل إليه غيره في العلم والعمل .

وثالثها: أن يكون أصل بعثته وتعيينه من طرف الله مستثنىً باصطفاء الله ، ممتازاً بالاختيار من الله .

ورابعها: أن يكون مدعياً لذلك بالأدلة والبراهين والآيات ، من النصّ والكرامات والمعجزات ، حتّى يُتمّ الحجّة على العباد ولا يكون لهم عذر عند العقاب في المعاد .

وممّا يدلّ على صدق هذا المقال ما سيظهر - إن شاء الله تعالى - من أنّ جميع الأنبياء وأوصيائهم كانوا كذلك ، وأنّ الأرض لم تكن خالية - كما ورد التصريح به ها هنا أيضاً - من حجّة مفروض الطاعة .

نعم ، من ترك التمسك بالعترة الأطهار اشتبه عليه الأمر فوق في الإنكار ، وجاز عنده خرق هذه العادة فيما بعد النبيّ المختار ، فتأمل .

الثاني : ما رواه هؤلاء المشايخ أيضاً عن يونس بن يعقوب^(١) قال :

(١) يونس بن يعقوب بن قيس ، أبو علي الجلاب البجليّ الكوفي ، من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام ، ولا خلاف في وثاقته ، ولما توفي في المدينة بعث لله

كان عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه ، منهم : حمران بن أعين^(١) ، ومحمد بن النعمان^(٢) ، وهشام بن سالم^(٣) ، وجماعة فيهم هشام ابن الحكم وهو شاب ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : « يا هشام ، ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد^(٤) ؟ وكيف سألته ؟ »

ثمأمولانا الرضا عليه السلام بحنوطه وكفنه وجميع ما يحتاج إليه ، وأمر مواليه أن يحضروا جنازته ، وأن يدفن بالبقيع .

انظر رجال الكشي : ٧٢٠/٣٨٥ ، الخلاصة : ١١٠٤/٢٩٧ ، جامع الرواة : ٢ :

٣٦٠ .

(١) حمران بن أعين الشيباني ، ثقة جليل بالاتفاق ، من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليه السلام وعده الكاظم عليه السلام من حواريه ، وأحد حملة القرآن ، ومن أكابر الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم .

انظر : رجال الكشي ٣٠٣/١٧٦ و ٣٠٤ ، رجال بحر العلوم ١ : ٢٢٢ - ٢٢٧ ،

جامع الرواة ١ : ٢٧٨ ، أعيان الشيعة ٦ : ٢٣٤ ، مجمع الرجال ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٨ .

(٢) محمد بن علي بن النعمان البجلي الأحول ، يكنى أبا جعفر ، ويلقب بمؤمن الطاق ، من أصحاب السجاد والباقر والصادق والكاظم عليه السلام . ثقة جليل بالاتفاق ، وكان متكلماً حاضر الجواب ، وله كتب منها : كتاب الإمامة ، والمعرفة ، والرّد على المعتزلة .

انظر : الفهرست للشيخ الطوسي ٥٩٤/٢٠٧ ، مجمع الرجال ٦ : ٧ ، جامع الرواة

٢ : ٢٠٨ .

(٣) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي ، مولى بشر بن مروان أبو الحكم ، عدوه من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام ، ثقة جليل بالاتفاق ، وهو أول من دخل على موسى بن جعفر عليه السلام بعد وفاة أبيه واطّلع على إمامته وأخبر أصحابه ، وصرف الناس عن عبدالله الأطفح ، وله كتب منها : كتاب الحج ، والتفسير ، والمعراج .

انظر : رجال الكشي : ٥٠١/٢٨١ ، رجال النجاشي ١١٦٥/٤٣٤ ، الفهرست

للشيخ الطوسي ٧٨٢/٢٥٧ ، جامع الرواة ٢ : ٣١٤ ، معجم رجال الحديث ٢٠ :

١٣٣٦١/٣٢٤ .

(٤) عمرو بن عبيد بن باب ، يكنى أبا عثمان ، مولى بني تميم ، كان شيخ المعتزلة لله

قال هشام : يابن رسول الله ﷺ ، أُجَلِّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا» .

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبّيد ، فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبّيد ، وعليه شملة سوداء مَترَر بها من صوف وشملة مرتدٍ بها والناس يسألونه ، فاستفرجتُ الناس فأفرجوا لي ، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتيّ ، ثمّ قلت : أيها العالم ، إنني رجل غريب ، أتأذن لي في مسألة ؟ فقال لي : نعم ، فقلت له : ألك عين ؟ فقال لي : يابنيّ ، أيّ شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت : هكذا مسألتي ، فقال : يابنيّ ، سَلْ وإن كانت مسألتك حمقاء ، قلت : أجبني فيها ؟ قال لي : سَلْ ، قلت : ألك عين ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أرى بها الألوان والأشخاص ، قلت : فلك أنف ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشمّ به الرائحة ، قلت : ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أذوق به الطعم ، قلت : فلك أذن ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت ، قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم ! قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوار والحواس ، قلت : أو ليس في هذه الجوار غنى عن القلب ؟ فقال : لا ، قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟ قال : يابنيّ ، إنّ الجوار إذا شكّت في شيء شمّته

ثلاثي وقته ومفتيها ، وله خطب ورسائل وكلام كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك ، مات في سنة ١٤٤ ، وقيل : ١٤١ هـ في أيام المنصور .

انظر : سفينة البحار ٦ : ٤٧٨ - ٤٧٩ ، مروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ، تاريخ بغداد ١٢ :

أو رأته أو ذاقته أو سمعته ، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويُبطل الشكّ .
 قال هشام : فقلت له : فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوار ؟ قال :
 نعم ، قلت : فلا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوار ؟ قال : نعم ، فقلت
 له : يا أبا مروان ، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً
 يُصحّح لها الصحيح وتيقن به ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّهم في
 حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ،
 ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟

قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً ، ثمّ التفت إليّ ، فقال لي : أنت هشام
 ابن الحكم ؟ فقلت : لا ، قال : أمّن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال : فمن أين
 أنت ؟

قال : قلت له : من أهل الكوفة ، قال : فإذا أنت هو ، ثمّ ضمّني إليه
 وأقعدني في مجلسه ، وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قمت .
 قال : فضحك أبو عبدالله عليه السلام [عليه السلام] وقال : «يا هشام ، من علمك هذا» ؟
 قال : شيء أخذته منك وألفته .

فقال : «هذا والله ، مكتوب في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام» ^(١) .
 هذا آخر الحديث ، وفيه : من الدلالة على لزوم وجود إمام من الله في
 كلّ عصر ، فإنّما على سائر الناس ، لا سيّما في العلم الذي يحتاجون إليه ،
 علماً مفيداً لليقين رافعاً للشكوك مزيلاً للخلاف ، وعلى عدم إتمام الحجّة
 وإكمال الدين والنعمة بدون ذلك ، وعلى أنّ هذا الأمر المذكور - بعد توجّه
 الذهن إليه والتفطن به - مفاد صريح العقل وبداهة الفهم ما لا يخفى .

(١) الكافي ١ : ٣/١٢٩ (كتاب الحجّة - باب الاضطرار إلى الحجّة) ، أمالي الصدوق

وسياتي في الفصل العاشر من المقالة الأخيرة من المقصد الأول حديث آخر عن هشام أيضاً، أنه تكلم في مجلس بني العباس على علماء القوم في الإمامة بما يوافق دليلنا الذي ذكرناه تمام الموافقة، فلا تغفل، بل طالع البتة فإنه كلام تام جيد جداً.

الثالث : ما رووه أيضاً عن يونس بن يعقوب :

قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام ، فقال : إنني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك فقال عليه السلام لي : « لو تحسن الكلام كلمته » فقلت : يا لها من حسرة ! فقال لي : أخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله ، قال : فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام ، وأدخلت الأحول (مؤمن الطاق) وكان يحسن الكلام ، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام ، وأدخلت قيس بن الماصر ^(١) وكان عندي أحسنهم كلاماً ، وكان قد تعلم من علي بن الحسين عليه السلام ، فلما استقر بنا المجلس ورد هشام بن الحكم ، وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو أكبر سنّاً منه .

قال : فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام ^(٢) ، فقال : « ناصرنا بقلبه ولسانه

ويده » .

ثم قال : « يا حمران ، كلم الرجل » فكلمه ، فظهر عليه حمران .

(١) هو من المتكلمين تعلمه من علي بن الحسين عليه السلام ، وصحب الصادق عليه السلام ، وكان أحسن كلاماً من هشام بن سالم ، وحمران ، والأحول . قال الصادق عليه السلام لقيس : « أنت والأحول قفازان حاذقان » ويظهر من كلام الصادق عليه السلام كونه من أجلاء أصحاب الأئمة الثلاثة عليهم السلام .

انظر : تعليقة الوحيد البهبهاني على منهج المقال : ٢٦٠ ، تلخيص المقال : ١٩٢ .

(٢) من صفحة ١٥ هامش ٢ إلى هنا سقط في «م» .

ثم قال: «يا طاقبي، كلمه» فكلمه، فظهر عليه الأحول.

ثم قال: «يا هشام بن سالم، كلمه»، فتعارفا.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام لقيس: «كلمه»، فكلمه.

فأقبل أبو عبدالله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي، فقال للشامي: «كلم هذا الغلام» - يعني هشام بن الحكم - فقال الشامي:

يا غلام، سلني في إمامة هذا؟ فغضب هشام حتى ارتعد، ثم قال للشامي:

يا هذا! أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربّي أنظر

لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجة وديلاً؛ كي

لا يتشتتوا أو يختلفوا، ويتألفهم، ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم.

قال: فمن هو؟ قال: رسول الله، قال هشام: فمن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

من؟ قال: الكتاب والسنة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟

قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفت أنا وأنت، وصرت إلينا من الشام في

مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي.

فقال له أبو عبدالله الشامي: «ما لك لا تتكلم؟».

قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذباً، وإن قلت: إن الكتاب

والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت؛ لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلت:

قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينعنا إذا الكتاب والسنة، إلا أن

لي عليه هذه الحجة.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «سله تجده ملياً».

فقال الشامي: يا هذا، من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام:

ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم .

قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟

قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ (رسول الله) ^(١) والساعة من؟

فقال هشام: هذا القاعد الذي تُشدّ إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء [والأرض] ^(٢) وراثته عن أب عن جدّ .

قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك،

قال الشامي: قطعت عذري فعليّ السؤال؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «ياشامي، أخبرك كيف كان سفرك، وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا»، فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة .

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون» .

فقال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً

رسول الله ﷺ، وأنك وصي الأوصياء ^(٣) . الخبر .

ودلالته على المقصود - أعني لزوم وجوب معلّم من الله في كلّ

عصر، وعلى عدم كفاية القرآن بدون مفسّر عالم به: نبيّ أو وصي، وعلى ادّعاء أئمة الإمامية ذلك بالبرهان، وكذا على عدم جواز الاختلاف، ووجوب رفعه على الله عزّوجلّ، بل فعله ذلك - ظاهرة، فافهم .

(١) ما بين القوسين أثبتناه من المصدر .

(٢) أضفناها من المصدر .

(٣) الكافي ١ : ٤/١٣٠ (باب الاضطرار إلى الحجّة) .

الرابع : ما رووه أيضاً عن منصور بن حازم^(١) :

قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن من عرف أن له رباً، فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الربّ رضاً وسخطاً، وأنه لا يُعرف سخطه ورضاه إلاّ بوحى أو رسول، فمن لم يأتَه الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرُّسل، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجّة، وأنّ لهم الطاعة المفترضة، فقلت للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجّة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى صلى الله عليه وآله من كان الحجّة على خلقه؟ قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ^(٢) والقدري^(٣) والزنديق الذي لا يؤمن به، حتّى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة

(١) يكنى أبا أيوب البجلي الكوفي، من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، ثقة، عين، صدوق من أجلّة فقهاء أصحابنا، وعدّه المفيد في الرسالة من فقهاء الأصحاب، وله كتب منها: أصول الشرائع، وكتاب الحجّ.

انظر: مجمع الرجال ٦: ١٤٢، جامع الرواة ٢: ٢٦٤، تعليقة الوحيد على منهج المقال: ٣١٢.

(٢) المرجئة: اسم فرقة من الفِرَق الإسلامية، لُقّبوا به، لأنّهم أخروا العمل عن الإيمان، وهم ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدريّة المعتزلة، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان وبالجبّر في الأعمال، والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبريّة والقدريّة، ومن بعض عقائدهم قولهم: لا تضمرّ مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة.

انظر: الفرق بين الفِرَق: ٢٠٢، الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٣٩، موسوعة كتّاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٥١٠، مجمع البحرين ١: ١٧٦ - رجا -، مقالات الإسلاميين ص ١٣٢.

(٣) القدريّة: هم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أنّ كلّ عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته، فُنسبوا إلى القدر؛ لأنّه بدعتهم وضالّتهم، قيل: القدريّة هم المعتزلة؛ لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم.

انظر: مجمع البحرين ٣: ٤٥١ - قدر - .

إلا بقيم فما قال فيه من شيء كان حقاً، فقلت: لهم من قيم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود^(١) قد كان يعلم، وعمر^(٢) يعلم، وحذيفة^(٣) يعلم، قلت: كلّه؟ قالوا: لا.

فلم أجد أحداً يقال: إنّه يعلم القرآن كلّه إلا علياً صلوات الله عليه، وإذا كان الشيء بين القوم، فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ.

فقال - الصادق عليه السلام -: «رحمك الله»، فقلت: إنّ علياً عليه السلام لم يذهب

(١) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، كنيته أبو عبدالرحمن، من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً وعقلاً، وكان خادم رسول الله الأمين، وهو من أهل مكة، وأوّل من جهر بقراءة القرآن بمكة، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وولي بعد شهادة النبي ﷺ بيت مال الكوفة، في خلافة عثمان، توفي سنة ٣٢ هـ في المدينة.

انظر: أسد الغابة ٣: ٣١٧٧/٢٨٠، تهذيب الكمال ١٦: ٣٥٦٤/١٢١، الإصابة ٤: ٤٩٤٥/١٢٩، الأعلام ٤: ١٣٧.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي، يكنى أبا حفص، ولي الخلافة عشر سنين وخمسة أشهر، وقيل: ستة أشهر، مات سنة ٢٣ هـ.

انظر: مروج الذهب ٢: ٣٠٤، أسد الغابة ٣: ٣٨٢٤/٦٤٢، تهذيب الكمال ٢١: ٤٢٢٥/٣١٦، الإصابة ٤: ٥٧٣١/٢٧٩، الأعلام ٥: ٤٥.

(٣) هو حذيفة بن حُسيل بن جابر العبّسي، ويقال: حُسل بن جابر، واليمان لقب حُسيل، من نجباء أصحاب رسول الله محمد ﷺ، وصاحب سرّه، ومن أعيان المهاجرين، وشهد هو وأبوه أحدًا، وأخى رسول الله بينه وبين عمّار، وولي إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى ما بعد مقتل عثمان، توفي سنة ٣٦ هـ في المدائن.

انظر: تهذيب الكمال ٥: ١١٤٧/٤٩٥، سير أعلام النبلاء ٢: ٧٦/٣٦١، تهذيب التهذيب ٢: ٤٠٥/١٩٣، الأعلام ٢: ١٧١.

حتى ترك حجةً من بعده، كما ترك رسول الله ﷺ، وأن الحجة بعد عليّ الحسن بن عليّ عليه السلام، وأشهد على الحسن عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجةً من بعده، كما ترك أبوه وجدّه، وأن الحجة بعد الحسن الحسين عليهما السلام، وكانت طاعته مفترضةً، فقال: «رحمك الله»، فقبلت رأسه وقلت: وأشهد على الحسين عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجةً من بعده عليّ بن الحسين عليهما السلام، وكانت طاعته مفترضةً.

فقال: «رحمك الله» فقبلت رأسه.

وقلت: وأشهد على عليّ بن الحسين عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجةً من بعده محمد بن عليّ الباقر عليه السلام، وكانت طاعته مفترضةً.

فقال: «رحمك الله» قلت: أعطني رأسك حتى أقبله، فضحك.

قلت: أصلحك الله، قد علمت أن أباك لم يذهب حتى ترك حجةً من بعده، كما ترك أبوه، وأشهد بالله أنك أنت الحجة، وأن طاعتك مفترضةً.

فقال: «كف رحمك الله»، قلت: أعطني رأسك أقبله فقبلت رأسه

فضحك وقال: «سلني عما شئت فلا أنكرك بعد اليوم أبداً»^(١).

أقول: دلالة أيضاً ظاهرة على لزوم دوام وجود قيم للقرآن، عالم به كله، وعدم كفايته بدون القيم، واختصاص القيمومة بهؤلاء القوم، وعلى أذعانهم القيمومة أيضاً، وعلى إخفائهم هذه الدعوى على أكثر الناس تقيّة.

الخامس: ما رووه أيضاً عن عبدالعزيز بن مسلم^(٢)، قال: كنّا مع

(١) الكافي ١: ١٥/١٤٥ (باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام)، علل الشرائع: ١/١٩٢ (باب ١٥٢).

(٢) عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

انظر: رجال الطوسي: ٥٣٦١/٣٦٢، تنقيح المقال ٢: ٦٦٤٠/١٥٥، تعليقه

الوحيد البهبهاني: ٢٠١.

الرضا عليه السلام بمروٍ فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مَقَدِمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام.

ثم قال: «يا عبدالعزيز، جهل القوم وخذعوا عن آرائهم، إن الله عزوجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً، فقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

وأنزل عليه في حجة الوداع، وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) وأمر الإمامة من تمام الدين.

ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم... فأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله (وكان)^(٣) كافراً به...

إن الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً...، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصّ الله عزوجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها... فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٤)، فقال الخليل سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٥)؟ قال الله عزوجل: ﴿لَا يَنَالُ

(١) سورة الأنعام : ٦ : ٣٨ .

(٢) سورة المائدة : ٥ : ٣ .

(٣) كذا في النسخ وفي المصدر: (ومن رد كتاب الله فهو) .

(٤ و ٥) سورة البقرة : ٢ : ١٢٤ .

عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في أهل الصفوة والטהارة من ذرّيته (٢)، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٣) الآية، فلم تنزل في (أهل العلم والטהارة من) (٤) ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله عز وجل النبي ﷺ، فقال جل وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥)، فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله عز وجل على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان...» .

ثم ذكر عليه السلام صفات كثيرة للإمام، منها أنه قال:

«إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَارِثُ الْأَوْصِيَاءِ، وَإِنَّمَا خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ ﷺ ...»

وإن الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله... ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة .
وإن الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق، بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار...

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) كذا في النسخ، وفي المصدر: (في ذرّيته أهل الصفوة والטהارة) .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٧٢ - ٧٣ .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في المصدر .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ٦٨ .

وإن الإمام أمين الله في خلقه وحبته على عباده،... المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم .
وإن الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ...

وإن الإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكّل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة... نامي العلم كامل الحلم... مفروض الطاعة... حافظ لدين الله... (مخصوص بالفضل كله، من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب)»^(١).

ثم قال عليه السلام: «فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيات هيات ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب... عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله (ولا يمكن أن)^(٢) ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره.... فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول من هذا؟ وأين يوجد مثل هذا حتى يقوم مقامه؟» .

ثم قال عليه السلام: «ولقد رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله... إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»^(٣) .
وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾»^(٤) .

وقال سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

(١) ما بين القوسين لم يرد في المصدر .

(٢) كذا في النسخ، وفي المصدر (أو) .

(٣) سورة القصص ٢٨ : ٦٨ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٦ .

تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿١﴾ .

ثم قال عليه السلام: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأئِمَّةَ يُوَفَّقُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ
عِلْمِهِ وَحِكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ .

قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا
يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٢) .

وقال سبحانه في طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي
الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٤) .
وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ عَظِيمًا﴾ (٥) .

وقال سبحانه - في الأئمة من أهل بيت نبيه وذريته: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ
النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٦) .

ثم قال عليه السلام: «وَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَّ
صَدْرِهِ لِذَلِكَ ، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنْبِيعَ الْحِكْمَةِ ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ الْإِهَامًا ، فَلَمْ يَعْيَ

(١) سورة القلم ٦٨ : ٣٦ - ٤٠ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٤٧ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٦٩ .

(٥) سورة النساء ٤ : ١١٣ .

(٦) سورة النساء ٤ : ٥٤ .

بعده بجواب ، ولا يحير^(١) فيه عن الصواب ، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطأ والزلل والعتار ، يخصّه الله بذلك ؛ ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢) فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه ؟ أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه^(٣) ؟ الخبر ، وهو طويل مشتمل على آيات في الإمامة وصفات للإمام ، ونحن أخذنا من كلّ موضع شيئاً .

وفيه من الدلالات على ما نحن فيه خصوصاً على لزوم كون الإمام أعلم وأصلح ، وكون تعيينه من الله واختياره ما لا يخفى على ذي مسكّة . هذا ، مع اشتماله على دعوى أئمة الإماميّة الإمامة لأنفسهم ، وفي الفقرات ما ينادي بأنّه لا يمكن أن يأتي بمثل هذا الكلام غيرهم ، وتوثيقهم - بحيث لا يداني الكذب حوالي ساحتهم - مسلم عند كلّ المسلمين .

السادس : ما رواه أيضاً عن إسحاق بن غالب^(٤) :

قال : قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم : «إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا صلّى الله عليه وآله عن دينه ، وأبلى بهم عن سبيل منهاجه ، ومنح بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمن

(١) في العيون (لا يحيد) وفي تحف العقول (لا تجد فيه غير صواب) .

(٢) سورة الحديد ٥٧ : ٢١ ، سورة الجمعة ٦٢ : ٤ .

(٣) الكافي ١ : ١/١٥٤ (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته) ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١/٢١٦ ، كمال الدين ٢ : ٣١/٦٧٥ ، كتاب الغيبة للنعمانى : ٦/٢١٦ ، أمالي الصدوق : ١٠٤٩/٧٧٣ ، تحف العقول : ٤٣٧ ، الاحتجاج ٢ : ٣١٠/٤٣٩ بتقديم وتأخير .

(٤) إسحاق بن غالب الأسدي الكوفي ، من أصحاب الصادق عليه السلام ، ثقة ، كان شاعراً وله كتاب يرويه عدّة من أصحابنا ، منهم : صفوان بن يحيى .

انظر: رجال النجاشي ٧٢ : ١٧٣ ، مجمع الرجال ١ : ١٩٦ ، تنقيح المقال ١ : ١٢٠ : ٧٠٠ .

عرف من أمة (١) محمد ﷺ واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه؛ لأن الله تعالى نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه، وأبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يُمد بسبب إلى السماء لا يتقطع عنه مواده، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى ومعميات السنن ومشبهات الفتن.

فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليهما السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم، كلما مضى منهم إمامٌ نصب لخلقه من عقبه إماماً علماً بيناً وهادياً نيراً وحجة عالماً، أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعائه ورعائه على خلقه، جعلهم الله حياة للأنام، ومصايح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام.

فالإمام هو المنتجب المرتضى والهادي المنتجى، اختاره الله بعلمه، وانتجبه لظهره، بقية من آدم، وخيرة من ذرية نو، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عتره محمد ﷺ....

لم يزل مرعياً بعين الله، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مبرأ من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلات، مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه (٢)، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته، فإذا انقضت مدة والده... وجاءت الإرادة من الله فيه... فمضى والده، وصار أمر الله إليه من بعده، وقلده دينه، وجعله الحجة على عباده، وقيمه في

(١) في «ن»: أهل بيت.

(٢) في «م»: بقاعه.

بلاده، وأيده بروحه، وآتاه علمه، وأنباه فضل بيانه، واستودعه سرّه... واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله، وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل... بالنور الساطع والشفاء النافع... والبيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام (١) الخبر. ودلالته كسابقه حتى أنه يدل على العصمة صريحاً، فتأمل.

السابع: ما روه أيضاً من كتاب بعض قدماء المحدثين في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٢) عن الباقرين عليهم السلام برواية الثاني عن الأول في روايات عديدة، نحن نجمع خلاصة مفاد الجميع ونذكرها على نهج يتضح به المقصود وإن دعت الضرورة أحياناً إلى النقل بالمعنى أو تأليف بعض مع بعض أو تقديم وتأخير ونحو ذلك، [و] من أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب الكافي.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «يامعشر الشيعة، خاصموا بسورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ تفلجوا، فوالله! إنها لحجة الله على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أي من حيث إنها تدل على أن الزمان بعده صلى الله عليه وآله لا يخلو من حجة من جهة دلالة قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ بصيغة المضارع على الاستمرار التجديدي؛ ولهذا قال أيضاً: «وإنها لسيدة دينكم، يامعشر الشيعة، خاصموا ب: ﴿حَمِ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٣)، فإنها لولة

(١) الكافي ١: ٢/١٥٨، (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته)، كتاب الغيبة للنعمانى:

٧/٢٢٤، بحار الأنوار ٢٥: ٢٥/١٥٠.

(٢) سورة القدر ٩٧: ١.

(٣) سورة الدخان ٤٤: ١ - ٥.

الأمر خاصة بعد رسول الله ﷺ، أي من جهة دلالة الاستمرار التجديدي الذي في ﴿منذرين﴾ و﴿يفرق﴾ و﴿مرسلين﴾ على لزوم وجود قابل لذلك في كل عصر.

وقال عليّ مؤيداً لمدّعاه و متمماً له (١): «يامعشر الشيعة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢)».

فقيل: يا أبا جعفر، نذيرها محمد ﷺ.

قال: «صدقت، فهل كان نذير وهو حي في أقطار الأرض؟» فقيل: لا، فقال: «أرأيت بعينه أليس نذيره، كما أنه ﷺ في يوم بعثته من الله نذير؟» قيل: بلى، قال: «فكذلك لم يمت محمد ﷺ إلا وله بعث نذير، فإن قيل: لا، فقد ضيع رسول الله ﷺ من في أصلاب الرجال من أمته»، قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: «بلى إن وجدوا له مفسراً» قيل: وما فسره رسول الله ﷺ؟ قال: «بلى قد فسره لرجل واحد وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب عليّ».

قال السائل: يا أبا جعفر، كان هذا أمر خاص لا يحتمله العامة؟ قال: «أبى الله أن يعبد إلا سراً حتى يأتي إبان أجله الذي يظهر فيه دينه، كما أنه كان رسول الله ﷺ مع خديجة مستراً، حتى أمر بالإعلان»، قيل: فينبغي لصاحب هذا الدين أن يكتفم؟ قال: «أو ما كتفم علي بن أبي طالب عليّ يوم أسلم مع رسول الله ﷺ حتى ظهر أمره؟» فقيل: بلى، قال: «فكذلك أمرنا حتى يبلغ الكتاب أجله» (٣).

(١) لم ترد في «م».

(٢) سورة فاطر ٣٥ : ٢٤ .

(٣) الكافي ١ : ٦/١٩٣ (باب في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وتفسيرها)، بحار الأنوار ٢٥ : ٦٢/٧١ ، بتفاوت يسير .

وقال **عليه السلام**: «إِنْ شِيعَتْنَا إِنْ قَالُوا لِأَهْلِ الْخِلَافِ لَنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِرَسُولِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١) إِلَى آخِرِهَا، فَهَلْ كَانَ أَمْرٌ مِنْ أَيْ أُمُورِ تِلْكَ السَّنَةِ لَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؟ فَهَلْ كَانَ أَمْرٌ مِنْ أَيْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صَرِيحٌ مِفَادٌ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٢)، «فَقُلْ لَهُمْ: فَهَلْ كَانَ لَهُ أَنْ لَا يَظْهَرُ مَا عَلِمَ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْ إِظْهَارِهِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا» أَيْ مِنْ حَيْثُ وَجُوبُ التَّبْلِيغِ، «فَقُلْ لَهُمْ: فَهَلْ كَانَ فِيْمَا أَظْهَرَ الرَّسُولَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ ذَكَرَهُ اخْتِلَافٌ؟» فَإِنْ قَالُوا: لَا» أَيْ: لِكُونِهِ مِفَادٌ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣) أَوْ لَوْجُوهٌ أُخْرَ ظَاهِرَةٌ، «فَقُلْ لَهُمْ: فَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِ اخْتِلَافٌ، فَهَلْ خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَإِنْ قَالُوا: لَا، فَقَدْ نَقَضُوا أَوَّلَ كَلَامِهِمْ».

وقال **عليه السلام** أيضاً مؤيداً ومتمماً: «وَقُلْ لَهُمْ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤)، فَإِنْ قَالُوا: مِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؟ فَقُلْ: مَنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي عِلْمِهِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صَاحِبَ ذَلِكَ، فَهَلْ بَلَغَ أَوْ لَا؟ فَإِنْ قَالُوا: قَدْ بَلَغَ، فَقُلْ: فَهَلْ مَاتَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا، فَقُلْ: إِنَّ خَلِيفَةَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُؤَيَّدٌ وَلَا يَسْتَخْلِفُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا مَنْ يَحْكُمُ بِحُكْمِهِ وَإِلَّا مَنْ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ يَكُونُ مِثْلَهُ إِلَّا النَّبُوَّةَ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ يَسْتَخْلِفْ فَقَدْ ضَيَّعَ مَنْ بَعْدَهُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ...».

(١) سورة القدر ٩٧ : ١ .

(٢) سورة القدر ٩٧ : ٤ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٨٢ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

وقال ﷺ أيضاً لدفع توجيه عدم لزوم تحقق التجديد ليلة القدر ولا ضرورة الاستخلاف: «فإن قالوا لك: فإن علم رسول الله ﷺ كان من القرآن، فقل: ﴿حَمٍ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(١) فإن قالوا: لا يرسل الله عزوجل إلا إلى نبي، فقل: هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والرو الذي تنزل من سماء إلى سماء أو من سماء إلى الأرض، فإن قالوا: من سماء إلى سماء فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض^(٢) - وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل لهم: فهل لأبد من سيد يتحاكمون إليه؟» أي: حتى تنزل الملائكة إليه، «فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم، فقل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣) إلى آخر الآية... فكل ولي لله فهو مؤيد، ومن أيد لم يُخط، وكل عدو لله فهو مخذول، ومن خذل لم يصب»^(٤).

أي: إذا لم يكن الخليفة مؤيداً محفوظاً من الخطأ، فكيف يخرج الله ويخرج به عباده من الظلمات إلى النور؟

وقال ﷺ: «إن الله عزوجل يقول: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٥)، والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بأمر فيه اختلاف

(١) سورة الدخان ٤٤ : ١ - ٥ .

(٢) في «م»: السماء إلى الأرض .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٥٧ .

(٤) الكافي ١ : ١/١٨٨ (باب في شأن: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» وتفسيرها)، ضمن الحديث ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٥) سورة الدخان ٤٤ : ٣ .

فرأى أنه مصيب فليس حكمه من حكم الله ، بل حكم بحكم الطاغوت» (١) .
ثم قال عليه السلام : « كما أن الأمر لا بدّ من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض ، كذلك لا بدّ من والٍ » .

قال عليه السلام : « فإن قالوا: لا نعرف هذا ، فقل : لهم قولوا ما أحببتم ، أبى الله بعد محمّد صلى الله عليه وآله أن يترك العباد ولا حجّة عليهم ، فإن قالوا: حجّة الله القرآن ، فقل لهم : إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهى ، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون » .

ثم قال عليه السلام ردّاً على انحصار الحجّة في القرآن : « أقول : ربّما عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هي في السنّة والحكم الذي ليس فيه اختلاف ، وليست في ظاهر القرآن ، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض وليس في حكمه رادّ لها ومفرّج عن أهلها... » .

وقيل له : أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه ؟
قال : « أمّا جملة العلم فعند الله جلّ ذكره ، وأمّا ما لا بدّ للعباد منه فعند الأوصياء » .

قال السائل : فكيف يعلمونه ؟ قال : « كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ، إلّا أنهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ؛ لأنه كان نبياً وهم محدثون ، وإنه كان يفد إلى الله جلّ جلاله فيسمع الوحي وهم لا يسمعون » .

فقال السائل : أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : « أبى الله أن يطلع على علمه إلّا ممتحناً للإيمان به ، كما قضى

على رسول الله ﷺ أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدكم إلا بأمره ، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) وأيم الله ، أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ولكنه إنما نظر في الطاعة وخاف الخلاف فلذلك كَفَّ» .

ثم قال عليه السلام - إشارة إلى أن علم الوصي أيضاً سيظهر - : «فوددت أن عينك تكون مع مهدي هذه الأمة ، والملائكة بسيف آل داود بين السماء والأرض تعذب أروا الكفرة من الأموات ، وتلحق بهم أروا أشباههم من الأحياء»^(٢) .

وقال أبو جعفر عليه السلام أيضاً في رواية أخرى : «لقد خلق الله عز وجل ليلة القدر أول ما خلق الدنيا» أي : ليست مختصة بهذه الأمة ، بل كانت من بدو خلق المكلفين ؛ لاحتياجهم إلى تدبير أمورهم فيها ؛ ولذا قال عليه السلام أيضاً : «ولقد خلق فيها أول نبي يكون وأول وصي يكون» أي : من حيث استلزام تنزل الملائكة فيها وجود النبي أو الوصي .

قال عليه السلام : «ولقد قضى أن تكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة» ، أي : من جهة احتياجهم إلى التفسير ؛ ولهذا قال عليه السلام : «من جحد ذلك فقد ردّ على الله عز وجل علمه» ، أي : من حيث إن علم الله في الأمور المتجددة في كل سنة لا بد أن ينزل إلى الأرض ليتم الحجة ؛ ولهذا قال عليه السلام : «لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدثون ، إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة ، مع الحجة التي يأتيهم بها

(١) سورة الحجر ١٥ : ٩٤ .

(٢) الكافي ١ : ١٨٨ / ١ (باب في شأن : «إنا أنزلناه في ليلة القدر» وتفسيرها) بتقديم وتأخير وتفاوت يسير .

جبرئيل عليه السلام ، قلت : والمحدثون أيضاً يأتيهم جبرئيل أو غيره من الملائكة ؟ قال عليه السلام : «أما الأنبياء والرسل صلى الله عليهم فلا شك ولا بد لمن سواهم - من أول خلقه الدنيا إلى فنائها - أن يكون على أهل الأرض حجة» أي علم ، «ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحبه الله من عباده» ، أي : وإن لم ير الملك ؛ لكفاية السماع للوصي ؛ ولهذا يكون الوصي محدثاً والنبي رانياً وغيرهما خالياً .

ثم قال عليه السلام : «وأيم الله ، لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم عليه السلام . وأيم الله ، ما مات آدم إلا وله وصي ، وكل من جاء بعد آدم عليه السلام من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها ووضع لوصيه من بعده ، وإن كل نبي من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يؤمر فيما يأتيه من الأمر في تلك الليلة أن أوص إلى فلان ، ولقد قال الله عز وجل في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) .

يقول : استخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلفت وصاة آدم عليه السلام من بعده ، فقد مكن ولادة الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم ونحن هم ، فاسألونا فإن صدقناكم فاقروا وما أنتم بفاعلين ، أما علمنا فظاهر ، وأما إبان الذي يظهر فيه الدين منا ، حتى لا يكون بين الناس اختلاف ، فإن له أجلاً من ممر الليالي والأيام إذا أتى ظهر وكان الأمر واحداً .

وأيم الله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف ... أبي الله عز وجل أن يكون في حكمه اختلاف أو بين أهل علمه تناقض ؛ ولذلك

جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد ﷺ علينا ولنشهد على شيعتنا
ولتشهد شيعتنا على الناس»^(١) الخبر .

ودلالاته أيضاً متّضحة بأدنى تأمل ، لاسيّما على بعض ما نحن فيه ،
وكذا على لزوم استمرار ورود الأوامر والأحكام كلّها من الله وتفسيرها
لحجّته النبيّ أو الوصيّ .

وعلى أنّ ذلك كان كذلك من زمان آدم عليه السلام وأوصيائه جميعاً
ويكون مستمرّاً ما دام التكليف ، ولا يكون زمان خالياً عن الحجّة إلاّ أن
لا يكون تكليف .

وعلى أنّ الوصيّ - الذي لا يكون نبياً - لا بدّ أن يكون محدثاً يحدثه
الملك وإن لم يره ، وأنّ الرؤية مختصّة بالنبيّ .

وعلى أنّ حكم الله الوارد منه لا يكون إلاّ واحداً ، وإنّما الاختلاف
بحسب الحكم بالأراء المحتملة للخطأ ، وأنّ من احتمال الخطأ في حكمه لم
يكن إماماً وحجّة من الله .

وعلى كون علم القرآن عند الأوصياء ، وكونهم مأمورين بكتمان
حالهم عن مخالفيهم إلى أن يؤمروا بالإظهار ، كما أنّ النبيّ أيضاً كان كذلك .
**وبالجملة : هو صريح في أنّ العلم من الله هو الفارق بين (٢) الحقّ
والباطل ، فتأمل .**

وسياتي تفصيل أكثر ما أشرنا إليه كلّ في محله ، لاسيّما في فصل
الوصيّة ، وبحث بطلان الاختلاف وعجز الناس عن فهم جميع الأحكام من

(١) الكافي ١ : ٧/١٩٤ (باب في شأن : «إنّا أنزلناه في ليلة القدر») ، بحار الأنوار

٢٥ : ٦٣/٧٣ بتقديم وتأخير ، وتفاوت يسير .

(٢) في «م» : بزيادة : الإمام .

القرآن .

الثامن : ما رواه أيضاً جماعة منهم الطبرسي ^(١) في احتجاجه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق الذي سأله عن مسائل كثيرة ، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

قال عليه السلام في موضع منه : « لا تنفع الصلاة ولا الصدقة إلا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطرق الحق ، وقد قطع الله عذر عباده بتبيين آياته وإرسال رسله ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولم يُخَلِّ أرضه من عالم بما تحتاج الخليفة إليه ، ومتعلم على سبيل نجاة ، أولئك هم الأقلون عدداً . وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر ، مثل قوله في قوم نوح : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٢) ، وقوله فيمن آمن من أمة موسى عليه السلام : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(٣) ، وقوله في حوار عيسى عليه السلام ، حيث قال لسائر بني إسرائيل : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٤) يعني بأنهم مسلمون لأهل الفضل فضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم ، فما أجابه منهم إلا الحواريون .

(١) هو أحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بالطبرسي ، يكتفى أبا منصور ، كان فقيهاً محدثاً متكلماً نساباً ، ومن أجلاء العلماء ومشاهير الفضلاء في القرن السادس ، له كتب كثيرة وكلها نافعة جيدة منها : الاحتجاج ، وقد أثنى السيد ابن طاووس على الكتاب وعلى مؤلفه ، ومنها : تاريخ الأئمة عليهم السلام وفضائل الزهراء عليها السلام .

انظر : رياض العلماء ١ : ٤٨ ، أعيان الشيعة ٣ : ٢٩ ، هدية الأجياب : ١٩٤ .

(٢) سورة هود ١١ : ٤٠ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٥٩ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٥٢ .

وقد جعل الله للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وبقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢).

وبقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

وبقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤).

وبقوله: ﴿وَأَتُوا التَّبِيتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٥)، والبيوت هي بيوت العلم التي استودعها الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم، فكل عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي أهل الاصطفاء، وعهودهم، وحدودهم، وشرائعهم، وسنتهم، ومعالم دينهم مردود غير مقبول، وأهله بمحل كفر وإن شملتهم صفة الإيمان؛ ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾^(٦) ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفِرُونَ﴾^(٧).

فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفعه حق أوليائه، وحبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٨) «والذين آمنوا» في هذا الموضع هم المؤمنون

(١) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٨٣ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ١٨٩ .

(٦) سورة التوبة ٩ : ٥٤ .

(٧) سورة التوبة ٩ : ١٢٥ .

(٨) سورة المائدة ٥ : ٥٦ .

على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر .

وليس كل من أقرّ من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً، إنّ المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويدفعون عهد رسول الله ﷺ بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوته إلى وصيه، ويضمرون من الكراهة لذلك والنقض لما أبرمه عند إمكان الأمر لهم فيما قد بينه الله لنبيه بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١) .
وبقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (٢) .

ومثل قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (٣)، أي: لتسلكنَّ سُبُلَ من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، وهذا كثير في كتاب الله [تعالى].

وقد شقّ على النبي ﷺ ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، وإطلاع الله إياه على بوارهم، فأوحى الله عزوجلّ إليه بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (٤)، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥) «(٦) الخبر، ومعناه واضح .

وستأتي أخبار من كتب القوم في تفسير بعض هذه الآيات بما فسره

(١) سورة النساء ٤ : ٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٤٤ .

(٣) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٩ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٨ .

(٥) سورة المائدة ٥ : ٦٨ .

(٦) الاحتجاج ١ : ٥٨٠ - ١٣٧/٥٨٤ ، بحار الأنوار ٦٨ : ٢٣/٢٦٤ .

الإمام عليه السلام في الفصل التاسع من المقالة الأخيرة من المقصد الأول ، فتمل .
التاسع : ما نقلوه أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في روايات نحن نجمعها
ونذكرها باختصار بعض منها ، ولتقدم قوله المشهور المسلم وروده :

قال عليه السلام : «أيها الناس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة
وبرأ النسمة ، لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت ،
مكيها ومدنيها ، سفريها وحضريها ، ناسخها ومنسوخها ، ومحكمها
ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها ، لأنباتكم^(١) ، وقد أقرنيها رسول الله صلى الله عليه وآله
وعلمني تأويلها ، فوالله ، لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا
أنباتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة»^(٢) .

سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين ... ولولا آية في كتاب الله
لأخبرتكم بما كان ، وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي قوله
تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣) .

أما والله ، لو ثبت لي الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل
الإنجيل بإنجيلهم ، وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل القرآن بقرآنهم ، حتى
ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول : صدق علي عليه السلام لقد أفتاكم بما أنزل الله
في ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله
فيه ؟^(٤) .

وسياتي مثله منقولاً من كتب القوم في الفصل الأول من المقالة
الأخيرة من المقصد الأول مع مؤيدات كثيرة .

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤٧ - ٤٨ ، وفيه : لأخبرتكم ، بدل : لأنباتكم .

(٢) الاحتجاج ١ : ٦١٠ ، ٦١٧ ، ٦١٨/١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) سورة الزعد ١٣ : ٣٩ .

(٤) الاحتجاج ١ : ١٣٨/٦١٠ . وفيه بعضه .

ثم قال بعد الجواب عن مسائل كثيرة غريبة سألوها: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي أتبع يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام .

وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة، وهي التي أتبع شمعون وصي عيسى عليه السلام . وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وهي التي أتبع وصي محمد صلوات الله عليه » وضرب بيده على صدره، ثم قال: «ثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين فرقة كلها تنتحل مودتي ومحبتتي، واحدة منها في الجنة، وهي النمط الأوسط، واثنتا عشرة في النار»^(١) .

وسياتي أمثاله من كتب القوم في الفصل الرابع من الباب الرابع من المقدمة .

ثم قال عليه السلام: «أيها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعتذرون بجهالته، فإن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم محمد صلوات الله عليه فأنتي يتاه بكم؟ بل أين تذهبون؟ يا من تُسخ من أصلاب أصحاب السفينة! هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين، والويل لمن تخلف، ثم الويل لمن تخلف .

أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم صلوات الله عليه، حيث يقول في حجة الوداع: إنني

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٠٣، الأمالي للطوسي: ١١٥٩/٥٢٣، الاحتجاج ١:

تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا^(١): كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا^(٢).

ثم قال عليه السلام: «إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ^(٣) بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدَعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنِ هَدْيِي^(٤) مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

ورجل قَمَش^(٥) جهلاً، فوضع في جهال الأمة قد سمّاه أشباه الرجال عالماً وليس به، بكر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتى إذا ارتوى من آجن، وأكثر من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ؟ جاهل خبّاط^(٦) جهالات،

(١) في «م» زيادة: أبداً.

(٢) الإرشاد ١: ٢٣٢، الاحتجاج ١: ١٤٤/٦٢٤.

(٣) كذا في النسخ، وفي نهج البلاغة والاحتجاج: مشغوف. وكلاهما متقارب المعنى. الشغف محركة: شدة الحب. انظر: صحاح اللغة ٤: ١٣٨١ و١٣٨٢، مجمع البحرين ٥: ٧٥ و٧٦، لسان العرب ٩: ١٧٧ و١٧٩.

(٤) الهدى: السيرة والهيئة والطريقة.

انظر: النهاية لابن الأثير ٥: ٢٥٣.

(٥) القمش: جمع الشيء من هنا ومن هنا.

انظر: صحاح اللغة ٣: ١٠١٦، ومجمع البحرين ٤: ١٥١.

(٦) الخبط: حركة على غير النحو الطبيعي وعلى غير اتساق.

انظر: النهاية لابن الأثير ٢: ٨، ومجمع البحرين ٤: ٢٤٤.

غاش^(١) ركباً عَشَوَات، لم يعض على العلم بضرر قاطع، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره، ولا يرى أن وراء ما بلغ منه مذهباً غيرهِ، وإن قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه؛ كيلاً يقال: لا يعلم» الخبير، إلى أن قال عليه السلام: «إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم تجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً، والههم واحد! ونبيهم واحد! وكتابهم واحد! فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه! أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى! أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه! والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣) وفيه تبيان لكل شيء، وذكر (عزوجل) أن الكتاب يُصدَق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤). فإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنفسي غرائبهِ، ولا تنكشف الظلمات إلا به»^(٥).

ثم قال عليه السلام: «وقد قال رسول الله ﷺ: رحم الله امرأً علم حقاً فقال

(١) كذا في النسخ، وفي نسخة «ش» وفي نهج البلاغة: عاش.

(٢) نهج البلاغة: ٥٩ الخطبة ١٧، الكافي ١: ٦/٤٤ (باب البدع والرأي والمقاييس) بتفاوت، نثر الدر لأبي سعد الآبي ١: ٣٠٨ - ٣٠٩، الاحتجاج ١: ١٤٣/٦٢١ بتفاوت.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

(٤) سورة النساء ٤: ٨٢.

(٥) نهج البلاغة: ٦٠ الخطبة ١٨، الاحتجاج ١: ١٤٢/٦٢٠.

فغنم ، أو سكت فسلم ، نحن أهل البيت نقول : إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنَّا ، وَإِنَّ الْخِلاَفَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا فِينَا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَنَا أَهْلَهَا فِي كِتَابِهِ وَسِتَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ فِينَا وَنَحْنُ أَهْلُهُ ، وَهُوَ عِنْدَنَا مَجْمُوعٌ كُلُّهُ بِحِذَافِيرِهِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى أُرْشَ الْخُدُشُ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَنَا مَكْتُوبٌ بِأَمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١) .

وقال عليه السلام : «اللَّهُمَّ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَأْرِزُ (٢) كُلَّهُ وَلَا يَنْقَطِعُ مَوَادَّهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَبْدُ لَكَ مِنْ حَجَجٍ فِي أَرْضِكَ حَجَّةٌ بَعْدَ حَجَّةٍ عَلَي خَلْقِكَ ، يَهْدُونَهُمْ إِلَى دِينِكَ وَيَعْلَمُونَهُمْ عِلْمَكَ ؛ كَيْلَا يَتَفَرَّقَ أَتْبَاعُ أَوْلِيَانِكَ ، ظَاهِرٌ لَيْسَ بِالْمَطْعَانِ ، أَوْ مَكْتُمٌ يَتَرَقَّبُ ، إِنْ غَابَ عَنِ النَّاسِ شَخْصُهُمْ فِي حَالِ هِدْنَتِهِمْ فَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ قَدِيمٌ ، مَبْثُوثٌ عِلْمُهُمْ ، وَأَدَابُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَشْبُتَةٌ ، أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عِدَدًا الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرًا» (٣) .

والأخبار عنه عليه السلام من هذا القبيل كثيرة ، كفى ما ذكرناه لصاحب البصيرة ، وسنذكر كثيراً منها في مواضعها إن شاء الله تعالى .
وفي روايات عن سليم بن قيس (٤) ، وكذا في كتاب سليم أنه قال

(١) الاحتجاج ٢ : ١٥٥/٥٦ ، في ضمن الحديث ص ٦٢ .

(٢) يَأْرِزُ : يَنْضَمُّ إِلَى بَعْضِهِ وَيَجْتَمِعُ ، وَلَا يَنْبَسِطُ .

انظر : النهاية لابن الأثير ١ : ٣٧ - أُرْزُ - .

(٣) الكافي ١ : ١٣/٢٧٤ (باب في الغيبة) ، الغيبة للنعمانى : ٢/١٣٦ ، بحار الأنوار ٢٣ : ١١٦/٥٤ بتقديم وتأخير وتفاوت يسير .

(٤) سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي ، يكنى أبا صادق ، عدوه من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين والسجاد والباقر عليهم السلام ، كان موثقاً عندهم عليهم السلام مقتبساً من علومهم الفياضة ، وهو من العلماء المشهورين بين العامة والخاصة .

انظر : روضات الجنات ٤ : ٦٥ ، مجمع الرجال ٣ : ١٥٥ ، تنقيح المقال ٢ :

٥٢ ، أعيان الشيعة ٧ : ٢٩٣ ، الأعلام للزركلي ٣ : ١١٩ .

لعلِّي عليه السلام : إني سمعت من سلمان ^(١) وأبي ذر ^(٢) والمقداد ^(٣) شيئاً من تفسير القرآن والرواية عن النبي صلى الله عليه وآله ، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم [فيها] ^(٤) وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون متعمدين على نبي الله صلى الله عليه وآله ويفسرون القرآن بأرائهم ؟

(١) هو رزيه ، وقيل ماهو ، وقيل مابه بن بهيود بن بدخشان من ولد منوچهر الملك ، وقيل : يهودان بن بودخشان بن موسلا بن فيروز بن مهرك ، كنيته أبو عبدالله ، وكان إذا قيل له : من أنت ، يقول : أنا سلمان ابن اسلام ، من أعظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ، حاله في علو الشأن وجلالة القدر ووفور العلم والتقوى والزهد أشهر من الشمس وأبين من الأمس ، وهو أول الأركان الأربعة ، وممن شهد الصلاة على فاطمة الزهراء عليها السلام ، وفي حقه ورد الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله : «سلمان منا أهل البيت» ، توفي سنة ٣٦ هـ .

انظر : اختيار معرفة الرجال ١ : ٢٦ - ٩٦ ، نفس الرحمن في فضائل سلمان : ٤ ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ١٩٨ ، الأعلام للزركلي ٣ : ١١١ .

(٢) هو جندب بن جنادة ، وقيل : جندب بن السكن ، يكنى أبا ذر الغفاري ، أسلم والنبي صلى الله عليه وآله بمكة ، وهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وآله بتحية الإسلام ، من أكابر الصحابة جليل القدر عظيم الشأن ، ومن أحد الأركان الأربعة ، يكفي في جلالته الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله : «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر» ، توفي سنة ٣٢ هـ بالربذة .

انظر : الكنى والألقاب ١ : ٧٠ ، أسد الغابة ١ : ٨٠٠/٣٥٧ ، سير أعلام النبلاء ٢ :

١٠/٤٦ ، الأعلام للزركلي ٢ : ١٤٠ .

(٣) هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد الأسود ، قديم الإسلام من السابقين ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ، وثاني الأركان الأربعة ، جلالة قدره ووثاقته بين الخاصة والعامة أشهر من الشمس ، وأول من أظهر الإسلام بمكة وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، توفي بالمدينة في خلافة عثمان سنة ٣٣ هـ . انظر : أسد الغابة ٤ : ٥٠٦٩/٤٧٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ : ٥٠٥/٢٥٤ ، الأعلام

للزركلي ٧ : ٢٨٢ .

(٤) أثبتناها من المصدر ، ولعلها سقطت سهواً .

فأقبل عليه عليه وقال له : « قد سألت فافهم الجواب : إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعماماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله ﷺ وهو حي، حتى قام خطيباً، فقال : أيها الناس، قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذِبَ عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل : منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا : هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره، ووصفهم بما وصفهم، فقال عزوجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ ^(١)، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبُهتان، فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة .

ورجل : سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحفظه على وجهه وهَمَ فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يده، يقول به ويعمل به ويروي به، ويقول : أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم [فيه] ^(٢) لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم [فيه] ^(٣) لرفضه .

ورجل ثالث : سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو

(١) سورة المنافقين ٦٣ : ٤ .

(٢ و ٣) أضفناها من المصدر .

لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وأخر رابع : لم يكذب على رسول الله ﷺ ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ ، ولم يشه ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع ، لم يزد فيه ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ وتجنب عن المنسوخ ، وعرف العام والخاص فوضع كل شيء موضعه ، وعرف المتشابه والمحكم . فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعمام ، ومحكم ومتشابه .

وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان : كلام عام ، وكلام خاص مثل القرآن ، فيشبهه على من لم يعرف ، ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ﷺ ، وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله عن الشيء فيفهم ، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه ، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول ﷺ حتى يسمعوا .

وقد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة ، فيخليني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ ، أكثر ذلك في بيتي ، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلائي وأقام عني نساءه ، فلا يبقى عنده غيري ، وإذا أتاني في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني .

وكنت إذا سأله أجنبي ، وإذا أمسكت عنه وفنيت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي ،

وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وعامها وخاصها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آيةً من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله، من حلال، ولا حرام، ولا أمر، ولا نهى كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله إلا أعلمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً منذ دعا لي»^(١)، الخبر، وستأتي بقيته وشواهدة في الفصل الأول، والحادي عشر من المقالة الأخيرة من المقصد الأول.

ودلالته على ما سبق، مع الدلالة على بطلان الرأي وضلالة الاختلاف، وكون حكم الله واحداً مأخوذاً من الله ورسوله ﷺ مودوعاً عند أهله، وعلى عدم حُسن حال كل الصحابة، ووجود الكذابين والمنافقين والمتوهمين فيهم، وأن لا اعتماد على كل ما رووه عن النبي ﷺ ظاهرة. وسيأتي ما يوضح كلاً مما ذكره مفصلاً، كل واحد في محله، فلا تغفل. العاشر: ما رووه أيضاً عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، في جواب الزنديق الذي سأله عن مسائل كثيرة، منها:

إنه قال: لأبيّ علّة خلق الله هذا الخلق وهو غير محتاج إليهم، ولا مضطرّ إلى خلقهم، ولا يليق به التعبّث بنا؟

قال عليه السلام: «خلقهم لإظهار حكمته، وإنقاذ علمه، وإمضاء تدبيره».

قال: وكيف لم يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبّس

عقابه؟

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ١٠٠/٦٢٠، الكافي ١: ١/٥٠، باب اختلاف الحديث، الخصال ١: ١٣١/٢٥٥، كتاب الغيبة للنعمانى: ١٠/٧٥، تحف العقول: ١٩٣ بتفاوت يسير.

قال عليه السلام: «إِنَّ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ ابْتِلَاءٍ، وَمَتَجَرُّ الثَّوَابِ، وَمَكْتَسَبُ الرَّحْمَةِ، مَلَّتْ آفَاتُهَا، وَطَبَقَتْ شَهَوَاتُهَا؛ لِيُخْتَبَرَ بِهَا عِبِيدَهُ بِالطَّاعَةِ، فَلَا يَكُونُ دَارُ عَمَلٍ دَارُ جَزَاءٍ».

قال: فأخبرني عن الله كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موخدين وكان على ذلك قادراً؟

قال عليه السلام: «لَوْ خَلَقَهُمْ مَطِيعِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ثَوَابٌ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ إِذَا مَا كَانَتْ مِنْ فِعْلِهِمْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَكِنْ خَلَقَ خَلْقَهُ فَأَمْرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِرِسْلِهِ، وَقَطَعَ عِذْرَهُمْ بِكُتُبِهِ؛ لِيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَطِيعُونَ وَيَعْصُونَ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِطَاعَتِهِمْ [له] ^(١) الثَّوَابَ وَبِمَعْصِيَتِهِمْ [إياه] ^(٢) الْعِقَابَ، وَمَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَطِيقُونَ تَرْكَهُ، وَلَا أَمْرَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ فِعْلَهُ، فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ كَافِرًا، يَسْتَطِيعُ الْإِيمَانَ وَلَهُ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ الْإِيمَانَ حِجَّةٌ».

ثم قال عليه السلام: «وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ اخْتَارَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَنْسَاءً فَطَهَّرَ مِيْلَادَهُمْ، وَطَيَّبَ أَبْدَانَهُمْ، أَخْرَجَ مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَالرِّسْلَ، فَهَمُّ أَزْكَى فُرُوعِ آدَمَ، مَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَمْرِ اسْتِحْقَاقِهِ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ عَلِمَ مِنْهُمْ حِينَ ذَرَأَهُمْ أَنَّهُمْ يَطِيعُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ وَلَا يَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، فَهَوْلَاءُ بِالطَّاعَةِ نَالُوا مِنَ اللَّهِ الْكِرَامَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ عِنْدَهُ، وَهَوْلَاءُ الَّذِينَ لَهُمُ الشَّرْفُ وَالْفَضْلُ وَالْحَسْبُ، وَسَائِرُ النَّاسِ سِوَاهُ، أَلَا مِنْ اتَّقَى اللَّهَ أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَطَاعَهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ لَمْ يَعْذِبْهُ بِالنَّارِ».

ثم قال عليه السلام أيضاً: «وَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حِجَّةٍ، وَلَا تَكُونُ الْحِجَّةُ إِلَّا مِنْ عَقَبِ الْأَنْبِيَاءِ، مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ مِنْ غَيْرِ نَسْلِ الْأَنْبِيَاءِ».

وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً، وأخرج من آدم عليه السلام نسلًا طاهرًا طيبًا، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله وخلص الجوهر، طهروا في الأصلاب، وحفظوا في الأرحام، لم يصبهم سفا الجاهلية، ولا شاب أنسابهم؛ لأن الله عز وجل جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمن كان خازن علم الله، وأمين غيبه، ومستودع سره، وحبته على خلقه، وترجمانه ولسانه، لا يكون إلا بهذه الصفة.

فالحجة لا يكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحدته الناس سكت، وكان بقاء^(١) ما عليه الناس قليلاً مما في أيديهم من علم الرسول صلى الله عليه وآله على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس، وإنهم إن أقرؤا به وأطاعوه وأخذوا عنه، ظهر العدل وذهب الاختلاف والتشاجر واستوى الأمر وأبان الدين وغلب على الشك اليقين، ولا يكاد أن يقرّ الناس به أو نجعوا^(٢) له بعد فقد النبي، وما مضى رسول ولا نبي قط إلا وتختلف أمته من بعده، وإنما كان علة اختلافهم خلافتهم على الحجة وتركهم إياها.

قال السائل: فما يصنع بالحجة إذا كان بهذه الصفة؟

قال: «قد يقتدى به ويخرج عنه الشيء بعد الشيء فيه منفعة الخلق وصلاحهم، فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم، وإن زادوا فيه أخبرهم، وإن نقصوا منه شيئاً أفادهم...»^(٣)، الخبير.

ودلالته ظاهرة، ولاسيما على ذم الاختلاف وبطلان العمل بالرأي

(١) في النسخ: بقاءه، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في «م»: يحقوا، وكذا في البحار، وفي الاحتجاج (ولا يطعموا له أو يحفظوا له).

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٢٣/٢١٢، بحار الأنوار ١٠: ٢/١٦٤ بتقديم وتأخير.

والقياس ، وإن ذلك إنما يكون بعد كل نبيّ وبسبب مخالفة حجج الله وترك متابعتهم ، وأن الله لم يجعل الأرض خالية قطّ عن حجة عالم بكلّ ما يحتاج إليه الناس ، وأن لا يكون حجة إلا من نسل سابقه من زمان آدم ، وهلمّ جرأ .

وفيه أيضاً دلالة على بطلان الجبر ، وبعض حكم الخليفة وأنّ السبب العمدة إنّما هو الطاعة والعبادة ، وسيأتي أيضاً ما فيه تبيان كلّ ما ذكره عليه السلام ، لاسيّما في الباب الرابع من المقدّمة ، فتأمّل .

الحادي عشر : ما رواه جماعة من أصحاب الصادق عليه السلام في روايات عديدة ، منها : النسخة التي كتبها لهم وأمرهم بحفظها وتعاهدها أوقات الصلوات ، ونحن نذكر من كلّ رواية ما يناسب المقام :

قال عليه السلام في النسخة التي ذكرناها - وقد اختصرناها - : «واعلموا أيّتها العصابة المرحومة المفلحة ، أنّ الله عزّ وجلّ إنّما أمر ونهى ليطاع فيما أمر به ولينتهي عمّا نهى عنه ، فمن اتّبع أمره فقد أطاعه وأدرك كلّ شيء من الخير عنده ، ومن لم يتّبعه عمّا نهى الله عنه فقد عصاه ، فإن مات على معصيته أكبه الله على وجهه في النار .

واعلموا أنّه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً ، وأنّه ليس بين الله وبين أحد من خلقه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا من دون ذلك من خلقه كلّهم ، إلا طاعتهم له ، فاجتهدوا في طاعة الله واجتنبوا معاصيه إن سرّكم أن تكونوا مؤمنين حقّاً حقّاً ، وعليكم باتّباع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وأثار الأنمة الهداة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده وستّهم ، فإنّ من أخذ بذلك فقد اهتدى ، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ ؛ لأنّهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم .

واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقائيس ، وقد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء ، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً ، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقائيس ، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها ، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم ، وهم الذين من سألهم وتبع أثرهم أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق ، وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم ، إلا من سبق عليه في علم الله الشفاء ، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر ، ويأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان ؛ لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين ، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين ، وجعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً وما حرّم الله حلالاً فذلك أصل ثمرة أهوائهم .

فوالله ، إن الله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد ﷺ وبعد موته ، فكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه خلافاً لأمر محمد ﷺ ، فكذلك لم يكن ذلك لأحد من الناس بعد محمد ﷺ .

ومن زعم أن أحداً ممن أسلم مع محمد ﷺ أخذ برأيه ومقائيسه ، فقد كذب على الله وضلّ ضلالاً بعيداً .

واعلموا أن من لم يجعله الله من أهل صفة الحق ، فأولئك هم شياطين الإنس والجن ، وأن لشياطين الإنس حيلةً ومكرًا وخداع ووسوسة

بعضهم إلى بعض، يريدون - إن استطاعوا - أن يردّوا بشبههم أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النظر في دين الله، الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحقّ في الشكّ والإنكار والتهذيب، [فيكونون سواء] ^(١) كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ ^(٢) ^(٣).

وقال عليه السلام في حديثٍ آخر: «اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاءه، وإنّما يضلّ من لم يقبل منه هداه.

وكُلّ أمةٍ قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولّاهم عدوّهم حين تولّوه، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، وكان أيضاً من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى، وأصدروهم إلى الردى، وغيّروا عرى الدين، ثمّ ورثوه في السفه والصباه...» الخبر، إلى أن قال عليه السلام:

«فاعرفوا أشباه الأحرار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه ﴿فَمَا رَيْبُ حَتَّى تَجْرُتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ^(٤) فإنّ أشباههم من هذه الأمة الذين أقاموا حروف الكتاب وحرّفوا حدوده، فهم مع السادة والكبرة، فإذا تفرّقت قادة الأهواء كانوا مع أكثرهم دنياً وذلك مبلغهم من

(١) أضفناه من المصدر.

(٢) سورة النساء : ٥ : ٨٩.

(٣) الكافي ٨ : ١/٢ (رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة) بتقديم وتأخير.

(٤) سورة البقرة : ٢ : ١٦.

العلم [...]، لا يزال يُسمع صوت إبليس على ألسنتهم بباطل كثير، يصبر منهم العلماء على الأذى والتعنيف، ويعيون على العلماء بالتكليف...»
الخبر، إلى أن قال عليه السلام :

«تركهم رسول الله صلّى الله عليه وآله على البيضاء ليلها من نهارها، لم يظهر فيهم بدعة ولم يبدل فيهم سنة، لا خلاف عندهم ولا اختلاف، فلما غشي الناس ظلمة خطاياهم صاروا إمامين: داع إلى الله، وداع إلى النار، فعند ذلك نطق الشيطان فعلا صوته على لسانه أوليائه وكثر خيله ورجله، وشارك في المال والولد من أشركه، فعمل بالبدعة وترك الكتاب والسنة، ونطق أولياء الله بالحجة، وأخذوا بالكتاب والحكمة، ففترق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل...»^(١)، الخبر.

وقال عليه السلام في حديث آخر: «إن الله عز وجل جعل في كل من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون (من ضل)»^(٢) إلى الهدى ويصبرون معهم على الأذى، يجيبون داعي الله، ويدعون إلى الله فأبصروهم رحمكم الله فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم في الدنيا وضیعة، إنهم يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله من العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، يبذلون دماءهم دون هلكة العباد، ما أحسن أثرهم على العباد وأقبح آثار العباد عليهم»^(٣)

وقال عليه السلام في حديث آخر في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ

(١) الكافي ٨: ١٦/٥٢ (رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير)، بحار الأنوار ٧٨: ٢/٣٥٨.

(٢) لم ترد في «م».

(٣) الكافي ٨: ١٧/٥٦ (رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير)، بحار الأنوار ٧٨: ٣/٣٦٢.

وَرَمَيْتَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ^(١): «والله، ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً، فاتَّبِعُوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون»^(٢).

وقال عليه السلام في حديثٍ آخَرَ: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شر علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهله من جهله ذلك رسول الله ﷺ ونحن»^(٣).

وقال عليه السلام: «من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهر عادل أصبح تائهاً ضالاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة جاهلية...»^(٤)، الخبر.

والمراد بالظاهر: واضح الحال والإمامة وإن كان شخصه غائباً عن المكلف.

وقال عليه السلام: «يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً، وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض فاطلب لنفسك دليلاً»^(٥).

وقال عليه السلام: «إن عيسى عليه السلام حين تكلم في المهد كان نبياً وحنةً على

(١) سورة التوبة ٩ : ٣١ .

(٢) المحاسن ١ : ٨٤٨/٣٨٣ بتفاوت يسير ، بحار الأنوار ٢ : ٥٠/٩٨ .

(٣) بصائر الدرجات ١/٢٦ ، الكافي ١ : ٧/١٤٠ (باب معرفة الإمام والرد إليه) ، بحار الأنوار ٢ : ١٤/٩٠ .

(٤) الكافي ١ : ٨/١٤٠ (باب معرفة الإمام والرد إليه) ، بحار الأنوار ٨ : ٤١/٣٦٩ ، بتفاوت

يسير .

(٥) الكافي ١ : ١٠/١٤١ (باب معرفة الإمام والرد إليه) .

من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان، وكان زكريا الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى عليه السلام بستين، ثم مات زكريا فورثه يحيى ابنه الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه، فكان عيسى عليه السلام الحجة على الناس أجمعين، وليس تبقى الأرض يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس.

وكان عليُّ عليه السلام حجةً من الله ورسوله على هذه الأمة يوم أقامه للناس، ونصبه علماً، ودعاهم إلى ولايته، ولكنه صمت فلم يتكلم مع رسول الله ﷺ وكانت الطاعة لرسول الله ﷺ على الأمة وعلي علي عليه السلام في حياة النبي ﷺ، وكانت الطاعة من الله ومن رسوله ﷺ على الناس كلهم لعلي عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان علي عليه السلام حكيماً عالماً^(١).

«والعلم يتوارث فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله^(٢)».

ف قيل له: أفيسع الناس إذا مات العالم أن لا يعرفوا الذي بعده؟ فقال: «أما أهل هذه البلدة - يعني المدينة - فلا؛ لأن الإمام إذا هلك وقعت حجة وصية على من هو معه في البلد، وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾^(٣)، الآية.

(١) الكافي ١: ١/٣١٣ (باب حالات الأئمة عليهم السلام في السر).

(٢) بصائر الدرجات ٢/١٣٨، الكافي ١: ١/١٧٣ (باب أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم)، بحار الأنوار ٢٦: ٣٣/١٦٩.

(٣) سورة التوبة ٩: ١٢٢.

فإن نفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم فهو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ ثم يدركه الموت» .

قيل : فإذا قدموا بأي شيء يعرفون صاحبهم ؟

قال : «يعطى السكينة والوقار والهيبة»^(١) .

وقال : «يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال مع العلم لا تكون في

غيره : هو أولى الناس بالذي قبله، وهو وصيته، وعنده سلاح رسول الله ﷺ ووصيته...»^(٢) ، الخبير .

والأخبار منه عليه السلام ، ومن سائر الأئمة عليهم السلام من هذا القبيل كثيرة ، وكفى ما ذكرناه لصاحب البصيرة ، وسيأتي أمثالها في المواضع المناسبة لذكرها سيما في فصل الوصية .

ثم إن هاهنا حكاية لطيفة مشتملة على رواية شريفة عنه عليه السلام أحببنا ذكرها ، وهي ما رواه جماعة عن رجل من قريش من أهل مكة ، قال : قال لي سفيان الثوري^(٣) : إذهب بنا إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته ، فقال له سفيان : يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف ، قال : «دعني

(١) علل الشرائع ٢ : ٤٠/٥٩١ .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٨/٢٠٢ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٣٣ .

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، كنيته أبو عبد الله ، وذكر الطريحي في مجمعه أنه كان في شرطة هشام بن عبد الملك ، وهو ممن شهد قتل زيد بن علي ابن الحسين عليه السلام ، له كتب منها : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، وكان مولده سنة ٩٧ هـ ، مات بالبصرة مستتراً من السلطان ودفن عشاءً وذلك في سنة ١٦١ .

انظر : الكنى والألقاب ٢ : ١١٩ ، مجمع البحرين ٣ : ٢٣٨ - ثور - الفهرست لابن النديم : ٢٨١ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٦/٣٨٦ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١٩٩/٩٩ .

أذهب في حاجتي فأبني قد ركبت فإذا جئت حدثتك» فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ لما حدثتني .

قال: فنزل، فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبتته فيه، فدعا به، ثم قال:

«اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف: نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم تبلغه، يا أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم».

فكتبه سفيان، ثم عرضه عليه وركب أبو عبدالله عليه السلام وجئت أنا وسفيان، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتى أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله، ألزم أبو عبدالله رقتك شيئاً لا يذهب من رقتك أبداً، فقال: وأي شيء ذلك؟ فقلت له: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين تجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان^(١)

(١) هو يكتى أبا عبدالرحمن، هو اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله ﷺ في سبعة مواطن، ولي الحكومة عشرين سنة إلا شهراً، وهو الذي نصب لواء العداوة لعلي عليه السلام وأشاع لعنه في الناس، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة أكلة الأكباد أحوالها مشهورة، وهلك بدمشق سنة ٦٠.

وزيد بن معاوية^(١)، ومروان بن الحكم^(٢) وكل من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم !

وكذا قوله : «واللزوم لجماعتهم» ، فأبي الجماعة :

مرجئ^(٣) يقول : من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة ، وهدم الكعبة ، ونكح أمه ، فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل ؟!

أو قدرئ^(٤) يقول : لا يكون ما شاء الله ، ويكون ما شاء إبليس ؟!

أو حروري^(٥) يبرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام ويشهد عليه بالكفر ؟!

﴿ انظر : الخصال : ١٠٥/٣٩٧ ، الكنى والألقاب : ١ : ٨٥ ، الطبقات لابن سعد : ٧ : ٤٠٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٣٤٩ ، تاريخ الطبري : ٥ : ٢٧٩ ، مروج الذهب : ٣ : ٣ ، تاريخ بغداد : ١ : ٤٨/٢٠٧ ، المنتظم لابن الجوزي : ٥ : ٢٤٣ .

(١) يكنى أبا خالد ، ولد في خلافة عثمان وقد أخذ أبوه «معاوية» من الناس بيعته ، وهو غلام يشرب الخمر ويلعب بالكلاب ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، وأظهر الناس شرب الشراب ، يكفيه خبثاً قتله سيّد الشهداء الحسين بن علي وأنصاره عليهم السلام ، هلك سنة ٦٤ هـ .

انظر : الكنى والألقاب : ١ : ٨٧ ، مروج الذهب : ٣ : ٥٣ .

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس ، يكنى أبا الحكم وأبا عبدالمملك ، نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباه إلى الطائف ؛ لأنه يتجسس عليه ، وقد رويت أخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه ، واستعمله معاوية على المدينة ومكة والطائف ، ولما مات معاوية بن يزيد ولم يعهد إلى أحد بايع بعض الناس بالشام مروان بن الحكم بالخلافة ، وكانت مدة ولايته تسعة أشهر ، هلك سنة ٦٥ هـ .

انظر : الكنى والألقاب : ١ : ٢٨٦ ، مروج الذهب : ٣ : ٨٩ ، الكامل لابن الأثير : ٤ : ١٩٣ .

(٣) انظر : ص ٢٣ هامش : ٢ .

(٤) انظر : ص ٢٣ هامش : ٣ .

(٥) الحرورية : هم الخوارج المارقون الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأنكروا عليه كونه حكم الحكمين ، وسَمّوا بالحرورية ؛ لأنهم خرجوا من الكوفة واجتمعوا بقرية يقال لها : حروراء ، من ناحية الكوفة ، ورأسهم عبدالله بن الكواء ، عليه السلام

أو جهمي^(١) يقول: إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها؟!!

قال: ويحك، أي شيء يقولون؟ فقلت: يقولون: إن علي بن أبي طالب عليه السلام والله، للإمام الذي يجب علينا نصيحته، و«لزوم جماعتهم»: أهل بيته.

قال: فأخذ الكتاب فخرقه ^(٢)، ثم قال: لا تخبر بها أحداً ^(٣).
أقول: هذه الخطبة مما ذكرها العامّة والخاصّة عن النبي صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف - كما سيظهر - لاسيّما في حكاية الغدير، واختصر الإمام عليه السلام هاهنا على هذه الفقرات منها لما فيها مما فسره الرجل، فتأمل.
الثاني عشر: ما رواه جماعة من الأعلام الثقات في روايات معتبرة، وتوقيعات معتمدة عن مولانا وسيّدنا القائم لإعلاء كلمة الله الحجة بن الحسن صاحب الزمان عليه وعلى آبائه صلوات الله الملك الديان، ونحن نقتصر فيها على ذكر ما هو المناسب هاهنا:

ولاعتاب بن الأعور، وغيرهما.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١: ١١٥، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ١١ -

٤٠): ٥٨٨.

(١) هو الذي يقول بمعرفة الله وحده، وليس الإيمان شيء غيره، من أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلّها، وزعم أنّ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأنّ الكفر هو الجهل به فقط.

انظر: الفرق بين الفِرَق: ٢١١، التبصير في الدين: ١٠٧، الملل والنحل

للشهرستاني ١: ٨٦.

(٢) في هامش بعض النسخ: فمزقه.

(٣) الكافي ١: ٢/٣٣٣ (باب ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالنصيحة لأئمّة المسلمين واللزوم

لجماعتهم ومن هم)، بحار الأنوار ٢٧: ٦/٦٩.

قد نقل ثقات من القدماء في كتبهم ، منهم أبو جعفر محمد بن بابويه الملقَّب بالصدوق^(١) ، عن الثقة الجليل سعد بن عبدالله القمِّي^(٢) صاحب أبي محمد العسكري عليه السلام ، قال :

صارت بيني وبين رجل منازعة في الإمامة فذهبت مع الشيخ الجليل أحمد بن إسحاق^(٣) الوكيل إلى سرّ من رأى ، ومعني بضع وأربعون مسألة لأسأل عنها مولانا أبا محمد عليه السلام ، فلمّا دخلنا عليه رأينا وجهه كالقمر ليلة البدر ، ورأينا على فخذه غلاماً صغيراً يشبه المشتري في الحسن والجمال

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّي ، يكنى أبا جعفر شيخ مشايخ الشيعة ، وركن من أركان الشريعة ، جلالته وعظم شأنه ومنزلته أوضح من الشمس وأبين من الأمس ، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، ولد بدعاء صاحب الأمر والعصر ، وصفه الإمام عليه السلام في التوقيع الخارج من الناحية المقدسة بأنه فقيه خير مبارك ينتفع به ، له مصنفات كثيرة منها : من لا يحضره الفقيه ، والتوحيد ، وعلل الشرايع ، وتوقّي أعلى الله مقامه سنة ٣٨١ هـ في الرّي .
انظر : الفهرست للطوسي : ١٥٦ - ٧٠٥/١٥٧ ، الخلاصة : ٨٤٣/٢٤٨ ، تنقيح المقال ٣ : ١١١٠٤/١٥٤ .

(٢) هو سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمِّي ، يكنى أبا القاسم ، من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، وتشرف بقاء مولانا الحجة المنتظر عليه السلام ، ثقة جليل القدر بالاتفاق ، واسع الأخبار ، كثير التصانيف ، وله كتب كثيرة منها : كتاب الرحمة ، وبصائر الدرجات ، وغيرها ، توفي سنة ٣٠١ هـ .
انظر : الفهرست للطوسي : ٣١٦/٧٥ ، الخلاصة : ٤٥٢/١٥٦ ، تنقيح المقال ٢ : ٤٧٠٢/١٦ .

(٣) هو أحمد بن إسحاق بن عبدالله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري ، يكنى أبا علي ، من ثقات محدثي الشيعة ، ومن خواص أبي محمد عليه السلام ، ورأى صاحب الزمان عجّل الله فرجه ، وهو شيخ القميين ووافدهم ، وله كتب منها : كتاب علل الصلاة - كبير - ومسائل الرجال .

انظر : رجال النجاشي : ٢٢٥/٩١ ، الفهرست للطوسي : ٧٨/٢٦ ، تنقيح المقال

وله ذؤابتان ، فلما سلمنا وجلسنا وأردنا المسألة ، قال للغلام : أخبرهم ياولدي عن مسائل شيعتك ومواليك» ، وذكر الخبر وجوابه عليه السلام عن سائر المسائل وما كان فيه المنازعة بينه وبين الرجل - إلى أن قال - فقلت له : أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمامٍ لأنفسهم ؟ قال : «مفسد أو مُصلح ؟» قلت : مصلح .

قال : «هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلا أو فساد ؟» قلت : بلى .

قال : «فهي العلة ، أزيدها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك ؟» قلت : نعم ، قال : «أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله ، وأنزل عليهم الكتب ، وأيدهم بالوحي والعصمة ، إذ هم أعلام الأمم وأهدى إلى الاختيار منهم ، مثل موسى وعيسى عليه السلام فهل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن ؟» قلت : لا .

فقال : «هذا موسى كليم الله عليه السلام مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين ، وقد شهد بذلك القرآن المبين ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ (١) الآية ، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله بالنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر ، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما

أرادوا أهل الصلا...»^(١)، الخبر.

وقد نقلوا أيضاً أنه عليه السلام بعد ما مضى أبوه وتشاجر جماعة من الشيعة في الخلف وأنكر وجوده عليه السلام بعض منهم، كتب إليهم بخطه عليه السلام : «بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياكم من [...] الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه أنهي إلي ارتياب جماعة منكم في الدين وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاية أمرهم، فغمنا ذلك لكم لالنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا [...]».

يا هؤلاء، ما لكم في الريب تترددون، وفي الحيرة تنعكسون، أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)!

أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقيين منهم؟

أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي عليه السلام؟، كلما غاب علمٌ بدا علمٌ، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلاً ما كان ذلك ولا يكون، حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون.

وإن الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه حذو النعل

(١) كمال الدين ٢: ٢١/٤٥٤ (باب ٤٣) ضمن الحديث، ص ٤٦١ - ٤٦٢، الاحتجاج ٢:

٣٤١/٥٢٤ ضمن الحديث، ص ٥٣٠، دلائل الإمامة: ٤٩٢/٥٠٦ ضمن الحديث، ص ٥١٤.

(٢) سورة النساء ٤: ٥٩.

بالنعل وفينا وصيته وعلمه، ومن هو خلفه ومن يسد مسده، ولا ينازعنا في موضعه إلا ظالم آثم، ولا يدعيه دوننا إلا جاحد كافر، ولولا أن أمر الله لا يغلب، وسره لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما (ستر عنه)^(١) عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنّه ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب.

فاتقوا الله وسلّموا (لنا وردوا)^(٢) الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم [...] فقد نصحت لكم والله شاهد عليّ وعليكم^(٣)، الخبر.

وقد نقلوا أيضاً عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق الوكيل أنه قال: لما ادّعى جعفر الكذاب الإمامة وكتب بذلك كتاباً إلى بعض الشيعة، أخذت كتابه وكتبت كتاباً إلى صاحب الزمان عليه السلام وأعلمته بالأمر، وأرسلت كتابه مع كتابي إليه عليه السلام، فخرج إليّ الجواب في ذلك:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي أنفذت في درجه، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه وتكرّر الخطأ فيه، ولو تدبّرتّه لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه، والحمد لله ربّ العالمين على إحسانه إلينا وفضله علينا، أبي الله عزّ وجلّ للحقّ إلاّ إتماماً وللباطل إلاّ زهوقاً، وهو شاهد عليّ بما أذكره [...] إذا اجتمعنا اليوم الذي لا ريب فيه، ويسألنا عمّا نحن فيه مُختلفون، وإنّه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من

(١) كذا في النسخ، وفي البحار (تبره منه)، وفي الاحتجاج والغيبة (تبين منه).

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م».

(٣) الغيبة للطوسي: ٢٤٥/٢٨٥، الاحتجاج ٢: ٣٤٢/٥٣٥، الصراط المستقيم ٢:

٢٣٥، منتخب الأنوار المضيئة: ٢٢٢، بحار الأنوار ٥٣: ٩/١٧٨.

الخلق إمامة مفترضة ولا طاعة ولا ذمة، وسأبين لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى :

يا هذا، يرحمك الله إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، بل خلقهم بقدرته، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً، ثم بعث إليهم النبيين ﷺ مبشرين ومنذرين، يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته، ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة، والبراهين الباهرة، والآيات الغالبة، فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذة خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، وجعل عصاه ثعباناً مييناً، ومنهم من أحيا الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علمه منطلق الطير وأوتي من كل شيء .

ثم بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، وتمم به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله إلى الناس كافةً، وأظهر من صدقه ما أظهر، وبين من آياته وعلاماته ما بين .

ثم قبضه إليه حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمه ووصيه ووارثه علي بن أبي طالب ﷺ، ثم إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحدٍ، أحيا بهم دينه، وأتم بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمهم [...] فرقاً بيناً يُعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم، بأن عصمهم من الذنوب وبرأهم من العيوب وطهرهم من الدنس [...] وجعلهم خزان علمه ومستودع حكمته وموضع سره، وأيدهم بالدلائل . ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولاذعى أمر الله كل أحد،

ولما عرف الحقّ من الباطل ، ولا العلم من الجهل .

وقد ادعى هذا المبطل المدعى على الله الكذب بما ادّعه ، فلا أدري بأيّ حالة بقي^(١) له رجاء أن تتمّ دعواه ، أبقه في دين الله؟ فوالله ، لا يعرف حلالاً من حرام ، ولا يفرّق بين خطأ وصواب ، أم بعلم؟ فلا يعلم حقّاً من باطل ولا محكماً من متشابه ، [...] أم بورع؟ والله شهيد على تركه الصلاة الغرض أربعين يوماً [...] ولعلّ خبره تأدى إليكم ، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة ، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة ، أم بآية؟ فليأت بها ، أم بحجّة؟ فليقمها ، أم بدلالة؟ فليذكرها .

ثمّ ذكر ﷺ آيات مناسبة إلى أن ذكر له : «فامتحن هذا الظالم واسأله عن آية من كتاب الله يفسرها ، أو صلاة يبيّن حدودها وما يجب فيها ؛ لتعلم حاله ومقداره»^(٢) ،^(٣) الخبر .

وقد ذكر ﷺ في توقيع آخر: «وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٤) ، إنّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإني لأخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي .

وأما وجه الانتفاع في غيبتني فكالانتفاع بالشمس إذا غيبت عنها الأَبصار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض ، كما أنّ النجوم أمان لأهل

(١) كذا في النسخ ، وفي المصادر: (هي) .

(٢) في «م» : وخبره .

(٣) الغيبة للطوسي : ٢٤٦/٢٨٧ ، الاحتجاج : ٢ : ٣٤٣/٥٣٨ ، تفسير نور الثقلين : ٥ :

٤/٧ ، بحار الأنوار : ٥٣ : ٢١/١٩٣ .

(٤) سورة المائدة : ٥ : ١٠١ .

السماء»^(١) .

وفي توقيع آخر^(٢) : «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله وكذب الوقتون ، وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله» .

ومفاد الجميع واضح ، لاسيما في الدلالة على عدم صحة اختيار الرعية إماماً لهم ، وعلى صفات الإمام وفوائده في زمان الغيبة مع الحكمة المقتضية للغيبة ، وعدم لزوم تعطيل الأحكام حينئذٍ ، كما توهمه المخالفون ، وسيأتي تفصيل هذه المضامين ، لاسيما في ذكر أحوال صاحب عليه السلام ، فتأمل .

ثم ها هنا أيضاً نقل لطيف مناسب للمقام مأخوذ من حديث شريف عنه عليه السلام ، وهو أن جمعاً ، منهم الصدوق عليه السلام نقلوا عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني^(٣) ، قال : كنت أنا وجماعة عند الشيخ الثقة الجليل أبي القاسم الحسين بن روح^(٤) عليه السلام - وهو من الأبواب والسفراء في الغيبة

(١) كمال الدين ٢ : ٤/٤٨٣ باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام ، الغيبة

للطوسي : ٢٩٠/٢٤٧ ، الاحتجاج ٢ : ٣٤٤/٥٤٢ ، بحار الأنوار ٥٣ : ١٨٠/١٠ .

(٢) الظاهر من المصادر أنه توقيع واحد يشتمل على أجوبة لعدة من المسائل ، وعده توقيعاً آخر سهو من السُّخاخ ، أو أن المؤلف اعتبر جواب كل مسألة توقيعاً مستقلاً .

(٣) محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني يكنى أبا العباس ، وقد أكثر الصدوق من الرواية عنه في كتبه مترصياً ومترخماً عليه ، ومنه يظهر حسن حاله ، بل جلالة شأنه ، ويحتمل أن يكون من مشايخ الصدوق عليه السلام ، بل وجزم به المجلسي الأول .

انظر : تعليقة البهبهاني : ٢٦٥ ، تنقيح المقال ٢ : ١٠٢٠٨/٥٥ من أبواب الميم .

(٤) هو ثالث السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى ، شيخ جليل وثقة أمين ، عظيم القدر والمنزلة ، وكان من أعقل الناس عند المخالف والموافق ، وهو أجل من أن

المعجزات في حال غالبين وفي أخرى مغلوبين ، وفي حال قاهرين وفي أخرى مهورين ، ولو جعلهم الله عزّ وجلّ في جميع أحوالهم غالبين قاهرين ، ولم يتلهم ولم يمتحنهم لأنّهم الناس آلهة من دون الله ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار ، ولكنّه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ؛ ليكونوا في حال المحنة والبلاء صابرين ، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين ، وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبده ويطيعوا رسله ، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم وادّعى لهم الربوبية ، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل ، وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

قال محمّد بن إبراهيم عليه السلام : فعدت من غدٍ إلى الشيخ أبي القاسم عليه السلام ، وأنا أقول في نفسي : أترأه ذكر لنا ما ذكر أمس من عند نفسه ؟ فابتدأني وقال : أخرّ من السماء فتخطفني الطير ، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أن أقول ^(١) في دين الله برأيي ومن عند نفسي ، بل ذلك عن الأصل ومسموع من الحجّة صلوات الله عليه ^(٢) .

الثالث عشر : ما رواه جماعة ، منهم الكليني ، عن أبي حمزة الشمالي ^(٣) ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل نحن نذكر خلاصته

(١) في «م» زيادة : من نفسي .

(٢) كمال الدين ٢ : ٣٧/٥٠٧ باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام ، علل الشرائع

١ : ٢٤١ باب ١/١٧٧ ، الغيبة للطوسي : ٢٧٣/٣٢٤ ، الاحتجاج ٢ : ٣٤٦/٥٤٦ ،

منتخب الانوار المضيئة : ١١٣ - ١١٥ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١/٢٧٣ .

(٣) هو ثابت بن دينار ، يكتنّى أبا حمزة ، كوفي ثقة جليل القدر بالاتفاق ، من أصحاب

التي لا بد من ذكرها هاهنا :

قال عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَّ إِلَى آدَمَ عليه السلام أَنْ لَا يَقْرَبَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ عِلْمُ اللَّهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا نَسِيَ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِي وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا﴾^(١) ، فَلَمَّا أَكَلَ مِنْهَا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَوُلِدَ لَهُ هَابِيلُ وَأَخْتُهُ تَوَامًا ، وَوُلِدَ لَهُ قَابِيلُ وَأَخْتُهُ تَوَامًا .

ثُمَّ إِنَّ آدَمَ عليه السلام أَمَرَ هَابِيلَ وَقَابِيلَ أَنْ يَقْرَبَا قُرْبَانًا ، وَكَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ غَنَمٍ وَقَابِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ ، فَقَرَّبَ هَابِيلُ كِبْشًا مِنْ أَفْضَلِ غَنَمِهِ وَقَرَّبَ قَابِيلُ مِنْ زَرْعِهِ مَا لَمْ يُنْتَقَ ، فَتَقَبَّلَ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَابِيلَ ، وَكَانَ الْقُرْبَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، فَعَمِدَ قَابِيلُ إِلَى النَّارِ فَبَنَى لَهَا بَيْتًا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بِيوتِ النَّارِ ، فَقَالَ : لِأَعْبُدَنَّ هَذِهِ النَّارَ حَتَّى تَتَقَبَّلَ قُرْبَانِي .

ثُمَّ إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ قَالَ لِقَابِيلَ : قَدْ تَقَبَّلَ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانِكَ فَإِنَّ لَمْ تَقْتُلْهُ يَكُونُ لَهُ عَقَبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلَى عَقَبِكَ ، فَقَتَلَهُ ، وَبَكَى آدَمَ عليه السلام عَلَى هَابِيلَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ وَلَدًا ، فَوُلِدَ لَهُ غَلَامٌ فَسَمَّاهُ هَبَةَ اللَّهِ .

فَلَمَّا انْقَضَتْ نَبْوَةُ آدَمَ وَاسْتَكْمَلَتْ أَيَّامَهُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ : يَا آدَمَ ، قَدْ قَضَيْتَ نَبْوَتَكَ وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ ، فَاجْعَلِ الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمِ النَّبْوَةِ فِي الْعَقَبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ عِنْدَ هَبَةَ

عليه السلام بن الحسين والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام ، وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه» . وله كتب منها : كتاب النوادر ، والزهد ، وتفسير القرآن ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ .

انظر : رجال النجاشي : ٢٩٦/١١٥ ، الفهرست للطوسي : ١٣٨/٩٠ ، تنقيح المقال ١ : ١٨٩/١٤٩٤ ، أعيان الشيعة ٤ : ٩ .

الله ، فَإِنِّي لَمْ أَقْطِعِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالْأَسْمَ الْأَكْبَرَ وَأَثَارَ عِلْمِ النَّبُوَّةِ مِنَ الْعَقَبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ أَدْعِيَ الْأَرْضَ إِلَّا وَفِيهَا عَالَمٌ يُعْرِفُ بِهِ دِينِي وَتَعْرِفُ بِهِ طَاعَتِي ، وَيَكُونُ نَجَاةً لِمَنْ يُولَدُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَشَّرَ آدَمَ بَنُو عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ بَاعَثَ نَبِيًّا أَسْمُهُ نُو ، وَإِنَّهُ يَدْعُو جَهَاراً إِلَى اللَّهِ عَزَّ ذَكَرَهُ ، وَيَكْذِبُهُ قَوْمُهُ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ بِالطُّوفَانِ . وَكَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنَوْحٍ عَشْرَةَ آبَاءَ كُلَّهُمْ أَنْبِيَاءُ وَأَوْصِيَاءُ ، وَأَوْصَى آدَمَ إِلَى هَبَةِ اللَّهِ : أَنْ مِنْ أَدْرَكَ نَوْحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْكُمْ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ وَلْيَتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنَ الْغُرُقِ .

ومرض آدم عليه السلام مرضه الذي مات فيه ، ولَمَّا قَبِضَ آدَمَ هَبَطَ جِبْرَائِيلُ وَأَرَى هَبَةَ اللَّهِ كَيْفَ يَغْسَلُ أَبَاهُ ، فَغَسَلَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، قَالَ هَبَةَ اللَّهِ : يَا جِبْرَائِيلُ ، تَقَدَّمَ فَصَلِّ عَلَيَّ آدَمَ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيلُ : إِنَّا أَمَرْنَا أَنْ نَسْجُدَ لِأَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُوْمَّ شَيْئاً مِنْ وَلَدِهِ ، فَتَقَدَّمَ هَبَةَ اللَّهِ فَصَلَّى عَلَيَّ أَبِيهِ وَجِبْرَائِيلُ خَلْفَهُ مَعَ جُنُودٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

ثُمَّ إِنَّ هَبَةَ اللَّهِ لَمَّا دَفَنَ أَبَاهُ أَتَاهُ قَابِيلُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَبِي آدَمَ قَدْ خَصَّكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا لَمْ أُخَصَّ بِهِ أَنَا ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي دَعَا بِهِ أَخُوكَ هَابِيلُ فَتَقَبَّلَ قَرْبَانَهُ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتَهُ ؛ لَكَيْلَا يَكُونَ لَهُ عَقَبٌ فَيَفْتَخِرُونَ عَلَيَّ عَقْبِي ، فَإِنَّكَ إِنْ أَظْهَرْتَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَصَّكَ بِهِ أَبُوكَ شَيْئاً قَتَلْتِكَ ، كَمَا قَتَلْتَ هَابِيلَ .

فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة ، حتى بعث الله نوحاً عليه السلام ، وظهرت وصية هبة الله حين نظروا في وصية آدم عليه السلام ، فوجدوا نوحاً عليه السلام نبياً قد بشر به آدم عليه السلام ، فأمنوا به وصدَّقوه واتبَعوه ، وقد كان آدم عليه السلام وصى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة فيكون يوم عيدهم

فيتعاهدون نوحاً وزمانه الذي يخرج فيه ، وكذلك جاء في وصية كل نبي ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم ، وكان بين آدم ونوح ﷺ من الأنبياء مستخفين ؛ ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء ، وهو قول الله عز وجل : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (١) ، يعني : لم اسم المستخفين كما سميت المستعلنين من الأنبياء .

فمكث نوح ﷺ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد ، ولكنه قدم على قوم مكذبين للأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم ﷺ ، وذلك قوله عز وجل : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) ، يعني : من كان بينه وبين آدم .

ثم إن نوحاً ﷺ لما انقضت نبوته واستكملت أيامه أوحى الله عز وجل إليه أن : يا نو ، قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك فأني لن أقطعها ، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين آدم ، ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يُعرف به ديني ويعرف به طاعتي ، ويكون نجاة لمن يولد فيما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر .

فأوصى نوح إلى سام ابنه وبشر ساماً يهوديًّا ﷺ ، فكان بين نو وهود من الأنبياء ﷺ [مستخفين ومستعلنين] (٣) ، وقال نو ﷺ : إن الله باعث

(١) سورة النساء ٤ : ١٦٤ .

(٢) سورة الشعراء ٢٦ : ١٠٥ .

(٣) أضفناها من كمال الدين والبحار .

نبيّاً يقال له : هود ، وإنه يدعو قومه إلى الله عزّ وجلّ فيكذبونه ، والله عزّ وجلّ مهلكهم بالريح ، فمن أدركه منكم فليؤمّن به وليتبعه ، حتّى ينجيّه الله من عذاب الريح ، وأمر نوح عليه السلام ابنه ساماً أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة فيكون يومئذٍ عيداً لهم ، فيتعاهدون فيه [بعث هود وزمانه الذي يخرج فيه فلما بعث الله تبارك هوداً نظروا فيما] (١) عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وموارث العلم وآثار علم النبوّة فوجدوا هوداً نبياً وقد بشر به أبوهم نوح عليه السلام فآمنوا به وصدّقوه فنجوا من عذاب الريح ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٢) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣) الآية .

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ (٥) ؛ لنجعلها في

أهل بيته ، ﴿وَتُوحَا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (٦) ؛ لنجعلها في أهل بيته .

وأمر (٧) - يعني هود - العقب من ذريّته (٨) الأنبياء عليهم السلام من كان قبل

إبراهيم لإبراهيم عليه السلام ، فكان بين إبراهيم وهود من الأنبياء عليهم السلام ، وهو قوله :

﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (٩) .

(١) أضفناها من كمال الدين والبحار .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٦٥ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ١٢٣ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٣٢ .

(٥ و ٦) سورة الأنعام ٦ : ٨٤ .

(٧) كذا في النسخ والكافي ، وفي بعض نسخ الكافي وباقي المصادر : آمن .

(٨) في البحار وكمال الدين : ذريّة .

(٩) سورة هود ١١ : ٨٩ .

وقوله سبحانه: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ (١) الآية .

وقوله عز وجل: ﴿وإبراهيمَ إذ قال لقومه أعبدوا الله﴾ (٢) الآية .

فجرى بين كل نبين عشرة أنبياء (٣) وتسعة وثمانية أنبياء (٤) وكلهم أنبياء، وجرى لكل نبي ما جرى لنو عليه السلام، وكما جرى لآدم وهود وصالح وشعيب وإبراهيم، حتى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليه السلام، ثم صارت من بعد يوسف في أسباط (٥) إخوته، حتى انتهت إلى موسى عليه السلام، فكان بين يوسف وبين موسى عليه السلام (عشرة) (٦) من الأنبياء عليهم السلام .

فأرسل الله موسى وهارون عليه السلام إلى فرعون وهامان وقارون، ثم أرسل الرسل ترى: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ (٧) .

وكانت بنو إسرائيل تقتل نبياً واثنان قائمان، وتقتل اثنين وأربعة قيام، حتى أنه كان ربما قتلوا في اليوم الواحد سبعين نبياً، ويقوم سوق قتلهم (٨) آخر النهار .

فلما نزلت التوراة على موسى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ، وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء، وكان وصي موسى يوشع بن نون وهو فتاه الذي ذكره الله تعالى في كتابه (٩)، فلم تزل الأنبياء تبشر بمحمد ﷺ حتى

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ : ١٦ .

(٣) (٤ و٥) كذا في النسخ والكافي، وفي باقي المصادر: «آباء» بدل أنبياء .

(٦ و٧) كذا في النسخ والكافي، وفي باقي المصادر: الأسباط .

(٧) سورة المؤمنون ٢٣ : ٤٤ .

(٨) كذا في النسخ والمصادر، وفي البحار: سوق بقلهم .

(٩) سورة الكهف ١٨ : ٦٢ .

بعث الله تعالى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله ، وذلك قوله تعالى : ﴿يَعِدُّوَنَهُ﴾ ، يعني : اليهود والنصارى . ﴿مَكْتُوبًا﴾ ، يعني : صفة محمد صلى الله عليه وآله . ﴿عِنْدَهُمْ﴾ يعني : ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١) ، وهو قوله عز وجل يخبر عن عيسى عليه السلام : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢) . وبشّر موسى وعيسى بمحمد صلى الله عليه وآله ، كما بشّر الأنبياء بعضهم ببعض حتى بلغت محمدًا صلى الله عليه وآله . فلما قضى محمد صلى الله عليه وآله نبوته واستكملت أيامه أوحى الله إليه يا محمد ، قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب عليه السلام فإنني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب عن ذريتك ، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين آدم عليه السلام . وذلك قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) .

وإن الله تعالى لم يجعل العلم جهلاً ، ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه لا إلى ملك مقرب ، ولا إلى نبي مرسل ، ولكنه أرسل رسولا من ملائكته [إلى نبيه]^(٤) ، فقال له : قل كذا وكذا فأمرهم بما يحب ونهاهم عما يكره ، فقص عليهم أمر خلقه بعلم ، فعلم ذلك العلم وعلم أنبياءه وأصفياه من

(١) سورة الأعراف : ٧ : ١٥٧ .

(٢) سورة الصف : ٦١ : ٦ .

(٣) سورة آل عمران : ٣ : ٣٣ - ٣٤ .

(٤) لم ترد في النسخ والكافي ، أضفناها من البحار وكمال الدين .

الأنبياء والإخوان، والذرية التي بعضها من بعض، فذلك قوله عز وجل :
﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَلْكَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (١).

فأما الكتاب فهو النبوة، وأما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء من الصفة، وأما الملك العظيم فهم الأئمة من الصفة، وكل هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض والعلماء الذين جعل فيهم البقية وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق حتى تنقضي الدنيا، فهذا شأن الفضل من الصفة والرسول والأنبياء والحكماء وأئمة الهدى والخلفاء الذين هم ولاة أمر الله، وأهل [٢] استنباط علم الله، وأهل آثار علم الله من الذرية التي بعضها من بعض من الصفة بعد الأنبياء .

فمن اعتصم بهؤلاء الفضل انتهى بعلمهم (٣) ونجا بنصرتهم، ومن وضع (ولاية أمر) (٤) الله وأهل استنباط علمه في غير الصفة من بيوتات الأنبياء، فقد خالف أمر الله وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلفين بغير هدى من الله وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله، فقد كذبوا على الله ورسوله ﷺ، ورجبوا عن وصيه وطاعته (٥) ولم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله، الخبر، إلى أن قال عليه السلام :

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَسَأَلَ لَهُمْ أَجْرَ الْمُوَدَّةِ وَأَجْرَى لَهُمُ الْوِلَايَةَ وَجَعَلَهُمْ أَوْصِيَاءَهُ وَأَحْبَاءَهُ ثَابِتَةً (٦) بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ (٧)، فَاعْتَبِرُوا أَيُّهَا

(١) سورة النساء ٤ : ٥٤ .

(٢) أضفناها من المصدر .

(٣) في «م» : بعلمهم .

(٤) في البحار وكمال الدين : ولاية .

(٥) لم ترد في «م» .

(٦) كذا في النسخ والكافي وكمال الدين، وفي بعض نسخ كمال الدين هكذا: وهجه ثابتة.

(٧) في البحار العبارة هكذا : في أمته من بعده .

الناس فيما قلت؛ حيث وضع الله ولايته وطاعته ومودته واستنباط علمه وحججه، فإياه فتقبلوا وبه فاستمسكوا تنجوا به، وتكون لكم الحجة يوم القيامة»^(١)، الخبر.

ولا يخفى دلالة على ما نحن فيه، وصراحته في دوام الوصية في الذرية الطاهرة من آدم عليه السلام، وكتمان بعض تقيته، وإعلان بعض عند الإذن من الله، كما هو بعينه في هذه الأمة، وسيأتي تبيانها في فصل الوصية.

وقوله عليه السلام: «إن الله لم يجعل العلم جهلاً» رد على من قال بأن الله بين بعض أحكامه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وفوض الباقي إلى ظنون المجتهدين وأفكارهم واجتهاداتهم الظنية، وأمر من لم يبلغ درجة الاجتهاد باتباع ظنون هؤلاء المجتهدين.

وملخص الكلام أن الظن قد يكون باطلاً فيكون جهلاً؛ لعدم مطابقته الواقع، فتأمل.

الرابع عشر: منقولات غريبة مؤيدات للمقصود أحبينا ذكرها هاهنا:

أحدها: ما نقله الكراجكي^(٢) في كتاب كنز الفوائد: عن علي بن محمد البغدادي، عن أحمد بن محمد الجوهري، عن محمد بن لاحق بن سابق، [عن هشام بن محمد السائب الكلبي]^(٣)، عن أبيه، عن الشرقي بن

(١) الكافي ٨: ٩٢/١١٣، كمال الدين ١: ٢٢/٢١٣، بحار الأنوار ١١: ٤٩/٤٣، بتفاوت في بعض الألفاظ.

(٢) في النسخ: ابن الكراجكي، والظاهر زيادة «ابن» وهو محمد بن علي بن عثمان الكراجكي يكتنأ أبا الفتح، عالم فاضل، متكلم فقيه محدث، ثقة جليل القدر، له كتب، منها: كنز الفوائد، ومعدن الجواهر، ورياضة الخواطر وغيرهما، توفي سنة ٤٤٩ هـ.

انظر: أمل الآمل ٢: ٨٥٧/٢٨٧، الكنى والألقاب ٣: ٨٨، لؤلؤة البحرين: ١١٢/٣٣٧، روضات الجنات ٦: ٥٧٩/٢٠٩.

(٣) في النسخ: لاحق بن سابق عن أبيه. والصواب ما أثبتناه، كما جاء ذلك في المصادر.

القطامي، عن تميم بن وعلة المري، عن الجارود بن المنذر العبدي^(١)، ونقله أيضاً الكلبي^(٢) من علماء العامة بلا واسطة، عن الشرقي، عن تميم، عن الجارود، وقد نقله غيرهما أيضاً، ونحن نذكر من كل نسخة ما هو الأضبط الأظهر:

قال تميم: وكان الجارود نصرانياً فأسلم عام الحديبية وحسن إسلامه، وكان قارئاً للكتب، عالماً بتأويلها، بصيراً بالفلسفة والطب، ذا رأي أصيل ووجه جميل، فأنشأ يحدثنا في أيام عمر بن الخطاب.

قال: وفدت على رسول الله ﷺ في رجال من عبد القيس، فلما بصروا به راعهم منظره ومحضره فصدّهم عن بيانهم، فاستقدمت دونهم إليه فوقفت بين يديه، فقلت: سلام عليك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! ثم أنشأت أقول، وذكر أشعاراً في مدحه ﷺ، منها:

أنبأنا الأولون باسمك فينا وبأسماء أوصياء كرام^(٣)

قال: وكان عنده رجل لم أكن أعرفه، فقلت: من هو؟ قالوا: سلمان الفارسي ذو البرهان العظيم، والشأن القديم.

(١) هو بشر بن عمرو بن حنش بن المعلّى العبدي، يكنى أبا المنذر، وقيل: أبا غياث، سيّد عبد القيس، مات سنة ٢٠ هـ.

انظر: أسد الغابة ١: ٦٥٧/٣١١، الأعلام ٢: ٥٥.

(٢) هو محمّد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، يكنى أبا النظر، عالم بالتفسير والأخبار وأنساب العرب وأحاديثهم، من أهل الكوفة، له كتب منها: كتاب تفسير القرآن، مات سنة ١٤٦ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤: ٦٣٤/٣٠٩، تهذيب التهذيب ٩: ٢٦٨/١٥٧، الأعلام ٦: ١٣٣.

(٣) مقتضب الأثر: ٣٣، كنز الفوائد ٢: ١٣٧ وفيهما:

أنبأ الأولون باسمك فينا وبأسماء بعده تتلألاً

فقال سلمان: وكيف عرفت رسول الله يا أخا عبد القيس من قبل إتيانه؟ فأقبلت على رسول الله ﷺ، وهو يتلألاً ويشرق وجهه نوراً وسروراً، فقلت: يا رسول الله، إن قسماً كان ينتظر زمانك، ويتوكف إبانك، ويهتف باسمك واسم أبيك وأمك وبأسماء لست أصيبتها معك، ولا أراها فيمن أتبعك.

قال سلمان: فأخبرنا.

وفي رواية الكلبي بعد نقل الأشعار:

فقال رسول الله ﷺ: أفياكم من يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟ فقلت: كلنا نعرفه يا رسول الله، غير أنني من بينهم عارف بخبره وواقف على أثره، فقال سلمان: فأخبرنا.

قال: فأنشأت أحدثهم ورسول الله ﷺ يسمع والقوم سامعون واعون، فقلت: يا رسول الله، لقد شهدت قسماً وقد خرج من نادٍ من أندية أباد، وهو مشتمل على نجاد، فوقف في إضحيان ليلٍ كالشمس رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه، فدنوت منه فسمعته يقول: اللهم رب السموات الأربعة، والأرضين الممرعة بحق محمدٍ والثلاثة المحامدة معه، والعليين الأربعة، وسبطيه المنيعه^(١) الأربعة الفرعة، السري الألمعة، وسمي الكليم الضرعة، والحسن ذي الرفعة، أولئك النقباء الشفعة، والطريق المهيبة، دَرَسَة الإنجيل، وحفظة التنزيل على عدد النقباء من بني إسرائيل، مُحَاة الأضاليل، ونُفَاة الأباطيل، والصادقوا القيل، فهم أول البداية، وعليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة، ولهم من الله فرض الطاعة، اسقنا غيثاً مغيثاً.

ثم قال: اللهم ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي.

(١) في هامش النسخ: النبعة.

قال الجارود: ثم قلت: يا رسول الله، أنبئني أنباك الله بخير عن هذه الأسماء التي لم نشهداها وأشهداها قس؟^(١)

فقال رسول الله ﷺ: «يا جارود، ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلي أن: سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ فقلت لهم: على ما بعثتم؟ فقالوا: بنبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما، ثم أوحى الله إلي أن: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضا^(٢) من نور يصلون، فقال لي الرب تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي».

فقال لي سلمان: هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزرور^(٣)، الخبر.

ولنوضح بعض كلماته: القيس، والقسيس: كبير النصارى وعالمهم، ولا ينافيه تسمية الرجل به.

ويقال: توكف الخبر إذا انتظر وكفه، أي: وقوعه.

والنجد ك: «كتاب»: حمائل السيف.

(١) في المصادر: وأشهدنا قس ذكرها.

(٢) أصل الضحضا بمعنى الماء، وكأنه استعير لكل ما يشمل الشيء ويفمسه من كل جهة كالنور والنار والظلمة. وفي لسان العرب: ضحضا بمعنى: كثير في لغة هذيل، لسان العرب ٢: ٥٢٥، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣: ٧٥، الصحاح للجوهري ١: ٣٨٥.

(٣) كنز الفوائد ٢: ١٣٦، مقتضب الأثر: ٣٢، الأربعين للمجلسي: ٢٣٩، بحار الأنوار ١٨: ٣/٢٩٣، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٤٩ - ٣٥٠، وفيه عن الكلبي بتفاوت.

وليلة إضحائية - بالكسر - : مُضِيَّة .

والأرفعة : جمع الرفيع .

وأمرع الوادي : أكلاً .

والسري ك: «غني»: النهر الصغير، وهو كناية عن جعفر عليه السلام؛ لأنه أيضاً في اللغة بمعنى النهر الصغير .

واللأبي ك: «السعي»: الإبطاء، وفي بعض النسخ ليس قوله: (اسقنا غيثاً مغيثاً) .

وفي رواية الكلبي بدل قوله: «وسبطيه النبعة - إلى قوله - وسمي الكليم هكذا: «فاطمة والحسين الأبرعة، وجعفر وموسى التبعة وسمي الكليم». والأصح ما نقلناه .

وفي بعض النسخ ليست كلمة «والحسن ذو الرفعة» ولعلها سقطت من قلم بعض النسخاء للزوم ذكره الحسن العسكري عليه السلام أيضاً .

ويحتمل على النسخة الخالية عنها أن يكون «الأرفعة الفرعة» كناية عنه عليه السلام؛ لكونه فرع الحسن والحسين عليهما السلام من حيث التسمية والنسب جميعاً، أو لكون «الفرعة» أيضاً بمعنى ذي الفرع، كما هو الظاهر المتبادر .

ولا يخفى أن مهدي هذه الأمة فرعه الحقيقي، ثم يحتمل بناءً على وجود «والحسن» كون «الأرفعة الفرعة» كناية عن فاطمة عليها السلام، لكن بناءً على هذه الاحتمالات كلها لابد من وجود الواو بأن يكون «والأرفعة الفرعة» كما هو ظاهر، والأظهر كونه صفةً للسبطين؛ لكون ذرية الرسول صلى الله عليه وآله منهما، وكذا الأظهر عدم ذكر فاطمة عليها السلام، كما يشعر به قوله: «عدد النقباء»

وأمثاله بعد بيانه صريحاً اسم رسول الله ﷺ على حدة ، فتأمل .

وثانيها : ما ذكره السدي^(١) من قُدماء المفسرين في تفسيره : أن سارة لما كرهت مكان هاجر أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال : انطلق بإسماعيل وأمه حتى تنزل بيتي^(٢) التهامي - يعني مكة - فأني ناشر ذرّيته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي ، وجاعل منهم نبياً عظيماً ، ومظهره على الأديان ، وجاعل من ذرّيته اثني عشر عظيماً ، وجاعل ذرّيته عدد نجوم السماء^(٣) .

وثالثها : ما ذكره جمع ، منهم : الكراجكي في كنز الفوائد^(٤) من عبارة التوراة ، وذكرها الشيخ العلامة باقر علوم أهل البيت عليه السلام ، وقال : سمعت من جماعة من ثقات أهل الكتاب أنها موجودة في توراتهم الآن ، وقد ذكرها أيضاً بعض علماء اليهود بعد إسلامه في رسالته التي أَلْفَهَا في بشارات الله وأنبيائه بمجيء نبينا ﷺ ، وقد صرّح جمع بأنه في السفر الأول من التوراة في ذكر البشارة لإبراهيم عليه السلام في قبول دعائه في حق إسماعيل عليه السلام ، وهي

(١) السدي - بضم السين وتشديد الدال المهملتين - نسبة إلى السدّ موضع في المدينة ، وهو : إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي التابعي الكوفي ، يكنى أبا محمّد ، المعروف بالسدي الكبير صاحب التفسير ، أصله حجازي ، كان عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، مات سنة ١٢٧ هـ .

انظر : طبقات المفسرين ١ : ١٠١/١١٠ ، الأعلام ١ : ٣١٧ ، معجم الأدباء ٧ : ٢٠٣/١٣ .
(٢) كذا في النسخ ، وفي إحقاق : الحق «بيت النبي» وفي البحار : «بيت» ، وفي الأربعين للماحوزي : «البيت» .

(٣) انظر : الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ١ : ٢٦٩/٢٥٣ ، إحقاق الحق للقاضي التستري ٧ : ٤٧٨ ، بحار الأنوار للمجلسي ٣٦ : ١٦/٢١٤ ، الأربعون حديثاً للماحوزي : ٣٩٠ .

(٤) ذكر الكراجكي هذه العبارة في كتابه الاستبصار (الاستنصار) في النص على الأئمة الأطهار عليه السلام : (ضمن ميراث حديث الشيعة ج ٢) ١٢٤ .

هكذا: وَلِيَشْمَعِيلَ شَمَعْتِيخَا، وفي بعض النسخ: شَمَعْتِكْ هِينَه بَرَخْتِي أوثو، وهيفرّيتي أوثو، وهيبريتّي، وفي بعض النسخ الصحيحة: هيبريتّي، وهو أظهر، بماذا، وفي بعض النسخ: بماؤد ماؤد شَنِيم عاسار نسيئيم يُوليد، وتَيِّثُولُكُؤَي كَادُول، وفي بعض النسخ: كَذُول^(١).

قال الشيخ العلامة: وسمعت هؤلاء الثقات من أهل الكتاب يترجمونها هكذا، وفي إسماعيل أَسْمَعْتِكْ أُنِّي بَارَكْتَ إِيَّاه، وأوفرت إِيَّاه وأكثرت إِيَّاه بغاية الغاية اثني عشر رؤساء يولدون ووهبته قوماً عظيماً.

ثم قال ﷺ: إِنَّ تَفْسِيرَهُمْ: بغاية الغاية مبني على نسخة ماود ماود. والظاهر أنه تحريف من اليهود لفظاً ومعنى؛ إذ الذي يظهر من الأخبار أن ماذ ماذ اسم محمد ﷺ بالعبرانية، فالمعنى: أكثرت نسل إسماعيل عليه السلام بسبب محمد ﷺ.

ثم قال: وبناءً على تحريفهم أيضاً المراد بغاية الغاية هو النبي ﷺ بالعبرانية^(٢)؛ لأنه في غاية الغاية من الكمال^(٣).

وقال العالم - الذي ذكرنا أنه أسلم - في رسالته المذكورة: إن العلماء المفسرين للعبرانية اختلفوا في «ماذ ماذ»، فمنهم من فسره بمحمد ﷺ، ومنهم من فسره بأحمد أحمد، ومنهم من فسره بعظيم عظيم.

قالوا: إن قوله: «يشمعيل» بمنزلة إسماعيل، «وشمعتيخا» بمنزلة^(٤)

(١) انظر: الاستبصار (الاستنصار) في النص على الأئمة الأطهار ﷺ: (ضمن ميراث

حديث الشيعة ج ٢) ١٢٤، الصراط المستقيم ٢: ٢٣٨ - ٢٣٩، الأربعين في إمامة

الأئمة الطاهرين للشيرازي: ٣٥٨، بحار الأنوار ٣٦: ١٦/٢١٤، بتفاوت.

(٢) لم ترد في «ن».

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣٦: ١٦/٢١٤.

(٤) في «م»: بمعنى.

سمعتك ، و«خا» في العبرية بمنزلة كاف الخطاب ، و«هيئته» بمنزلة : ها أنا ، و«برختي» للمتكلّم وحده أيضاً أوليها بمنزلة باركت ، و«أوتو» ضمير الغائب بمنزلة : إيّاه ، و«هيفرتي» و«هيبرتي» للمتكلّم وحده أيضاً : أولاهما بمنزلة : أوفرت وأثمرت ، والأخرى بمنزلة : كثرت وأكثرت ، و«شنيم عاسار» بمنزلة : اثني عشر ، و«نسيثيم» جمع نسيء بمعنى^(١) شريف ، وعلامة الجمع في العبرانية الميم ، و«ونتيتو» - وفي بعض النسخ «ونئيتو» بمنزلة : وهبته وأعطيته ، و«لكوي» بمنزلة القوم ، و«كادول» أو «كدول» بمنزلة : عظيم وكبير . وفي إسماعيل سمعت دعاءك ها أنا باركته وأثمرته ، وكثرته بعظيم عظيم ، أو بمحمد ﷺ اثني عشر شريفاً يولدون منه ، وأعطيته لقوم عظيم كبير^(٢) . قال الكراجكي : وهذا نص صريح على ساداتنا الأئمة ، وإبانة عن تشريف منزلتهم ؛ لأنّ رتبة التعظيم والتشريف المخصوص بهذه العدة المخصوصة غير موجودة إلاّ فيهم من بين جميع ولد إسماعيل ، ولا نعلم اثني عشر يدعون ذلك في أنفسهم غيرهم^(٣) ، انتهى ، فتأمل جدّاً .

ورابعها : ما رواه جمع منهم : الشيخ النبيه الشيخ أحمد^(٤) في كتاب مقتضب الأثر عن ثوبة بن أحمد الموصلي ، عن الحسين بن الحرّاني ، عن موسى بن عيسى الإفريقي ، عن هشام بن عبدالله الدستوائي ، عن عمرو بن

(١) في «ن» : بمنزلة .

(٢) و(٣) الاستنصار ، للكراجكي (ضمن ميراث حديث الشيعة ج ٢) : ١٣٠ - ١٣٤ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش الجوهري ، يكنى أبا عبدالله ، وكان جدّه وأبوه من وجوه أهل بغداد أيام آل حمّاد ، له كتب منها : مقتضب الأثر ، والأغسال ، وأخبار أبي هاشم ، توفي سنة ٤٠١ هـ .

انظر : رجال النجاشي : ٢٠٧/٨٥ ، الفهرست للطوسي : ٣٧/٩٩/٧٩ ، (باب

الهمزة) ، كتاب الرجال لابن داود ٢ : ٤١/٢٢٩ .

شمر، عن جابر الجعفي^(١)، قال: سمعت سالم بن عبدالله^(٢) بن عمر بن الخطاب يحدث أبا جعفر محمد بن علي^{عليه السلام} بمكة، قال: سمعت أبي عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله^{صلى الله عليه وآله} يقول:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ خَلَقْتَ فِي الْأَرْضِ فِي أُمَّتِكَ؟ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ - قُلْتُ: يَا رَبِّ، أَخِي، قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^{عليه السلام}؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا، فَلَا أَذْكَرُ حَتَّى تُذْكَرَ مَعِيَ، أَنَا الْمَحْمُودُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً أُخْرَى، فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَجَعَلْتَهُ وَصِيكَ، فَأَنْتَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، ثُمَّ اشْتَقَقْتُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي فَأَنَا الْأَعْلَى وَهُوَ عَلِيٌّ.

يا محمد، إنني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من نور واحد، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة وغيرهم، فمن قبلها كان من المقربين، ومن جحدها كان من الكافرين.

يا محمد، لو أن عبداً من عبيدي عبدني، حتى ينقطع، ثم لقيني جاحداً لولايتهم أدخلته ناري.

ثم قال: يا محمد، أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم، قال: تقدّم أمامك، فتقدّمت أمامي فإذا عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعليّ بن الحسين

(١) هو جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، يكتى أبا عبدالله، من أصحاب الباقر والصادق^{عليهما السلام}، ثقة جليل، صاحب الأسرار والكرامات، وخدم الباقر^{عليه السلام} ثمانية عشرة سنة. له كتب منها: التفسير، وال نوادر، والفضائل. توفي سنة ١٢٨ هـ.
(٢) هو أبو عمر القرشي المدني كان يشبه أباه في السمات والهدى، وكان يخضب بالحناء، وكان من الثقات. انظر: الثقات لابن حبان ٤: ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ٤:

ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وعليّ بن محمد والحسن بن عليّ والحُجّة القائم عليه السلام كأنه كوكب دريّ في وسطهم، فقلت: يا ربّ، من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم، يحلّ حلاليّ ويحرّم حراميّ وينتقم من أعدائيّ.

يا محمد، أحببه فأبّي أحبه وأحبّ من يحبه».

قال جابر: فلمّا انصرف سالم من الكعبة تبعته فقلت: يا أبا عمر،

أشذك الله هل أخبرك أحد غير أبيك بهذه الأسماء؟

فقال: اللهم، أمّا الحديث عن رسول الله ﷺ فلا، ولكنّي كنت مع

أبي عند كعب الأخبار^(١) فسمعته يقول: إنّ الأئمة من هذه الأمة بعد نبيّها على عدد نقباء بني إسرائيل، وأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال كعب: هذا المقضي^(٢) أوّلهم وأحد عشر من ولده، وسماهم كعب بأسمائهم في التوراة: تقويث، قيذو^(٣)، فيبراء، مفسورا، مسموعا، دوموه، مشيو، هذار، يثيمو، بطور، نوقس، قيذمو^(٤).

قال أبو عامر هشام الدستوائي - الراوي لهذه الحكاية عن عمرو بن

شمر الراوي عن جابر - : لقيت^(٥) يهودياً بالحيرة يقال له: عثوا بن أوّسو، وكان حبر اليهود وعالمهم، فسألته عن هذه الأسماء وتلوتها عليه، فقال

(١) هو كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، يكتنّى أبا إسحاق، المعروف بكعب الأخبار، كان في الجاهليّة من كبار علماء اليهود في اليمن، وقدم المدينة في دولة عمر، ثمّ رحل إلى الشام، ومات سنة ٣٢ هـ في مدينة حمص.
انظر: الإصابة ٣: ٧٤٩٦/٣١٥، والأعلام ٥: ٢٢٨.

(٢) لم ترد في «م» وفي المصادر: «المقفي».

(٣) في «ش» و«م»: قيذوا.

(٤) في «ن»: قيذمو.

(٥) في «ن» و«س»: زيادة: أنا.

لي: من أين عرفت هذه النعوت؟ قلت: هي أسماء، قال: ليست أسماء ولكنها نعوت لأقوام، وأوصاف بالعبرانية صحيحة، نجدها عندنا في التوراة، ولو سألت عنها غيري لعمي عن معرفتها أو تعامى.

قلت: ولم ذلك؟

قال: أما العمي فللجهل بها، وأما التعامى؛ فثلاً يكون على دينه ظهيراً وبه خبيراً، وإنما أقررت لك بهذه النعوت؛ لأنني رجل من ولد هارون بن عمران، مؤمن بمحمد ﷺ، أسر ذلك عن بطانتي من اليهود الذين لم أظهر لهم الإسلام، ولن أظهره بعدك لأحد حتى أموت.

قلت: ولم ذلك؟

قال: لأنني أجد في كتب آبائي الماضين من ولد هارون أن لا يؤمن بهذا النبي الذي اسمه محمد ظاهراً ونؤمن به باطناً، حتى يظهر القائم المهدي من ولده، فمن أدركه منا فليؤمن به، وبه نعت الأخير من الأسماء.

قلت: وبم نعت؟

قال: نعت بأنه يظهر على الدين كله، ويخرج إليه المسيح فيتدين به، ويكون له صاحباً.

قلت: فانت لي هذه النعوت؛ لأعلم علمها:

قال: نعم فِعِي عَنِّي وَصْنُهُ إِلَّا عَن أَهْلِهِ وَمَوْضِعُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أما تقويث، فهو أول الأوصياء ووصي آخر الأنبياء.

وأما قيذو، فهو ثاني الأوصياء وأول العترة الأصفياء.

وأما دبيرا، فهو ثاني العترة وسيد الشهداء.

وأما مقسوراً، فهو سيد من عبد الله من عباده.

وأما مسموعاً، فهو وارث علم الأولين والآخرين.

وأما دوموه، فهو المدرة الناطق عن الله الصادق.

وأما مشيو^(١)، فهو خير المسجونين في سجن الظالمين.

وأما هذار، فهو المنخوع بحقه الناز الأوطان الممنوع.

وأما يثمو^(٢)، فهو القصير العمر الطويل الأثر.

وأما بطور، فهو رابع اسمه.

وأما نوقس، فهو سمي عمه.

وأما قيذمو^(٣)، فهو المفقود من أبيه وأمه، الغائب بأمر الله وعلمه

والقائم بحكمه^(٤).

أقول: في القاموس: المدرة - كمنبر - السيد الشريف المقدم.

والمنخوع - بالنون أو بالباء والخاء المعجمة - أي: الذي أقرّوا بحقه ومنعوه

منه وأخرجوه عن وطنه، وهي أوصاف الرضا عليه السلام^(٥).

وفي القاموس: بَخَعَ بَحَقِي - كمنع - أقرّ، وقال: بَخَعَ بِالْحَقِّ بَخُوعاً

أقرّبه وخشع له^(٦).

وقال: نز - كمنع وضرب - : بَعُدَ^(٧).

ثم إن الذي وصل إلينا من تلك الكلمات هكذا، ولا يمتنع وقوع

الاشتباه والتصحيف في بعضها، والله أعلم.

(١) في «م»: مشيوا.

(٢) في «ش»: يثيموا.

(٣) في «م» و«ش»: قيذمووا.

(٤) مقتضب الأثر: ٢٦، بحار الأنوار ٣٦: ٢١/٢٢٢ بتفاوت يسير.

(٥) لم نعثر عليه في القاموس، وحكاه عنه المجلسي في بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٦) القاموس ٣: ٣ - بَخَع - .

(٧) القاموس ١: ٣٤٦ - نَزَح - .

وخامسها : ما رواه أيضاً في كتاب المقتضب عن ثوبة الموصلي (١) ، عن الحسن بن أحمد بن حازم ، عن حاجب بن سليمان أبي موزج ، قال : لقيت بيت المقدس عمران بن خاقان الوafd إلى المنصور وقد أسلم على يده ، وكان قد حجَّ اليهود ببيانه وعلمه ، وكانوا لا يستطيعون جحده لما في التوراة من علامات رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده ، فقال لي يوماً (٢) : يا أبا موزج ، إننا نجد في التوراة ثلاثة عشر اسماً ، منها (٣) : محمد واثنا عشر بعده من أهل بيته ، وهم أوصياؤه وخلفاؤه المذكورون في التوراة ليس فيهم القائمون بعده من تيم ولا عدي (ولاغيرهما) (٤) ، وإني لأظنَّ ما تقوله هذه الشيعة حقاً .

قلت : فأخبرني به ؟ قال : لتعطيني عهد الله وميثاقه أن لا تخبر الشيعة بشيء من ذلك فيظهره عليّ .

قلت : وما تخاف من ذلك والقوم من بني هاشم ؟

قال : ليست أسماؤهم أسماء هؤلاء ، بل هم من ولد الأوّل منهم (٥) ، وهو محمد ﷺ ومن بقيته في الأرض من بعده ، فأعطيته ما أراد من الموائيق . وقال لي : حدّث به بعدي إن تقدّمتك ، وإلا فلا عليك أن لا تخبر به أحداً ، ثم قرأ من التوراة ما ترجمته : أن شموعيل (٦) يخرج من صلبه ابن مبارك صلواتي عليه و قدسي ، يلد اثني عشر ولداً يكون ذكركم باقياً إلى يوم

(١) لم نثر على ترجمة ثوبة الموصلي ، والحسن بن أحمد بن حازم ، وحاجب بن سليمان أبي موزج .

(٢ و ٣) لم ترد في «م» .

(٤) كذا في النسخ ، وفي المصادر : «بني أمية» .

(٥) لم ترد في «م» .

(٦) في «م» : شموعيل .

القيامة وعليهم القيامة تقوم^(١)، طوبى لمن عرفهم بحقيقتهم^(٢).

أقول: ولعل عدّ الاثني عشر من ولده عليه السلام على تقدير عدم تطرق التحريف إليه على سبيل التغليب أو التجوز؛ لكون النبي عليه السلام والد الأمة، لا سيما الإمام الذي هو أصل الأمة، فتأمل.

وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده هاهنا؛ لأن كثرة الأخبار المناسبة لما نحن فيه مما لا تستقصى كثرة، وفيما ذكرناه تبصرة لمن أراد التبصر، وستأتي أيضاً بعض الأخبار المفيدة لأهل الاستبصار فيما يقتضيه المقام ويحتاج إليه توضيح المرام، وإذ فرغنا من أحاديث الفاتحة فلنشرع الآن في ذكر فهرست مباحث الكتاب:

اعلم أننا رتبنا هذا الكتاب - كما أشرنا^(٣) سابقاً - بعد فاتحته المذكورة على مقدمة، وفيها تبيان وخمسة أبواب في كل باب فصول، وعلى مقصدين، في كل واحد منهما اثنتا عشرة مقالة وفي المقالة الأخيرة من المقصد الأول اثنا عشر فصلاً، وعلى خاتمة فيها فصلان، وعلى ختام نختم به الكتاب، وقد يشتمل بعض ما ذكر على مباحث ومطالب وغيرها مما^(٤) لم نذكرها في الفهرست، وتفصيل الفهرست هكذا:

أما المقدمة: ففي بيان جريان عادة الله بامتحان العباد، وذكر نبذ من أعظم ما^(٥) امتحن الله به الخلائق في هذه الدنيا، مما لبيانه مدخل في توضيح جمّة من مقدمات دليلنا هذا، بل سائر الأدلّة أيضاً؛ بحيث كان كل

(١) لم ترد في «م».

(٢) مقتضب الأثر: ٣٩، الصراط المستقيم ٢: ٢٣٨، بحار الأنوار ٣٦: ٢٢/٢٢٥.

(٣) في «م» زيادة: إليه.

(٤) لم ترد في «م».

(٥) في «م»: ممّا.

واحد كالمبادئ لها، وكذا في كشف كثير من الشبه التي أوهمت جمهور المخالفين، بحيث منعهم عن فهم ما هو الحق، وقد بينا ما يتعلّق بها في ضمن تبيان وخمسة أبواب:

أما التبيان: ففي توضيح أنّ الله عزّ وجلّ لم يكتب من عباده بمحض دعوى الإيمان، بل امتحن كلّاً منهم بأنواع الامتحان من بدو الخلقة إلى آخر الزمان، وأنّ من ذلك أهل زمان سيّد الإنس والجان، بل نذكر فيه أيضاً بعض ما ورد في أنّ أمر إمامة عليّ عليه السلام من جملة عمدة ما وقع به الامتحان.

الباب الأوّل: في بيان امتحان الله عباده بميل طبائعهم إلى ما نشأوا فيه، واعتادوا به، وشبّوا عليه، مثل: حبّ طريقة آبائهم وأسلافهم وكبرائهم، وأخذ أطوارهم واقتفاء آثارهم، وذكر نهى الله إيّاهم عن ذلك، وأمرهم ببذل الجهد في تحقيق الحقّ وقبوله، وترك الحميّة والعصبية، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: في توضيح كون طبيعة عامّة البشر مجبولة على هذه الحالة في كلّ زمان بحيث إنّها دعت جماعة إلى أن قصدوا^(١) لتحريف الحقّ وإخفائه، وبيان كون متابعة هذه الحالة، منهية عنها، مذمومة، لاسيّما في أمور الدين، وأنّه من أقيح^(٢) صفات الجهّال والضلال والمبطلين، وأطوار الكفّار والمعاندين.

الفصل الثاني: في بيان أنّ الواجب على طالب الحقّ غاية^(٣) بذل

(١) في «ش»: تصدوا.

(٢) في «م»: أوضح.

(٣) في «م»: رعاية.

الجهد في تصفية نيته وتفرغ قلبه عن هذه الحالة وأمثالها، حتى يصير قابلاً لإلهام الحق وإدراكه، وأن الله عز وجل يوفق مثل هذا الشخص لفهم الحق وقوله .

الفصل الثالث : في بيان لزوم الحب في الله والبغض لله، ونصرة دينه وموالاته أوليائه ومعاداة أعدائه .

الباب الثاني : في بيان امتحان الله عباده بميل طبائعهم البشرية إلى شهوات الدنيا، ورغبتهم إلى ما زين لهم الشيطان من مرديات الهوى، لاسيما حب الرئاسة والمال والعز والجاه الذي هو عمدة أسباب التحاسد والتباغض والمنافسات، بل الفتن والاختلافات والنفاق والكذب، بل ذلك أم الفساد في العالم، وبيان شيوع ذلك وشموله كل زمان وكل أحد إلا قليلاً ممن رحمه الله بالعصمة والتوفيق، وذكر [كون]^(١) نهي الله عز وجل إياهم عن ذلك في غاية التوبيخ والتأكيد، بحيث عيّن عليهم في كل عصر من يردعهم^(٢) عن ذلك بالمواعظ والتعزيرات، وقرّر الحدود والتأديبات، ونصب جماعة مخصوصين للرئاسات، وتوضيحه في ضمن فصول ثلاثة :

الفصل الأول : في بيان جمل مما يدل على شيوع هذه الحالات، وابتلاء عامة الناس بها في جميع الأمم السابقة واللاحقة من زمان آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، حتى أهل^(٣) عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعدهم، وذكر كون تلك الحالات من صفات أهل السوء منهم والأشرار دون الأخيار .

الفصل الثاني : في توضيح شدة هذا الشيوع في هذه الأمة، حتى

(١) أضفناها لضرورة السياق .

(٢) في «م» و«ن» : يردّهم .

(٣) لم ترد في «م» .

الصحابة، وبيان وجود خصوص أمراء السوء فيهم، وأنمة الضلالة والمضللين، وأعداء آل محمد صلى الله عليهم أجمعين وحسادهم، والمنافقين وأشباههم، وما ورد في ذم أهل هذه الحالات منهم والتابعين لهم.

الفصل الثالث: في توضيح ما يدل على خصوص النهي عن هذه الحالات، وأن أكثر الفتن والفساد لاسيما في الدين منها، وسائر ما يتعلّق بذلك.

الباب الثالث: في بيان امتحان الله أيضاً عباده بإمهال أهل الدنيا، والظالمين والفراعنة وأمثالهم وأتباعهم، وشدة رواج الباطل ورونق سوقه بحيث يشتهه بالحقّ على الجاهل في الوثوق به من غلبة أهله، وكثرة أبناء الدنيا وشوكتهم، وشدة مصائب أولياء الله، ومتاعب أهل طاعته، وضعف أهل الآخرة وابتلائهم، وكساد الحقّ وبواره بحيث يشتهه بالباطل على الجاهل من ضعف أهله، وقلة أتباعه، وسقوط اعتباره.

وفي ذكر ما ورد من ذمّ الفرقة الأولى، وشدة عذابهم، وعلائم بطلانهم، ولزوم ترك أتباعهم، ومن مد الأخرى، وكونهم مأمورين بالصبر على البلوى، وتحمل الأذى والسلوك مع أبناء الدنيا، والمدارة مع أهل الهوى، وكتمان الحقّ عن الظالمين والأشرار، وستر العلوم عنهم والأسرار. وكذا بيان عموم هذه العادة في جميع الأزمنة من عصر آدم عليه السلام وما بعده، حتّى في هذه الأمة، ولو على سبيل الشدة والضعف، وها نحن نوضح ما يتعلّق بهذا في ضمن فصول خمسة:

الفصل الأول: في بيان اقتضاء حكمة الله ومصطلحته أن يكون لأعدائه ومخالفيه التاركين للحقّ والدين إمهال واستدراج بالغلبة والشوكة،

والتنعم في هذه الدنيا التي هي دار الراحة والتمتع لهم ، وبإقبالها إليهم
توجه أهلها وزخارفها عليهم ؛ ليزدادوا إثمًا وتكون الحجة عليهم تمامًا ،
ويستحقوا^(١) بذلك الهلاك ، وشدة العذاب ، وفي توضيح أن ذلك ليس
من آثار أهل الخير ، بل هو من علامة الجهالة والضلالة ، والسخط من
الله عز وجل ، وأنه تعالى نهى عن هذه الحالات وذم أهلها ولعنهم
وفسقهم .

الفصل الثاني : في بيان اقتضاء الحكمة ابتلاء أولياء الله في الدنيا

وأهل طاعته المتمسكين بالحق واليقين بالمصائب والمتاعب والخوف
والأذى من الجهال وأعداء الدين ، وكونهم في أغلب الأوقات مقهورين ،
وبين الناس في أكثر الحالات مستضعفين ، لاسيما الأنبياء والأوصياء
والصالحين ، بحيث كلما زادت رتبة شخص في العقبى زاد بلاءً وعناءً في
الدنيا ، وفيه ذكر نبذ من مناقب هؤلاء ، وعظيم أجرهم وقربهم عند الله
عز وجل .

الفصل الثالث : في بيان قلة أهل الحق والخير وأصحاب الإيمان

واليقين ، وكثرة أصحاب الجهالة والبطالة المائلين إلى خلاف ما عليه أهل
الدين ، (وكون عامة الناس مع الدنيا وأهلها كيفما قالت وأينما مالت ، بحيث
يتوهم الجاهل أن ذلك هو الحق المبين ، بل يعد أهل الدين)^(٢) من
الجاهلين ، مع أن أصل الكثرة واجتماع العامة من علائم البطالة والضلالة ،
كما أن عكسه علامة الحقيقة والهداية .

الفصل الرابع : في بيان أمر الله عز وجل أولياءه من الأنبياء

(١) في «م» : يستحلوا .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

والأوصياء وأتباعهم ، حتى نبينا محمد ﷺ بالصبر على جفاء الجفأة وأذى العتاة ، والتزام المداراة والتمسك بالكظم والثقة ، وكتم الحق والعلوم والأسرار عن غير أهلها من الجهلة الأشرار ، وفي ذكر ما ورد في مد أهل البيت ﷺ أهل هذه الحالات ، وكونهم على الحق وهم الهداة .

الفصل الخامس : في بيان أن المدار على هذا النوع من الامتحان

وكذا الامتحان الآتي كان في كل زمان ، حتى في هذه الأمة ، كما مر أنه ^(١) كذلك كانت الامتحانات المتقدمة ، وهكذا يكون إلى قيام قائم آل محمد ﷺ ، ونذكر فيه ما يدل على اقتفاء هذه الأمة الأمم السابقة في كل شيء .

الباب الرابع : في بيان ما امتحن الله به أيضاً عباده بحسب اقتضاء

حكيمته ومصالحته ، من خلقهم خلقة متفاوتة بحسب الآراء والأفهام ، متباينة بحسب الأذهان والأحلام ، حتى أنه قلما يقع اتفاق جميع آراء رجلين ، بحيث إنهم لو تركوا وآراءهم ^(٢) وما يدركونه ^(٣) بأفكارهم وأهوانهم ^(٤) لما اجتمعوا على كل حال ، ولا خرجوا عن حد التفرق والاختلاف ^(٥) ، ولما خلصوا من العمى والضلال ، فضلاً عن الاهتداء إلى أحكام الله الحكيم المتعال ، وأنه لأجل هذا حيث أراد الله عز وجل أن يجمعهم ^(٦) على الهدى ، أنعم عليهم بالأنبياء والهداة ؛ لبيّنوا لهم ما هو طريق النجاة ، وما يزيل الشتات من المعارف اليقينيّات ، والأحكام المتقنات المتفقات النازلات

(١) لم ترد في «م» .

(٢) في «م» زيادة : وأفكارهم .

(٣) في «م» : وما يدركون .

(٤) في «م» : وآرائهم .

(٥) في «ش» و«ن» : والاختلال .

(٦) في «م» : يجعلهم .

عليهم عن الله عزّ وجلّ، وأمر سائر الخلق بالتسليم لهؤلاء، وأخذ المعارف والأحكام منهم، ومتابعتهم في جميع الأشياء، وترك التفرّق والاختلاف الحاصل من متابعة الظنون والآراء، مع التصريح بدم^(١) التفرّق والاختلاف، وكونه ضلالة من كلّ فريق وفي كلّ زمان، الدالّ على أنّ حكم الله واحد في أيّ شيء كان، وفيه أنّ كلّ أمة من الأمم افتترقت بعد نبيّها، حتى هذه الأمة، وأنّ الحقّ في واحدة، وذكر جمل من مذاهبهم، وتوضيح هذا أيضاً في ضمن خمسة فصول.

الفصل الأوّل: في بيان عموم تفاوت الآراء في الأنام، واختلاف الأديان والأفهام؛ بحيث صار سبب شتات المذاهب والأحكام^(٢) من بدو الخلقة إلى آخر الأيام، وما ورد في ذمّ الاختلاف والتفرّق، لاسيّما في الدين، وأنّه علامة الهلاكة والضلالة وطريقة المبطلين، وأنّه لم يكن جائزاً أبداً في شريعة أحد من المرسلين.

الفصل الثاني: في بيان أنّ منشأ التفرّق والاختلافات إنّما هو ما ذكرناه، مع الوقوع في الشبهات التي هي من خطوات الشيطان، مثل ما مرّ من متابعة الآباء والأسلاف والهوى والشهوات، وكالتمسك في الدين بالظنّ والتخمين ممّا يدخل تحت الاعتبار العقلية والاجتهادات الظنيّة، وما يفيدته الرأى والقياس والاستحسانات وأمثال هذه التخيلات، التي منها الاعتماد على ما استقرّ عليه الجمهور، وصار من القول والفعل المشهور، بحيث سمّاه الأكثرون إجماعاً، وتلقّوه بالقبول، وإن كان في الأصل بحسب خرص بعض العقول، وذكر ما يدلّ على بطلان هذه الأشياء وعدم كونها

(١) في «م»: بعدم.

(٢) لم ترد في «م».

من سنن الأنبياء .

الفصل الثالث : في بيان أن دأب الأنبياء وأتباعهم إنما كان التسليم لأمر الله وحده وأخذ العلوم والأحكام جميعاً من الله تعالى ، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١) .

الفصل الرابع : في بيان نبذ مما ورد في اختلاف الأمم السالفة ، وتفرقتها عقب نبيها من بعد ما جاءهم العلم ، وأن فرقة منها واحدة كانت ناجية والباقيون هالكون ، مع بيان شردمة من مذاهب تلك الفرق ، وتوضيح كون كل اختلافها بسبب متابعة الأهواء والآراء .

الفصل الخامس : في بيان اختلاف هذه الأمة أيضاً ، حتى من بدء الأمر وأن كلهم هالكون إلا فرقة واحدة وأنها ناجية ، وأنها طائفة لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم ، لا يكفرون ولا يرتدون إلى يوم القيامة ، وبهم يتحقق معنى ما ورد في هذه الأمة من أنها لا تجتمع على الخطأ والضلال ، مع توضيح أن أهل البيت عليهم السلام منها ، بل إنهم أساسها ، مع بيان نبذ من وجوه تشبه هؤلاء بسابقيهم زيناً وشيناً ، وذكر جمّة من مذاهب هذه الأمة ، لاسيما في الأئمة ، وأن أصل سبب هذه المفسدات كلها متابعة الأهواء والآراء ، وتوضيح ما تختص به الإمامية الاثنا عشرية من الاقتصار على التمسك بما ورد عن الله عز وجل ، وترك الاعتماد على ما سوى ذلك أي شيء كان .

الباب الخامس : في بيان ما فيه نوع امتحان أيضاً مما خص الله به هذه الأمة ، وهو أن الله عز وجل لما فضل حبيبه محمداً صلوات الله وسلامه عليه على جميع

النبيين والمرسلين وأرسله رحمةً للعالمين، وأراد أن يكون دينه ناسخاً لسائر الأديان وبقياً إلى يوم الدين، رفع بفضل إحسانه عن أمته عذاب الاستئصال الذي كان قد يصيب الأمم الماضين، وأنه لما كان ذلك مقتضياً لعدم تصريحه بطائفة من أوامره العظام التي كان يعلم أنه إن صرَّ بها حصلت المخالفة ولو من بعضهم، استوجبوا عذاب الاستئصال الذي لم يكن يريد لهم، جعل في بيان تلك الأوامر نوع إجمال، وذكرها على سبيل التعريض دون مُرِّ التصريح، موضحاً لها لأولي البصائر بالقرائن الظواهر، وجعل سبب بقاء من خالف فيها ولو مع التعريض وجود الطائفة المحققة التي تلقوها بالقبول، الذي به يتحقق معنى ما ورد في هذه الأمة من عدم اجتماعهم على الخطأ والضلال، كما حققناه، وفيه ذكر أن أمر إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام من هذا القبيل.

وأما المقصد الأول: ففي بيان تفصيل أجزاء الدليل المذكور، وما يتضح به كل واحد منها، وفيه اثنتا عشرة مقالة:

المقالة الأولى: في بيان ما هو المسلم الثابت عند كل مسلم من وجوب عبادة الله وطاعته بنحو ما كلف بذلك، وأنه هو الأصل في إرسال الرسل ودعوة الأمم.

المقالة الثانية: في بيان ما يلزم من سابقه من وجوب معرفة طريق التعبد، ولزوم تعلم أوامر الله ونواهيه، وذكر جملة من تلك الأشياء التي لا بد من معرفتها وتعلمها.

المقالة الثالثة: في بيان ما يلزم أيضاً من السابق عليه من وجوب

التعليم، ولزوم وجود المعلم المرشد إلى تلك الأشياء التي وقع التكليف بها، ولزوم تعلمها ما دام التكليف ووجوب التعلم.

المقالة الرابعة: في بيان ما هو من لوازم سابقه أيضاً من لزوم كون المعلم عالماً بما يحتاج إليه المتعلم وكلف به على ما هو عليه عند الله، علماً يَبِيناً ثابتاً غير متزلزل لا يتطرق إليه الغلط ولا يحتمل الخطأ والاشتباه.

المقالة الخامسة: في بيان ما هو من اللوازم أيضاً من لزوم كون المعلم صدوقاً يَبِين الصدق، موثقاً به في جميع الأقوال والأفعال، غير مقدو بالكذب في حال من الأحوال، وبالجملة يكون معصوماً من الخطأ والخلل والعتار والزلل.

المقالة السادسة: في بيان ما هو أيضاً من اللوازم من لزوم كون أصل التعليم في كل شيء أصولاً وفروعاً وغيرهما من الله عزّ وجلّ ولو بالواسطة الثابتة وساطته؛ ضرورة أنّ ما في علم الله لا يعلم إلا بإعلامه.

المقالة السابعة: في بيان ما هو أيضاً مثل ما سبق عليه في اللزوم والوضو من أنّ الله عزّ وجلّ يَبِين وعلم لإتمام الحُجَّة جميع ما يحتاج إليه المكلفون؛ بحيث لا يشدّ منه شيء، (وأنّ ذلك)^(١) إنّما هو بوساطة ما هو ثابت الوساطة من الواسطتين الآتيتين، يعني رسول الله ﷺ وكتابه.

المقالة الثامنة: في بيان ما هو كالسابق أيضاً من كون القرآن ورسول الله ﷺ واسطتين ثابتتين، وحجتين قائمتين، ومعلمين متعَيّنين من

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ن».

طرف الله عزّ وجلّ ، وأنّ الواجب الرجوع إليهما أبداً والأخذ منهما مطلقاً ، وترك ما لم يكن منهما رأساً ما لم يثبت كونه حُجَّةً من الله أيضاً .

المقالة التاسعة : في بيان ما هو بين اللزوم أيضاً من سابقه من أنّ

النبي ﷺ حيث كان قيماً للقرآن الذي هو شريكه ودليله والمنزل عليه ، وعالمياً بجميع ما فيه تأويلاً وتفسيراً ، كان هو المعلم الحقيقي من الله عزّ وجلّ قطعاً ، وحجّة على الأمة قاطبة ، ومفروض الطاعة عليهم كافة بنصّ من الله تعالى في كلّ شيء لا يجوز لهم مخالفته ولا التمسك بما لم يكن منه ، بل يجب عليهم الرجوع في كلّ شيء إليه ، والتسليم له ، وأخذ ما احتاجوا إليه منه ولو بالواسطة الثابتة وساطته ، وأنه لأجل هذا جعله الله حاكماً أيضاً ؛ حيث أعطاه الحكم والنبوة جميعاً .

المقالة العاشرة : في بيان ما هو أيضاً نظير ما سبق عليه من أنّ

النبي ﷺ حيث كان بتلك المثابة التي تبيّنت كان عالماً من الله ، بين العلم بجميع الأشياء يقيناً ، بحيث لم يعجز عن سؤال أصلاً ، ولم يكن في حكمه اختلاف ولا خطأ أبداً ؛ إذ لم يحتج إلى شيء من شقوق الاجتهاد بالرأي رأساً ، وكان أيضاً صدوقاً ثابت الصدق مسلم التوثيق ، معصوماً عن الخطأ والزلل ، متعيناً من الله عزّ وجلّ ، فائق الكمالات من جميع الجهات ، مبلغاً عن الله ما لا بدّ منه ويحتاج إليه بلا مسامحة ولا إهمال ؛ ولهذا كان بحيث لا قد فيه ، ولا نقص يعتريه ، ونذكر نبذاً من مناقبه حسباً ونسباً وعلماً وعملاً .

المقالة الحادية عشرة : في بيان ما هو أيضاً كالسابق عليه من أنّ

النبي ﷺ مع ثبوت عدم تقصيره في التبليغ لما لم يبق طول (١) مدة التكليف ، ولم يبيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه تلك المدة مع أنّ القرآن لا يظهر منه غير قليل من الأحكام ، ولم يجز للناس إلاّ الأخذ من المعلم من الله تعالى فقط ، ظهر أن لا بدّ له من نائب بعده (٢) في كلّ عصر إلى آخر الدهر يقوم مقامه في هذا الأمر ، ويكون إماماً لسائر الأمة مفروض الطاعة عليهم (ولو رجلاً بعد رجل ، متصفاً) (٣) مثل النبي ﷺ بجميع ما مرّ (٤) لزومه من صفات المعلم من الله ، لاسيّما العلم والصدق المعهودين ، والتعيين بنصّ (٥) من الله ورسوله ﷺ .

وبالجملة: لا بدّ من تشاركهما فيما سوى مُختصّات النبوة ، كنزول الوحي ، ورؤية الملك ، ونحو ذلك ، وكون علم النائب بواسطة الرسول ﷺ .
المقالة الثانية عشرة: في بيان أنّ مثل هذا النائب الذي ذكرناه ووصفناه منحصر في عليّ بن أبي طالب ، وذريّته الأئمة الأحد عشر المعلومين صلوات الله عليهم أجمعين .

وها نحن نوضّح ذلك في ضمن اثني عشر فصلاً:

الفصل الأوّل: في بيان أعلميتهم عليهم السلام من كلّ باب ، وإحاطتهم بعلم الكتاب ، وكون كلّ واحد منهم أعلم أهل عصره من جميع الجهات بطريق علوم النبي ﷺ ووساطته دون التمسك بالرأي والاجتهاد ، وفيه ذكر وجوه

(١) لم يرد في «م» .

(٢) لم يرد في «م» .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٤) في «ش» زيادة: «من» .

(٥) لم ترد في «م» .

علومهم ﷺ .

الفصل الثاني : في بيان كونهم أعلم وأعد وأصلح وأزهد وأورع وأتقى وأصدق وأعدل وأوثق وأسخى وأشجع من كل جهة ، مسلمين في ذلك ، فائقين على غيرهم بذلك ، بحيث يستفاد منه عصمتهم ، وفيه بيان نذ من أدلة عصمتهم ﷺ .

الفصل الثالث : في بيان تشابههم أيضاً بالنبى ﷺ ومعظم الأنبياء والأوصياء والصدّيقين والأولياء في سائر الصفات من الأخلاق والأطوار ، ومحاسن السجّيات والتقّية ، والصبر والكتمان والمداراة ، وأمثال هذه الحالات ، حتّى صدور المعجزات والكرامات ، والإخبار بالمغيّبات ، وكون بعضهم من ذرّيّة بعض من غير مدخلية أجنبيّ .

الفصل الرابع : في بيان نذ من حقوقهم على المسلمين ، وخدماتهم ، لاسيّما عليّ عليه السلام ، لله ولرسوله ﷺ ، وفي ترويج الدين ، وورود المد والبشرى ، ووفور المحبة والرضا من الله ورسوله ﷺ فيهم ، وتصديّ النبي ﷺ بنفسه لثريبتهم ، ونهاية حمايته ورعايته لهم ، وإيجاب الله لهم (١) على الخلق مودّتهم ، حتّى جعل ذلك أجر حقوق رسوله ﷺ ، وتصريح النبي ﷺ بأنهم بمنزلة نفسه ، ومخلوقون (٢) معه من نور واحد ، وطينة واحدة ، وأنّ حربهم حربيه ، وسلمهم سلمه ، وأذاهم أذاه ، وأمثال ذلك ممّا لا يبقى به شك ولا شبهة في أنّ بينهم وبين (غيرهم من) (٣) الأصحاب بل

(١) لم ترد في «م» .

(٢) في النسخ : «مخلوقين» .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

الأقرباء والأحباب كان بوناً بعيداً، حتّى أن هذا كان أصل ما حسدهم الحاسدون، وأبغضهم المبغضون^(١) المنافقون، وأذاهم المعاندون، بحيث كثرت أعداؤهم في الآفاق، وستر خصائص أحوالهم أهل النفاق، وشوا بهم إلى كلّ شأنئ لهم وظالمهم، حتّى انجزّ إلى حبسهم وقتلهم، واستلزم غيبة آخرهم وقائمهم، وفيه ذكر نبذ ممّا ورد في ذمّ أعدائهم، ومد شيعتهم وأوليائهم، مع تحقيق معنى الشيعة.

الفصل الخامس: في بيان جملة من سائر مناقبهم ومزاياهم على

غيرهم التي تنادي باختصاصهم عند الله ورسوله ﷺ بما ليس لمن سواهم، بحيث اتفق الخلق على عظم شأنهم، وعلوّ مقامهم، حتّى أنّه صرّ جمع من أهل الخلاف عليهم بكونهم صالحين للخلافة، بل كونهم أصلح وأولى من غيرهم.

ونحن نذكر في هذا المقام أولاً نخبة من سائر الفضائل المتعلقة بهم ممّا ورد فيهم على سبيل الإطلاق، ثمّ نذكر نبذاً من أحوال واحد واحد منهم حسباً ونسباً إلى القائم عليه السلام.

وفي هذا المقام أيضاً نذكر جملة من فضائل فاطمة عليها السلام وخديجة رضي الله عنها، وكذا مناقب أبي طالب عليه السلام، وخدماته للإسلام، وحمايته للرسول ﷺ، بل مع إثبات^(٢) إسلامه واقعاً وإن لم يعلن به للمصلحة الشرعية، مع شيء من مناقب الأخيار من بني هاشم رجالاً ونساءً، حتّى يتبيّن كمال جلاله حال هؤلاء الأجلّة، أعني: النبي ﷺ والأنمة المذكورين

(١) لم ترد في «ن» و«س».

(٢) لم ترد في «ن».

صلوات الله عليهم أجمعين من كل جهة .

الفصل السادس : في بيان ما ورد في خصوص كونهم أوصياء ، وأن

عليّاً عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكلّ متأخر وصيّ المتقدّم ، وأن الوصيّة إنّما تكون للمنصوب من الله للنبيّة والخلافة وتوديع موارث الأنبياء ، كما كان ذلك سيرة الأنبياء السابقين ، وذكر ما ورد في وصاية الأنبياء السابقين ، ووصيّة كلّ من هؤلاء المذكورين وما يتعلّق بذلك ^(١) .

الفصل السابع : في بيان ما ورد في خصوص لزوم التمسك بأهل

البيت والعترة ونحو ذلك ، كحديث الثقلين ، وأن الحقّ معهما ، وهما مع الحقّ أبداً ، وأمثالهما ، وأن المراد بالعترة هؤلاء الأجلّة ، بحيث يدلّ على نيابتهم وإمامتهم .

الفصل الثامن : في بيان سائر الروايات التي هي نصوص الإمامة

لهم ، وإن كان مورد بعضها بعضهم ، بل وإن كان بعضها على غير سبيل التصريح في الدلالة ؛ لتبيان الحال عند ملاحظة بعضها مع بعض .

الفصل التاسع : في بيان الآيات التي يستدلّ بها على إمامتهم ، وإن

كان سبب النزول في بعض منها شيئاً آخر أو بعضاً منهم ، بل ولو لم تكن نصّاً صريحاً ؛ لما مرّ في الفصل السابق .

الفصل العاشر : في بيان ما وجدناه من سائر المنقولات المتفرقة ،

والبراهين العقليّة ، والقرائن والأمارات وأمثالها ، ممّا يستفاد منه إمامة هؤلاء الأجلّة كلّهم ، أو خصوص بعض منهم ولو من غير التصريح بذلك .

الفصل الحادي عشر : في بيان ما ورد في خصوص أن الأوصياء

والأئمة والخلفاء في هذه الأمة اثنا عشر وبعده نقباء بني إسرائيل ونحو ذلك، وأن أمر الناس لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر أميراً والياً، وأنهم من قريش، بل من ولد الحسين عليه السلام، وأن آخرهم قائمهم عجل الله فرجه، وأمثال ذلك مما يدل على أن المراد هؤلاء الأجلة، حتى أنه يظهر من بعضها التصريح بأسمائهم وألقابهم.

ثم نذكر هاهنا بعض ما ورد في المهدي الموعود وكيفية خروجه وما يتعلّق بذلك، وتحقیق كونه هو القائم الثاني عشر، سوى ما مرّ من بعض أحواله في الفصل الخامس.

ثم نذكر أيضاً ما ورد في وجود اثني عشر إماماً أيضاً مضليين، وأن الأئمة نوعان: داعٍ إلى الله، وداعٍ إلى النار.

الفصل الثاني عشر: في بيان أن هؤلاء الاثني عشر كلهم ادّعوا أن

هذا الأمر لهم، ومختصّ بهم من دون مشاركة أحد معهم، وأن ذلك بما مرّ من النصّ والتعيين من الله ورسوله صلى الله عليه وآله - الذي ثبت لزوم وجوده في النائب الإمام - مع كونهم غير مقدّوحين في شيء، لاسيّما الكذب عند جميع الفرق، بل مع ظهور تحقّق الشرائط والكمالات التي ذكرناها فيهم، وثبوت كمال علمهم، وورعهم، وحسن حالهم، وصدق مقالهم عند كلّ أحد، وانتفاء مدّعٍ للنصّ، والتعيين ^(١) المذكور في حقّ ^(٢) غيرهم، بل كون الأمة معترفة بعدم صدور النصّ لغيرهم، حتى أنه ما ادّعى أحد غيرهم اجتماع سائر الشرائط والكمالات فيه، بل لم توجد أيضاً فيمن سواهم.

(١) في «م»: والتعيّن .

(٢) لم ترد في «م» .

وأما المقصد الثاني: ففي بيان ما تشبّث به الذين قالوا بخلافة من تقدّم على عليّ عليه السلام، والمقالات التي بينهم وبين الشيعة الإمامية، وتوضيح الحقّ في جميع ذلك، وفيه أيضاً اثنا عشرة مقالة:

المقالة الأولى: في بيان ما هو من أعظم ما تشبّثوا به، أعني: قولهم بكون إجماع الأمة حجّة في الأمر الذي ينعقد عليه كائناً ذلك الأمر ما كان، وتحقيق الحقّ في ذلك.

المقالة الثانية: في بيان ما هو كذلك أيضاً من قولهم بصحّة التبعّد في الاجتهاد^(١) في استنباط الأحكام على وفق مقتضى الرأي والقياس والاستحسان وأمثالها من الأمور الاعتبارية، والمستندات العقلية الظنيّة، وتوضيح توهمهم فيه.

المقالة الثالثة: في بيان ما هو كذلك أيضاً من قولهم بأنّ الإمامة تصحّ أن تكون باختيار الرعية، أو الإمام السابق من غير حاجة إلى التعيين من الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وتوضيح توهمهم فيه.

المقالة الرابعة: في بيان كيفية قضية^(٢) سقيفة بني ساعدة، وما يتعلّق بذلك.

المقالة الخامسة: في بيان ما هو من أعظم ما تشبّثوا به أيضاً، أعني: دعواهم تحقّق الإجماع على بيعة السقيفة، وعدم تحقّق تخالفٍ ولا تنازعٍ في تلك البيعة، لاسيّما من عليّ عليه السلام، وذكر توجيههم ما نقل من المخالفة، وتحقيق توهمهم في جميع ذلك.

(١) في «ش»: بالاجتهاد.

(٢) في «م» و«س»: حقيقة.

المقالة السادسة : في بيان ما تشبّثوا به أيضاً من تعديل الصحابة ، ودعوى لزوم الحكم بحسن حالهم وعدم جواز التعرّض لهم بما يشينهم ، بل لا بدّ من التوجيّه أو السكوت ، لاسيّما البدريّين وأهل بيعة الرضوان ، وتحقيق توهمهم في جميع ذلك .

المقالة السابعة : في بيان تشبّثهم بالقول بأنّ قصد الصحابة فيما صدر منهم - لاسيّما في السقيفة - لم يكن إلا ملاحظة جانب الله عزّ وجلّ دون ما تقوله الشيعة من المنافسات الدنيوية كحبّ الرئاسة والجاه ، والتحاسد ، والتباغض المكونة بينهم على الخصوص مع عليّ عليه السلام ، ونحو ذلك ، وتحقيق توهمهم في ذلك .

المقالة الثامنة : في بيان تشبّثهم بما نقلوا من حسن سلوك عليّ عليه السلام وخواصّه مع من تقدّم عليه وحضوره جماعتهم ودخوله معهم في أمور الناس ومشاوراتهم ، وأمثال ذلك ممّا ظاهره الرضا منهم وحسن الاعتقاد بهم ، وتحقيق توهمهم في ذلك أيضاً .

المقالة التاسعة : في بيان ما تشبّثوا به أيضاً من إنكارهم على الشيعة القول بالتقيّة والكتمان ، وسائر ما ذكروا صدوره عن أئمّتهم من لوازم المداراة ، وإطفاء الفتن ، ونحو ذلك ، وتحقيق الحقّ فيه .

المقالة العاشرة : في بيان ما تشبّثوا به أيضاً من دعوى كون أحاديث الشيعة موضوعة على أئمّتهم ، مع ذكر ما ينادي بأنّ الأمر بالعكس ، وتحقيق حال ما روي من الأحاديث ، وما ينبغي أن يكون الاعتماد عليه منها .

المقالة الحادية عشرة : في بيان تشبّثهم أيضاً بدعوى كون مذهب

الشيعة مستحدثاً، وأنهم من أهل البدعة والضلالة، وعداوة الصحابة، والجهالة، والحمق، والسفه^(١)، والغلو، والفرية على أنمتهم حتى سموهم رافضة، وتحقيق كون جميع ذلك فريةً وتعصباً محضاً، بل في مخالفتهم^(٢) روائح النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام وإن كانوا لا يشعرون .

المقالة الثانية عشرة: في بيان جمل مما ترتب على بيعة السقيفة، وعدم تسليم الأمر إلى علي عليه السلام من المفاسد العظيمة المخلة بالدين، الدالة على أن صلا الأمة لم يكن في تلك البيعة .

وأما الخاتمة ففيها فصلان:

الفصل الأول: في بيان سائر ما تشبث به القائلون بخلافة من تقدم علي عليه السلام من الآيات والروايات وغيرها، التي زعموها نافعة لهم في ذلك مع توضيح أنها ليست كذلك .

الفصل الثاني: في بيان نبذ مما نقله (القوم)^(٣) الذين قالوا بخلافة من تقدم علي عليه السلام في خلفائهم وكبرائهم من قبائح الأفعال والأقوال والأعمال، وردائل الصفات والأحوال والخصال، وما نقلوه أيضاً من المقالات والآيات والروايات التي تدل على ضلالهم في مذهبهم، وعلى عدم كون خلفائهم أهلاً لما ادعاه القوم لهم، ولا كونهم بالحالة التي زعمها الناس فيهم .

(١) في «ش»: السفاهة .

(٢) في «م»: مخالفتهم .

(٣) لم ترد في «ن» .

وأما الختام : ففي بيان جملة من الأشياء المتفرقة التي ذكرها المخالفون في كتبهم ، وغفلوا عما فيها من الدلالة على خلاف ما هم عليه ، لاسيما الأغلط التي صدرت ، والجهالات التي ظهرت ، والاعترافات التي وقعت ، وقلة المبالاة التي حصلت ، والمكامن التي برزت ، وسائر ما هو من هذا القبيل مما لم يسبق منّا ذكر له بسبب ، أو لعدم التقريب ، أو سبق لكن من غير إتمام .

وبالجملة : هذا الختام مجمع ومخزن لجميع ما سبق عليه من الكلام ، وبه نختم الكتاب^(١) ، والله الهادي ، ولنشرع الآن تفصيل ما في الفهرست ، فنقول وبالله التوفيق .

* * *

أما المقدّمة

ففي بيان (جريان عادة الله بامتحان العباد ، وذكر)^(١) نبذ من أعظم ما امتحن الله به الخلائق في هذه الدنيا ممّا لبيانه مدخل في توضيح جمّة من مقدّمات دليلنا هذا ، بل سائر الأدلّة أيضاً ؛ بحيث كان كلّ واحد كالمبادئ لها ، وكذا في كشف كثير من الشبه التي أوهمت جمهور المخالفين ، بحيث منعتهم عن فهم ما هو الحقّ ، وقبول^(٢) مفاد الأدلّة ، بل عن التوجه إليها ، كما سيظهر ممّا سيأتي في المقصد الثاني .

وذلك لأنّ حكمة الله عزّ وجلّ اقتضت ، ومصالحته دعت إلى أن يمتحن خلقه المكلفين بالدين ببعض أنواع الامتحان ، وأصناف الابتلاء والاختبار ليميّز به الأخيار والأشرار ، ويكون في ذلك زيادة أجر المطيع ، وإتمام حجة على العاصي ، وقد خفي ذلك على كثير من الناس ، فوقعوا بسبب ذلك في غفلات وشبهات ، فلا يحدّ من تبيين ذلك أولاً ، وهو في ضمن تبيان ، وخمسة أبواب :

أما التبيان : ففي توضيح أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدىً ، بل فطرهم على معرفته ، وخلقهم لأجل

(١) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٢) في «م» زيادة : ما هو .

طاعته - كما سيأتي في المقالة الأولى - حَتَّى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمْ يَكْتَفِ مِنْ عِبَادِهِ بِمَحْضِ دَعْوَى الْإِيمَانِ ، بَلِ امْتَحَنَ كَلَّامًا مِنْهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِحْتِبَارِ وَالْإِمْتِحَانِ مِنْ بَدْوِ الْخَلْقَةِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ ، وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ أَهْلَ زَمَانِ سَيِّدِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، وَفِيهِ بَعْضُ مَا يَدُلُّ صَرِيحًا عَلَى كَوْنِ حِكَايَةِ إِمَامَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ مَا وَقَعَ بِهِ الْإِمْتِحَانُ .

اعلم أن هذا - أي أصل وقوع الامتحان ، وعدم إيجاد الناس عبثاً - مع كونه واضحاً في نفسه - من حيث حكم العقل السليم بفتح صدور العبث من العليم الحكيم ، ومن جهة تحقق الإجماع بحسب التجربات الحاصلة مما رُوِيَ فِي الْأَصْقَاعِ وَطَرَقِ الْأَسْمَاعِ ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَحْوَالِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْأُمَمِ السَّابِقَةِ - ينادي به صريح الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣) .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٥ .

(٢) سورة القيامة ٧٥ : ٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ : ٢ - ٣ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١٦ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا﴾ (١) الآية .

وقال عز من قائل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٢) .

وقال عز وجل: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣) .

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ أَنْكُمُ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٥) .

وقال عز وجل: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٦) .

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٧) .

وقال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٨) .

(١) سورة البقرة ٢ : ٢١٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ١٦٥ .

(٥) سورة الأنفال ٨ : ٢٥ .

(٦) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٥ .

(٧) سورة التوبة ٩ : ١٢٦ .

(٨) سورة الفرقان ٢٥ : ٢٠ .

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾^(١).

وقال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٢).

وقال سبحانه في قصة قوم^(٣) موسى عليه السلام مخاطباً له: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ إلى قوله: ﴿يُقِيمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾^(٤). وأمثال هذه الآيات العديدة، وسيأتي بعضها فيما بعد إن شاء الله تعالى، ولنبيّن ما في بعض هذه:

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٥) أي: يظنّ الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا: إننا مؤمنون فقط، ويقتصر منهم على هذا القدر، ولا يمتحنون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم، هذا لا يكون^(٦).

وقال بعضهم: يعني أنّ مجرد الإعلان والإقرار بالتوحيد والنبوة وإظهار الإسلام لا يكفي، بل لابدّ من اختبارهم من جهات عديدة يظهر منها الصادق من الكاذب^(٧).

قال الصادق عليه السلام - كما في تفسير العياشي -: «والله لتمحصن، والله لتميزن، والله لتغربلن، حتّى لا يبقى منكم إلا الأندر» قال الراوي، قلت: وما الأندر؟

قال: «البيدر، وهو أن يدخل الرجل بيته الطعام يطبخ عليه، ثمّ

(١) سورة محمد ٤٧ : ٤ .

(٢) سورة التغابن ٦٤ : ١٥ .

(٣) لم ترد في «م» .

(٤) سورة طه ٢٠ : ٨٥ - ٩٠ .

(٥) سورة العنكبوت ٢٩ : ٢ .

(٦) الطبرسي في مجمع البيان ٤ : ٢٧٢ ، النحاس في معاني القرآن ٥ : ٢١١ .

(٧) الطبرسي في مجمع البيان ٤ : ٢٧٢ ، و ٢ : ٣١٥ .

يخرجه وقد تأكل بعضه ، فلا يزال يُنْقِيه ، ثم يكنّ عليه ، ثم يخرجه ، حتى يفعل ذلك ثلاث مرّات ، حتى يبقى ما لا يضرّه شيء»^(١) .

وفي رواية الكليني عن معمر بن خلّاد^(٢) ، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «﴿الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ﴾» إلى «﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾»^(٣) ، ثم قال لي: «ما الفتنة؟» قلت: إنّ الذين عندنا يقولون: الفتنة في الدين ، فقال: «نعم يفتنون كما يفتن الذهب» ثم قال: «يخلّصون كما يخلّص الذهب»^(٤) .
أقول: يظهر من الخبرين وغيرهما أنّ الامتحان يكون في كلّ عصر وزمان ، حتى في أهل الفرقة المحقّقة ، كما في نهج البلاغة عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «ولتساظنّ سوط القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم»^(٥) .
وفي كلام له عليه السلام أيضاً ، قاله لما بويع بعد قتل عثمان^(٦) : «ألا إنّ

(١) تفسير العياشي ١ : ١٤٦/١٩٩ ، وفيه: بدل «بيته» ، «فيه» ، وبدل «تأكل بعضه» ، «أكل بعضه بعضاً» ، بحار الأنوار ٥ : ١/٢١٦ وفيه بدل «بيته» : «قبة» .

(٢) معمر بن خلّاد بن أبي خلّاد : من أصحاب الرضا عليه السلام ثقة بالاتفاق ، وله كتاب الزهد رواه جماعة .

انظر: رجال النجاشي : ١١٢٨/٤٢١ ، الخلاصة : ١٠١٠/٢٧٧ ، تنقيح المقال ٣ : ١٢٠٠٩/٢٣٤ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ : ١ - ٢ .

(٤) الكافي ١ : ٤/٣٠٢ (باب التمحيص والامتحان) ، الغيبة للنعماني ٢/٢٠٢ ، بحار الأنوار ٥ : ١٤/٢١٩ ، بتفاوت يسير .

(٥) نهج البلاغة : ٥٧ : الخطبة ١٦ .

(٦) في «ن» : مقتل .

(٧) عثمان بن عفّان بن أبي العاص ، يكنّى بأبي عبدالله وأبي عمرو ، والأغلب منهما أبو عبدالله ، أحد الحكّام الثلاثة ، ولد بست سنين بعد عام الفيل ، وصارت الحكومة إليه بعد مقتل عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ ، وكانت حكومته اثنتي عشرة سنة ، قتل في المدينة سنة ٣٥ هـ .

بَلَيْتِكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَهُ ﷺ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبَنَّ بِلَبْلَةٍ ، وَلَتُغْرِبَنَّ غَرْبَةً ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ» (١) الخبير .

وأيضاً قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ (٢)، أي: ليختبر ما فيها بأعمالكم؛ لأنه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة؛ لأنَّ المجازاة إنما تقع على ما يعلمه مشاهدة (٣).

وقيل: معناه ليعاملكم معاملة المختبرين، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٤)، أي: ليكشفه ويميزه (٥).

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ (٦) الآية، يعني: لا تقربوها فتصيبكم (٧).

فقيل: هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها (٨)، وإنَّ منها: حكاية السقيفة .

وقيل: منها حكاية الجمل، حتى نقل أن الزبير (٩) قال: لقد قرأنا

﴿انظر: مروج الذهب ٢: ٣٣١، أسد الغابة ٣: ٣٥٨٣/٤٨٠، الإصابة ٢: ٥٤٤٨/٦٢، الأعلام ٤: ٢١٠ .

(١) نهج البلاغة: ٥٧ خطبة ١٦ .

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٥٤ .

(٣) الطبرسي في مجمع البيان ١: ٥٢٣، الزجاج في معاني القرآن ١: ٤٨٠، الواحدي في الوسيط ١: ٥٠٨ .

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٥٤ .

(٥) مجمع البيان ١: ٥٢٣ .

(٦) سورة الأنفال ٨: ٢٥ .

(٧) الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٥٣٤ .

(٨) الطوسي في التبيان ٥: ١٠٢، عن الحسن، مجمع البيان ٢: ٥٣٤ .

(٩) الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أُسْد بن عبد العزى، يكتنى أبا عبدالله، وهو لله

هذه الآية زماناً، فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة^(١).

وقيل: هي الضلالة، وافتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضاً^(٢).

وقيل: هي الهرج الذي يركب الناس فيه الظلم، ويدخل ضرره على كل أحد^(٣).

ثم إنهم اختلفوا في إصابة هذه الفتنة على قولين:

أحدهما: أنها تصيب على العموم الظالم وغيره، أما الظالم فمعدّب، وأما غيره فممتحن ممحص.

والآخر: أنها تخصّ الظالم خاصة^(٤)، فافهم.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَنَسْبُلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٥)، أي: نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى، وبالضراء والسراء، وبالشدّة والرخاء، وبالمرض والصحة، ونحو ذلك ﴿فتنة﴾، أي: اختباراً وابتلاءً وشدّة تعبد^(٦).

لابن أخي خديجة، وأمه صفية بنت عبد المطلب، شهد بدرًا وأحدًا وغيرهما، كان مع عائشة يوم الجمل، قتله ابن جرموز يوم الجمل بوادي السباع سنة ٣٦ هـ.

انظر: البدء والتاريخ ٥: ٨٣، أسد الغابة ٢: ١٧٣٢/٩٧، الأعلام ٣: ٤٣.

(١) مجمع البيان ٢: ٥٣٤، جامع البيان ٩: ١٤٤، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري

٣: ٣٩٠، بتفاوت، وروي نحوه في تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥:

٨٩٦٢/١٦٨٢، التفسير الكبير ١٥: ١٤٩، الوسيط ٢: ٤٥٢، معالم التنزيل ٢: ٦١٧.

(٢) الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٥٣٤، الواحدي في الوسيط ٢: ٤٥٣، البغوي في

معالم التنزيل ٢: ٦١٨، الطبري في جامع البيان ٩: ١٤٤ عن ابن زيد.

(٣) مجمع البيان ٢: ٥٣٤، التبيان ٥: ١٠٢.

(٤) مجمع البيان ٢: ٥٣٤ عن ابن عباس وغيره.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ٣٥.

(٦) الطبرسي في مجمع البيان ٤: ٤٦، الواحدي في الوسيط ٣: ٢٣٧، البغوي في

معالم التنزيل ٤: ٥٠.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾^(١)، أي: يبتلون بأصناف البليّات، أو بالجهاد مع النبي ﷺ فيعانون ما يظهر من الآيات ويتميز المطيع من المعاصي^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ فُتِنَّا قَوْمَكَ﴾^(٣)، أي: امتحنّاهم وشدّدنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل، فألزمناهم عند ذلك النظر؛ ليعلموا أنه ليس بالله، فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة إلى نفسه^(٤)، فتأمل^(٥).
وفي بعض خطب عليّ^{عليه السلام}: «إن الله عزّ وجلّ يختبر عبده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بألوان المجاهدة، ويبتليهم بضروب المكارة؛ إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في أنفسهم، وليجعل ذلك أبواباً إلى فضله، وأسباباً لعفوه^(٦)، وفتنة، كما قال سبحانه: ﴿الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٧)»، الآية.

وأول الخطبة كذا: إن الله عزّ وجلّ «لو أراد بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن البلدان^(٨)، ومغارس الجنان، وأن يحشر

(١) سورة التوبة ٩ : ١٢٦ .

(٢) البيضاءوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ : ٤٣٧ ، المشهدي في كنز الدقائق ٤ : ٣١٨ ، وقوله (ويعتبر . . .) لم يرد فيهما .

(٣) سورة طه ٢٠ : ٨٥ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٢٤ .

(٥) في «م» زيادة : تفهم .

(٦) نهج البلاغة : ٢٩٤ الخطبة ١٩٢ ، بتفاوت يسير .

(٧) سورة العنكبوت ٢٩ : ١ - ٢ .

(٨) في المصدر : «الوحيّان» .

طير السماء ووحش الأرض معهم ، لفعل ، ولو فعل لسقط البلاء وبطل
الجزاء ، واضمحَلَّ الابتلاء - إلى أن قال عليه السلام :-

ولو كانت الأنبياء أهل قوّة لا ترام ، وعزّة لا تضام ، ومُلك يمدّ نحوه
أعناق الرجال ، ويشدّ إليه عقد الرحال لكان أهون على الخلق في الاختبار ،
وأبعد لهم في الاستكبار ، ولآمنوا عن رغبة قاهرة لهم أو رهبة مائلة بهم
فكانت النيات مشتركةً ، والحسنات مقسمة . ولكنّ الله أراد أن يكون الاتّباع
لرسله ، والتصديق بكتبه ، [...] والاستكانة لأمره ، والاستسلام إليه أموراً
[له] ^(١) خاصّة لا تشوبها من غيرها شائبة ، وكلّما كانت البلوى والاختبار
أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل .

ألا ترون أنّ الله عزّ وجلّ اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات الله عليه
إلى الآخرين من هذا العالم بأحجارٍ لا تضرّ ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ،
فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً .

ثمّ جعله بأوعر بقاع الأرض حجراً ، وأقلّ مواقع ^(٢) الدنيا مدرأً ،
وأضيقي بطون الأودية معاشاً بين جبال خشنة ورمال دميّة [...] وقرى
منقطعة [...] .

ثمّ أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه ، فصار مثابة لمنتجع
أسفارهم ، وغايةً لملقى رحالهم ، تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار
متّصلة ، وجزائر بحار منقطعة ، ومهاوي فجاج عميقة ، حتّى يهزّوا مناكبهم
ذلاً [يهلّلون] ^(٣) لله حوله ، ويرملون على أقدامهم شعناً غبراً له ، ابتلاءً

(١) ما بين المعقوفين من المصدر .

(٢) في «ن» : مواضع ، وفي المصدر : «نتائق» .

(٣) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر .

عظيماً، واختباراً كبيراً، وامتحاناً شديداً، وتمحيصاً بليغاً، وفتوناً^(١) مبيناً، جعله الله سبباً لرحمته، [ووصلة ووسيلة إلى جنته]^(٢) وعلة لمغفرته، وابتلاءً للخلق برحمته، ولو كان الله تعالى وضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جمّ الأشجار، داني الثمار، ملتفّ النبات، متّصل القرى [...] لكان قد صغر الجزاء على حسب ضعف البلاء.

ثمّ لو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها، بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفّف ذلك مصارعة الشكّ في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفي مُعتلج الريب من الناس، ولكنّ الله عزّ وجلّ يختبر عبده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بألوان المجاهدة، ويتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في أنفسهم وليجعل ذلك [...] أسباباً لعفوه^(٣).

وفي نهج البلاغة: قام إلى عليّ عليه السلام رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها؟

فقال عليه السلام: «لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا﴾^(٤) الآية، علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا،

(١) في الكافي وبعض المصادر: «قنوتاً».

(٢) ما بين المعقوفين أضفناه من المصادر.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩١ - ٢٩٤ الخطبة ١٩٢ بتفاوت، الكافي: ٤ : ٢/١٩٨، مدارك الأحكام للعالملي: ٧ : ١٤، ذخيرة المعاد للسبزواري: ٥٤٨، تفسير نور الثقلين للحويزي: ٤ : ١٣/١٥٠، الحقائق الناضرة للبحراني: ١٧ : ٣٩١ بتفاوت يسير.

(٤) سورة العنكبوت: ٢٩ : ١ - ٢.

فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا علي، إن أمتي سيفتنون من بعدي» إلى أن قال: «وقال ﷺ: سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء السايبة^(١)، فيستحلون الخمر بالنيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع»^(٢) الخبر.

وفي تفسير الكلبي قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾^(٣) قام النبي ﷺ فتوضأ فصلّى فسأل الله سبحانه أن لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، ولا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فنزل جبرئيل عليه السلام ولم يجرحهم من الخصلتين الأخيرتين فنزل ﴿الْمَ * أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ الآيتين، فقال جبرئيل: لا بد من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبئها ليتبين الصادق من الكاذب^(٤). الخبر.

وروى جلال الدين السيوطي^(٥) من أعظم علماء الجمهور ومحدثيهم في جامعه الكبير من كتاب حلية الأولياء، وكتاب أمالي أبي نصر

(١) في المصدر «الساهية».

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٠ الخطبة ١٥٦ بتفاوت يسير.

(٣) سورة الأنعام: ٦: ٦٥.

(٤) حكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٣١٥.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر المشتهر بجلال الدين السيوطي، ولد سنة ٨٤٩ هـ، له كتب كثيرة منها: الجامع الكبير في الحديث، والإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، مات سنة ٩١١ هـ.

انظر: هدية العارفين ٥: ٥٣٤، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي ٣:

السجزي^(١)، وكتاب المشيخة لأبي سعيد السَّمَان^(٢)، وكتابي الرافي^(٣)، وابن النجَّار^(٤): عن أبي هريرة^(٥)، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ فَتَنْسَفُ

(١) لعلَّه عبدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري، يكتنَى أبا نصر السجزي، كان عالماً بالحديث والسنة، له كتب، منها: الإبانة الكبرى في الحديث، مات سنة ٤٤٤ هـ بمكة.

انظر: العبر للذهبي ٢: ٢٨٥، شذرات الذهب ٣: ٢٧١ - ٢٧٢، هدية العارفين ٦٤٨: ٥، طبقات الحفاظ للسيوطي: ٩٧٠/٤٢٨.

(٢) إسماعيل بن عليّ الرازي الحافظ، يكتنَى أبا سعيد - أبا سعد - السَّمَان، كان من الحفاظ والعلماء، وهو القائل: من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بحلاوة الإسلام، وله كتب، منها: (تفسير) في عشر مجلدات، و(سفينَة النجاة) في الإمامة، مات سنة ٤٤٥ هـ وقيل: ٤٤٣ هـ.

انظر: مختصر تاريخ دمشق ٤: ٣٨٨/٣٦٨، ميزان الاعتدال ١: ٩١٩/٢٣٩، لسان الميزان ١: ١٣٣١/٦٤٩، شذرات الذهب ٣: ٢٧٣.

(٣) عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم بن الفضل الرافي القزويني، يكتنَى أبا القاسم، من علماء الشافعية في التفسير والأصول، له كتب، منها: الفتح العزيز في شرح الوجيز، وشرح مسند الشافعي، والتدوين في أخبار قزوين، مات سنة ٦٢٣ هـ، وقيل: ٦٢٤ بقزوين.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢: ١٣٩/٢٥٢، شذرات الذهب ٥: ١٠٨.

(٤) محمّد بن محمود بن الحسن، يكتنَى أبا عبدالله صاحب (ذيل تاريخ بغداد)، ولد سنة ٥٧٨ في بغداد، مؤرخ حافظ للحديث شافعي المذهب، له كتب، منها: الكمال في معرفة الرجال، والدرة الثمينة في أخبار المدينة، ونزهة الوري في أخبار أم القرى، مات سنة ٦٤٣ هـ.

انظر: العبر للذهبي ٣: ٢٤٨، شذرات الذهب ٥: ٢٢٦، الأعلام ٧: ٨٦.

(٥) الدُّوسِيّ، اليَمَانِيّ، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على نيف وثلاثين قولاً، اشتهر بكنيته لهرة كان يحملها، فرأه رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا هريرة» فاشتهر به، يقال له: شيخ المضيرة؛ لأنه يأكلها مع معاوية، وإذا حضرت الصلاة صَلَّى خلف عليّ عليه السلام، فإذا قيل له قال: مضيرة معاوية أدمم وأطيب، والصلاة خلف عليّ عليه السلام أفضل، مات سنة ٥٩ هـ.

العباد نفساً وينجو العالم^(١) بعلمه^(٢) .

ومن صحيح ابن ماجة^(٣) ، وكتاب الطبراني^(٤) : عن أبي أمامة^(٥) ،
عنه عليه السلام قال : «ستكون فتن يُصبح الرجل بها مؤمناً ويُمسي كافراً إلا من
أحياه الله بالعلم»^(٦) .

﴿ انظر : الكنى والألقاب ١ : ١٧٢ ، أسد الغابة ٥ : ٦٣١٩/٣١٨ ، تهذيب الكمال ٣٤ :
٧٦٨١/٣٦٦ ، الإصابة ٤ : ١١٩٠/٢٠٢ .

(١) في «م» زيادة : بنفسه .

(٢) حلية الأولياء ٨ : ٤١ ، التدوين في أخبار قزوين ٢ : ١٧٢ ، ذيل تاريخ بغداد ١٧ :
١٠٣ ، كنز العمال ١٠ : ٢٨٩٢٨/١٧٨ رواه عنهم جميعاً ، وجامع الأحاديث ٢ :
٥١٨٢/٢٤٩ عن حلية الأولياء .

(٣) هو محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، يكتنى أبا عبدالله ، أحد أئمة الحديث عند
أهل السنة ، كتابه (سنن ابن ماجة) أحد الكتب الستة المعتمدة عندهم ، وله كتب ،
منها : التاريخ ، والتفسير ، ولد سنة ٢٠٩ ، ومات ٢٧٣ هـ .
انظر : وفيات الأعيان ٤ : ٦١٤/٢٧٩ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٣٣/٢٧٧ ،
تهذيب التهذيب ٩ : ٨٧٢/٤٦٨ .

(٤) سليمان بن أحمد بن أيوب ، يكتنى أبا القاسم وأمه عكاوية ، من كبار علماء
العامية في الحديث ، له كتب منها : المعجم الكبير ، والأوسط ، والصغير ، ولد سنة
٢٦٠ بطبرية الشام ، ومات في سنة ٣٦٠ هـ بمدينة إصبهان .

انظر : وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٤/٤٠٧ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٨٦/١١٩ ، طبقات
الحفاظ : ٨٤٤/٣٧٢ .

(٥) لعنه صدق بن عجلان بن الحارث ، يكتنى أبا أمامة الباهلي ، غلبت كنيته
على اسمه ، وكان من المكثرين في الرواية ، مات سنة ٨١ هـ بحمص ، وقيل :
مات سنة ٨٦ هـ .

انظر : أسد الغابة ٢ : ٢٤٩٥/٣٩٨ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٧٣٤/٣٦٨ .

(٦) سنن ابن ماجة ٢ : ٣٩٥٤/١٣٠٥ ، المعجم الكبير ٨ : ٧٩١٠/٢٧٨ ، سنن الدارمي
٩٧ : ١ ، مسند الشاميين للطبراني ٢ : ١٢٣٦/٢٢٧ ، تاريخ مدينة دمشق ٦٣ :
٨٠١١/١٣٦ ، جامع الأحاديث ٤ : ١٢٩١١/٤٨٠ .

ومن صحيحي البخاري^(١) ومسلم^(٢)، ومن مسند أحمد بن حنبل^(٣) : عن أسامة^(٤)، عنه رضي الله عنه قال : «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع المطر»^(٥).

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، يكنى أبا عبدالله، أحد أئمة الحديث عند أهل السنة، صاحب «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري أحد الكتب الستة عندهم، له كتب منها: التاريخ، والأدب المفرد، ولد سنة ١٩٤ هـ في بخارى، ومات سنة ٢٥٦ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤ : ٥٦٩/١٨٨، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣/٦٧، تهذيب التهذيب ٩ : ٥٣/٤١.

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، يكنى أبا الحسن، حافظ من أئمة المحدثين عند العامة، وله كتب، منها: صحيح مسلم، وهو أحد الصحاح الستة المعول عليها عند العامة، ومن كتبه: المسند الكبير، والكنى والأسماء، ولد سنة ٢٠٤ هـ بنيسابور، ومات سنة ٢٦١ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٥ : ٧١٧/١٩٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ١٣١/٨٩، تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٢٧/١١٣.

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، يكنى أبا عبدالله، إمام المذهب الحنبلي وأحد أئمة المذاهب الأربعة، له كتب منها: المسند، والتاريخ، وفضائل الصحابة، ولد سنة ١٦٤ هـ، ومات سنة ٢٤١ هـ ببغداد.

انظر: وفيات الأعيان ١ : ٢٠/٦٣، سير أعلام النبلاء ١١ : ٧٨/١٧٧، تهذيب التهذيب ١ : ١٢٦/٦٢، الأعلام ١ : ٢٠٣.

(٤) هو أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف، يكنى أبا محمد وأبا زيد، وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم من أعلام الصحابة ومشاهيرهم، وله في الكتب مناقب كثيرة، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانة الجيش وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، وله عشرون سنة. وقيل: تسعة عشرة، توفي سنة ٥٤ هـ بالمدينة، وقيل: سنة ٥٨ أو ٥٩.

انظر: أسد الغابة ١ : ٨٤/٧٩، تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٤٩/١١٣١، الإصابة ١ : ٨٩/٣١.

(٥) مسند أحمد ٦ : ٢١٢٤١/٢٦٠، و٢١٣٠٣/٢٧١، صحيح البخاري ٩ : ٦٠، صحيح مسلم ٤ : ٢٨٨٥/٢٢١١، وعنه جامع الأحاديث ٤ : ١٢٩١١/٤٨٠.

ومن كتاب الرافعي: عن أنس^(١)، عنه ﷺ قال: «إِنَّ الْفِتْنَةَ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا»^(٢).

ومن كتاب المستدرک: عن ابن عمر^(٣)، عنه ﷺ قال: «لَيَغْشَيْنَ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيَمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامَ دِينِهِمْ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلًا»^(٤).

ومن كتابي صحيح مسلم والبخاري، وكتاب مسند ابن حنبل: عن أبي هريرة، عنه ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعِذْ بِهِ»^(٥).

(١) هو أنس بن مالك بن النضر، يكنى أبا حمزة، قالوا: خدم رسول الله ﷺ عشر سنين ويفتخر به، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: كان عمره ١٠٣ سنة، وقيل: ١١٠ سنة، مات سنة ٩١ هـ، وقيل: سنة ٩٢ هـ وقيل...

انظر: أسد الغابة ١: ٢٥٨/١٥١، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٧١/١٢٧، العبر للذهبي ١: ٩٣/٨٠.

(٢) التدوين في أخبار قزوين ١: ٢٩١.

(٣) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، يكنى أبا عبد الرحمن، واختلف في وفاته وولادته ومقدار عمره على عدة أقوال منها: أنه ولد سنة ٣ من المبعث، ومات سنة ٧٣ هـ.

انظر: أسد الغابة ٣: ٣٠٨٠/٢٣٦، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٣٢١/٢٧٨، الإصابة ٢: ٤٨٣٤/٣٤٧.

(٤) المستدرک للحاكم ٤: ٤٣٨، جامع الأحاديث ٥: ١٨١٢٩/١٩٤.

(٥) صحيح مسلم ٤: ٢٨٨٦/٢٢١١، صحيح البخاري ٩: ٦٤، مسند أحمد ٢: ٧٧٣٧ و ٧٧٣٨، وعنه جامع الأحاديث ٤: ١٢٩١٠/٤٨٠.

ومن المستدرک ، وکتابي الطبراني والبيهقي^(١) : عن أبي الدرداء^(٢) ،
عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبيكتم كثيراً ، ولخرجتم
إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله ، لا تدرُونَ تنجون أو لا تنجون»^(٣) .

وقد ورد مثله بأسانيد عديدة منها : ما نقله السيوطي أيضاً من كتاب
المُستدرک ، عن أبي هريرة ، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «لو تعلمون ما أعلم لبيكتم كثيراً
ولضحكتم قليلاً ، يظهر النفاق ، وترتفع الأمانة ، ويتهم الأمين ويؤتمن غير
الأمين»^(٤) ، الخبر .

ومن كتاب الطبراني : عن أمِّ سَلَمَةَ^(٥) : «ليأتين على الناس زمان
يُكذَّب فيه الصادق ، ويُصدَّق فيه الكاذب ، ويُخون فيه الأمين ويؤتمن

(١) أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ، يكتنَى أبا بكر ، الفقيه الشافعي ،
الحافظ المشهور . له كتب ، منها : السنن الكبرى ، ودلائل النبوة ، والأسماء
والصفات ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، ومات سنة ٤٥٨ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١ : ٢٨/٧٥ ، سير أعلام النبلاء ١٨ : ٨٦/١٦٣ ، شذرات
الذهب ٣ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) هو عويمر بن مالك بن زيد ، وقيل : عامر بن مالك وعُويمر لقب ، كنيته
أبو الدرداء ، مشهور بكنيته ، صحابي معروف ، مات سنة ٣٢ هـ بالشام .

انظر : أسد الغابة ٥ : ٥٨٥٨/٩٧ ، الإصابة ٣ : ٦١١٧/٤٥ ، الأعلام ٥ : ٩٨ .

(٣) المعجم الكبير ٧ : ٧٠٠٥/٢٤٧ ، المستدرک للحاكم ٤ : ٣٢٠ ، شعب الإيمان ١ :
٧٩٣/٤٨٦ ، جامع الأحاديث ٥ : ١٧٦١٢/١٢٦ .

(٤) المستدرک للحاكم ٤ : ٥٧٩ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٥ : ١٧٦١٣/١٢٦ .

(٥) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ، زوج النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكانت
قبل النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فمات عنها ، وكانت من أكمل
النساء عقلاً وخُلُقاً ، وهي قديمة الإسلام ، وبلغ ما رووا عنها من الحديث (٣٨٧)
حديثاً ، توفيت بالمدينة سنة ٦٢ هـ .

انظر : أسد الغابة ٦ : ٧٤٦٤/٣٤٠ ، الإصابة ٤ : ١٣٠٩/٤٥٨ ، الأعلام ٨ : ٩٧ .

الخؤون، ويشهد المرء ولم يُستشهد، ويحلف وإن لم يُستحلف»^(١)،
الخبر.

ومن كتاب الأوسط للطبراني: عن طلحة^(٢)، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ستكون
فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب، حتى ينادي مناد من السماء
أن أميركم فلان»^(٣)، يعني المهدي عَلَيْهِ السَّلَام.

ومن الكتاب المذكور: عن عوف بن مالك^(٤) أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:
«تجيء فتنة غرباء مظلمة، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً، حتى يخرج رجل
من أهل بيتي»^(٥)، الخبر.

أقول: هذا صريح في تعدد الفتن وتواردها إلى ظهور المهدي عَلَيْهِ السَّلَام،
وأن أولها عظيمة.

وستأتي بعض أخبار الفتن التي من هذا القبيل^(٦): في حكاية
المهدي عَلَيْهِ السَّلَام من الفصل الحادي عشر من المقالة الأخيرة من المقصد

(١) المعجم الكبير ٢٣ : ٧١١/٣١٤ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٥ : ١٧٩٢٩/١٦٩ .

(٢) هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التميمي ، يكنى
أبا محمّد ، من الصحابة ، وهو أحد الستة أصحاب الشورى ، قتله مروان بن الحكم
يوم الجمل سنة ٣٦ هـ .

انظر : أسد الغابة ٢ : ٢٦٢٥/٤٦٧ ، الإصابة ٢ : ٤٢٦٦/٢٢٩ ، الأعلام ٣ : ٢٢٩ .
(٣) المعجم الأوسط ٥ : ٤٦٦٦/١٣٢ .

(٤) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، يكنى أبا عبدالرحمن ، صحابي وأول
مشاهده خيبر ، وله ٦٧ حديثاً ، مات سنة ٧٣ هـ بدمشق .
انظر : أسد الغابة ٤ : ٤١٢٤/١٢ ، الإصابة ٣ : ٦١٠١/٤٣ .

(٥) المعجم الكبير ١٨ : ٩١/٥١ ، وعنه جامع الأحاديث ٦ : ١٦٠٦٥/٤٧٤ .

(٦) في «ش» زيادة: «بل ما يدل على وجود ذلك في الأمم السابقة أيضاً ، لاسيما عند
وفاة نبيهم وأمثال ذلك» .

الأول .

ومن كتاب الحلية، وكتابي البيهقي والبرّار^(١) : عن سعد^(٢) عنه عليه السلام قال : «لأنا من فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء، إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإن الدنيا حلوة خضرة»^(٣) .

ومن كتاب الكبير للطبراني: عن خالد بن عرفطة^(٤) عنه عليه السلام قال : «إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي»^(٥) .

وروى الخطيب الخوارزمي^(٦) في ضمن الآيات التي نقلها في

(١) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، حافظ من العلماء بالحديث، له مسندان : المسند الكبير والصغير، ولد سنة ٢١٠ هـ ومات سنة ٢٩٢ هـ بالرملة.
انظر : سير أعلام النبلاء ١٢ : ٢٨١/٥٥٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧٥/٦٥٣ ، الأعلام ١٨٩ : ١ .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي المعروف بسعد بن أبي وقاص، يكتبى أبا إسحاق، أحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب للشورى في الخلافة، مات سنة ٥٥ هـ .

انظر : البدء والتاريخ ٥ : ٨٤ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٥/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٩٠١ و ٤١٦ : ٣ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٩٣ ، شعب الأيمان ٧ : ١٠٣٠٨/٢٨٠ ، جامع الأحاديث ٥ : ١٦٨٨١/١٢ .

(٤) خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان اللثي، كان خليفة سعد بن أبي وقاص على الكوفة، مات سنة ٦١ هـ، وقيل : سنة ٦٠ هـ .

انظر : أسد الغابة ١ : ١٣٧٨/٥٧٩ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٩٢ .

(٥) المعجم الكبير ٤ : ٤١١١/١٩٢ ، جامع الأحاديث ٢ : ٦٣٢٥/٤١٤ .

(٦) الموفق أحمد بن محمد المكي الأصل، يكتبى أبا المؤيد، أديب فاضل، له معرفة تامة بالأدب والفقه، كان يخطب بجامع خوارزم سنين كثيرة، له كتب، منها : مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومقتل الحسين عليه السلام، ولد في حدود ٤٨٤، ومات ٥٦٨ هـ .

عليّ عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ﴾ (١) الآية: أَنْ عَلِيًّا عليه السلام قال: «قلت: يا رسول الله، وما هذه الفتنة؟ قال: يا علي، بك، وإنك مخاصم فأعدَّ للخصومة» (٢).

وروى ابن عبد البر (٣) في كتاب الاستيعاب: عن أبي ليلى الغفاري (٤)، أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه أول من يراني وأول من يصادقني، وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو الصديق الأكبر، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين» (٥).

وسياتي في فصول المقالة الأخيرة من المقصد الأول هذا المضمون من غير طريق واحد، وكذا غيره مما ذكرناه هاهنا، فلا تغفل.

﴿ انظر: إنباه الرواة ٣: ٧٧٩/٣٣٢، بغية الوعاة ٢: ٢٠٤٦/٣٠٨، الأعلام ٧: ٣٣٣. (١) سورة العنكبوت ٢٩: ١ - ٢.

(٢) لم نثر عليه في مناقبه، انظر: كشف الغمة للأربلي ١: ٣١٦ - ٣١٧، كشف اليقين: ٣٧٢ نقلاً عن مناقب ابن مردويه، وأورده ابن شهر آشوب في المناقب ٣: ٢٣٦ والمجلسي في بحار الأنوار ٢٤: ٢٦/٢٢٨، ٢٨: ٢٨/٦٩.

(٣) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، يكتى أبا عمر، من حفاظ الحديث، مؤرخ أديب، يقال له: حافظ المغرب ولي قضاء الأشبونة وشترين، له كتب منها: الاستيعاب، الاستذكار، والتمهيد، ولد سنة ٣٦٨ هـ بقرطبة، ومات سنة ٤٦٣ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٧: ٨٣٧/٦٦، سير أعلام النبلاء ١٨: ٨٥/١٥٣، شذرات الذهب ٣: ٣١٤ - ٣١٥.

(٤) لم تذكر له ترجمة، انظر: أسد الغابة ٥: ٦٢٠٧/٢٧٠، الإصابة ٤: ٩٩٤/١٧١.

(٥) الاستيعاب ٤: ٣١٥٧/١٧٤٤، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة ٥: ٦٢٠٧/٢٧٠، وابن حجر في الإصابة ٤: ١٧١.

وروى الحافظ أبو عبدالله الشافعي (١) في كتابه كفاية الطالب : بإسناده عن أبي برزة (٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلِي فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَهْدًا ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، بَيْنَهُ لِي ؟ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَايَةَ الْهُدَى ، وَإِمَامَ أَوْلِيَانِي ، وَنُورٍ مِنْ أَطَاعِنِي» ، الخبر .. إلى أن قال ﷺ : «ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ : أَنَّهُ سَيُخَصِّصُهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَخْصُصْ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، أَخِي وَصَاحِبِي ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ ، إِنَّهُ مَبْتَلَى وَمَبْتَلَى بِهِ» (٣) .

ورواه الخوارزمي أيضاً في حكاية المعراج ، وفيه بعد قوله : «ومبتلى به» زيادة قوله : «لولا علي عليه السلام لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي» (٤) .

(١) هو محمد بن يوسف بن محمد بن الفخر الكنجي الشافعي ، يكنى أبا عبدالله ، كان إماماً محدثاً ، وهو صاحب كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ، قتله النواصب سنة ٦٥٨ هـ .

انظر : الكنى والألقاب ٣ : ١٠١ ، الوافي بالوفيات ٥ : ٢٣٣٤/٢٥٤ ، الأعلام ٧ :

١٥٠ .

(٢) اختلف في اسمه واسم أبيه ، قيل : نضلة بن عبيد ، وقيل : خالد بن نضلة ، يكنى أبا برزة الأسلمي ، معروف بكنيته ، مات بالبصرة سنة ٦٠ هـ قبل هلاك معاوية ، وقيل : سنة ٦٤ .

انظر : أسد الغابة ٥ : ٥٧١٩/٣١ ، تهذيب الكمال ٢٩ : ٦٤٣٧/٤٠٧ .

(٣) كفاية الطالب : ٧٢ - ٧٣ ، وحكاها المجلسي عنه في بحار الأنوار ٤٠ : ٨٥/٤٨ عن أبي برزة ، وأورده الأربلي في كشف الغمّة ١ : ١٠٨ عن الحافظ أبو نعيم في الحلية ، نهج الإيمان : ١٥٨ ، كشف اليقين : ٢٣٠ ، ينابيع المودة ١ : ٢٣٤ ، حلية الأولياء ١ : ٦٦ - ٦٧ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٩١ .

(٤) المناقب للخوارزمي : ٢٩٩/٣٠٣ .

وفي صحيح البخاري ، عن قيس بن سعد بن عبادة^(١) ، عن علي بن أبي طالب : «أنا أول من يجتو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»^(٢) . والأخبار في وقوع الامتحان كثيرة جداً ، وسيأتي أكثرها فيما يناسب ، لاسيما في فصول الباب الثاني ، وفي عدة منها إشارة إلى أن عمدة الامتحان بسبب الإمامة ، وفي علي عليه السلام مع امتحانه بهم ، وستأتي شواهدا أيضاً في فصول فضائله .

قال الجاحظ^(٣) بعد نقله جمّة من فضائل علي عليه السلام - كما يأتي في محلّه - : ومما يضمّ إلى جملة القول في فضل علي عليه السلام أنه أطاع الله قبلهم ومعهم وبعدهم - يعني الصحابة - وامتحن بما لم يُمتحن به ذو عزم ، وابتلي بما لم يُبتل به ذو صبر^(٤) . انتهى .

وقد روى علي بن إبراهيم القمي^(٥) في تفسيره : عن أبيه ، عن محمد

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن ذئيب بن حارثة الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا عبد الملك ، وقيل : أبا عبدالله ، صحابي من ذوي الرأي والمكيدة في الحرب ، وله ١٦ حديثاً ، مات سنة ٦٠ هـ وقيل : ٥٩ .

انظر : أسد الغابة ٤ : ٤٣٤٨/١٢٤ ، الإصابة ٣ : ٧١٧٧/٢٤٩ ، سير أعلام النبلاء ٢١/١٠٢ : ٥ ، الأعلام ٢٠٦ : ٥ .

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٩٥ ، ٦ : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، كنيته أبو عثمان ، المعروف بالجاحظ : رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، وكبير أئمة الأدب ، وكان من الذكاء والحفظ بمكان ، له كتب منها : الحيوان ، والبيان والتبيين ، والمحاسن والأضداد ، ولد سنة ١٥٠ ، ومات سنة ٢٥٥ هـ في خلافة المعتز .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ٦٦٦٩/٢١٢ ، معجم الأدباء للحموي ١٦ : ٧٤ ، الأعلام

٥ : ٧٤ .

(٤) أورده الأربلي في كشف الغمّة ١ : ٣٥ ، والقندوزي في ينابيع المودة ١ : ٤٧٢ .

(٥) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي ، ثقة في الحديث والتفسير ، صحيح المذهب بلا

ابن الفضيل^(١)، عن أبي الحسن الكاظم^{عليه السلام} أنه قال: «جاء العباس^(٢) إلى أمير المؤمنين^{عليه السلام}، فقال له: انطلق بنا نباع لك الناس، فقال له علي^{عليه السلام}: أو تراهم فاعلين؟ قال: نعم، قال: فأين قول الله عز وجل: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣)»^(٤)، فقرأه إلى آخر الآيتين.

✱ أقول: من تدبر مع الاتصاف بالإنصاف في مضامين أخبار الافتتان والامتحان مما ذكرناه وما سيأتي لاسيما في فصول أحوال علي^{عليه السلام} وفضائله لم يبق له مجال شك في كون ذلك بالنسبة إلى خلافة علي^{عليه السلام} ومنازعيه فيها؛ ضرورة انحصار ابتلائه في حكاية الخلفاء الثلاثة، والجمل، ومعاوية، والخوارج. ومن الواضحات أن فتنة الخوارج - مع كونها سهلة بالنسبة إلى غيرها - من جزئيات فتنة معاوية.

✱ لخلاف في ذلك كله، من أجل رواة أصحابنا، له كتب منها: كتاب التفسير، والشرائع، والناسخ والمنسوخ.

انظر: الفهرست للطوسي: ٣٨٠/١٥٢، الخلاصة: ٥٥٦/١٨٧، كتاب الرجال

لابن داود الحلبي: ١٠١٨/١٣٥، تنقيح المقال ٢: ٨١٠٢/٢٦٠.

(١) محمد بن الفضيل الأزدي الكوفي الصيرفي، من أصحاب الإمام الكاظم^{عليه السلام}، قال النجاشي: إنه روى عن الإمامين الكاظم والرضا^{عليهما السلام}.

انظر: رجال البرقي: ٤٨، رجال النجاشي: ٩٩٥/٣٦٧، رجال الطوسي:

٥١٢٣/٣٤٣، الخلاصة ١٥٨٤/٣٩٣، منتهى المقال ٦: ٢٨٢٣/١٦٠.

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله^{صلى الله عليه وآله وسلم}، يكنى أبا الفضل، من أكابر قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية، كان من أعظم الناس عند الصحابة في صدر الإسلام، وله في كتب الحديث ٣٥ حديثاً، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ.

انظر: أسد الغابة ٣: ٢٧٩٧/٦٠، الإصابة ٢: ٤٥٠٧/٢٧٢، الأعلام ٣: ٢٦٢.

(٣) سورة العنكبوت ٢٩: ١ - ٢.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٤٨.

وصريح الآية أن الامتحان إنما هو ليتبين الصادق في دعوى الإيمان عن كاذبه .

وعلى هذا يلزم - لا محالة - أن يكون هؤلاء - ولا أقل بعض منهم - كاذبين في دعوى الإيمان ، فاعتقاد الإيمان في الجميع غلط ، والمرجع في التشخيص إلى القرائن ، فتأمل ، حتى يظهر لك أن التوجيه بدعوى اختصاص ذلك بالخوارج باطل ، محض الاعتساف^(١) ، كما ينادي به ما أشرنا إليه ، وما سيأتي في المقصد الثاني ، ولا تغفل عن دوام هذا الامتحان بالنسبة إلى كل إمام من أهل البيت عليهم السلام إلى أن يظهر المهدي صاحب الزمان عليه السلام ، كما هو عند المتأمل فيما يأتي من أحوالهم مع البصيرة كالعيان ، والله الهادي .

* * *

(١) العسف بالفتح فالسكون : الأخذ على غير الطريق والظلم ، وكذلك التعسف والاعتساف . انظر : مجمع البحرين ٥ : ١٠٠ .

الباب الأول

في بيان الامتحان بميل النفوس إلى ما اعتادت به ونشأت فيه ،
والنهي عن متابعة ذلك ببذل الجهد في تحقيق الحق وقبوله .

اعلم أن الله عزّ وجلّ ، حيث فطر الناس على الأنس ، جعل ممّا
امتحنهم به ميل طبائعهم إلى ما نشأوا فيه ، واعتادوا به وشبّوا عليه ، مثل :
حبّ طريقة آبائهم وأسلافهم وكبرائهم ، وأخذ أطوارهم ، واقتفاء آثارهم ،
بحيث إنّه قد يرسخ ذلك في قلوبهم رسوخاً لا تظهر لهم عيوبه (إن كان
معيوباً)^(١) ، ولا تنكشف عليهم حقيقة خلافه إن كان باطلاً ، ولا يزول
اعتقادهم به وإن كان خلافه في غاية الظهور ، بل كثيراً ما يلجئهم ذلك إلى
الإغماض عن السعي في هذا الانكشاف ، بل إلى التعمّد في التشكيك
والسعي في إخفاء الحقّ ، وتحريف ما يستبان به .

وليس لهذا الداء دواء ، إلاّ تصفية القلب عن شوب هذا الميل ، وجعل
الطرفين عند إرادة تحقيق الحقّ متساويين ، فإنّ من فعل هذا ألقي الله الحقّ
في قلبه ، وهداه إلى طريقه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٢) ؛ ولهذا قد أخبر الله بذلك ، ونهى عباده عن تلك

(١) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٩ .

الحالة ، وأمرهم ببذل الجهد في تحقيق الحق^(١) وقبوله ، وترك الحميَّة والعصبيَّة ، والتزام الحبِّ في الله والبغض في الله ، وموالاته أوليائه ، ومعاداة أعدائه .

وهذا مع اتّضاحه في نفسه نحن أيضاً نوضّحه في ضمن ثلاثة فصول ؛ ليعلم من أراد الحقَّ أن لا يبدَّ له من هذا التخلي والتخلي ، وليظهر أنَّ بقاء أهل الباطل على باطلهم إنّما هو لعدم تركهم تلك الحالة واقعاً وإن زعموا الترك .



الفصل الأول

في توضيح كون طبيعة عامّة البشر مجبولة على هذه الحالة في كلّ زمان ، بحيث إنّها أعمت عيُون ذوي الأبصار ، بحيث لا ترى ما كالشمس في رابعة النهار ، وأوقعت فتناً^(١) في مهالك الباطل ، ومهاوي بلانه ، بل دعت أقواماً إلى أن تصدّوا لتحريف الحقّ وإخفائه ، وبيان أنّ متابعتها منهية عنها مذمومة مطلقاً ، لاسيّما في أمور الدين ، وأنّها من أقبح صفات الجهال والضلال والمبطلين وأطوار الكفّار والمعاندين ، وأنّها هي الحميّة الجاهليّة .

اعلم أنّ هذا المدعى أمر بيّن واضح مشاهد في عامّة الناس ، وبالنسبة إلى أكثر الأشياء ، بحيث صارت الطباع مجبولة عليه ، وناهيك في هذا حبّ كلّ إنسان مسقط رأسه ، والبلد الذي نشأ فيه ، بحيث لا يشتهي الإقامة في غيره ، بل يرجّحه على غيره وإن كان الغير أعمر وأحسن ، حتّى أنّ البدوي المعتاد على البرّ يضيق صدره في البلدان كأنّه في الحبس إلى أن يعتاد ذلك أيضاً بامتداد المدّة ، وكثرة معاشرّة أهلها ، فإنّه حينئذٍ بسبب العادة الطارئة يصير بحيث ربّما لا يشتهي الخروج إلى البرّ أصلاً .

(١) الفتناء : الجماعة من الناس . شمس العلوم ٨ : ٥٣٠١ .

وهكذا الحال في سائر الأشياء كأصحاب الصنائع مثلاً، فإن كلاً يحب صنعته التي نشأ عليها واعتاد بها وإن كانت خسيصة ذنيثة، حتى نقل أن سلطاناً عشق بنتاً تسأل بكفها، فتزوجها وكثرت أموالها وصارت أعز وأغنى المقرّبين عنده، فدخل عليها يوماً فإذا هي واضعة كسرة خبز في موضع ليس فيه أحد، ويدها ممدودة إليه بعنوان السؤال، وتقول بالبحاح وتذلل زائد: تصدّقوا عليّ بهذه الكسرة.

ومن هذا القبيل حال المعاشرات، كما هو معلوم مجرّب من حبّ كلّ شخص أصحابه وعشيرته ومربيّه، كالوالدين والأستاذ والمعلّم وأمثالهم، وحبّ كلّ صنف أهل صنفه، ومن هو من سنخه، كحبّ العرب للعرب، والعجم للعجم، والترك للترك، والصالح للصالح، والطالح للطالح، والعالم للعالم، حتى أن أهل كلّ علم يحبّ العالم بذلك العلم كالفلسفي للمتفلسفين، والمتشرّع للمتشرّعين، والصوفي للصوفيّة، والشيعي للشيعيّة، والناصبي للناصبية، بل لا يكتفون بذلك حتى يعيبوا على غيرهم، ويحكموا عليهم بالسفه والبطلان، كما هو واضح من حكم الكفّار والجهلاء بالجنون على الأنبياء والعلماء.

ألا ترى أن أكثر المعتادين على الفسوق إن اتّفق لهم الجلوس أحياناً مع أهل العلم والصلاح، ورأوا ما بهم من الفعل والقول ضاقت صدورهم، وتنفّرت طبائعهم، بحيث لا يحبّون أن يعاينوهم ويودّون المخلص من ذلك المجلس ولا تنشرح قلوبهم إلا بملاقة أمثالهم، بل إذا لاقى بعضهم بعضاً ذكروا شكواهم من ذلك المجلس، ونسبوا أهله إلى السفه والحرمان بترك تلك الفسوق التي هي المعدودة لذّة عندهم، وكذلك العكس.

ولهذا ورد في الحديث: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الْمَسْجِدِ كَالسَّمَكِ فِي الْمَاءِ ،
وَالْمَنَافِقَ فِي الْمَسْجِدِ كَالطَّيْرَ فِي الْقَفْصِ»^(١).

إذا كان الأمر بهذه المثابة في الشيع والوضوح وعموم الجريان ،
حتى في بديهي البطلان ، فكيف أمكن استطراد المنع من جريان ذلك في
الأمر الخفية كالعقائد الدينية والمسائل النظرية؟ فلا يبعد ، بل كثيراً ما
متحقق ثابت اعتقاد كل أناس بحقيقة ما ذهب إليه آباؤهم ومشايخهم
وأسلافهم بمحض أنهم نشأوا عليه ورسخ في أذهانهم من بدو الحال وأول
الوهلة ولو كان واضح البطلان عند صحيح النظر الذي لم يكن بهذه المثابة ،
وأكثر هؤلاء الأقوام يصير رسوخهم ، بحيث لا يدركون المعاييب التي تكون
في ذلك ولا ضعف دليله ، ولا قوة دليل الخصم ؛ إذ لم يتوجهوا إليه بقلب
صاف ولا فكر صائب ؛ لما في صميم قلوبهم من الميل إلى ما اعتادوا عليه
ورسخ في أذهانهم وإن لم يشعروا بهذه العلة ، كما هو أحد معاني ما ورد
من أن «حَبَّكَ لِلشَّيْءِ يعمي ويصم»^(٢).

ولهذا قال الله عز وجل : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ﴾^(٣) ، وقال :
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤) .
وقال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب»^(٥) .

(١) انظر : كشف الخفاء ٢ : ٢٦٨٩/٣٨٨ ، تحفة الاحوذى ٧ : ٦٨ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٥٨١٤/٤٨٠ ، غوالي اللآلي ١ : ٥٧/١٢٤ و ١٤٩/٢٩٠ ،
في الجميع عن رسول الله ﷺ .

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ٧١ .

(٤) سورة الروم ٣٠ : ٣٢ .

(٥) الأمالي للطوسي : ١٢٨١/٦٢١ ، كشف الرية : ٦٩ ، مسند أحمد ١ : ٣٧١٠/٦٤٨ ،

صحيح مسلم ٤ : ٢٠٣٤/٢٦٤٠ ، سنن الترمذي ٤ : ٢٣٨٥/٥٩٥ ، إحياء علوم الدين

وقد أخبر الله عزَّ شأنه في مواضع كثيرة من كتابه بشيوع هذه الحالة ،
وأنها دأب أهل الباطل في عدم قبول الحقِّ، حتَّى بعد وضوحه أيضاً، كقوله
عزَّ وجلَّ في قوم نوحٍ عليه السلام : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
وَحَدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا ^(١) تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ
الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٢) .

وفي قوم إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي
أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ
وَعِبَادُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٣) .

وفي قوم شعيب [عليه السلام]: ﴿ أَصَلُّوْتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُنَا ﴾ ^(٤) .

وفي قوم موسى عليه السلام : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتِنَا عَمَّآ وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
وَتَكُونُ لَكُمْ آلِكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .
وكقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آلِهَةٍ بَغْيِرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴾ ^(٦) .

وكقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ ^(٧) .

(١) من هنا إلى ص ١٤٧ هامش ٣ ساقط من نسخة «م» .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٧٠ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٥٢ - ٥٤ .

(٤) سورة هود ١١ : ٧٨ .

(٥) سورة يونس ١٠ : ٧٨ .

(٦) سورة الحج ٢٢ : ٨ .

(٧) سورة لقمان ٣١ : ٢١ .

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ
الرُّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا
سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيَّاكَ قَدِيمٌ﴾^(٢).

وقال: ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا ءِآبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰ ءِآثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ
* وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ * فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءِآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءِآبَاؤَكُمْ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءِآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا آتُونَا بِبَآئِنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءِآبَاءَنَا وَاللَّهُ
أَمَرَنَا بِهَا﴾^(٦).

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ *
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءِآبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءِآثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ

(١) سورة المائدة ٥ : ١٠٤ .

(٢) سورة الأحقاف ٤٦ : ١١ .

(٣) سورة الصافات ٣٧ : ٦٩ - ٧٣ .

(٤) سورة سبأ ٣٤ : ٤٣ .

(٥) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٥ .

(٦) سورة الأعراف ٧ : ٢٨ .

مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ * قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾ .

وقوله جل شأنه: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنسَىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (٢) .

وقوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٣) .

وقوله: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ﴾ (٤) .

وقوله: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ (٥) .

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٦) .

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٧) .

وقوله: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٨) .

وقوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩) .

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٢١ - ٢٤ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٧٥ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٧٠ .

(٤) سورة الزوم ٣٠ : ٥٨ .

(٥) سورة هود ١١ : ١٠٩ .

(٦) سورة التوبة ٩ : ٣١ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ٣٠ .

(٨) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦٧ .

(٩) سورة سبأ ٣٤ : ٣١ .

وقوله: ﴿قَالَتْ أَخْرَجُهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾^(١) الآيات، وغيرها.

وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة لكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٢).

واعلم أن هذه الحالة ليست مقصورة على العوام ومتابعة الآباء فقط، بل كما تبين مما بيناه وظهر من الآيات التي ذكرناها وغيرها أن عمدة هذه المصيبة العظمى والبلية الكبرى ما هو بين المتعلمين والعلماء الذين هم مناط اعتماد الناس، فإن من المعلوم الواضح أن مبدأ تحصيل كل محصل - ما سوى الأنبياء والأوصياء - هو التعلم والأخذ ممن يعتقد أنه أعلم منه، وهذا يقتضي أن يعتقد بصحة ما عنده وحقية ما علمه؛ إذ لا قدرة له على تمييز أكثر الدقائق وحق الأقوال في مبدأ الحال، وعلى هذا يأخذ كل ما يأخذ منه على وجه التصديق والتسليم، ويرسخ ذلك في ذهنه، وهذا مع الوداد الذي من لوازم المعاشرة لاسيما بين المتعلم والمعلم خصوصاً في المتعلم، والاعتیاد في المتابعة الذي يزداد بطول المدّة يستلزم زيادة الرسوخ وتمكين التصديق يوماً فيوماً، بحيث ربّما ينجز الأمر إلى أن يحكم ببداهة صحة ما يكون واضح البطلان من قول أستاذه.

فإذا نشأ على هذه الحالة إلى أن استغنى عن التعلم، وعُدّ من العلماء، وكملت جودة ذهنه، وقويت مادة فكره، فحينئذ:

إما أنه ممن يدركه التوفيق من الله عز وجل فيراجع إلى ما مضى عليه قاصداً لتحقيق ما هو الحق من ذلك، وتمييز ما هو المرشد إلى الصواب،

(١) سورة الأعراف ٧ : ٣٨ .

(٢) الأمالي للمرتضى ٢ : ٨٢ ، غريب الحديث للهروري ٢ : ٢١ ، مسند أحمد ٢ :

٧١٤١/٤٦٤ ، غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ٦١/٣٤٩ ، تأويل مختلف الحديث :

١٢٨ ، وفي النسخ المعتمدة ورد: «وينصرانه...» وما أثبتناه من المصادر.

متكلاً في ذلك بهداية ربّ الأرباب بقلبٍ صافٍ عن شوب الاعتماد في الاعتقاد على ما رسخ في ذهنه بسبب ما ذكر من الاعتقاد، فهذا هو الذي يأتي في الفصل الآتي أنّه من أهل الاهتداء، ومن يُرجى له النجاة من مرديات الأهواء، وأنهم الأقلون عدداً، والأعظمون قدراً، كما سيظهر فيما بعد كمال الظهور.

وإما أنّه ممّن يبقى على حالته الأولى بحيث لو راجع أيضاً لا يرجع بخير؛ لما في قلبه من شوب الاعتماد على ما رسخ في ذهنه من الاعتقاد، كما هو حال أكثر المشاهير، وجمهور الجماهير، فمثل هذا كالمقلد وإن عدّ كاملاً، وكالجاهل وإن عدّ عالماً، وكلّما ازداد فكراً وخيالاً زاد - إن كان على الخطأ - بُعداً وضلالاً.

قال ابن عباس^(١): الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها^(٢).

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٤).

وكفى في هذا ما يرى في أصناف العلماء من بقاء كلّ منهم على تحسين فنّ نشأ عليه ومارسه، وتحصين علم اعتاد عليه وماهر فيه؛ لأنّ كلّ إنسان يخوض فيما أحبّ ويدفع ما لا يوافق محبوبه؛ ولهذا قال الله

(١) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، يكتى أبا العباس، من العلماء بالفقه والحديث والتفسير في صدر الإسلام، وهو ابن عم النبي ﷺ، له كتب منها: تفسير القرآن، وغريب القرآن، ولغة القرآن، ولد بمكة ونشأ بها، وتوفّي سنة ٦٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣: ٣٣٨/٦٢، طبقات المفسرين لنويهض ١: ٣١٠، شذرات الذهب ١: ٧٥.

(٢) دفع الشبهة عن الرسول والرسالة لتقي الدين الحصيني: ٦٤.

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٩٣.

سبحانه: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١)، ألا ترى إلى الأشعري كيف يعتقد بصحة عقائده، والمعتزلي يحكم بضلالتها، والمتفلسفي يجزم بأن الحق معه، والمشرع يقطع ببطلان مذهبه ويكفره؟! وكذلك سائر فرق الشيعة والسنة، مع وضوح أن الحق واحد وخلافه باطل؛ ضرورة امتناع صحة المتناقضين معاً، فلولا ما ذكرناه من علة الاعتياد، مع ما سيأتي من أسباب التخالف والعناد، لما حصل النزاع والاختلاف، ولا مال أحد عن طريق الانصاف.

ولا يخفى أن هذا عمدة أسباب ما ذمه الله عزوجل من الحمية الجاهلية، وما لم يترك الإنسان هذه الحالة ولم يجعل الطرفين متساويين عند إرادة التحقيق في المسائل الخلافية، لم يمكنه تحقيق الحق، سواء كان شيئاً أو شيئاً أو غيرهما، فيجب على كل من يريد الحق أن يبذل أولاً جهده في استخلاص نفسه عن هذه الحالة، كما سيأتي في الفصل الآتي؛ لأن العادات قاهرات، وقد امتحن الله عباده بذلك حتى يميز الخبيث من الطيب، ويكون المجاهد في سلب هذه الحالة مستحقاً للأجر العظيم، والخلاص من نار الجحيم؛ لأنه أحد أفراد الجهاد الأكبر الذي فسره رسول الله ﷺ حيث قال: «هو جهاد النفس التي بين الجنين»^(٢)، وقد قال علي عليه السلام: «الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم

(١) سورة الكهف : ١٨ : ٢٨ .

(٢) الأمالي للصدوق : ٧٤٠/٥٥٣ ، معاني الأخبار : ١٦٠ وفيها نحوه .

(٣) إلى هنا سقط من نسخة «م» ، انظر صفحة ١٤٢ هامش «١» .

يلجأوا إلى ركن وثيق»^(١)؛ إذ لا شك في أن العالم الرباني الذي لا ريب فيه هو النبي ﷺ الآخذ علمه من كتاب الله ووحيه وإلهامه، وكذا الذين اقتبسوا من نوره، وأخذوا من علومه، واستقاموا على ذلك، بحيث أن لا مستند لكلامهم إلا قول الله ورسوله ﷺ، وهؤلاء أيضاً هم المتعلمون على سبيل النجاة مع أتباعهم المقتفين لأثارهم المستقيمين على أطوارهم، فحينئذ يبقى البواقي تحت الفرد الباقي.

ولهذا قال الصادق عليه السلام: «من أخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال رذته الرجال»^(٢).

وفي الحديث: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري»^(٣)، أي: لا يجوز التكلم بغيرهما.

وفيه: «إنما هما اثنان: الكلام والهدى، فأحسن الكلام كلام الله تعالى، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة»، رواه جماعة منهم ابن ماجه في صحيحه^(٤).

(١) نهج البلاغة ١٤٧/٤٩٦، الخصال: ٢٥٧/١٨٦، كمال الدين ١: ٢/٢٩٠، تحف العقول: ١٦٩، الأمالي للطوسي ١٢٠: ٢٣/٢٣، الأمالي للمفيد: ٣/٢٤٧، الإرشاد للمفيد: ٢٢٧: ١، تاريخ العقبوي ٢: ٢٠٥، العقد الفريد ٢: ٢١٢، تاريخ بغداد ٦: ٣٧٩.

(٢) الكافي ١: ٦، الفصول المهمة للحر العاملي ١: ٢٢/١٢٤ (باب ٥).

(٣) إحياء علوم الدين ١: ٦٩.

(٤) سنن ابن ماجه ١: ٤٦/١٨، إحياء علوم الدين ١: ٨٠، كنز العمال ١٥:

وقد نقل الغزالي^(١) عن بعض السلف أنه قال: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك - يعني إذا كان مأخوذاً من النبي ﷺ فنأخذ - وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال^(٢).

وفي الحديث الثابت عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣): «أما والله، ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم»^(٤).

وفي رواية: «ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون»^(٥).

وفي رواية قال الصادق عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»^(٦).

وفي بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبّع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجال رجالاً»^(٧).

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، كنيته أبو حامد، فقيه شافعي وفيلسوف، متصوّف، وسمّي الغزالي لأنّ والده كان يغزل الصوف، وهناك قول آخر، له كتب، منها: إحياء علوم الدين، والمستصفي، ومشكاة الأنوار، ولد سنة ٤٥٠ هـ، ومات سنة ٥٠٥ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤: ٥٨٨/٢١٦، شذرات الذهب ٤: ١١، الأعلام ٧: ٢٢. (٢) إحياء علوم الدين ١: ٧٩.

(٣) سورة التوبة ٩: ٣١.

(٤) والكافي ١: ١/٤٣، ٣ (باب التقليد).

(٦) الكافي ٦: ٢٤/٤٣٤، الاعتقادات للصدوق: (ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج ٥) ٣٩/١٠٩، بحار الأنوار ٧٢: ١/٢٦٤.

(٧) نهج البلاغة: ٨٨ الخطبة ٥٠، الكافي ١: ٤٣ - باب البدع والرأي -.

الخبر .

وقال أيضاً في بعض كلامه : «اعلموا أن الله تعالى لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم ، وإنما تسيرون في أثر بين ، وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال قبلكم»^(١) .

وفي بعض خطبه أيضاً : «إن أبغض الخلق إلى الله عزوجل لرجلين : رجل وكله الله إلى نفسه ، فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف^(٢) بكلام بدعة ، قد لهج بالصوم والصلاة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس ، عان^(٣) بأغباش الفتنة ، قد سمأه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر [من جمع]^(٤) ما قل منه خيراً مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن ، وأكثر من غير طائل ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي من بعده ، كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حسواً من رأيه ، ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ ؟ لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه

(١) نهج البلاغة : ٢٦٦ الخطبة ١٨٣ .

(٢) في الكافي ١ : ٦/٤٤ : «مشغوف» .

(٣) في الاحتجاج ١ : ١٤٣/٦٢١ : «غاد» ، وفي نهج البلاغة : «عاد» وفي بعض نسخ

النهج : «غار» ، أي : غافل .

(٤) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر .

مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره، وإن أظلم عليه أمرٌ اکتتم به؛ لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له: لا يعلم.

ثمّ جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات، رگاب شبّهات، خبّاط جهالات، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، ولا يعضّ في العلم بضرر قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، يستحلّ بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم بحكمه الفرج الحلال، لا مليّ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحقّ»، الخبر، إلى أن قال عليه السلام: (١)

«إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالاً ويموتون ضالّالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق سلعة منه إذا حرّف عن مواضعه» (٢)، الخطبة.

والأخبار من هذا القبيل كثيرة تركناها خوفاً من الإطالة من غير ضرورة، ويأتي بعضها في الأبواب الآتية مع نقل نبذ ممّا صدر من بعض الناس سلفاً وخلفاً من إخفاء ما كان فيه دلالة على الحقّ، وتحريفه لفظاً ومعنى؛ للميل المذكور وغيره، فانتظر ولا تغفل عنه.

لكن هاهنا رواية صحيحة في حكاية مليحة مناسبة لما نحن فيه، مع دلالتها على أنّ دأب مخالف الشيعة كان تلك المتابعة الباطلة، كما هو كذلك اليوم:

(١) نهج البلاغة: ٥٩ خطبة: ١٧ بتفاوت، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١١، الكافي ١: ٦/٤٤، دعائم الإسلام ١: ٩٧، الإرشاد للمفيد ١: ٢٣١، الاحتجاج ١: ١٤٣/٦٢١، نهج السعادة للمحمودي ١: ١٥٢/٥٢٨ بتفاوت يسير.
(٢) نهج البلاغة: ٦٠، خطبة ١٧، وفيه: ولا سلعة أنفق ببعاً...

روى الكشي^(١) وغيره بإسناد معتبر عن ثقات من العلماء، عن أبي كهمس الكوفي^(٢) قال: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام فقال لي: «شهد محمد بن مسلم الثقفى^(٣) عند [ابن]^(٤) أبي ليلى القاضي^(٥) بشهادة فردّ شهادته»، قلت: نعم.

فقال: «إذا صرت إلى الكوفة فأنت ابن أبي ليلى وقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس، ولا تقل^(٦): قال أصحابنا ومشايخنا،

(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، يكتى أبا عمرو، ثقة بصير بالأخبار وبالرجال، صحب العياشي وأخذ منه، له كتب منها: كتاب الرجال.

انظر: الفهرست: ٦١٤/٢١٧، الخلاصة: ٨٣٨/٢٤٧، رجال ابن داود: ١٤٧١/١٨٠.

(٢) هو الهيثم بن عبدالله، من أصحاب الصادق عليه السلام، يشترك مع القاسم بن عبيد في هذه الكنية.

انظر: جامع الرواة ٢: ٤١٢، الكنى والألقاب ١: ١٤١، رجال النجاشي: ١١٧٠/٤٣٦.

(٣) هو محمد بن مسلم بن رباح الكوفي الثقفى، من أصحاب الإجماع، ومن فقهاء أصحاب الباقر والصادق والكاظم صلوات الله عليهم، فقيه ورع جليل، من حوارى الباقرين صلوات الله عليهما، والروايات الواردة في مدحه وجلالته كثيرة، له كتاب، يسمّى الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام، توفي سنة ١٥٠ هـ.

انظر: رجال النجاشي: ٨٨٢/٣٢٣، الخلاصة: ٨٥٨/٢٥١، قاموس الرجال للتستري ٩: ٧٢٧٥/٥٧٢.

(٤) أضفناها من المصدر.

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، ويقال: داود بن بلال بن أحيحة بن الجلاح الأنصاري الكوفي من أصحاب الصادق عليه السلام، وبينه وبين أبي حنيفة منافرات، وتولى القضاء بالكوفة، وأقام حاكماً ثلاثاً وثلاثين سنة، ولد سنة ٧٤، ومات سنة ١٤٨ هـ بالكوفة.

انظر: الكنى والألقاب ١: ١٩٤، قاموس الرجال للتستري ٩: ٦٨٧٧/٣٥٦، وفيات الأعيان ٤: ٥٦٤/١٧٩.

(٦) في النسخ ورجال الكشي: «تقول». وما أثبتناه من الاختصاص للمفيد.

ثم سله عن الرجل شك في الركعتين الأولتين من الفريضة، وعن الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله؟ وعن الرجل يرمي الجمار سبع حصيات فتسقط منه واحدة كيف يصنع؟ فإذا لم يكن عنده فيها شيء، فقل له: يقول لك جعفر بن محمد عليه السلام: ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف بأحكام الله منك، وأعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله منك؟

ومراده عليه السلام: أنه أخذها وتعلمها من معانها التي هي علماء أهل البيت عليهم السلام الذين تنتهي علومهم كلها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل، كما سيأتي بيانه وتحقيقه في محله.

قال أبو كههمس: فأتيت ابن أبي ليلى فقلت له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بكذا وكذا، قال: هات، فسألته المسألة الأولى، فأطرق ثم رفع رأسه إلي، فقال: قال أصحابنا، فقلت له: شرطي عليك أن لا تقول: قال أصحابنا ومشايخنا، فقال: ما عندي فيها شيء، فسألته المسألة الثانية، فأطرق، ثم رفع رأسه، ثم قال: قال مشايخنا، فأجبتة بالجواب الأول، فقال: ما عندي فيها شيء، فسألته الثالثة، فأطرق أيضاً، ثم قال ما قال في الأولى والثانية، فأجبتة أنا بذلك الجواب أيضاً، فقال: ما عندي فيها شيء. فقلت له: يقول لك جعفر بن محمد عليه السلام كيت وكيت.

فقال: ومن هذا الذي رددت شهادته وقال فيه جعفر كذا وكذا؟

قلت له: محمد بن مسلم الثقفي.

فقال: والله، إن جعفر بن محمد عليه السلام قال لك هذا؟

فقلت: والله، إنه لقال لي هذا.

فأرسل إلى محمد بن مسلم فدعاه فشهد عنده بتلك الشهادة، فأجاز

شهادته^(١).

أقول : ولنكتف في هذا الفصل بما ذكرناه ، لاثّضاح المسألة على من أراد الحقّ ، فعليه حينئذٍ التخلّي عن هذه الحالة ، والتحلّي بما سيأتي في هذا الفصل الآتي ، والله الهادي :

* * *

(١) رجال الكشي : ٢٧٧/٢٤٠ ، الاختصاص : ٢٠٢ - ٢٠٣ بتفاوت .

الفصل الثاني

في بيان أنّ الواجب على طالب الحقّ غاية بذل الجهد في تصفية نيّته وتفرّغ قلبه عن الميل المذكور سابقاً وأمثاله ممّا يأتي ، حتّى يصير قابلاً لإلهام الحقّ وإدراكه ، فإنّ الله عزّ وجلّ وعد التوفيق لمثل هذا الشخص وهدايته إلى فهم الحقّ ، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جُهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) الآية .

اعلم أنّه قد تبين ممّا مرّ آنفاً أنّ الميل الذي ذكرناه من آفات النفس وموانع فهم الحقّ وتحقيقه والإقرار به ، وستأتي أيضاً آفات آخر وموانع شتى ، كميل النفس إلى الهوى ، وحبّ شهوات الدنيا .

فعلى هذا يجب على كلّ أحد - لاسيّما من أراد أن تظهر عليه أنوار العلم والدين ، حتّى يطّلع على حقيقة الحقّ فيتمسك به على نهج اليقين - أن يسلب عن نفسه :

أولاً : تلك الرذائل وينظّفها عن تلك الخبائث ؛ إذ ما لم يشغل بتعهّد القلب وإصلاحه وتطهيره عنها ، لم يصير من علماء الدين ، فضلاً عن أن يكون من أهل الحقّ واليقين ؛ لأنّ العلم عبادة القلب ، وصلاة السرّ ، وقربة

الباطن إلى الله عزوجل، فكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة، إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم، إلا بعد طهارته عن (خبائث الأخلاق)^(١) وأنجاس الأوصاف، قال رسول الله ﷺ: «بُني الدين على النظافة»^(٢)، وهو كذلك ظاهراً وباطناً، وقال الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٣)؛ تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحواس، فالمشرك ولو قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن، لكنه نجس الجوهر خبيث الباطن.

ثم يجب عليه ثانياً: اكتساب ما به يحصل ضياء القلب، وصفاء النية، وجلاء الفكر^(٤) وسائر لوازم إدراك حقيقة الحق وقبوله التام، وما يستعد به لشمول التوفيق ونيل الهداية وحصول الإلهام من الله الربّ العلام.

قال الله سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٥)، وقال أيضاً: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾^(٦)، وقال عز سلطانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٧).

(١) ما بين القوسين في «م» هكذا: الخبائث والأخلاق الرديّة.

(٢) إحياء علوم الدين ١ : ٤٩ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٢٨ .

(٤) في «م»: الأفكار والقلوب .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ١٢٥ .

(٦) سورة الزمر ٣٩ : ٢٢ .

(٧) سورة النور ٢٤ : ٤٠ .

ومن الواضحات البيّنة أيضاً أنّ القلب مرآة إدراك الحقّ، فمهما لم يكن مجلياً صافياً - لاسيّما إذا كان مصدراً - كيف يمكن الانتقاش فيه، ورؤية ما يراد رؤيته منه؟ بل ربّما يرى فيه الحقّ بصورة الباطل، كما يرى الصورة البيضاء في المرآة المصدّعة مظلمة سوداء.

وفي الحديث: «لا تحلّ الفتيا لمن لا يستفتي من الله بصفاء سرّه وإخلاص عمله»^(١) وعلانيته وبرهان من ربّه في كلّ حال»^(٢).

وفي بعض خطاب الله لبني إسرائيل: «لا تقولوا: العليم في السماء من ينزل به [إلى الأرض]»^(٣)، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به؟ العلم مجعول في قلوبكم تأدّبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلّقوا إليّ بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم، حتّى يغطّيكم ويغمركم»^(٤).

فعلى هذا يجب لا محالة على كلّ مريد لتميّز الحقّ عنده عن غيره التمسك بآداب أهل الحقّ والتخلّق بأخلاقهم، وهي عديدة نذكر هاهنا خلاصة ما هو العمدة منها:

الأوّل: أن يكون مقصوده الأصليّ إصابة الحقّ وطلب ظهوره كيف اتّفق، كمنشد ضالّة يكون شاكرأ متى وجدها، ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو يد غيره، فيرى (رفيقه عوناً)^(٥) لا خصماً يشكره إذا عرفه الخطأ

(١) في «ش» و«ن»: علمه.

(٢) مصباح الشريعة: ١٦، وفيه: (لا يصطفى) بدل (لا يستفتي)، بحار الأنوار ٢:

٣٤/١٢٠.

(٣) الزيادة من المصدر، يقتضيها السياق.

(٤) إحياء علوم الدين ١: ٧١ بتفاوت يسير.

(٥) ما بين القوسين في «ن»: رفيقاً معيناً.

وأظهر له الحقّ، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالّته فينتبه غيره على ضالّته في طريق آخر، والحقّ هو ضالّة المؤمن فينبغي أن يطلبه كذلك، ويفرح بفهمه ولو بوجدانه عند غيره، ولا يتألّم من ظهور خطأ ما اعتقده حقاً وصواباً، ويترك المجادلة في تصويب رأيه عناداً فإنّ ذلك هو المرء الذي من علائم المبطلين، وقرائن تعصّب المضلّين الناشيء من الاستكبار عن قبول الحقّ، المذموم شرعاً وعقلاً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَيَّ اللَّهُ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾^(١) وفي آية أخرى: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾^(٢).
وفي مستدرك الحاكم وغيره: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:
«ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٣).

وعن النبي ﷺ أنّه قال: «من ترك المرء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ريبض الجنّة، ومن ترك المرء وهو محقّ بنى له بيتاً في أعلى الجنّة»^(٤).
وقال عليّ عليه السلام: «من طلب الدين بالجدل تزندق»^(٥).
وقال عليّ عليه السلام: «الخصومة تمحق الدين، وتحبط العمل، وتورث الشكّ»^(٦).

(١) سورة الزمر ٣٩: ٣٢.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٨.

(٣) مسند أحمد ٦: ٣٣٥/٢١٦٦٠، سنن ابن ماجه ١: ٤٨/١٩، سنن الترمذي ٥: ٣٢٥٣/٣٧٨.

(٤) سنن ابن ماجه ١: ٥١/١٩، سنن أبي داود ٤: ٤٨٠٠/٢٥٣، سنن الترمذي ٤: ١٧٩.

(٥) الاعتقادات (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ج ٥): ١١/٤٣.

(٦) التوحيد للصدوق: ٢١/٤٥٨ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وقال الصادق عليه السلام: «لا يتخاصم إلا شاك [في دينه]»^(١)، أو من لا ورع له»^(٢). وفي رواية: «إلا من [قد]^(٣) ضاق بما في صدره»^(٤).

الثاني: أن يوقف نفسه بموقف يأمن فيه عن أن يزلق - بسبب ما في صميم قلبه من الميل والهوى - في مهوى الباطل والردى ولو غفلة من حيث لا يشعر، وذلك بأن يجعل أولاً طرفي المسألة التي يريد تحقيقها متساويين عنده نفيًا وإثباتًا، ثم يتوجه إلى ملاحظة الدليل ومتابعة المدلول، كما مدح الله صاحب هذه الحالة بقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٥).

ولكن لا يخفى أن تحصيل هذه الحالة كما ينبغي في غاية الإشكال ونهاية الإعضال، بحيث ربما يزعم الإنسان الساعي في ذلك أنه حصلها وهو بعد لم يحصل شيئاً منها، فإنه موقوف على أمور عسرة الحصول جداً.

منها: خلوص النية في التحصيل، بحيث لا يكون مقصوده في ذلك غير ما يوجب رضا الله سبحانه واستحقاق الجنة وإن استلزم ذلاً في الدنيا ومخالفة أهلها، بل مخالفة عامة الناس، بل حتى كثير من الخواص، كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٦).

ومنها: ما هو من أسباب هذا الخلوص أيضاً، أي: إزالة الميل الذي

(١) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) أصل مثني بن الوليد الحنات (ضمن الأصول الستة عشر): ١٠٢ بتفاوت يسير.

(٣) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٤) التوحيد: ٣٥/٤٦١.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ١٨.

(٦) سورة سبأ ٣٤: ١٣.

مضى ، وإزاحة ما يأتي من متابعة الهوى خوفاً من الله ورجاءً للهدى ، بأن يجعل نصب عينيه في تمام مدة نظره أنه مهما انحرف يميناً أو شمالاً وقع في مهوى الخطأ ، واستحقَّ وزراً ووبالاً ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (٢) .

ومن قرائن صحّة تحقّق تلك الحالة : أن ينظر إلى كلام الخصم بنظر الاعتبار بنحو ما ينظر إلى كلام نفسه ، بل الأولى له أن يتفحص عن عيوب كلامه ومحاسن كلام الخصم ، حتّى يحصل له بذلك كمال تعادل الطرفين ، ويتبين عليه أحسن القولين ؛ إذ كما في الحديث : «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُورًا» (٣) ومن الواضح أنه يظهر حينئذٍ ما فيه شيء من ذلك ظهوراً .

ولهذا ضلّ المخالفون في طغيانهم يعمهون ، حيث إنهم اعتادوا في بدو الحال على تصديق صحّة طريقتهم وبطلان طريقة الشيعة تقليداً ، ثمّ نشأوا على ذلك ، بحيث صار عندهم مسلماً ، بحيث إنّ الأكثرين منهم لا يتوجّهون إلى ملاحظة كلام الشيعة ، ولا مطالعة كتبهم تفصيلاً ، بل إذا وقعت بأيديهم حرّقوها وأضاعوها تعصّباً ، حتّى أنّه لو اتّفق لهم النظر فيها نظروا بعين التكذيب ، وفي غاية الإجمال ونهاية الاستعجال ، بل نظر المغشّي عليه من الموت .

(١) سورة النازعات ٧٩ : ٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة القصص ٢٨ : ٥٠ .

(٣) رواه النعماني في الغيبة : ٢/١٤١ عن أبي عبد الله عليه السلام ، وعنه بحار الأنوار : ٥١ :

وقد صار ذلك ديدنهم، بحيث إن جماعة منهم منعوا عن مطالعة بعض كتبهم التي نقلوا فيها ما يؤيد مدعى الشيعة، نحو كتب ابن قتيبة^(١)، وابن أبي الحديد^(٢)، وتفسير التفضيلية وأمثالها، واعتذروا عن ذلك بأنّها تورث الشكّ، حتّى أنّه إن حاول أحد منهم الملاحظة التفصيليّة، أو عاشر علماء الشيعة، اتّهموه وإن كان من أعلم علمائهم.

ولعلّ الحقّ معهم في ذلك؛ لما يظهر من تلويحات جمع منهم، بل تصريحاتهم، لاسيّما من عاشر منهم الشيعة ومارس كتبهم، من الميل إلى مسلكهم والنصرة لطريقتهم، فلا أقلّ حينئذٍ من عروض الشكّ والتردد لهم؛ ولهذا ترى علماء رجالهم قد يقولون في ترجمة أحوال بعض رواتهم ومشايخهم: إنّه اختلط في أواخر عمره! ونحو ذلك، فإنّ مرادهم الميل إلى التشيع، وعباراتهم الدالّة على ما ذكرناه كثيرة من أرادها فعليه بكتاب مجالس المؤمنين، وأمثاله.

(١) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ النحوي اللغوي، يكتنّى أبا محمّد، ولي قضاء الدينور مدّة، صاحب التصانيف الحسان في الفنون والعلوم، له كتب منها: المعارف، وغريب القرآن، وغريب الحديث، والإمامة والسياسة، ولد سنة ٢١٣هـ ببغداد، ومات سنة ٢٧٦هـ.

انظر: إنباء الرواة ٢: ٣٥٧/١٤٣، وفيات الأعيان ٣: ٣٢٨/٤٢، سير أعلام النبلاء ١٣: ١٣٨/٢٩٦.

و«الدينور» مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، انظر: معجم البلدان ٢: ٥٤٥، وقرميسين: معرب كرمان شاهان، انظر معجم البلدان ٤: ٣٣٠، والجبل اسم لعدّة مناطق، انظر تفصيلها في معجم البلدان ٢: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمّد، يكتنّى أبا حامد، عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، ومعدود في أعيان الشعراء، وله ديوان مشهور، وشرح نهج البلاغة، والقصائد السبع العلويات، ولد سنة ٥٨٦هـ في المدائن، ومات سنة ٦٥٥هـ. انظر: فوات الوفيات ٢: ٢٤٦/٢٥٩، الأعلام ٣: ٢٨٩.

وفي مقابل ذلك دأب الشيعة، فإن الإمامة عندهم من عمدة أصول الدين، والتقليد لاسيما في الأصول عندهم غير جائز، فحينما برزوا في العلم شرعوا في تتبّع المذاهب وتصفّح الكتب والصحائف، واستنقاد الأدلة واستفادة المسألة، ولا يجوز عندهم الاكتفاء بمحض قول المؤلف حتّى في نقل الأدلة والمذاهب؛ إذ لا يسمع دعوى المدّعي بدون إقرار الخصم أو الشاهد.

فلهذا جعلوا مدار التحقيق على تتبّع كتب القوم أيضاً، حتّى استخرجوا منها ما يدلّ على إقرار خصومهم، وشواهد ما أنكروه، وسائر ما فيه إتمام الحجّة، حتّى على الخصم، وصار ذلك ديدنهم، بحيث إنّ جماعة منهم لم يقنعوا بما نقل علماءهم من القوم، حتّى راجعوا كتبهم ورواياتهم، فرأوا ما أرادوه رأي العين وإن لم يقبلوا من ذلك - ما سوى خبر مقبول الفريقين - إلا ما فيه حجّة على الخصم ممّا قبله ورواه.

ومن شواهد صحّة جميع ما ذكرناه: كمال اطلاع الفرقة المحقّقة من الشيعة على مذاهب القوم وأحاديثهم، ووجود أكثر كتبهم عندهم بحيث ربّما يقال: إنهم أكثر اطلاعاً بمذاهب القوم من أنفسهم، كما تنادي بذلك الكتب الاستدلالية من الفرقة المحقّقة فروعاً وأصولاً، فإنّها مشتملة على نقل تمام مذاهب القوم في كلّ مسألة مسألة موافقاً لما في كتبهم، مع أدلّتهم عليها وجواب الأدلّة، من أراد الامتحان فليرجع إليها فإنّ منها: كتاب منتهى المطلب، وكتاب تذكرة الفقهاء للعلامة ابن المطهر الحلّي^(١) في الفروع،

(١) هو الحسن بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن المطهر الحلّي، يكنّى أبا منصور، المشتهر بالعلامة على الاطلاق، مفخرة الجهادة الاعلام، ومركز دائرة الإسلام، له مؤلّفات تنيف على المائتين، منها: نهج الحق، ومناهج اليقين، ومختلف الشيعة، لله

وكتاب كشف الحق له أيضاً في الأصول، وغيرها، وشرحه إحقاق الحق للسيد التستري^(١)، وكتب المفيد^(٢)، والمرتضى^(٣) وغيرها.

ولعمري يكفي هذا الكتاب أيضاً لأولي الألباب؛ لأن مدارنا فيه على نقل ما في كتب القوم من الأخبار والأقوال وغيرها في كل باب.
وإن دأب القوم بعكس ذلك؛ إذ لا اطلاع لهم - كما يظهر من كتبهم -

على نهاية الأحكام، وغيرها، ولد سنة ٦٤٨، وتوفي ليلة السبت ٢١ من المحرم سنة ٧٢٦ هـ.

انظر: رياض العلماء ١: ٣٥٨، روضات الجنات ٢: ١٩٨/٢٦٩، أعيان الشيعة ٥: ٣٩٦، منتهى المقال ٢: ٨٣١/٤٧٥.

(١) هو السيد نور الله بن السيد شريف الدين الحسيني المرعشي التستري الشهير بالأمير، الساكن بالبلاد الهندية، فاضل عالم صالح علامة فقيه محدث، بصير بالسير والتواريخ، له أشعار وقصائد في مدح الأئمة عليهم السلام، له كتب منها: مصائب النواصب، حاشية على تفسير البيضاوي، مجالس المؤمنين، ولد سنة ٩٥٦، واستشهد في لاهور سنة ١٠١٩ هـ.

انظر: أمل الأمل ٢: ١٠٣٧/٣٣٦، رياض العلماء ٥: ٢٦٥، الكنى والألقاب ٣: ٤٥، روضات الجنات ٨: ٧٢٧/١٥٩، الأعلام ٨: ٥٢.

(٢) محمد بن محمد بن نعمان، يكنى أبا عبدالله، ويلقب بالمفيد ويعرف بابن المعلم، أوثق أهل زمانه وأعلمهم، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، له كتب، منها: الإرشاد، المقنعة، أوائل المقالات، ولد سنة ٣٣٦، وتوفي -قدس الله روحه- سنة ٤١٣ هـ.

انظر: الخلاصة ٨٤٤/٢٤٨، معالم العلماء: ٧٦٥/١١٢، رياض العلماء ٥: ١٧٦، سير أعلام النبلاء ١٧: ٢١٣/٣٤٤.

(٣) هو علي بن الحسين بن موسى، يكنى أبا القاسم، ويلقب بالمرتضى علم الهدى. فقيه الإمامية ومتكلمها، له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وانتهت إليه الرئاسة في المجد والشرف والعلم بعد الشيخ المفيد، له كتب، منها: الشافي في الإمامة، والذخيرة، والذريعة، ولد سنة ٣٥٥، وتوفي -قدس الله روحه- سنة ٤٣٦ هـ.
انظر: الخلاصة: ٥٣٣/١٧٩، رياض العلماء ٤: ١٤، معجم الأدباء للحموي ١٣: ١٩/١٤٦، سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٩٤/٥٨٨.

على حقائق طريقة الفرقة المحققة، ولا على كتبهم وتصانيفهم، حيث استقر أمرهم - كما مرّ - على عدم تحصيلها وترك النظر إليها، حتى أنّهم قد ينسبون إلى فرقة ما هو قول أخرى، بل كثيراً ما طعنوا على الفرقة المحققة بباطلٍ قاله غيرهم، كما سنبيّن بعض ذلك في هذا الكتاب.

ولقد كفى شاهداً على ذلك أنّ مبنى اعتماد أكثرهم في ذكر قول الخصم وإبطاله على كتاب الصواعق وأمثاله، وليس في ذلك ما سوى شتم الشيعة، والظعن عليهم، ونسبة الحمق والسفه والكذب إليهم بلا دليل كاشف عن ادّعائهم، بل بمحض التزهم واشتهائهم حيث رسخ في قلوبهم أنّ هؤلاء يعادون أجلّة الصحابة، وهو بمعزل عن الحقّ، بل محض الفرية، وفي كمال السخافة؛ لأنّهم لا يعادون إلاّ من ثبت عندهم أنّه من أعداء محمد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحابياً كان أم غيره، وسيأتي، كما هو واضح أيضاً وجود الأخبار في الصحابة والأشرار، وبيان حال كلّ واحد، فانتظر.

الثالث: أن يجتهد في تحصيل قوّة تمييز، وجودة بصيرة، وصفاء ذهن يعرف بها نور الحقّ من ظلمة الباطل، بحيث لا يشبهه عليه الشبهة بالدليل والصحيح بالعليل، فإنّ كثيراً من الناس حُرّموا عن حقّ هذا المقام، فزلت فيه أقدام وضلّ به أقوام؛ إذ لا شك أنّ لكلّ أحد مبطلاً كان أو محقّقاً مستمسكاً يلوذ به ويلجأ إليه، وكلّ يزعم صحّة ما هو معتمد عليه، كما سيأتي في الفصل الثاني من الباب الرابع من هذه المقدّمة.

وظاهر أنّ الجميع ليس بصحيح، بل إنّما المبطلون في قيد شبهة^(١)

وحيرة ضلالة وإن كان بطلانها عندهم غير صحيح.

ولهذا قال عليّ عليه السلام : «إِنَّمَا سَمَّيْتُ الشَّبَهَةَ شَبَهَةً ؛ لِأَنَّهَا تَشْبَهُ الْحَقَّ ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فُضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى ، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ [فِيهَا] ^(١) الضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى» ^(٢) ، الخبر .

وقال عز وجل : ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحِّثُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ﴾ ^(٣) .

وقال سبحانه : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ^(٤) ، الآيات وغيرها .

فعلى هذا ، يجب على كل قاصد لتحقيق الحق أن يوزن كل دليل يرد عليه بميزان الاعتدال ، الذي هو ثبوت كونه ممّا أتاه الرسول صلى الله عليه وآله - كما سيُتضح ممّا سيأتي ، لاسيّما في الباب الرابع - حتّى يخلص من الوقوع في تيه الشبهة وحيرة الجهالة ، وينجو بسبب اليقين عن شكوك الضلالة ، ويفرّق بين ما هو وسيلة القرب إلى الرحمن ، وما هو من خطوات الشيطان ، ويعرف ما أحلّ الله له من الطيبات ، وما حرّم عليه من الخبائث .

ولا يخفى أنّ هذه الحالة أيضاً إنّما تتحقّق بتصفية النية ، وتزكية النفس عمّا ذكرناه من المرديات ، واتّخاذ طريق تيقّن كونه من المنجيات . وبالجملة : أصل توفيق فهم الحقّ وإدراك دليله إنّما يكون بإلهام من الله تعالى وهدايته .

وذلك موقوف على السعي في تزكية النفس ، وتخليص النية ،

(١) ما بين المعقوفين من المصدر .

(٢) نهج البلاغة : ٨١ الخطبة رقم ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام : ٦ : ١٢١ .

(٤) سورة النور : ٢٤ : ٢٦ .

وتفحص السبيل الذي يكون خالياً عن الريب في كونه سبيل الله الموصل إلى ما أراد من عباده؛ إذ حينئذٍ لا محالة يشملته التوفيق من الله عزوجل ويهديه إلى الصراط المستقيم، كما وعد في قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (١).

وقال عزوجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٢).

وقال: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٣).

وقال النبي ﷺ: «ليس العلم بكثرة التعلّم، إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه» (٤).

وقال الصادق عليه السلام في حديث له: «وكَلَمَا ارتفع حجاب ازداد نوراً، فيقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره فينشرح صدره، ويطلع على حقائق الأشياء، [وتجلى له الغيوب] (٥)، ويعرف كل شيء في موضعه، فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه» (٦).

وفي الحديث: «من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٧).

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٩ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٥٧ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ .

(٤) منية المرید : ١٦٧ عن الصادق عليه السلام ، وفي بحار الأنوار ٧٠ : ١٤٠ من دون نسبة بتفاوت يسير .

(٥) ما بين المعقوفين من المصدر .

(٦) أورده المجلسي في بحار الأنوار ٧٠ : ١٤٠ من دون نسبة .

(٧) الفصول المختارة : (ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج ٢) ١٠٧ ، حلية الأولياء : ١٠

١٥ ، إحياء علوم الدين ١ : ٧١ ، بحار الأنوار ٤٠ : ١٢٨ بتفاوت يسير .

وفيه: «إنَّ الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله، وإنَّ النفاق ليبدو نكتة سوداء، فإذا انتهكت الحرمات زادت حتى يسود القلب كله، فيطبع على قلبه، فذلك الختم»^(١).
وفيه أيضاً: «الخشية ميزان^(٢) العلم، والعمل^(٣) شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً، وإن (شقَّ العلم في مشابهاً)^(٤) العلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥)»^(٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «دع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لا تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالتة...».

وقال أيضاً: «وليكن طلبك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وغلو الخصومات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة باللهك، والرغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة، واستسلمتك إلى ضلالة»، ثم قال: «ليس طالب الدين من خبط وخلط»، وقال: «يا بني، إن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله، والاقترار على ما فرض الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباتك، والصالحون من أهل بيتك فإنهم

(١) لم نعثر على نصه، وانظر: المصنّف لابن أبي شيبة ١١: ١١/١٠٣٧٠، عن الإمام عليه السلام.

(٢) في المصدر: «ميراث».

(٣) في المصدر: «العلم».

(٤) ما بين القوسين في المصدر هكذا: «يشق الشعر بمتشابهات».

(٥) سورة فاطر ٣٥: ٢٨.

(٦) مصباح الشريعة: ٢٠، وأورده المجلسي في بحار الأنوار ٢: ١٨/٥٢، وفيهما بتفاوت.

[لم يدعوا أن] ^(١) نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلّفوا ^(٢)، الخبر. والآيات والروايات والتجربات فيما نحن فيه كثيرة، وكفى ما ذكرناه لصاحب البصيرة، فعلى العاقل الكامل أن لا يعتمد على ما في يده، حتى يتيقن بثبوت برهان صدقٍ على حقيته، ولا شك أن القطع بذلك إنما يكون بثبوت وروده من الله ورسوله، فافهم.



(١) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٢) نهج البلاغة (رسائل أمير المؤمنين عليه السلام): ٣١/٣٩٢، تحف العقول: ٦٩ - ٧٢، اختيار مصباح السالكين: ٥٠٤ - ٥٠٥، وفيها بتقديم وتأخير.

الفصل الثالث

في بيان ما هو من متفرعات هذا الباب ، من لزوم الحب في الله ، والبغض لله ، وموالة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه ، ونصرة دينه وإن كان ذلك مخالفاً لمقتضى الحمية العادية وحب الآباء والأقرباء .

وذلك لأن الإنسان إذا صفت نيته ، وأخلص العمل لربه ، وأخرج شوائب الباطل من قلبه يدعو ذلك إلى أن يحب الله ويحب محبوبه من أوامره ودينه ومحبيه ، ومطيعيه المؤتمرين بأمره ، المستئين بسنته ، المتمسكين بحبله ، لاسيما المرّوجين للدين ، والهداة المهديين ، والمجاهدين في نصره الحق المبين كالأنبياء والمرسلين ، والأوصياء والصدّيقين ، والعلماء والناصحين ، والشهداء والصالحين ؛ ضرورة أن كلاً يميل إلى جنسه ، ويحب من هو من سنخه ، وحيثما ازدادت المناسبة زادت الرغبة والمحبة ، والمؤمنون كلّهم من سنخ واحد ومن طينة واحدة ، كما أن الكفّار والفسّاق والمنافقين أيضاً كذلك ، والمناسبة بينهم وبين الشياطين لذلك ، كما ورد في الأخبار^(١) وجزيه الأختيار .

وقد قال الله عزّوجلّ : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢) .

(١) انظر : الكافي ٢ : ٢ (باب طينة المؤمن والكافر) .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٠٣ .

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (١).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢).

ولا كلام في حب الأخ لأخيه، وهكذا الحال في حب محبوب المحبوب، وهلم جراً.

ولا يخفى أن من اللوازم البينة لهذا بغض من خالف هذه الروية، وناقض هذه الطريقة، لاسيما الصاد عن المحبوب والداعي إلى خلاف ما هو المرغوب؛ ضرورة أن حب الشيء يستلزم كراهة ضده، وكراهة الشيء تقتضي بغض أهله، وقد قال عز وجل: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (٣).

فمن كان صادقاً في حب الله أحب الإيمان وأهله، ووالاهم وتمسك بلوازمه، وكره الكفر والفسوق والعصيان، وأبغض أهل ذلك وعاداهم، وتبرأ منهم، ومن لم يكن كذلك فهو كاذب في دعواه، غادر بهواه، بل هو من نوع هؤلاء وعدو لمولاه.

قال الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) سورة الأنفال ٨ : ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سورة الحجرات ٤٩ : ١٠ .

(٣) سورة الحجرات ٤٩ : ٧ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٢٣ .

حَادَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿١﴾ ، الآية .

وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٢) .

وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ (٣) .

وقال: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ﴾ (٤) ، الآية .

وقال عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٥) .

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٦) ، الآية .

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ (٧) ، الآية .

وقال: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ

(١) سورة المجادلة ٥٨ : ٢٢ .

(٢) سورة الممتحنة ٦٠ : ١ .

(٣) سورة الممتحنة ٦٠ : ٤ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٨٠ - ٨١ .

(٥) سورة الممتحنة ٦٠ : ١٣ .

(٦) سورة المائدة ٥ : ٥١ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١١٨ .

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ (٢) .

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٣) .

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) .

وقال: ﴿إِنَّهُمْ آتَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٥) .

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (٦) الآية .

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٧) .

وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٨) .

وقال: ﴿مَنْ يَزِدْكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٩) ، الآية .

والآيات من هذا القبيل كثيرة، وسيأتي بعضها، وكذلك الأخبار، ولنذكر نبذاً منها:

(١) سورة التوبة ٩ : ٦٧ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٥٦ .

(٣) سورة الأنفال ٨ : ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٢٧ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ٣٠ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ١٦٥ .

(٧) سورة التوبة ٩ : ٧١ .

(٨) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

(٩) سورة المائدة ٥ : ٥٤ .

ففي الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام: «من أحبَّ الله وأبغض الله وأعطى الله، فهو ممَّن كمل إيمانه»^(١).

وفيه أيضاً: «إنَّ من أوثق عُرى الإيمان أن تحبَّ في الله وتبغض في الله»^(٢)، الخبر.

ورواه ابن أبي الدنيا^(٣) في كتاب الإخوان: عن البراء^(٤)، عن النبي صلى الله عليه وآله، كما نقل عنه السيوطي في جامعه^(٥).

وفيه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله، وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله»^(٦).

وروى مثله الطبراني في كتابه الكبير عن ابن عباس، عنه صلى الله عليه وآله^(٧).

وسئل الصادق عليه السلام عن الحبِّ والبغض [أ] من الإيمان هو؟ فقال:

(١) المحاسن ١: ٩٣٤/٤١٠، الكافي ٢: ١/١٠١ (باب الحبِّ في الله والبغض في الله)، تنبيه الخواطر ٢: ١٩١.

(٢) المحاسن ١: ٩٣٢/٤١٠، ثواب الأعمال: ١/٢٠٢، الأمالي للمفيد: ١٥١.

(٣) هو عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان، يكتنَى أبا بكر، المشهور بابن أبي الدنيا، من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، له كتب، منها: الإخوان، الأدب، الأشراف، ولد سنة ٢٠٨، ومات سنة ٢٨١ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٠: ٥٢٠٩/٨٩، سير أعلام النبلاء ١٣: ١٩٢/٣٩٧.

(٤) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، يكتنَى أبا عمارة، وقيل: أبا عمرو، صحابي من أصحاب الفتح، أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله خمس عشرة غزوة، وروى حديثاً كثيراً، مات سنة ٧٢، وقيل: سنة ٧١ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١: ١٦/١٧٧، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩/١٩٤، الأعلام ٢: ٤٦.

(٥) الإخوان: ١/٣٥، جامع الأحاديث ٣: ٨٧٩٦/٣٠٤.

(٦) المحاسن ١: ٩٣٩/٤١١، الكافي ٢: ٦/١٠٢ (باب الحبِّ في الله والبغض في الله).

(٧) المعجم الكبير للطبراني ١١: ١٧١-١١٥٣٧/١٧٢ بتفاوتٍ في بعض الألفاظ.

(٨) ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

«وهل الإيمان إلا الحب والبغض»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَنَ﴾^(١)،^(٢) الآية .

وقال عليه السلام: «من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين
له»^(٣) .

وفي مستدرك الحاكم عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من أحب قوماً حُشِر
معهم»^(٤) .

وفي كتاب السخاوي^(٥) عنه صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من أحب قوماً ووالاهم
حشره الله فيهم»^(٦) .

وفيه أيضاً عنه صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من
يخالل»^(٧) .

وقد رواه أيضاً أبو داود والترمذي وغيرهما^(٨)، لكن عدّه ابن

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ٧ .

(٢) المحاسن ١ : ٩٣٠/٤٠٩ ، الكافي ٢ : ٥/١٠٢ (باب الحب في الله والبغض في
الله) ، بحار الأنوار ٦٩ : ١٦/٢٤١ .

(٣) الكافي ٢ : ١٦/١٠٤ (باب الحب في الله والبغض في الله) .

(٤) المستدرك للحاكم ٣ : ١٨ .

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، يكنى أبا عبدالله بن
الزین ، ويلقب شمس الدين أبو الخير الشافعي المذهب ، عالم بالحديث والتفسير
والأدب ، أصله من سخا (من قرى مصر) له كتب ، منها : الضوء اللامع ، والمقاصد
الحسنة ، والتحفة اللطيفة ، ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١ في القاهرة ، ومات سنة
٩٠٢ هـ بالمدينة .

انظر : شذرات الذهب ٨ : ١٥ ، والأعلام ٦ : ١٩٤ .

(٦) المقاصد الحسنة ٤٤٥/١٠١١ .

(٧) المصدر السابق ٤٤٣/١٠٠٩ .

(٨) سنن أبي داود ٤ : ٤٨٣٣/٢٥٩ ، سنن الترمذي ٤ : ٢٣٧٨/٥٨٩ ، مسند

الطيالسي : ٢٥٧٣/٣٣٥ ، مسند الشهاب ١ : ١٨٧/١٤١ .

الجوزي^(١) في الموضوعات^(٢)، وقال: وحديث «المرء مع من أحب» متفق عليه^(٣). وهو ما رواه البخاري في صحيحه بأسانيد عن النبي ﷺ أنه قيل له: الرجل يحبّ قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب»^(٤).

وفي صحيحه أيضاً: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: متى الساعة يارسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنني أحبّ الله ورسوله ﷺ، فقال: «أنت مع من أحببت»^(٥).

وفيه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»^(٦).

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام، عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففك خير والله يحبّك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصية الله، فليس فيك خير والله

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي الفقيه الحنبلي، يكتى أبا الفرج، كان من علماء عصره في الحديث والتاريخ وغيرهما من فنون العلم، عدد تصانيفه تربو على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً منها: زاد المسير في علم التفسير، المنتظم، الموضوعات، ولد سنة ٥٠٨ أو ٥١٠، وتوفي في شهر رمضان سنة ٥٩٧ ببغداد.

انظر: وفيات الأعيان ٣: ٣٧٠/١٤٠، شذرات الذهب ٤: ٣٢٩، الأعلام ٣: ٣١٦. (٢) وجدناه في العلل المنتهية ٢: ١٢٠٦/٧٢٣، وانظر: التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزرکشي: ٨٩، والمقاصد الحسنة: ١٠٠٩/٤٤٣، وتذكرة الموضوعات للفتي: ٢٠٤.

(٣) المقاصد الحسنة: ١٠١١/٤٤٥.

(٤ و٥) صحيح البخاري ٨: ٤٩.

(٦) صحيح البخاري ٨: ٢٥.

يبغضك ، والمرء مع من أحب»^(١) .

٧٧ أقول : لقد تبين مما بيننا أن الحب الحقيقي الذي يكون خالصاً لله تعالى إنما يتحقق من صميم القلب ويتم ، والمحبة الصادق الواقعي الكامل في المحبة إنما يكون باجتماع شرائط يستلزم كل منها الآخر إذا كان كاملاً تاماً غير ناقص ، بل كل علامة الآخر وثمره تمام الحب ، بحيث مهما ظهر النقص في أحدهما كان ذلك علامة نقص أصل الحب ، بل ربما يدل على نفيه أمور :

أحدها : حب أصفياء الله ورسوله ﷺ وأوليائهما ، وما أنزله الله وما أمر به رسوله ﷺ ، فإن ذلك من حب محبوب المحبوب ، فيجب أن يحب ما ثبت أنه من الدين الذي أمر الله ورسوله ﷺ به ، وأن يحب كتاب الله المجيد ، وأن يحب آل محمد ﷺ وأهل بيته الذين نص الله تعالى بطهارتهم^(٢) ، وأوجب في كتابه مودتهم^(٣) ، وجعلهم الرسول قريناً لكتاب الله^(٤) ، وصرح بمناقبهم وحسن حالهم ووجوب حبهم ، وأنهم منه وهو منهم ، كما سيأتي في مناقبهم مفصلاً ، وأن أصلهم علي وفاطمة والحسنان صلوات الله عليهم ، وأن يحب عموماً من السابقين واللاحقين كل مؤمن بالله وكتبه ورسله وجميع ما جاء به النبي ﷺ محب لما ذكرناه وخصوصاً من لم تكن شبهة في ثبوت إيمانه وظهور حسن حاله ، بحيث يكون بيناً من أحواله وأفعاله وأقواله وأطواره وآثاره رسوخ حب جميع هؤلاء الذين

(١) الكافي ٢ : ١١/١٠٣ (باب الحب في الله والبغض في الله) .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٤) كما في حديث الثقلين المتواتر عنه ﷺ .

ذكرنا وجوب حبهم في قلبه، صحابياً كان أو غيره؛ لما سيظهر مما يأتي من وجود غير الخير في الصحابي أيضاً.

وثانيها: اتباع أوامر الله ورسوله ﷺ، ومتابعة هؤلاء الذين بيننا وجوب محبتهم، واكتساب حالتهم، واقتفاء آثارهم، والاقتداء بأطوارهم، وترك مخالفتهم، بل اجتناب ما فيه استشمام كراهتهم؛ ضرورة أنه من أحبّ قوماً اكتسب أحوالهم واتبع آثارهم، ولم يرض إلا بما فيه رضاهم، كما هو المجرب المتعارف أيضاً.

ونعم ما قال من قال - كما نقل السخاوي وغيره -: اعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتى تتبع آثارهم، وحتى تأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم، وتصبح وتمسي على منهاجهم حرصاً على أن تكون منهم، ثم ذكر شعراً:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظَهِّرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي القِيَّاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَعْتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ ^(١)

قال: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ ^(٢) ^(٣)، وسيأتي لهذا زيادة توضيح.

وثالثها: بغض أعداء الله ورسوله ﷺ ومخالفتهما سراً أو جهاراً كالذين لم يأتروا بأوامرهما ولم يستنوا بسنتهما، واتبعوا الأهواء وتمسكوا بالأراء، لاسيما الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولم يعابوا بما جاء به نبيهم، فعادوا أوليائه ووالوا أعداءه، وظلموا أهل بيته، وحملوا الناس على

(١) وردت الأبيات في ديوان محمود بن الحسن الوراق: ١٩٠، وديوان ذي الرمة ٢:

٣٤٥، وديوان النابغة الذبياني: ٢٣١، وأيضاً في شعر الشافعي: ٢٨٦، وقد نسبة

الغزالي في إحياء علوم الدين لابن المبارك ٤: ٣٣١.

(٢) سورة المائدة ٥: ١٨.

(٣) المقاصد الحسنة: ٤٤٦.

أكتاف آل محمد ﷺ ، كما يأتي تبيانه غير مرة .

ولنذكر هاهنا بعض كلام القاضي عياض بن موسى ^(١) في كتاب الشفا ذكره في هذا المقام حيث إن كلامه مقبول عند المخالفين وحبّة عليهم ؛ فإنّه من أعظمهم .

قال في فصل علامة محبة النبي ﷺ : اعلم أنّ من أحب شيئا أثره وأثر موافقته ^(٢) ، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً محضاً ، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه .

وأولها الاقتداء به واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامثال أمره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب بأدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٣) .

ثم إثارة ما شرعه وحضّ عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(٤) ، الآية .

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو (عمرون) بن موسى ، يكتنى أبا الفضل ، أحد أئمة المالكية الفقهاء ، المحدثين ، الأدباء ، له كتب منها : مشارق الأنوار ، والغنية والشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ولد سنة ٤٧٦ هـ بالمدينة المنورة ، ومات سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

انظر : وفيات الأعيان ٣ : ٥١١/٤٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٢١٢/١٣٦ ، الأعلام ٥ : ٩٩ .

(٢) في «م» : محبته .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٣١ .

(٤) سورة الحشر ٥٩ : ٩ .

ثُمَّ إِسْخَاطِ الْعِبَادِ فِي رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ .

قال: وقد روى سعيد بن المسيّب (١) عن أنس، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، فإن ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» (٢).

قال: فمن اتّصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة [لله] (٣)، ومن خالفها في بعض ما ذكر فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله ﷺ الذي حدّه في الخمر فلعله بعضهم، فقال: «لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله ﷺ» (٤) (٥).

أقول: ولكن قد ينجز بكثرة المخالفة كماً وكيفاً إلى أن يخرج عن الاسم بالمرّة، بل يحكم بنفاقه إن ادّعاها، كما يشهد لهذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ

(١) سعيد بن المسيّب بن خزّان بن أبي وهب المخزومي القرشي، يكتى أباً محمّد، من التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان يعيش من التجارة بالزيت، ولد لستين مضتاً من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: لأربع، واختلف في سنة وفاته على أقوال، منها: أنّه مات سنة ٩٤ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢: ٢٦٢/٣٧٥، سير أعلام النبلاء ٤: ٨٨/٢١٧، الأعلام ١٠٢: ٣.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٦٧٨/٤٦.

(٣) ما بين المعرفين أضفناه من المصدر.

(٤) صحيح البخاري ٨: ١٩٧، مشكاة المصابيح ٢: ٣٦٢٥/٥١.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٥٦ - ٥٨، وانظر: نسيم الرياض في شرح الشفا ٣: ٣٥٧.

أَلْمَوْتُ ﴿^(١)﴾، الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ ^(٢)، الآية وغيرهما، فافهم.

قال القاضي: ومن علامات محبة النبي ﷺ كثرة ذكره، وكثرة شوقه إلى لقائه، وتعظيمه له، وتوقيره عند ذكره، وإظهاره الخشوع والانكسار عند سماع اسمه وأمثال ذلك ^(٣).

أقول: وقد روى الحافظ أبو نعيم ^(٤) والديلمي ^(٥) وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب شيئاً أكثر ذكره» ^(٦).

وقد قال سبحانه في صفة المؤمنين: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ^(٧)، الآية.

وأمثالهما من الآيات والروايات الدالة على ما ذكره عديدة، مع

(١) سورة النساء ٤ : ١٧ - ١٨ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٤ .

(٣) الشفا ٢ : ٥٨ - ٥٩ .

(٤) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، يكتنأ أبا نعيم، من المحدثين، له كتب، منها: دلائل النبوة، وحلية الأولياء، وذكر أخبار أصبهان، والشعراء، ولد في رجب سنة ٣٣٦، ومات سنة ٤٣٠ هـ في إصبهان.

انظر: وفيات الأعيان ١ : ٣٣/٩١، سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣٠٥/٤٥٣، ميزان الاعتدال ١ : ٤٣٨/١١١، الأعلام ١ : ١٥٧ .

(٥) هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه، يكتنأ أبا شجاع، ويلقب بالكيا، المعروف بالديلمي، محدث، له كتب، منها: الفردوس، حكايات المنامات، تاريخ همذان، ولد سنة ٤٤٥، ومات سنة ٥٠٩ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٩ : ١٨٦/٢٩٤، طبقات الحفاظ للسيوطي:

١٠٢٨/٤٥٧، شذرات الذهب ٤ : ٢٣ - ٢٤، الأعلام ٣ : ١٨٣ .

(٦) حكاها عنهما السخاوي في المقاصد الحسنة : ١٠٥٠/٤٦١، وانظر: الجامع الصغير

٢ : ٨٣١٢/٥٥٣، وكنز العمال ١ : ١٨٢٩/٤٢٥، والشفا ٢ : ٥٨، بتفاوت يسير .

(٧) سورة الأنفال ٨ : ٢ .

ظهوره في نفسه .

ثم لا يخفى أن هذه العلامة بل ما قبلها أيضاً كما هي علامة في حب النبي ﷺ علامة في حب أهل بيته عليه السلام الذين أنزل الله طهارتهم (١) ، وأمر بمودتهم (٢) ، وقرنهم النبي ﷺ بكتاب الله في لزوم التمسك بهما (٣) كما سيظهر ، فمن ادعى محبتهم بدون ذلك كان غير صادق في دعواه ، فافهم .

قال القاضي : ومن العلامات أيضاً : محبته لمن أحب النبي ﷺ ، ومن هو متصل بسببه ، كأهل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار ، وعداوة من : عاداهم ، وبغض من أبغضهم وسبهم ؛ لأن من أحب شيئاً أحب من يحبه .

وقد قال ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام : «اللهم إني أحبهما فأحبهما» (٤) .

وقال : «من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله» (٥) .

(١) في سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

(٢) في سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٣) بصائر الدرجات : ٦/٤٣٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٦/٥٧ ، و ٢ : ٤٠/٣٠ و ٢٥٩/٦٢ ، معاني الأخبار : ٤/٩٠ ، ٥ ، الارشاد : ١ : ٢٣٣ ، سنن الدارمي ٢ : ٤٣١ - ٤٣٢ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٧٨٨/٦٦٣ ، زين الفتى في شرح سورة هل أتى ١ : ٢٧٠/٤٣٥ .

(٤) صحيح البخاري ٥ : ٣٠ و ٣٢ ، مسند أحمد ٣ : ٩٤٦٧/١٩٥ ، المعجم الكبير ٣ : ٣٩ - ٢٦١٨/٤٠ ، السنن الكبرى ١٠ : ٢٣٣ .

(٥) مسند أحمد ٣ : ٩٣٨١/١٨٣ ، المعجم الكبير ٣ : ٢٦٤٦/٤٨ ، المستدرک ٣ : ١٦٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٣ ، وفيها ورد مختصراً .

وقال في فاطمة عليها السلام : «إنها بضعة مني ، يغضبني ما أغضبها» (١) (٢) .
 أقول : والأخبار من هذا القبيل ، وكذا في علي عليه السلام متواترة نقلها
 المخالف والمؤلف ، كما سيأتي في مناقبهم ، فلا شبهة حينئذٍ في ثبوت
 ذلك لهم .

ومنه يظهر وجوب بغض جماعة ممن أحبهم المخالفون من الصحابة
 وغيرهم ؛ حيث ثبت - حتى بنقل المخالفين ، كما سيأتي في محله - أنهم
 أغضبوا هؤلاء وباغضوهم ، حتى أن جماعة منهم قاتلوهم جهاراً وسبّوهم ،
 ومنه استفاد - كما يظهر من غيره أيضاً ، كما سيأتي - أن وجوب حب
 الصحابة - الذي ذكره هذا الرجل - إنما هو فيمن ثبت ووضح أنه مات على
 هذه الشروط ، ولم يظهر منه ما ينافي حب أحد من هؤلاء الذين هم أصل
 أهل البيت عليهم السلام ، فتأمل ولا تغفل عما في كلام هذا الرجل من الاعتراف بما
 ذكرناه ، ومع هذا يقولون بلزوم حب كل من عد من الصحابة ، حتى معاوية
 وعمرو بن العاص (٣) وأمثالهما الذين سبوا علياً والحسين عليهما السلام جهاراً ،
 وهم أيضاً سبّوهم ، فافهم .

قال القاضي : ومن العلامات أيضاً : بغض من أبغض الله ورسوله ،
 ومعاداة من عاداه ، ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه ، وكذا استثقاله

(١) صحيح البخاري ٥ : ٣٦ بتقديم وتأخير .

(٢) الشفا ٢ : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هشام ، يكنى أبا عبدالله ، كان من الأعداء على
 الإسلام ، وكان وزير معاوية في حربه وكيدته ضد أمير المؤمنين عليه السلام ، مات سنة
 ٤٣ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى ٤ : ٢٥٤ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٦ : ٥٣٥٨/١٠٨ ، أسد
 الغابة ٣ : ٣٩٦٥/٧٤١ ، تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٤١ - ٦٠ : ٨٩ ، سير
 أعلام النبلاء ٣ : ١٥/٥٤ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٨٤/٤٩ .

كَلَّ أَمْرٍ يَخَالِفُ شَرِيعَتَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ (١) (٢) ، الْآيَةُ ، وَقَدْ مَرَّتْ .

أقول : هذا الكلام منه بعد ذكره كون بغض مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ أَهْلِ
الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِغُضِ النَّبِيِّ ﷺ ينادي بما ذكرناه آنفاً ، لاسيما معاوية وأمثاله
الذين ظهرت منهم أيضاً البدع ومخالفة السُّنَّةِ ، وحملها أتباعهم على
الاجتهاد حميئةً وتعصباً لهم ، كما سيَتَضَحُّ حَقَّ الاتِّضَاحِ .
قال القاضي : ومن العلامات أن يحبَّ القرآن الذي أتى به ﷺ وهدى
به واهتدى وتخلَّقَ به (٣) .

أقول : ومن الواضحات أن حبَّ القرآن إنما يكون بالعمل بما فيه ،
لابمحض التلاوة والتغني فيه مع نبذه وراء الظهر عند العمل ، كما
قال ﷺ : « يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ » (٤) ، وسيأتي أيضاً : أن
علمه عند أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ قَرَنَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ وَأَمْرٌ بِالْتِمَسِّكِ
بِهِمَا ، وَعَلَى هَذَا لَا يَحِبُّ الْقُرْآنَ أَيْضاً مَنْ تَرَكَ مَتَابَعَتَهُمْ وَتَمَسَّكَ بِمَا
سِوَاهُمْ ، فَافْهَمْ .

قال القاضي : ومن علامة حبَّ النبي ﷺ أيضاً : شفقتة على أمته
ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضارَّ عنهم ، كما كان هو ﷺ
بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفاً رَحِيماً (٥) .

أقول : لا يخفى أن عمدة المضارَّ إضلالهم عمَّا أمر به النبي ﷺ من

(١) سورة المجادلة ٥٨ : ٢٢ .

(٢) الشفا ٢ : ٦٢ .

(٣) الشفا ٢ : ٦٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢ : ١٤٢/٧٤٠ ، جامع الأصول ١٠ : ٧٥٥٦/٩٠ .

(٥) الشفا ٢ : ٦٤ .

التمسك بالكتاب والعترة .

ثم إنه ذكر الحديث المشهور المناسب لهذا المقام ، بل لغيره أيضاً ، وهو ما رواه جماعة عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الدين النصيحة ، إن الدين النصيحة ، إن الدين النصيحة» ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : «الله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) .

ونقل عن بعضهم : أن النصح^(٢) للنبي ﷺ في حياته الجهاد دونه ، والمحاماة عنه ، ومعاداة من عاداه ، والسمع والطاعة له ، وأما بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال له ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من انحرف عن سنته والتحذير منه^(٣) .

أقول : قد بيتنا أنفاً - كما سيوضح أيضاً - لزوم تخصيص في الأصحاب ، وأن أصل أهل البيت : علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . ثم قال : وأما النصح لأئمة المسلمين : طاعتهم في الحق ، ومعونتهم فيه وأمرهم به ، وتذكيرهم إياه ، وترك الخروج عليهم ، وإفساد قلوب الناس عليهم^(٤) .

أقول : إن هذا التفسير منهم مبنئ على ما التزموه من تحقق الإمامة بالبيعة وإن كان جاهلاً صاحب خطأ وعصيان ، وسيأتي في محله أن الحق أن الإمامة كالنبوة ، فلا حاجة إلى بعض قيوده ، بل نصح الأئمة هو مثل نصح النبي ﷺ ، وقد مرّ مؤيداً له من حكاية سفيان الثوري ، وخطبة مسجد

(١) مسند أحمد ٥ : ١٦٤٩٨/٧١ ، سنن أبي داود ٤ : ٤٩٤٤/٢٨٦ ، سنن النسائي ٧ :

(٢) في «م» : النصيحة .

(٣) انظر : الشفا ٢ : ٧٤ - ٧٥ .

(٤) انظر : الشفا ٢ : ٧٦ .

الخييف في الحديث الحادي عشر من أحاديث فاتحة الكتاب (١).

ثم لا يخفى أن إيرادهم ترك الخروج هاهنا مع اعتقادهم بحسن حال أهل الجمل وغيرهم غريب.

فتأمل في جميع ما ذكرناه حتى تعلم أيضاً أن المحب الذي يكون مستجعماً للشروط المذكورة، فلا شك في كونه أيضاً محبوباً عند الله ورسوله ﷺ والمؤمنين - الذين رؤسأوهم أهل البيت عليهم السلام - ومعدوداً من أوليائهم كما أنهم أولياؤه، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ لظهور كون الحب من الطرفين، وقد سبقت الآيات والروايات الشاهدة له.

وكذا تعلم أن البغض أيضاً كذلك، وأن من أحب محبتي أهل البيت عليهم السلام فهو من محبيهم، ومن أبغضهم فهو من مبغضهم، كما تبين أيضاً.

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أن الصادق عليه السلام قال لأصحابه: «إن علامة بغض الناس لنا بغضهم لكم مع علمهم بأنكم تحبونا؛ إذ لا تجد أحداً يقدر أن يقول: أبغض آل محمد ﷺ»، وقال: «الناصب لنا من نصب العداوة لكم» (٢).

ثم إذا عرفت هذا كله، فلا يخفى حينئذ عليك، بل لا تبقى لك شبهة في أن من اللوازم الدينية التبرؤ من الذين ظهر منهم ما ينافي مقتضى حب أهل البيت عليهم السلام، لاسيما الذين ظلموهم وخذلوهم، ووصلت منهم الأذية إليهم وأغضبوهم، وأن من لم يتبرأ منهم فليس من الله في شيء.

وسياتي أيضاً في محله تبيان صدور هذه الأشياء من جمع ممن عُدَّ

(١) راجع ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) انظر: علل الشرائع: ٦٠/٦٠١، معاني الأخبار: ٣٦٥، عقاب الأعمال: ٤/٢٤٧.

من الصحابة ومن غيرهم ، وأن الشيعة لأجل هذا يبتزؤون من هؤلاء الجماعة ، ويبغضونهم ، ويلعنونهم ، ويجعلون حُبهم مقصوراً على من لم يكن كذلك ولم يحب أولئك ، فعلى هذا لا يرد عليهم اعتراض في ذلك ، بل الاعتراض على من ادعى حب الجميع ؛ لاستلزامه حب من لم يحب الله ورسوله ﷺ ولم يحب الله ورسوله ﷺ ، كما تبين آنفاً ، وهو في حكم الجمع بين النقيضين ، بل هو عين عداوة الله ورسوله ﷺ ، كما اتضح مما مر .

ومنه يظهر أيضاً أن ما نسبته المخالفون^(١) إلى الشيعة من عداوة الصحابة على الإطلاق محض فرية باطلة ، وتهمة صريحة ، كيف ! وفي الصحابة عندهم من عد في زمرة أهل البيت عليهم السلام كسلمان ونظرانه .

وكذا ما تمسك به أيضاً المخالفون من منع اللعن مطلقاً^(٢) ولو تعلق بمستحقه محض مجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق ؛ إذ لم يقل عاقل بجواز لعن من كان خيراً ، بل ولا مشبه الحال ، بناءً على أن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات ، ولكن لا يلزم من هذا عدم جواز لعن الأشرار ، لاسيما الذين ثبت أنهم من أهل النار بظلمهم وبغضهم أهل البيت الأطهار ، كيف لا والقرآن مشحون بلعن الظالمين وأمثالهم ، والأخبار واردة بل متواترة في لعن النبي ﷺ وعليه ﷺ وغيرهما بعض الأشرار ؟

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٣) .

وقال : ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٤) .

(١) في «م» : القوم .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ٣ : ١٢٣ - ١٢٥ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٧ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٥٩ .

وقال: ﴿أَوْلِيكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

وقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، الآيات وغيرها.

وستأتي الأخبار في محالها مع كلام شافٍ^(٣) في ذلك في الختام أيضاً، مع أن اللعن لغة هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ويقرب منه معنى السخط والغضب.

وما تشبثوا به في ذلك من بعض الأخبار - كقوله ﷺ: «لا ينبغي للصدِّيق أن يكون لعاناً»^(٤)، وقوله: «ليس المؤمن بالطعان واللعان، ولا الفاحش ولا البذي»^(٥) وكذا أمثالهما - ليس من هذا الباب ولا مدخل له في محل النزاع؛ إذ الظاهر أن المراد المنع عما هو العادة المستمرة بين الأعراب، بل مطلق العرب في محاوراتهم ومخاطباتهم مع أكثر الناس، من إكثار اللعن واتخاذها خلقاً وعادةً، وجعله جزءاً لكل جملة من الكلام، حيث يقولون في مفتتح كل كلام: يا ملعون كذا، يا مشؤوم كذا، يا ملعون الأب كذا، ونحو ذلك.

وبالجملة: كل ما ذكره من الأخبار في هذا المقام معارض بأقوى منه سنداً ودلالة من الآيات والأخبار وغيرها، كما سيأتي في محله، بل غير

(١) سورة آل عمران ٣ : ٨٧ .

(٢) سورة هود ١١ : ١٨ .

(٣) ما بين القوسين في «م»: ما سيأتي، وفي «ن» مع كل، وما اثبتناه من نسخة «ش» .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢٥٩٧/٢٠٠٥، شرح السنة ٧ : ٣٥٥٤/٣٦٥، مصابيح السنة ٣ :

٣٧٤٨/٣١٩، الفردوس ٥ : ٧٧٣٥/١٣٦ .

(٥) الأدب المفرد : ٣١٣/١١٧ و ٣٣٣/١٢٢، سنن الترمذي ٤ : ١٩٧٧/٣٥٠، حلية

الأولياء ٤ : ٢٣٥، مسند أبي يعلى الموصلي ٩ : ١٢٢/٢٠، المستدرک للحاكم ١ :

١٢، تاريخ بغداد ٥ : ٣٣٩ .

مرّة، فلا بُدَّ حينئذٍ من تأويله أو طرحه، بل الحقّ إنّ لكلّ واحد منها معنىً مناسباً غير منافٍ لما ذكرناه، يدركه من ترك الاعتساف، لا نطيل الكلام بذكره ها هنا، وربّما نذكر بعضاً من ذلك مهما ناسب، فلا تغفل .

الباب الثاني

في بيان الامتحان بميل النفوس إلى الهوى ورغبتها إلى الدنيا
وزخارفها ، وما ينتج من ذلك وذكر النهي عنه .

اعلم أنّ الله عزّ وجلّ حيث أراد تبيان امتياز المطيعين له عن
غيرهم ، واستحقاقهم لمزيد الأجر جعل ممّا امتحن عباده به أيضاً ميل
طبايعهم إلى شهوات الدنيا ، ورغبتهم إلى ما زين لهم الشيطان من مرديات
الهوى ، كحبّ الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة ، والخيل المسوّمة ، والأنعام والحرث ، لاسيّما حبّ الرئاسة والعزّ
والجاه ، الذي هو عمدة أسباب التحاسد والتباغض والتنافس^(١) ، بل الفتن
والفساد ، والاختلافات ، والنفاق والكذبات ، بل ذلك أمّ الفساد في العالم ؛
بحيث إنّه قد يرتكب الناس فيه قتل الأولاد والأحفاد ، ولا يبالون بذهاب
الدين وهلاك العالمين ، ولقد كان ذلك شائعاً ذائعاً في زمن جميع الأمم
وهلمّ جزءاً إلى انقضاء العالم ، حتّى أنّ هذا كان سبب عداوة الشيطان
لآدم عليه السلام ، بل هو داء دفين في قلب كلّ شخص لا يسلم منه إلا من
رحمه الله بالعصمة والتوفيق .

(١) في «ن» و«ش» و«س» : والمنافسات .

ولهذا ذمّ الله سبحانه حبّ الدنيا وشهواتها كراراً ومراراً، ونهى عن ذلك مع التوبيخ والتهديد جهاراً، وألزم الناس بالجهد في إزالته وتزكية النفس عنه بترك مقتضيات الهوى، وعيّن في كلّ عصر من يردعهم عنه، ويأخذهم إلى الخير والهدى، وقرّر الحدود والتعزيرات، وأمر بالقصاص والديات، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وتوضيح هذا في ضمن ثلاثة فصول:



الفصل الأول

في بيان جمل مما يدل على شيوع هذه الحالات وابتلاء عامة الناس بها في جميع الأمم السابقة واللاحقة ، من زمان آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، حتى أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله ، وكذا من بعدهم ، وذكر ما يدل على كون تلك الحالات من صفات أهل السوء منهم والأشرار دون الأخيار .

لا يخفى على كل ذي مسكة أن ظهور هذا المدعى ، بحيث ينادي بأنه أمر لا حاجة له إلى برهان ، بل ولا إلى مزيد بيان ؛ لأنه شاع وذاع في الأزمان والأصقاع ، بحيث صار من قبيل المحسوسات والمشاهدات ، بل بزيادة الشيوع وارتفاع قبح الوقوع صار من أعظم المتعارفات .

ألا ترى حال هذا العالم الجمهور^(١) المشغولين بالفسق والفجور ، والمشائين بشهادة الزور ، أتباع الجائرين ، وأعوان الظالمين ، الحلال عندهم ما حلّ بساحتهم ، والسفيه بينهم من منعهم عن سفاهتهم ؟
ألا سمعت حكاية قابيل وما فعل بأخيه هابيل ، وهو أول أولاد أبي البشر ، وقد أوقعه الهوى والحسد في مثل ذلك الشر ؟

(١) كذا في النسخ ، والظاهر : جمهور هذا العالم .

ألا تتذكر قصة إخوة يوسف وصيرورتهم سبب تلك المتاعب على أخيه وأبيهم بمجرد الحسد ومتابعة الهوى ، وهم أسباط الأنبياء ومن أصلاب أهل الهدى ؟

وفي روايات عديدة أنّ قوم لوط كانوا في بدء الأمر صلحاء مؤمنين مطيعين لنبيهم ، فاحتال الشيطان حتى لاطوا به فوجدوا منه لذة زائدة ، فشرعوا في اللواط وشاع بينهم ، بحيث خرجوا عن طاعة نبيهم ؛ خوفاً من فوات تلك الشهوة^(١) .

وقد اتفق المؤرخون والمفسرون على أنّ السامري^(٢) كان مسلماً عارفاً بحقيقة ما عليه موسى وهارون عليهما السلام ، بل من أعظم أصحابهما ، ومع هذا أوقع (آلأفاً من)^(٣) قوم موسى عليه السلام باتخاذ العجل في الضلال ، ولم يكن له مقصد ما سوى تحصيل العزّ والجاه والمال .

وكذا بلعم بن باعوراء^(٤) كان من علماء بني إسرائيل وعنده الاسم الأعظم ، فصاحب فرعون^(٥) وأحبه وأتبع هواه حتى انسلخ من علمه وكفر

(١) المحاسن ١ : ٣٤٢/١٩٧ ، الكافي ٥ : ٥/٥٤٤ (باب اللواط) ، عقاب الأعمال : ٢/٣١٤ ، بحار الأنوار ١٢ : ١٧/١٦٤ .

(٢) اسمه موسى بن ظفير وقيل : موسى بن ظفر ، كان من بني عمّ موسى .
انظر : المعارف لابن قتيبة : ٤٤ ، تاريخ الطبري ١ : ٤٢٤ - ٤٢٥ ، البدء والتاريخ ٩١ : ٣ .

(٣) ما بين القوسين في «م» : الإفساد في .
(٤) بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران .
انظر : بحار الأنوار ١٣ : ٣٧٥ ، البدء والتاريخ ٣ : ٨٨ ، مروج الذهب ١ : ٦٤ - ٦٥ ، المنتظم ١ : ٣٥٥ .

(٥) وهو الوليد بن مصعب ، اختلفت الرواة في نسبه ، فقالوا : هو رجل من لخم ، وقالوا : من غيرها من قبائل اليمن ، وقالوا : من العمالقة ، قد ملك مصر دهرأ
للح

بربه ، كما قص الله عزوجل في كتابه (١) (٢) .

وقد روي وذكر المفسرون أيضاً: أن فرعون لما رأى من موسى عليه السلام معجزاته عزم على الإيمان به فصده عنه هامان وقال له : أنت بعد ما ادعيت الألوهية والناس تحت طاعتك وأموالهم بيدك ، كيف تجعل نفسك تحت حكم رجل كان تحت حكمك ؟ وكيف تصبر على مثل هذه الذلة ؟ فقبل كلامه وكفر جهاراً مع علمه بحقيقة الحال ؛ ولهذا لما يش من الحياة ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُ ﴾ (٣) (٤) ، الآية .

وكذلك ملك زمان زكريا ويحيى كان معتقداً بهما مطيعاً لهما فلما عشق الزانية التي منعه يحيى عما كانت تشتهيهِ ، وامتنعت لذلك عن تمكينه من نفسها شاكية من يحيى أمر بذبحه وكفر بربه بمحض تلك الشهوة الدنيئة (٥) .

وكذا علماء اليهود وأعيانهم وأخبارهم أنكروا نبوة عيسى عليه السلام ، وافتروا على مريم بالزنى ، مع وضوح المعجزات منه والآيات ؛ خوفاً من

طاطويلاً ، وعتا وبغى حتى قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ، وكان أخبث الملوك وأظلمهم ، وعاش ثلاثمائة سنة .

انظر : تاريخ يعقوبي ١ : ١٨٦ ، المنتظم ١ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(١) سورة الأعراف ٧ : ٧٥ ﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَأْتَيْنَهُ ... ﴾ .

(٢) البدء والتاريخ ٣ : ٨٨ - ٨٩ ، كتاب التعريف والأعلام : ١١٢ ، تفسير جوامع

الجامع ١ : ٤٨٣ ، تفسير البيضاوي والجلالين في هامش البيضاوي ١ : ٣٧٧ ،

تفسير غرائب القرآن ٣ : ٣٤٥ .

(٣) سورة يونس ١٠ : ٩٠ .

(٤) انظر : تفسير القمي ٢ : ١١٩ ، تفسير أبي الفتوح الرازي ٥ : ٢٤١ ، قصص الأنبياء

للثعلبي : ١٨٤ ، قصص الأنبياء للجزائري : ٢٥٠ ، تاريخ يعقوبي ١ : ٣٤ - ٣٥ ،

تاريخ الطبري ١ : ٤١١ ، الكامل في التاريخ ١ : ١٨٢ .

(٥) انظر : تاريخ الطبري ١ : ٥٨٧ ، وقصص الأنبياء للثعلبي : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

فوات العزّ والجاه عنهم، ومتابعة الناس لهم، وزوال ما كان يأكلون من الأموال منهم .

وكفى في هذا إنكار اليهود والنصارى متعمدين وجود بعثة النبي ﷺ واسمه في كتبهم، حتّى أراهم موضع ذلك في تلك الكتب وبينه عليهم؛ ولهذا لما دعاهم إلى المباهلة تمنّعوا^(١) منها بحيث رضوا بالجزية ولم يرتضوا بها، كما ينادي بجميع ذلك حكايتها .

أولا تتأمّل فيما صدر من يزيد وعمّاله كابن زياد^(٢) وأتباعه، لاسيّما ابن سعد^(٣) - الذي أبوه عند القوم من العشرة المبشّرة - وسائر أعيان الكوفة بالنسبة إلى قرّة عين رسول الثقلين أبي عبدالله الحسين وأهل بيته عليهم السلام

(١) في «م»: امتنعوا .

(٢) عبيدالله بن زياد بن عبيد، يكتّى أبا حفص، ولّاه معاوية على البصرة سنة ٥٥ هـ، فلما ولي يزيد الحكومة ضمّ إليه الكوفة، فكانت الفاجعة بكريلاء في أيامه وعلى يده بأمر من يزيد، وما جرى منه على الحسين بن عليّ وأهل بيته عليهم السلام وشيعته أشهر من أين يذكر .

قتله إبراهيم بن الأشر سنة ٦٧ هـ .

انظر: الكنى والألقاب ١: ٣٥٣/٣٤٠، تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٤٤٣/٤٣٣، تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٦١ - ٨٠: ٦٦/١٧٥، سير أعلام النبلاء ٣: ١٤٥/٥٤٥، الأعلام ٤: ١٩٣ .

(٣) هو عمر بن سعد بن أبي وقاص القرشيّ الزهري، ويكفي في خبث سيرته ما قاله عليّ عليه السلام: «كيف أنت إذا قمت مقاماً تُخَيَّر فيه بين الجنّة والنار، فتختار النار»؟ وفي يوم عاشوراء هو أوّل من طعن في سرادق الحسين عليه السلام، ولد سنة موت عمر بن الخطّاب، ومات سنة ٦٧ هـ .

انظر: الجرح والتعديل ٦: ٥٩٢/١١١، تاريخ مدينة دمشق ٤٥: ٥٢١٣/٣٧، تهذيب الكمال ٢١: ٤٢٤٠/٣٥٦، تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٦١ - ٨٠: ٧٥/١٩٣، سير أعلام النبلاء ٤: ١٢٣/٣٤٩، تهذيب التهذيب ٧: ٧٤٧/٣٩٦، الأعلام ٥: ٤٧ .

بنات رسول الله ﷺ، حتى داروا بهم أسراء في البلدان، ولم يرتدع أحد منهم عن مثل ذلك الطغيان، توقّعاً لما ربّما يقع بأيديهم من بعض جوائز أهل العدوان، مع كون الكوفة جُمجمة العرب، ومصر الإسلام، وكون عامة أهلها معدودين من شيعة عليّ وآله الكرام، بل هم الذين كتبوا إلى الحسين عليه السلام بأزيد من عشرة آلاف كتاب، ودعوه إليهم مصرّحين بانحصر أهلية الخلافة فيه (١).

وسياتي - لاسيّما في الفصل الآتي - صدور أمور عجاب من جماعة، هم عند المخالفين من رؤوس ذوي الألباب، مع أنّا لم نذكر هاهنا ولا فيما (٢) بعد إلا قليلاً من كثير، ويسيراً من جمّ غفير، حذراً عن إطالة الكلام بالاستقصاء، فمن أراد الاطلاع على التفصيل - لاسيّما ما أشرنا إليه هاهنا - فعليه بمراجعة كتب السير والتفاسير المبسوطة وقصص الأنبياء، ولكن نشير إلى نبذ من الآيات الواردة في هذا المقام وما يتّضح به حقّ الاتّصاح أصل المرام:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَثَابِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٤)، الآية.

(١) مشير الأحزان: ٢٥ - ٢٦.

(٢) في «م» زيادة: قبل ولا فيما.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٤.

(٤) سورة البقرة ٢: ٢١٢.

وقال عزّ شأنه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ (١).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ
مَثْوًى لَهُمْ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَيَوْمَ يُغْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي
حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٣)، الآية.

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ﴾ (٥)، الآية.

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾ (٦)، الآية.

وقال: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ عَائِنَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا

(١) سورة الحديد ٥٧ : ٢٠ .

(٢) سورة محمد (ص) ٤٧ : ١٢ .

(٣) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٠ .

(٤) سورة الكهف ١٨ : ٧ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢١٣ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ١٠٥ .

﴿مُجْرِمِينَ﴾ (١).

وقال: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢)، الآية.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَيْدٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾ (٣)، الآية.

وقال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (٤).

وقال: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٥).

وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٦)، الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٧)، الآية.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ (٨)، الآية.

وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩).

(١) سورة الجاثية ٤٥ : ٣١ .

(٢) سورة الجاثية ٤٥ : ٣٥ .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٥٦ .

(٤) سورة ص ٣٨ : ٢ .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ٤٠ .

(٦) سورة فاطر ٣٥ : ٤٢ - ٤٣ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ٧٧ .

(٨) سورة البقرة ٢ : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٩) سورة آل عمران ٣ : ٧١ .

وقال: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٢)، الآية.

وقال: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ (٣)، الآية.

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٤)، الآية.

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (٥).

وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٦).

وقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٧)، الآية.

وقال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَعِيرٌ﴾ (٨).

(١) سورة آل عمران ٣ : ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٦٩ .

(٤) سورة النساء ٤ : ٤٤ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ١٠٩ .

(٦) سورة محمد (ص) ٤٧ : ١٦ .

(٧) سورة الروم ٣٠ : ٢٩ .

(٨) سورة القمر ٥٤ : ٢ - ٣ .

وقال: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ صَلَلِ
وَسُعْرٍ﴾^(١).

وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن
رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنَّا مَن تَوَلَّىٰ عَنَّا ذِكْرِنَا وَلَمَّا يُرِذْ إِلَّا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٤).

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(٥)
الآية.

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

وقال: ﴿يُدَاوِدُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ﴾^(٧).

وقال: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا
عَظِيمًا﴾^(٨).

(١) سورة القمر ٥٤ : ٢٤ .

(٢) سورة النجم ٥٣ : ٢٣ .

(٣) سورة النجم ٥٣ : ٢٩ - ٣٠ .

(٤) سورة محمد (ص) ٤٧ : ١٤ .

(٥) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٣ .

(٦) سورة الجاثية ٤٥ : ١٨ .

(٧) سورة ص ٣٨ : ٢٦ .

(٨) سورة النساء ٤ : ٢٧ .

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (١).

وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٢)، الآية .
وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣)، الآية .

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٥).

وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (٦).

وقال: ﴿فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٨).

(١) سورة المائدة : ٥ : ٧٧ .

(٢) سورة الأنعام : ٦ : ١١٩ .

(٣) سورة الأنعام : ٦ : ١٤٤ .

(٤) سورة الزخرف : ٤٣ : ٧٨ .

(٥) سورة الزخرف : ٤٣ : ٨٠ .

(٦) سورة النساء : ٤ : ١٠٨ .

(٧) سورة الزخرف : ٤٣ : ٨٣ .

(٨) سورة الأنعام : ٦ : ٧٠ .

وقال: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْآمَلَ﴾^(١).

وقال: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبْرًا﴾^(٣).

وقال حكاية عن نوح عليه السلام أيضاً: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾^(٤).

وقال: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾^(٥)، الآية.

وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾^(٦)، الآية.

وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٧)، الآية.

وقال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٨)، الآية.

وقال: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

(١) سورة الحجر : ١٥ - ٣ .

(٢) سورة القيامة : ٧٥ - ١٤ - ١٥ .

(٣) سورة نوح : ٧١ - ٢١ - ٢٢ .

(٤) سورة نوح : ٧١ - ٧ .

(٥) سورة الجاثية : ٤٥ - ٧ - ٨ .

(٦) سورة فصلت : ٤١ - ١٥ .

(٧) سورة فصلت : ٤١ - ١٧ .

(٨) سورة فصلت : ٤١ - ٢٥ .

قَرِيْنٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾ .
 وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدًّا عَنِ
 السَّبِيلِ﴾ (٢) ، الآية .

وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) ،
 الآية .

وقال: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
 وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي
 هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٤) ، الآية .

وقال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٥) .

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِبِ
 وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (٦) .

وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٧) .

وقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسُو حُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجْنِدُوا لَكُمْ﴾ (٨) ،
 الآية .

وقال: ﴿وَزَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سورة غافر ٤٠ : ٣٧ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ : ٣٩ .

(٤) سورة الزخرف ٤٣ : ٥١ - ٥٢ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٤٥ .

(٦) سورة النساء ٤ : ٥١ .

(٧) سورة النساء ٤ : ٦٠ .

(٨) سورة الأنعام ٦ : ١٢١ .

مُسْتَبْصِرِينَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢) .

وقال: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ (٣)، الآية .

وقال في قصة طالوت: ﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (٤)، الآية .

وقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٥)، الآية .

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦) .

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (٧) .

وقال: ﴿وَإِن تَطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٨) .

وقال سبحانه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٣٨ .

(٢) سورة فاطر ٣٥ : ٦ .

(٣) سورة الزمر ٣٩ : ٤٩ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٤٧ .

(٥) سورة النساء ٤ : ٥٤ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ١٢٣ .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ١١٢ .

(٨) سورة الأنعام ٦ : ١١٦ .

لَفَسِقِينَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (٢)، الآية .

وقال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (٣) .

وقال: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤)، الآية .

وقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ (٥)، الآية .

وقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٦) .

وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧) .

وقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَنهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٨) .

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٠٢ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٧٤ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٤٦ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٣٤ .

(٥) سورة النحل ١٦ : ٨٣ .

(٦) سورة الكهف ١٨ : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٧) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٥ - ٦٦ .

(٨) سورة الروم ٣٠ : ٧ .

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١﴾، الآية .

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٢) .
وقال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ (٣) ،
الآية .

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٤) .
وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ
هُوَ يَبُورُ﴾ (٥) .

والآيات من هذا القبيل (٦) أكثر من أن تحصى ، وستأتي أيضاً طائفة
منها في الفصول الآتية مع الأخبار أيضاً ، على أن هذه المقدمة - كما يتنا -
من البديهيات ، كما يجد كل إنسان من حال نفسه مهما تأمل فيه ؛ ولهذا
نكتفي ها هنا بذكر معدود من الأخبار ولا نطيل .

ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ،
وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» (٧) الخبر ، إلى قوله : «ولا ينفك عنها

(١) سورة لقمان ٣١ : ٦ .

(٢) سورة سبأ ٣٤ : ٣٤ - ٣٥ .

(٣) سورة سبأ ٣٤ : ٣٧ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٥ .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ١٠ .

(٦) في «م» زيادة : كثيرة .

(٧) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٦١ (باب النوادر) ، الكنى والأسماء للدولابي ١ :

١٥١ ، الضعفاء الكبير ٣ : ١٤٩٧/٤٤٧ ، المعجم الأوسط ٥ : ٥٤٥٢/٤٨٦ ، ٦ :

بشر» (١).

وقال ﷺ: «أبغض إله عبْد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى» (٢).

وقال ﷺ: «العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله على

ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع» (٣).

وقال عيسى عليه السلام: «متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع

المتحيرين؟» (٤).

وقال الصادق عليه السلام: «إن رواة الكتاب كثير، وإن رُعاته قليل، فكم من

مُسْتَنْصِحٍ للحديث مستغشٍ للكتاب» (٥)، الخبر.

وفي الحديث - رواه جمع - أن النبي ﷺ قال: «الناس معادن كمعادن

الذهب والفضة، فمن كان له أصل في الجاهلية فله في الإسلام أصل» (٦).

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء

تتبع، وأحكام تُبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالاً» (٧)،

الخبر.

١٠٢٣/٥٧٥٤، حلية الأولياء ٢: ٣٤٣، مسند الشهاب ١: ٣٢٥/٢١٤، شعب الإيمان

١: ٧٤٥/٤٧١، جامع بيان العلم وفضله ١: ٩٦١/٥٦٨، إحياء علوم الدين ١: ١٥.

(١) هذه العبارة (ولا ينفك عنها بشر) لم ترد في المصادر المذكورة أعلاه، ولعلها من كلام الغزالي كما يظهر من كتابه إحياء علوم الدين.

(٢) إحياء علوم الدين ١: ٣٣ - ٣٤.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة ١٣: ١٦٢٠٨/٢٣٥، سنن الدارمي ١: ١٠٢، جامع بيان العلم وفضله ١: ١١٥٠/٦٦١، تاريخ بغداد ٤: ٢١٧٩/٣٤٦، إحياء علوم الدين ١:

٥٩، اللعل المتناهية ١: ٨٨/٨٢، ٨٩، وفي بعضها بتفاوت يسير.

(٤) إحياء علوم الدين ١: ٥٩.

(٥) الكافي ١: ٦/٣٩ (باب النوادر).

(٦) الكافي ٨: ١٩٧/١٧٧، مشكاة الأنوار ٢: ١٥٢٨/١٨٠ عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٧) نهج البلاغة: ٨٨ الخطبة ٥٠.

شروع حب الدنيا وأنه صفة الأشرار ٢٠٧

وقال في موضع آخر: «إن الدنيا حلوة خضرة، تفتن الناس بالشهوات وتزيّن لهم بعاجلها، وأيسم الله، إنها لتغرّ مَنْ أملها^(١)، وتخلف من رجاها»^(٢) الخبر .

وقال عليه السلام: «فلا يلهينكم الأمل، ولا يطولنّ عليكم الأجل، فإنما أهلك من كان قبلكم امتداد أملهم، وتغطية الأجل عنهم»^(٣)، الخبر، كما سيأتي أيضاً .

وقال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام في مناجاته: «يا عيسى، ما أكثر البشر وأقلّ عدد من صبر، الأشجار كثيرة وطيبها قليل، فلا يغرّئك حسن شجرة حتى تذوق ثمرتها»^(٤)، الخبر .

والأخبار من هذا القبيل كثيرة، وكفى ما مرّ ويأتي، لاسيّما في الفصلين الآتين والباين الجائين، فلا تكن في مرية منه، والله الهادي .

(١) في «ن»: أهلها .

(٢) الكافي ٨: ٣٦٨/٢٥٦ (خطبة أمير المؤمنين بعد الجمل) .

(٣) نفس المصدر: ٣٨٦ - ٥٨٦/٣٨٩ (خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام) .

(٤) الكافي ٨: ١٠٣/١٣٣ (حديث عيسى بن مريم عليه السلام)، تنبيه الخواطر ٢: ١٣٩،

أعلام الدين ٢٢٨ .

الفصل الثاني

في توضيح شدة هذا الشيع ، أي : شيع ما مرّ من ميل النفوس إلى الدنيا ، والحالات التي ذكرنا أنّها نتائجها في هذه الأمة ، حتّى الصحابة وأهل عصر النبي ﷺ ، لاسيّما من بعده ، وبيان وجود خصوص أمراء السوء فيهم ، وأئمة الضلالة والمضلين ، وأعداء آل محمّد وحسادهم ، والمنافقين ، وضعفاء الدين ، والفسقة ، والجهلة وأمثالهم ، الذين منطأ أمورهم الدنيا ولا يباليون بالدين .

وبالجملة : كانوا بحيث كان النبي ﷺ يخاف على أكثرهم من الارتداد ، والوقوع في الضلال والفساد مصرّحاً بجميع ذلك لهم ، ومخبراً بأنّ فيهم الذين هم من أهل النار ، وأمثال ذلك .

ولنذكر هاهنا نبذاً ممّا صدر منهم وورد فيهم ، بحيث يتبيّن أنّهم كانوا يتعاطون ما فيه الزلّة والقصور ، ولم يكونوا في المرتبة التي هي المشهورة عند الجمهور على ما سيأتي في المقصد الثاني ، لاسيّما في المقالة السادسة منه وما بعدها إلى الأخيرة منها .

وتمام الكلام في ضمن ثلاث مطالب :

[المطلب الأول :

في بيان نبذ من النصوص القرآنيّة ، والآيات الفرقانيّة ، المشتملة على

المقصود، لاسيما في أهل عصر النبي ﷺ، بل في من كان معدوداً من الصحابة، ولا نذكر إلا بعض الآيات التي هي صريحة في هذا المرام:

فمن تلك الآيات ما في سورة المنافقين، حتى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾^(٢) إلى آخر الآيات التي وردت في أوائل سورة البقرة في المنافقين الذين كانوا يدعون الإسلام ظاهراً، ويعدهم المسلمون منهم، ولم يكونوا في الباطن كذلك، والآيات في وجود المنافقين في عهد النبي ﷺ - حيث كان يشكل استعلام حالهم، بل لا يعلم أكثرهم غير الله عز وجل - كثيرة.

منها: ما في سورة البراءة.

ومنها: ما في سورة الأحزاب والقتال.

ومنها: ما في غيرها.

ونحن لا نذكر إلا قليلاً منها، كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٣) إلى آخر تلك الآيات. وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(٤)، الآية.

(١) سورة المنافقون ٦٣ : ٩ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٨ - ٩ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٦٤ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١٠١ .

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (١).

ومنها: قوله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِنَةَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (٢).

أقول: سيأتي في الفصل الخامس من المقالة الأخيرة من المقصد الأول وفي الخاتمة عند بيان آية بيعة الشجرة، أنها كانت مشروطة بعدم الفرار، وإليه أشار سبحانه حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣).

وعلى هذا، من فرّ بعد ذلك فليس ممن رضي الله عنه، بل هو من جملة المعاتبين بما مرّ آنفاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ الآية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ أَلْمُوتِ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله سبحانه:

(١) سورة محمد (ص) ٤٧ : ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ١٣ - ١٥ .

(٣) سورة الفتح ٤٨ : ١٠ .

(٤) سورة محمد (ص) ٤٧ : ٢٠ .

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ (١)، الآية .

ومنها: قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آذَنَابُوهَا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢).

ومنها: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٣).

ومنها: قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ١٨ - ١٩ .

(٢) سورة النور ٢٤ : ٤٧ - ٥٢ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٨٦ - ٩٠ .

(٤) سورة العنكبوت ٣٩ : ١٠ - ١١ .

بِالْإِنَّمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿١﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (٢)، الآية .
وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٣) .

أقول: إذا كانوا في زمان النبي ﷺ هكذا فبعده بالطريق الأولى؛ ولهذا لم يخرجوا على عمر فإنه كان يكثر عطاء من كان يحتاج إلى فزاعته، بخلاف عثمان، فإنه أثر بني أمية خاصة، وكذا علي عليه السلام فإنه ساوى بين جميعهم .

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُرُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَّكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤) .
ومنها: آية مسجد ضرار في سورة البراءة (٥) .

ومنها: قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ (٦)، الآية .
وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُرَّةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ (٧) ... الآيات في آخر البراءة .

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ

(١) سورة البقرة ٢: ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٢) سورة الحج ٢٢: ١١ .

(٣) سورة التوبة ٩: ٥٨ .

(٤) سورة الحجرات ٤٩: ١٧ .

(٥) سورة التوبة ٩: ١٠٧ .

(٦) سورة محمد (ص) ٤٧: ١٦ .

(٧) سورة التوبة ٩: ١٢٤ .

أُذُنٌ ﴿١﴾ .

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (٢)، الآية .

ومنها: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمُ﴾ (٣)، وأمثال هذه الآية عديدة، وفيها توبيخ شديد كما لا يخفى .
ومنها: قوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ (٤) .

ومنها: قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (٥) .
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦)، الآية .

ومنها: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٧)، الآية .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا آنَفُضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾ (٨)، الآية .

(١) سورة التوبة ٩ : ٦١ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١٠٢ - ١٠٦ .

(٣) سورة محمد (ص) ٤٧ : ٣٨ .

(٤) سورة الحجرات ٤٩ : ٧ .

(٥) سورة النور ٢٤ : ٢١ .

(٦) سورة الحجرات ٤٩ : ٤ .

(٧) سورة الشورى ٤٢ : ٣٠ .

(٨) سورة الجمعة ٦٢ : ١١ .

وقوله عزّ وعلا: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (٢)، الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٣).
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٤) وأمثال ذلك كثيرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (٦) الآيتان.
وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) سورة الفجر ٨٩ : ١٩ - ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٥٢ .

(٣) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢١ .

(٤) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٧ .

(٥) سورة الأنفال ٨ : ٦٧ - ٦٨ .

(٦) سورة التغابن ٦٤ : ١٥ - ١٦ .

(٧) سورة التغابن ٦٤ : ١٤ .

يَكْتُمُونَ ﴿١﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (٢)، الآية .
وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (٣)، الآية .

ومن الآيات قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (٤)، الآية .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آزَدُوا عَلَيَّ أَذْنَبَهُمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٥) .

وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَزِدْكَ مِّنْكَم مِّنْ دِينِهِ فَمَا يَمِثْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٦) .

وقوله سبحانه: ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧) .

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٥٥ - ١٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ١٠ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ١٤٤ .

(٥) سورة محمد (ص) ٤٧ : ٢٥ - ٢٨ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢١٧ .

(٧) سورة البقرة ٢ : ٢٠٩ .

وقوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزَادَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١)، الآية .
وقد مرّ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾^(٣)، الآية .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ إلى قوله أيضاً: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٤)، الآية .

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ^(٥) بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾^(٦)، الآية .
وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْوَى وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾^(٧)، الآية .

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٤ .

(٢) سورة محمد (ص) ٤٧ : ٣٨ ، وقد مرّ في ص ٢١٤ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٦٠ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٤٨ - ٤٩ .

(٥) من هنا إلى صفحة ٢٢١ هامش (١) بياض في «ن» .

(٦) سورة المجادلة ٥٨ : ١٤ - ٢٢ .

(٧) سورة المجادلة ٥٨ : ٨ .

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١).

ومن تلك الآيات قوله عز وجل: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٣).

وقوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (٤)، الآية.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَضَّتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٥). الآية.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦).

(١) سورة الحديد ٥٧ : ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٠٨ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٢١ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ٥٣ .

(٥) سورة النحل ١٦ : ٩١ - ٩٦ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢١٦ .

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١).
 وقوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
 وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، الآية .

وقوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ إلى
 قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾
 الآيات إلى قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ
 مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ (٣).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْنَتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا
 لِنَبْتَلُوهَا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٤)، الآية .

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ
 فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ إلى قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٥)، الآية .
 وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
 إِعْدِلُوا﴾ (٦)، الآية .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
 وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ

(١) سورة النساء ٤ : ١٩ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٢٧ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٣٨ - ٥٣ .

(٤) سورة النور ٢٤ : ٣٣ .

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦٩ - ٧٠ .

(٦) سورة المائدة ٥ : ٨ .

يُنْسِ الْأِنْسَامُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ﴿ الآية ، إلى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (١) ، الآية .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِنْمِ وَالْعُدُوبِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتِ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) ، الآية .

وقدم قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾ (٣) ، الآية .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (٤) ، الآية ، وقد سبق نظايرها .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٥) ، الآية .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٧) .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١١ - ١٢ .

(٢) سورة المجادلة ٥٨ : ٩ - ١٣ .

(٣) سورة المجادلة ٥٨ : ٨ ، وقد مرّ في ص ٢١٧ .

(٤) سورة الممتحنة ٦٠ : ١ .

(٥) سورة الصف ٦١ : ٢ .

(٦) سورة الحجرات ٤٩ : ٢ .

(٧) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾ .

ثم من الآيات ما ورد في النساء - أعني أزواج النبي ﷺ - كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُمْ تَرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعَنَّكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (٢) إلى قوله: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُرْآنَ فِي يُبُوتِكُمْ وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٣)، الآية .

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ إلى قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُمْ﴾ (٤)، الآية .
وقوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (٥) إلى آخر سورة التحريم .

أقول : وإنما أكثرنا في ذكر هذه الآيات صريحاً مع الإشارة إلى البقية أيضاً؛ ليظهر عياناً أن ما ادعاه المخالفون - كما سيأتي في المقالة السادسة من المقصد الثاني - من كون الصحابة أجمعين ، بل الأزواج أيضاً مسلمين في حسن الحال باطل قطعاً ، بل هم أيضاً كانوا كسائر أهل الأعصار من وجود ما ذكرناه سابقاً فيهم من الأشرار والجهال والأخيار .

(١) سورة الأنعام ٦ : ٨٢ .

(٢) من صفحة ٢١٧ هامش (٥) إلى هنا بياض في «ن» .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٨ - ٣٣ .

(٤) سورة التحريم ٦٦ : ٣ - ٥ .

(٥) سورة التحريم ٦٦ : ١٠ .

وكفى في هذا أن الله عز وجل لم يحكم بالجنة لأحد منهم أبداً إلا مع شرط صحة الإيمان، والاقتران بالعمل الصالح؛ وذلك ليظهر عدم كفاية أحدهما، وأن محض ادعاء الإيمان والتلبس بالإسلام غير مفيد.

فتأمل جداً مع الانصاف بالانصاف؛ حتى يتبين لك أنه لا يجوز الاعتماد على كل صحابي، ولا كل معدود من المسلمين في عصر سيد المرسلين، ولا على كل أفعالهم وأعمالهم، لا سيما بعد النبي ﷺ وانقطاع إرشاده ونصيحته لهم وردعه إياهم إلا بعد أن يتضح بالدليل القاطع حسن حال الرجل، وكون الفعل من أوامر الله ورسوله ﷺ.

وادعاء اختصاص الذم الذي فيها بجماعة معلومين في ذلك العصر عند الأكثر تحكّم ساقط، خلاف صريح كثير من مضامين هذه الآيات والأخبار الآتية.

نعم، كان بعض المنافقين معلومين عند الأكثر، وبعضهم عند النبي ﷺ وبعض خواصه، فتدبر.

المطلب الثاني :

في بيان نبذ من الأخبار النبوية التي ذكرها المخالفون للشيعة في كتبهم المعتبرة عندهم ، وهي دالة على ما نحن فيه مما ذكرناه في عنوان الفصل (١) .

روى الترمذي (٢) في صحيحه وقال : إنه حديث حسن ، ورواه الطبراني أيضاً ، كلاهما عن عمرو بن عوف (٣) ، ورواه الطبراني أيضاً عن سهل (٤) ، كلاهما عن النبي ﷺ قال : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ،

(١) في ص ٢٠٩ .

(٢) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاک : يكتنأ أبا عيسى ، من أئمة علماء العامة في الحديث وحفاظه ، قيل : إنه كان أكمه ، وكان يضرب به المثل في الحفظ ، وله كتب ، منها : الجامع الكبير باسم صحيح الترمذي - أحد الصحاح الستة عند الجمهور - والتاريخ ، والعلل ، ولد في حدود سنة ٢١٠ ، ومات سنة ٢٧٩ هـ بترمذ .

انظر : وفيات الأعيان ٤ : ٦١٣/٢٧٨ ، تهذيب الكمال ٢٦ : ٥٥٣١/٢٥٠ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٣٢/٢٧٠ ، شذرات الذهب ٢ : ١٧٤ ، الأعلام ٦ : ٣٢٢ .

(٣) هو عمرو بن عوف بن زيد بن مَلِيْحَة بن عمرو ، وقيل : ملحة بن عمرو ، ويكنأ أبا عبدالله ، يقال : إنه قدم مع النبي ﷺ المدينة ، وإنَّ أول مشاهدته الخندق ، مات بالمدينة آخر أيام معاوية .

انظر : الاستيعاب ٣ : ١٩٤٢/١١٩٦ ، أسد الغابة ٣ : ٣٩٩٤/٥٧٦ ، تهذيب الكمال ٢٢ : ٤٤٢١/١٧٣ ، تهذيب التهذيب ٨ : ١٢٧/٧٤ .

(٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد ، يكتنأ أبا العباس ، وكان اسمه حزناً ، فسماه رسول الله ﷺ سهلاً ، هو من أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علياً ، كان له

فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي»^(١).

وذكر صاحب الكشاف^(٢) في تفسير سورة النصر: عن جابر

بن عبدالله^(٣) أنه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك، فقال: سمعت

في يوم توفي رسول الله ﷺ ١٥ سنة، وهو ممن شهد بحديث الغدير، ولقي أهل بيت الحسين ﷺ في الشام، طال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف، ولامتناعه من نصرة عثمان ختم في عنقه بأمر الحجاج، توفي سنة ٨٨، وقيل: سنة ٩١ هـ.

انظر: رجال الطوسي: ٢٤٩/٤٠، و٥٩٩/٦٦، تنقيح المقال ٢: ٥٣٩٧/٧٦،

الاستيعاب ٢: ١٠٨٩/٦٦٤، أسد الغابة ٢: ٢٢٩٣/٣٢٠، سير أعلام النبلاء ٣:

٧٢/٤٢٢، تهذيب التهذيب ٤: ٢٢١ - ٤٤١/٢٢٢.

(١) سنن الترمذي ٥: ٢٦٣٠/١٨، المعجم الكبير ٦: ٥٨٦٧/١٦٤، المعجم الأوسط

٣: ٣٠٧٧/٣٦٣، وفي الأخيرين عن سهل.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، يكنى أبا القاسم،

اشتهر بجار الله؛ لمجاروته بمكة زماناً طويلاً، من علماء العامة في التفسير

والحديث واللغة، أخذ النحو عن أبي مضر منصور، وله كتب منها: الكشاف في

تفسير القرآن، وأساس البلاغة، والفائق، ولد سنة ٤٦٧، ومات سنة ٥٣٨ هـ

بجرجانية خوارزم.

انظر: المنتظم ١٨: ٤١٠٤/٣٧، إنباه الرواة ٣: ٧٥٣/٢٦٥، وفيات الأعيان ٥:

٧١١/١٦٨، سير أعلام النبلاء ٢٠: ٩١/١٥١، لسان الميزان ٦: ٨٣١٣/٦٥١،

الأعلام ٧: ١٧٨.

(٣) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حزام الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبدالله، كان

من أجلاء أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين

ومحمد بن علي صلوات الله عليهم أجمعين، شهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع

رسول الله ﷺ، وكان مع أمير المؤمنين ﷺ في قتال البصرة وحرب صفين، ومن

النفباء الاثني عشر الذين انتخبهم رسول الله ﷺ بأمر جبرئيل، وأول زائر للحسين ﷺ

بعد فاجعة كربلاء، عاش عمراً طويلاً، وقال رسول الله ﷺ له: «إنك تدرك محمد

ابن علي فاقراه مني السلام». ذهب بصره في آخر عمره وهو ابن ثيف وتسعين سنة،

اختلف في سنة وفاته، فقيل: توفي سنة ٧٤، وقيل: ٧٧، وقيل: ٧٨.

انظر: تنقيح المقال ١٦١٠/١٩٩، أعيان الشيعة ٤: ٤٥، الاستيعاب ١:

رسول الله ﷺ يقول: «دخل الناس في دين الله أفواجا، وسيخرجون منه أفواجا»^(١).

وروى السيوطي من كتاب المستدرک، ومسند ابن حنبل، وكتاب ابن حبان: عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن الحكم وآخرهن الصلاة»^(٢).

وروى من كتاب ابن عساکر: عن واصل^(٣)، عنه ﷺ قال: «أول ما يذهب من هذا الدين الأمانة، وآخر ما يبقى منه الصلاة، وسيصلني من لا خير فيه»^(٤)، الخبر^(٥).

أقول: سيأتي في المقالة السادسة من المقصد الثاني مثله، وإذا لوحظ هذا مع سابقه يظهر أن المراد بالأمانة هي الحكومة، وهو أيضاً الذي يظهر مما يأتي في المقالة المذكورة، فافهم.

١٥٢١/٢١٩٦، المنتظم ٦: ٤٧٣/٢٠٢، أسد الغابة ١: ٦٤٧/٣٠٧، تهذيب الكمال ٤: ٨٧١/٤٤٣، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٨/١٨٩.
(١) الكشاف ٦: ٤٥١.

(٢) المستدرک للحاكم ٤: ٩٢، مسند أحمد ٦: ٢١٦٥٦/٣٣٤، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨: ٦٦٨٠/٢٥٢، الجامع الصغير ٢: ٧٢٣٢/٤٠٣، الفتح الكبير ٣: ١٠.
(٣) هو واصل بن عبدالله السلمي، ظنه ابن عساکر من أهل دمشق، ولم يذكر في ترجمته شيئاً، انظر: تاريخ مدينة دمشق ٦٢: ٧٩٥٣/٣٧٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٦٢: ٣٧٧، جامع الأحاديث ٣: ٧٤٣٠/٨٤.

(٥) بقية الخبر كذا: «وما استجاز قوم بينهم الزنا إلا استوجبا حرب الله ورسوله، ولا ظهرت فيهم المعازف والغناء إلا صمت قلوبهم، ولا ركبوا الزهر والبهاء إلا عميت أبصارهم، ولا تكبروا إلا حرموا نفع الرضا، ولا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا نكست قلوبهم حتى لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً». منه رحمه الله.

وأما الصلاة فظاهر أنهم لم يحفظوا صلاة النبي ﷺ ، وآلا لما اختلفوا في كيفيتها وأحكامها .

وروى السيوطي من كتاب ابن عساكر: عن رجل ، عن النبي ﷺ قال: «ليت شعري كيف حال أمتي حين يصيرون صنفين: صنفاً ناصبي نحورهم في سبيل الله ، وصنفاً عمالاً لغير الله»^(١) .

وروى من الكتاب الكبير للطبراني ، ومن صحيح الترمذي: عن عائشة^(٢) ، ومن المستدرک أيضاً ، عن عليّ عليه السلام ، عن النبي ﷺ قال: «سبعة لعنتهم ولعنهم الله وكلّ نبیّ مجاب: الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتجبر بسلطانه ، يذلّ من أعزه الله ويعزّ من أدله الله ، والمستحلّ حرمة الله - وفي نسخة: لحرمة الله - والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله ، والتارك لسنتي ، والمستأثر بالفيء»^(٣) .

وهذا السابع لم يذكره في المستدرک ولا الترمذي ، بل زوياً سنّة ، فتأمل فيه .

ومن كتاب الأوسط للطبراني: عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال:

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٠ : ٢٤٢٩/٤٠١ ، الجامع الصغير ٢ : ٧٥٤٣/٤٤٦ .

(٢) هي بنت أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة زوجة النبي ﷺ ، تزوجها نبيّ الله ﷺ بعد وفاة أمّ المؤمنين خديجة الكبرى بنت خويلد رضوان الله تعالى عليها ، كانت من أشدّ المحرّضين ضدّ عثمان ، ثمّ هي التي قادت الجيوش إلى البصرة لحرب أمير المؤمنين عليه السلام . ماتت في المدينة المنورة سنة ٥٨ هـ ودفنت في البقيع .

انظر: المعارف لابن قتيبة : ١٣٤ ، الاستيعاب ٤ : ٤٠٢٩/١٨٨١ ، أسد الغابة ٦ : ٧٠٨٥/١٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١٩/١٣٥ ، الأعلام ٣ : ٢٤٠ .

(٣) المعجم الكبير ١٧ : ٨٩/٤٣ ، سنن الترمذي ٤ : ٢١٥٤/٤٥٧ ، عن عمرو بن شعواء ، المستدرک للحاكم ٢ : ٥٢٥ ، جامع الأحاديث ٤ : ٤٦٩ ، ١٢٨٤٨/٤٧٦ ، الجامع الصغير ٢ : ٤٦٦٠/٤٦ ، بتفاوت .

«التمسك بستي عند فساد أمتي له أجر شهيد»^(١).

ومن كتاب ابن عساكر: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا كنتم من دينكم في مثل القمر ليلة البدر لا يبصره منكم إلا البصير؟»^(٢). وفي تاريخ الإسلام: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سيصيب أمتي داء الأمم».

فقالوا: يانبي الله، وما داء الأمم؟

قال: «الأشر، والبطر، والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي، ثم الهرج»^(٣)، يعني: القتل، كما فسّر في أخبار آخر^(٤).

وروى السيوطي من صحيحي مسلم والترمذي، ومسند ابن حنبل: عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال»^(٥) فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل»^(٦).

(١) المعجم الأوسط ٥ : ٥٤١٤/٤٧١ ، جامع الأحاديث ٧ : ٢٣٤٨٣/٤٣٦ ، الجامع الصغير ٢ : ٩١٧١/٦٦٤ ، الفتح الكبير ٣ : ٢٥٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٤ : ٢٨٧٢/٣٧ ، جامع الأحاديث ٦ : ١٦٠٢٠/٤٦٨ ، الجامع الصغير ٢ : ٦٤٣٨/٢٩٨ ، الفتح الكبير ٢ : ٣٣٥ .

(٣) وجدناه في المعجم الأوسط ٩ : ٩٠١٦/٨٩ ، والمستدرک للحاكم ٤ : ١٦٨ ، والجامع الصغير ٢ : ٤٧٦٣/٦١ ، وكنز العمال ٣ : ٧٧٣٨/٥٢٦ ، و١١ : ٢٤٩ / ٣١٤١١ ، وفيها بتفاوت يسير .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢٢١٥ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١٥ : ١٩١٢٦ و ١٩١٢٧ ، المصنّف لعبد الرزاق ١١ : ٢٠٧٥١/٣٦٤ .

(٥) في «م» زيادة: فإنها ستأتينكم .

(٦) صحيح مسلم ١ : ١٨٦/١١٠ ، سنن الترمذي ٤ : ٢١٩٥/٤٨٧ ، مسند أحمد ٣ :

وروى مثله في المستدرک^(١)، وقد مرّ في التبيان^(٢).

وروى من صحيح أبي داود والمستدرک: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب، أفلح من كفّ يده»^(٣).

ورواه في [صحيح] البخاري: عن زينب^(٤) زوج النبي ﷺ، وفيه: فقلت له: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبث»^(٥).

ومن كتاب الكامل لابن عدي^(٦): عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «أخوف ما أخاف على أمّتي الهوى وطول الأمل»^(٧).

٦٥/٨٦٣١، وفيها بتفاوت يسير، جامع الأحاديث ٤: ٩٨٥٩/٦، وانظر كنز العمال ١٤: ٣٨٥١٣ و٣٨٥١٢/٢٢٩.

(١) المستدرک للحاكم ٤: ٤٣٨.

(٢) تقدّم في ص ١٢٥ و١٢٧.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٤٢٤٩/٩٧، المستدرک للحاكم ٤: ٤٣٩ و٤٨٣، جامع الأحاديث ٨: ٢٤٧٥٨/١١٣.

(٤) هي بنت جحش بن رباب، زوج النبي ﷺ، أخت عبدالله بن جحش، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمّة النبي ﷺ، وتكنى أم الحكم، وكانت قديمة الإسلام، ومن المهاجرات، ولا خلاف أنّها كانت تحت زيد بن حارثة فلما طلقها زيد وانقضت عدّتها تزوّجها رسول الله ﷺ، ماتت سنة ٢٠ هـ ودفنت بالبقيع.

انظر: الطبقات لابن سعد ٨: ١٠١، الاستيعاب ٤: ٣٣٥٥/١٨٤٩، أسد الغابة ٦: ٦٩٤٧/١٢٥، سير أعلام النبلاء ٢: ٢١/٢١١.

(٥) صحيح البخاري ٩: ٦٠.

(٦) هو عبدالله بن عديّ بن عبدالله بن محمّد الجرجاني، يكنى أبا أحمد، كان عالماً بحديث العامّة ورجالهم وهو منهم، أخذ عن أكثر من ألف شيخ، وكان يعرف في بلده بابن القطّان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عديّ، له كتب منها: الكامل، والانتصار، وعلل الحديث، ولد في سنة ٢٧٧، ومات سنة ٣٦٥ هـ.

انظر: تاريخ جرجان: ٤٤٣/٢٨٧، سير أعلام النبلاء ١٦: ١١١/١٥٤، شذرات الذهب ٣: ٥١، الأعلام ٤: ١٠٣.

(٧) الكامل لابن عدي ٦: ١٣٤٤/٣١٦، الجامع الصغير ١: ٣٠٦/٥٠، جامع الأحاديث ١: ٧٣٩/١٢٨.

ومن صحيح ابن ماجه ، وكتاب حلية الأولياء : عن شدّاد بن أوس (١) ،
عن النبي ﷺ قال : «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراف بالله ، أما إنّي
لست أقول : يعبدون شمساً ولا قمرأ ولا وثناً ، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة
خفية» (٢) .

ومن كتاب البغوي (٣) ، وكتب ابن مندة (٤) ، وابن قانع (٥) ،

(١) شدّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر ، ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي
شاعر رسول الله ﷺ ، يكنى أبا يعلى ، مات سنة ٥٨ هـ ، ويروى عن بعض أهل
بيته أنه مات في سنة ٦٤ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٧ : ٤٠١ ، الاستيعاب ٢ : ١١٥٨/٦٩٤ ، أسد الغابة ٢ :
٢٣٩٢/٣٥٥ ، تهذيب الكمال ١٢ : ٢٧٠٤/٣٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٨٩/٤٦٠ .

(٢) سنن ابن ماجه ٤ : ٤٢٠٥/٥١٢ ، حلية الأولياء ١ : ٢٦٨ وفيه بتفاوت ، الجامع
الصغير ١ : ٢١٩٣/٣٣٥ ، جامع الأحاديث ٢ : ٤٩١٦/٢١١ .

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، يكنى أبا محمد ، المعروف بالفراء ،
ويلقب بمحيي السنّة ، الفقيه الشافعي المحدث المفسر ، أخذ الفقه عن القاضي
حسين بن محمد المرورودي «صاحب التعليقة» ، له كتب ، منها : شرح السنّة ، معالم
التنزيل ، المصابيح ، وغيرها ، مات سنة ٥١٠ هـ ، وقيل : سنة ٥١٦ .

انظر : وفيات الأعيان ٢ : ١٨٥/١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ١٩ : ٢٥٨/٤٣٩ ، العبر
٢ : ٤٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٣٥/٣٨ .

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة ، يكنى أبا عبدالله ، الحافظ
الجوال ، له كتب ، منها : فتح الباب في الكنى والألقاب ، معرفة الصحابة ، الرد على
الجهميّة ، ولد سنة ٣١٠ هـ ، ومات سنة ٣٩٥ هـ .

انظر : طبقات الحنابلة ٢ : ٦٣٠/١٦٧ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٧٢١٣/٤٧٩ ، سير
أعلام النبلاء ١٧ : ١٣/٢٨ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ٩٥٩/١٥٧ ، طبقات الحفاظ ٨ : ٤٠٨/
٩٢٤ ، شذرات الذهب ٣ : ١٤٦ .

(٥) هو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي ، يكنى أبا الحسن ، قاض ، من
أصحاب الرأي ، له كتاب معجم الصحابة ، ولد سنة ٢٦٥ هـ ، ومات سنة ٣٥١ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١١ : ٥٧٧٥/٨٨ ، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٣٠٣/٥٢٦ ، ميزان
الاعتدال ٢ : ٤٧٣٥/٥٣٢ ، لسان الميزان ٤ : ٤٩٣٦/٢٠٧ .

وابن شاهين^(١)، وحلية الأولياء: عن أفلح^(٢)، عن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: ضلالة الأهواء، واتباع الشهوات في البطون والفروج، والغفلة بعد المعرفة»^(٣).

ومن الكتاب الكبير للطبراني، وكتاب الدارقطني^(٤): عن معاذ^(٥)، عن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تفتح عليهم»^(٦).

وفي صحيح البخاري: عن الخُدري^(٧)، عن النبي ﷺ قال: «أكثر

(١) هو عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، يكنى أبا حفص، محدث حافظ صاحب التصانيف، منها: التفسير الكبير ألف جزء، المسند ألف وثلاثمائة جزء، التاريخ مئة وخمسين جزءاً، ولد سنة ٢٩٧ هـ، ومات سنة ٣٨٥ هـ ببغداد.

انظر: تاريخ بغداد ١١: ٦٠٢٨/٢٦٥، سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٢٠/٤٣١، المنتظم ١٤: ٣٧٨/٢٩١٤، لسان الميزان ٥: ٦٠٦٦/١٤٥٥، شذرات الذهب ٣: ١١٧.

(٢) هو مولى رسول الله ﷺ، وهو الذي قال له النبي ﷺ: «ترب وجهك». انظر: أسد الغابة ١: ٢٠٥/١٢٧.

(٣) عن الجميع السيوطي في جامع الأحاديث ١: ١٢٢/٦٩١، والجامع الصغير ١: ٢٧٨/٤٧.

(٤) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، يكنى أبا الحسن، الحافظ، كان عالماً فقيهاً على مذهب الشافعي، ويحفظ كثيراً من دواوين العرب، منها ديوان السيد الحميري، فنسب إلى التشيع لذلك، نسبته إلى دار القطن وهي محلة في بغداد، له كتب، منها: المؤلف والمختلف، السنن، وغيرهما، ولد سنة ٣٠٦ هـ، ومات سنة ٣٨٥ هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٢: ٦٤٠٤/٣٤، الأنساب ٢: ٤٣٨، المنتظم ١٤: ٣٧٨/٩١٥، وفيات الأعيان ٣: ٢٩٧/٤٣٤، العبر ٢: ١٦٧، طبقات الحفاظ ٣: ٣٩٣/٨٩٣.

(٥) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عددي الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن، من الصحابة، مات سنة ١٨ هـ، وله من العمر ٣٨ سنة. انظر: الاستيعاب ٣: ٢٤١٦/١٤٠٢، أسد الغابة ٤: ٤٩٥٣/٤١٨، سير أعلام النبلاء ١: ٤٤٣/٨٦، الأعلام ٧: ٢٥٨.

(٦) المعجم الكبير ٢٠: ٢٨٢/١٣٨، علل الدارقطني ٦: ٨١، جامع الأحاديث ٣: ٧٣١٧/٦٧.

(٧) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد، يكنى أبا سعيد الخُدري، معروف لله

ما أخاف عليكم زهرة الدنيا»^(١) .

وسياتي أمثاله في المقالة السادسة من المقصد الثاني .

وروى السيوطي أيضاً من الكتاب الكبير ، وكتاب الإبانة للسجزي عن أبي الأعور السلمي^(٢) ، عن النبي ﷺ قال : «إنما أخاف على أمتي ثلاثاً : سخاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، واماماً ضالاً»^(٣) .

ومن كتب كثيرة منها : مسند ابن حنبل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب المختارة للضياء المقدسي^(٤) ، وكتاب الكامل لابن عدي وغيرها ،

طابكتيته ، من مشهوري الصحابة ، وهو من مكثري الرواية عن النبي ﷺ ، وأول مشاهده الخندق ، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، مات سنة ٧٤ هـ ، ودفن بالبقيع .

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٢٦٨ ، الاستيعاب ٢ : ٩٥٤/٦٠٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠ : ٢٤٢٧/٣٧٣ ، أسد الغابة ٢ : ٢٠٣٥/٢١٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨/١٦٨ .

(١) صحيح البخاري ٨ : ١١٣ .

(٢) هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف ، يكنى أبا الأعور ، من أعيان أصحاب معاوية ، وعليه كان مدار الحرب بصفين ، وكان من أشد من عند معاوية على عليّ ﷺ .

انظر : الاستيعاب ٣ : ١٩٢٠/١١٧٨ ، ٤ : ٢٨٤٩/١٦٠٠ ، أسد الغابة ٣ : ٣٩٤٠/٧٢٩ ، ٥ : ٥٦٨٥/١٥ ، الجرح والتعديل ٦ : ١٢٩٦/٢٣٤ .

(٣) أورده ابن عبد البر في الاستيعاب ٣ : ١٩٢/١١٧٨ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٣ : ٣٩٤٠/٧٢٩ ، وأبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل ٦ : ١٢٩٦/٢٣٤ ، جامع الأحاديث ٣ : ٨١٥٢/٢٠١ .

(٤) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن ، يكنى أبا عبدالله ، صاحب التصانيف ، من كتبه فضائل الأعمال ، الأحكام ، الأحاديث المختارة ، ولد سنة ٥٦٩ هـ ، ومات سنة ٦٤٣ هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ : ٩٧/١٢٦ ، الوافي بالوفيات ٤ : ١٥١٥/٦٥ ، طبقات الحفاظ : ١٠٩٥/٤٩٧ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٢٤ .

كلهم ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مَنْفَقٍ عَلِيمٍ اللِّسَانِ» (١) .

ومن كتاب الأوسط للطبراني : عن عليّ بن أبي حمزة عن النبي ﷺ قال : «إِنِّي لَا أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُحْجِزُهُ إِيمَانُهُ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيُعِمِّيهِ كُفْرُهُ ، وَلَكِنْ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مَنْفَقاً عَلِيمٍ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا يَعْرِفُونَ ، وَيَعْمَلُ مَا يَنْكُرُونَ» (٢) .

ومن كتاب المستدرک ، ومسنَد ابن حنبل : عن عبادة بن الصامت (٣) عن النبي ﷺ قال : «سِيلِي أُمُورِكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يَعْرِفُونَكُمْ مَا تَنْكُرُونَ ، وَيَنْكُرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ ، فَلَا تَضَلُّوا بِرَأْيِكُمْ» ، وفي نسخة : «بِرَبِّكُمْ» (٤) .

وفي كتاب الطبراني بهذا السند هكذا : «سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِي ، يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا تَنْكُرُونَ ، فَلَيْسَ أَوْلَاكُمْ بِأَنْمَةِ» (٥) .

(١) مسند أحمد ١ : ١٤٤/٣٨ و ٣١٢/٧٣ ، شعب الإيمان ٢ : ١٧٧٧/٢٨٤ ، الكامل لابن عدي ٣ : ٦٤٠/٥٨٠ ، جامع الأحاديث ١ : ٧٤٠/١٢٨ ، ٢ : ٤٩١٩/٢١١ عن الكامل ومسنَد أحمد . وفيها : عن عمر .

(٢) المعجم الأوسط ٧ : ٧٠٦٥/١٦٩ ، جامع الأحاديث ٣ : ٨٤٢٥/٢٤٦ .

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الأنصاري ، يكتنَى أبا الوليد ، من أصحاب النبي ﷺ ، مات سنة ٣٤ هـ بالرملة .

انظر : الطبقات لابن سعد ٣ : ٥٤٦ ، الاستيعاب ٢ : ١٣٧٢/٨٠٧ ، أسد الغابة ٣ : ٢٧٨٩/٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ١/٥ .

(٤) المستدرک للحاكم ٣ : ٣٥٧ ، مسند أحمد ٦ : ٢٢٢٦٣/٤٤٤ و ٢٢٢٨٠/٤٤٩ ، جامع الأحاديث ٦ : ١٣٠٨٩/١٧ عن المستدرک ، وفيها بتفاوت .

(٥) حكاة السيوطي عنه في جامع الأحاديث ٤ : ١٢٩٠٧/٤٧٩ ، وفي الجامع الصغير ٢ : ٤٦٧٥/٤٩ بتفاوت .

وفي صحيح الترمذي مصرحاً بأنه حديث حسن صحيح: عن ثوبان^(١)، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَثَمَةَ الْمُضْلِينَ»^(٢). وقد روى مثله بأسانيد مستفيضة في كتب عديدة صحاح، كصحيحي مسلم وأبي داود^(٣)، حتّى في بعضها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «غَيْرِ الدَّجَالِ»^(٤) أخوف على أمتي من الدجال الأثمة المضلين»^(٥).

ومن أكثرها إسناداً ما رواه أحمد في مسنده، وكذا رواه مسلم، وأبو داود^(٦)، وابن ماجه، والترمذي كلٌّ في صحيحه، وقال الترمذي: إنّه حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان^(٧) وغيره أيضاً عن ثوبان، قال:

(١) هو ثوبان بن بجدد، وقيل: ابن جحدر، مولى رسول الله ﷺ، وله ١٢٨ حديثاً، مات سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية.

انظر: الطبقات لابن سعد ٧: ٤٠٠، أسد الغابة ١: ٦٢٤/٢٩٦، الاستيعاب ١: ٢٨٢/٢١٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٥/١٥، الأعلام ٢: ١٠٢.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٢٢٢٩/٥٠٤.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٤٢٥٢/٩٧، مسند أحمد ٦: ٣٧٤/٢١٨٨٨ و ٢١٨٨٩، ولم نعثر عليه في صحيح مسلم، وحكاه عنه ابن الأثير في جامع الأصول ١٠: ٧٤٩٦/٣٦.

(٤) في «ن» زيادة: إِنَّمَا.

(٥) المصنّف لابن أبي شيبة ١٥: ١٤٢/١٩٣٣٢، مسند أحمد ٦: ١٧٨/٢٠٧٨٩ و ٢٠٧٩٠، مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٤٦٦/٣٥٩ بتفاوت.

(٦) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر السجستاني، يكتنّى أبا داود، إمام أهل الحديث من العامّة في زمانه، وجمع كتاب السنن قديماً وعرضه على أحمد بن حنبل، له كتب، منها: المراسيل، وكتاب الزهد، والبعث، ولد سنة ٢٠٢، ومات سنة ٢٧٥ هـ.

انظر: المنتظم ١٢: ١٨١١/٢٦٨، وفيات الأعيان ٢: ٤٠٤/٢٧٢، سير أعلام النبلاء ١٣: ١١٧/٢٠٣، شذرات الذهب ٢: ١٦٧، الأعلام ٣: ١٢٢.

(٧) هو محمّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، يكتنّى أبا حاتم، كان عالماً لله

قال النبي ﷺ: «إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أُعْطِيتُ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُكُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَا بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَفْنِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَنْمَةَ الْمُضْلِيْنَ، وَإِذَا وَضِعَ فِي أُمَّتِي السِّيفَ لَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْتَحِقَ قِبَالُ مَنْ أُمَّتِي بِالْمَشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَالُ مَنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ (وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: سَبْعُونَ كَذَّابًا) (١) كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» (٢).

أقول: ملاحظة هذه الأخبار بعضها مع بعض تدل على كون هؤلاء الأمراء والأئمة منافقين، وأن علامتهم العمل بالرأي وخلاف ما في الكتاب وما كان من سنن النبي ﷺ، سواء كانوا سلاطين أو العلماء التابعين لهم، كما في تاريخ الحاكم: عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِأُمَّتِي مَنْ

جلبالبطِّ والنجوم، ولي قضاء سمرقند زماناً. وله كتب، منها: تفسير القرآن، وصحيح ابن حبان، والثقات.

ولد سنة ٢٧٠، ومات سنة ٣٥٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٦: ٧٠/٩٢، ميزان الاعتدال ٣: ٧٣٤٦/٥٠٦، لسان الميزان ٦: ٧٢٣٣/٩، شذرات الذهب ٣: ١٦، هدية العارفين ٢: ٤٤ - ٤٥.

(١) انظر: كنز العمال ١٤: ٣٨٣٦٣/١٩٧.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢١٨٨٩/٣٧٤، وفي صحيح مسلم ٤: ٢٨٨٩/٢٢١٥، وسنن

الترمذي ٤: ٢١٧٩/٤٧٢ ورد إلى قوله: (يفني بعضاً)، سنن أبي داود ٤:

٤٢٥٢/٩٧، سنن ابن ماجه ٤: ٣٩٥٢/٣٦٨، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩:

٧١٩٤/١٨٠، المستدرک للحاکم ٤: ٤٤٩، السنن الكبرى ٩: ١٨١، جامع

الأحاديث ٢: ٥٣٦٩/٢٧٦، كنز العمال ١١: ٣١٧٦١/٣٦٦.

علماء السوء»^(١) .

وفي كتاب أبي يعلى : عن أنس أيضاً ، قال : قال النبي ﷺ : «ويل للعالم من الجاهل ، وويل للجاهل من العالم»^(٢) .

وفي روايات عديدة أنّ النبي ﷺ قال : «العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا» ، قيل : وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : «الركون إلى السلاطين ، فإذا رأيتم ذلك فأتهموهم»^(٣) .
وفي رواية : «اتباع السلاطين»^(٤) .

وفي المستدرک : عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : «من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله ﷺ»^(٥) .

وفي كتاب حلية الأولياء : عن الحسن (بن عليّ عليه السلام)^(٦) ، عن النبي ﷺ قال : «ستفتح مشارق الأرض ومغاربها على أمتي ، ألا وعمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة»^(٧) .

(١) تاريخ الحاكم غير متوفّر لدينا ، وحكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٨ : ٢٤٧٥٢/١١٣ ، والجامع الصغير ٢ : ٩٦٥٤/٧٢٠ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠ : ٢٩٠٨٤/٢٠٥ .

(٢) حكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٨ : ٢٤٧٥٦/١١٣ ، والجامع الصغير ٢ : ٩٦٤٦/٧١٩ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠ : ٢٩٠٣٧/١٩٧ .

(٣) لم نعثر على صريح ألفاظه ، وورد ما بمضمونه في جامع بيان العلم ١ : ١١١٣/٦٤٣ وفردوس الأخبار ٣ : ٤٠٢٩/١٠٠ ، وكنز العمال ١٠ : ٢٨٩٥٢/١٨٣ ، ٢٩٠٨٣/٢٠٤ .

(٤) الكافي ١ : ٣٧/٥ (باب المستأكل بعلمه والمباهي به) بتفاوت يسير .

(٥) المستدرک للحاكم ٤ : ١٠٠ بتفاوت يسير .

(٦) ما بين القوسين لم يرد في المصادر .

(٧) حلية الأولياء ٦ : ١٩٩ .

وفي كتاب الطبراني : عن عبدالله بن الحارث (١) ، عن النبي ﷺ قال : «ستكون بعدي سلاطين ، الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل ، لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله» (٢) .

وفي الكتاب المذكور ، وكتاب أبي يعلى : عن أبي برزة ، عن النبي ﷺ قال : «إن بعدي أئمة إن أطعموهم أكفروكم ، وإن عصيتموهم قتلوكم ، أئمة الكفر ورؤوس الضلالة» (٣) .

(وفي الكتاب المذكور : عن أبي أمامة ، قال : قال النبي ﷺ : «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي : إمام ظلوم غشوم ، وكل غال مارق» (٤) (٥) .

وفي الكتاب المذكور : عن معاوية ، عن النبي ﷺ قال : «يكون أمراء يقولون ولا يردّ عليهم ، يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضاً» (٦) .

وفي رواية أخرى : «يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة» (٧) .

وفي الكتاب المذكور (٨) : عن أبي سلاله (٩) ، عن النبي ﷺ قال :

(١) هو عبدالله بن الحارث بن جزء بن عبدالله بن معدي كرب يكنى أبا الحارث ، الصحابي ، شهد بدرأ ، وكان آخر الصحابة موتاً في مصر ، مات سنة ٨٦ هـ ، وقيل : ٨٧ هـ . انظر : الاستيعاب ٣ : ١٤٩١/٨٨٣ ، أسد الغابة ٣ : ٢٨٧١/١٠٠١٣ وسير أعلام النبلاء ٣ : ٥٨/٣٨٧ .

(٢) حكاه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ : ٢٤٦ ، والسيوطي في جامع الأحاديث ٦ : ١٣٠٧٢/١٥ : ٦ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١ : ٣٠٩٠٧/١٢٩ .

(٣) مسند أبي يعلى ١٣ : ٧٤٤٠/٤٣٦ ، وحكاه الهيثمي في الزوائد ٥ : ٢٣٨ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١ : ٣٠٨٤٩/١١٨ عن الطبراني .

(٤) المعجم الكبير ٨ : ٨٠٧٩/٣٣٧ .

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

(٦) المعجم الكبير ١٩ : ٧٩٠/٣٤١ .

(٧) المعجم الكبير ١٩ : ٩٢٥/٣٩٣ .

(٨) في «م» زيادة : أيضاً .

(٩) بضم أوّله ولامين ، الأولى خفيفة ، الأسلمي ، ويقال : أبو سلافه ، بالفاء بدل

«سيكون عليكم أئمة يملكون^(١) أرزاقكم، يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم، وتصدقوا كذبهم، فأعطوهم الحق ما رضوا به، وإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد»^(٢).

وفي الكتاب المذكور أيضاً، وكتابي مسند ابن حنبل، والمختارة للضياء المقدسي، وغيرهما: عن حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «سيكون عليكم أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولا يعينهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض»^(٣).

وقد نقل الطبراني أيضاً هذا الخبر مرة أخرى عن كعب بن عجرة^(٤)، عنه ﷺ، وفيه زيادة قوله ﷺ: «قلوبهم أنتن من الجيف، يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم»^(٥).

اللام، وقيل: بالميم بدلها، لم نعثر على ترجمة له أكثر من هذا.
انظر: الإصابة ٧: ٥٥٠/٨٨.

(١) في «م» زيادة: عليكم.

(٢) المعجم الكبير ٢٢: ٩١٠/٣٦٢، وحكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٤: ١٢٩٠٦/٤٧٩، والجامع الصغير ٢: ٤٦٨٠/٤٩.

(٣) المعجم الكبير ٣: ٣٠١٩/١٨٥، المعجم الأوسط ٨: ٨٤٩١/٢٧٨، مسند أحمد ٦: ٢٢٧٤٩/٥٣٠، مجمع الزوائد ٥: ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدية البلوي، يكتنى أبا محمد، وقيل: أبا إسحاق، حليف الأنصار، صحابي شهد عمرة الحديبية، وفيه نزلت قصة القدية، مات سنة ٥١، وقيل: سنة ٥٢.

انظر: أسد الغابة ٤: ٤٤٦٥/١٨١، الإصابة ٣: ٧٤١٩/٢٩٧، سير أعلام النبلاء

١٤/٥٢: ٣، شذرات الذهب ١: ٥٨، الأعلام ٥: ٢٢٧.

(٥) المعجم الكبير ١٩: ٣٥٦/١٦٠.

وفي صحيح مسلم وأبي داود: عن أم سلمة، عن النبي ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع»^(١).

وفي كتاب ابن أبي شيبة: عن ابن عباس، عنه ﷺ مثله لكن فيه: «فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطهم هلك»^(٢).
والأخبار من هذا القبيل كثيرة.

وروى السيوطي من مسند أحمد عن سعد وغيره، قال: قال النبي ﷺ: «قريش ولاة هذا الأمر، فبَرَّ الناس تبع لبرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم»^(٣).

ومن المسند، والمستدرک: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لِتَمَنِّيْنَ أَقْوَامٌ وَلَوْ هَذَا الْأَمْرُ أَتَاهُمْ خَرَوْا مِنَ الثَّرِيَا، وَأَتَاهُمْ لَمْ يَلَوْا شَيْئاً»^(٤).

أقول: من تأمل في هذه الأخبار واعتبر حتى الاعتبار عرف دلالتها على بطلان خلافة عامة الخلفاء، لاسيما بني أمية وبني العباس، وذلك يستلزم بطلان ما هو أساس الخلافة عندهم؛ إذ ظاهر أن مبني خلافة هؤلاء كلهم كان على ما بُني عليه يوم السقيفة من ادعاء صحة الخلافة بالاختيار، وجواز تعيين غير الله ورسوله ﷺ، وعلى هذا يلزم: إما صحة خلافة

(١) صحيح مسلم ٣: ١٨٥٤/١٤٨٠، سنن أبي داود ٤: ٤٦٦٠/٢٤٢.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ١٥: ١٩٥٨٩/٢٤٣ بتفاوت يسير.

(٣) مسند أحمد ١: ١٩/١١، جامع الأحاديث ٦: ١٥٢٩٥/٣٥٣، الجامع الصغير ٢: ٦١٢٤/٢٥٥.

(٤) مسند أحمد ٣: ١٠٣٥٩/٣٢٧، المستدرک ٤: ٩١، وفيه: نحوه، جامع الأحاديث

هؤلاء، وهو خلاف هذه الأخبار وغيرها، وإما عدم صحّة الخلافة بالاختيار، وهو موجب لبطلان مذاهب ما عدا الشيعة الإمامية .

نعم، يستفاد من كلام جمع منهم: أنّه ينعزل إذا ظهر فسقه، ولم يصحّ ابتداءً إذا كان فاسقاً عندهم حين التعيين^(١)، وبناءً عليه يلزم:

أولاً: أن لا يكون حرج حينئذٍ على قاضي عثمان، بل قتلته أيضاً .
ثانياً: خيانة عامة علمائهم، وسائر أتباع أولئك الأمراء، بل عامة فِرَق المخالفين، كما هو ظاهر، كما في كتاب الطبراني: عن عبدالله بن بسر^(٢)، قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام»^(٣)، فافهم .

بل لنا أن نقول: ترتّب هذه المفاصد^(٤)، بل غيرها أيضاً على هذا الأصل - الذي هو مدخلة الناس في اختيار الإمام - موجب للتزلزل فيه، فإن أمكن إثبات حقيته بدليل موجب للقطع، حتّى نرتكب تأويل ما يترتب عليه، وإلا فلا يمكن الاعتماد عليه، ودون إثباته خرط القتاد، كما سيظهر في محلّه، لاسيّما مع قيام الأدلة القاطعة على خلافه، كما سيأتي أيضاً في المقصد الثاني، فتأمّل .

(١) انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني: ٤٧٩، الإرشاد للجويني: ٣٥٨، اليواقيت والجواهر ٢: ٥٣٧ .

(٢) هو عبدالله بن بسر المازني يكنى أبا بسر، وقيل: أبا صفوان، صلى القبلتين، وصحب النبي ﷺ هو وأبوه وأمه وأخوه عطية، مات سنة ٨٨ هـ، وقيل: سنة ٩٦ في أيام سليمان بن عبد الملك .

انظر الاستيعاب ٣: ١٤٨٢/٨٧٤، أسد الغابة ٣: ٢٨٣٧/٨٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٧٧/٤٣٠ .

(٣) المعجم الأوسط ٧: ٦٧٧٢/٦٧ عن عائشة، جامع الأحاديث ٧: ٢١٢٦٧/١١٥ .

(٤) في «م» زيادة: كلّها .

ولا تغفل عن شمول بعض هذه الأخبار خلافة ما عدا عليّ عليه السلام ،
لاسيما بعد ملاحظة أنّ الأمر لو ترك مع عليّ عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله لم يكن
شيء من تلك المفاسد والتغلبات ، كما هو ظاهر .

وقد ذكر السيوطي من كتاب الطبراني : عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وآله
قال : «أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يضعه على
غير مواضعه ، ورجل يرى أنه أحقّ بهذا الأمر من غيره»^(١) ، فافهم .

وفي صحيح البخاري : عن ابن عمر ، وأبي موسى^(٢) عن النبي صلى الله عليه وآله
قال : «من حمل علينا السلاح فليس منا»^(٣) .

وفيه : عن أنس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : «لا يأتي عليكم زمان إلا الذي
بعده أشدّ منه»^(٤) .

وفي الحلية ، وكتاب الطبراني : عن حذيفة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله :
«سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعزّ من ثلاثة : درهم حلال ، أو أخ
يستأنس به ، أو سنة يعمل بها»^(٥) .

والأخبار من هذا القبيل كثيرة ، ويأتي جمّة منها في مواضع ، سوى
ما مرّ منها سابقاً ، بل تأتي في المقالة السادسة من المقصد الثاني أخبار

(١) المعجم الأوسط ٢ : ١٨٨٦/٢٨٥ ، جامع الأحاديث ٢ : ٣٨٤٢/٥٥ .

(٢) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، يكنى أبا موسى ، من بني
الأشعر ، صحابي معروف ، مات سنة ٤٢ هـ بالكوفة ، وقيل : بمكة ، وقيل : مات
سنة ٤٤ هـ .

انظر : الاستيعاب ٣ : ١٦٣٩/٩٧٩ ، أسد الغابة ٣ : ٣١٣٥/٢٦٣ ، سير أعلام

النبلأ ٢ : ٨٢/٣٨٠ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٦٢٥/٣١٧ ، شذرات الذهب ١ : ٥٣ .

(٣) صحيح البخاري ٩ : ٦٢ .

(٤) صحيح البخاري ٩ : ٦١ - ٦٢ .

(٥) حلية الأولياء ٧ : ١٢٧ ، المعجم الأوسط ١ : ٧١ - ٨٨/٧٢ .

صريحة في شمول هذه الحالات للصحابة أيضاً، وأنهم كغيرهم في وجود الأختيار فيهم والأشرار، مع بيان شافٍ وتحقيقي وافٍ، يهتدي به من أراد الاستبصار وفهم الأخبار.

ولنذكر هاهنا خبراً كالصريح في الشمول للصحابة، وهو ما رواه جماعة، منهم البخاري في صحيحه - الذي هو عند المخالفين أصح الكتب بعد كتاب الله، كما صرّحوا به -: عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليّةٍ شرِّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟

فقال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟

قال: «نعم، وفيه دَخْنٌ»^(١)، قلت: وما دخنه؟

قال: «قوم يهدون بغير هدى، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد

ذلك الخير من شرٍّ؟

قال: «نعم، دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»،

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟

قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن

أدركني ذلك؟

قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم

جماعة ولا إمام؟

قال: «فاعتزل تلك الفِرَق كُلَّها، ولو أن تعصَّ بأصل شجرة حتّى

(١) الدَخْن: ظهور وإثارة الفساد والاختلاف، تشبيهاً بدخان الحطب الرطب.

انظر: النهاية لابن الأثير ٢: ١٠٩ - دخن - .

يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١) .

أقول : اعلم أولاً : أنّ المعلوم من العبارة أنّ مراد حذيفة كان السؤال عن الخير والشرّ بحسب الدين ، وما يعمّ شموله بيضة الإسلام وعمامة المسلمين ، ومن المعلوم المسلّم أيضاً بحيث لا يمكن إنكاره أنّ ما وقع من رجوع الخلافة إلى عليّ عليه السلام كان خيراً ؛ ضرورة كونه عليه السلام قابلاً من كلّ جهة بالاتفاق ، ووجود الدخن فيه أيضاً ظاهر ، وهو خروج الخارجين عليه ، وفتنة الناكثين والقاسطين والمارقين .

وكيف لا؟! وقد تحيّر عند ذلك جمع من الصحابة ، وضلّ جماعة من رؤسائهم ، فأضلّوا كثيراً ، بحيث بقي الضلال إلى اليوم ، كما هو شأن القائلين بحسن حال أهل الجمل وصقّين وإن حكموا بكونهم مخطئين . وعلى هذا ، فلا شكّ في أنّ الشرّ الذي بعده هو تسلّط بني أميّة وبني العباس وسائر الدول الظالمة .

هذا ، مع وضوح ما صدر منهم من الجور والفسوق والفضائح ، وترك السُنّة ، وترويج البدع ، كما يأتي ذكر بعض منها ، ومع كثرة الأخبار جداً - التي منها ما مرّ ويأتي - بل تواترها (في كمال جلال شأن عليّ عليه السلام) (وحقّانيّته)^(٢) ، ووجوب حبّه ومتابعته ، بل كون زمام الأمة بيده ، وفي شرّ حال أصحاب صفات)^(٣) كانت ظاهرة في هؤلاء القوم وأشياعهم ، بل بعض الأخبار صريحة فيهم ، كما أنّ كثيراً منها شاملة لهم ، ومع إشعار ما في آخر

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٤٢ ، ٩ : ٦٥ ، صحيح مسلم ٣ : ١٨٤٧/١٤٧٥ ، مشكاة المصابيح ٢ : ٥٣٨٢/٣٤٤ وفيها بتفاوت يسير .

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من «ن» .

(٣) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : كما في جلال شأن عليّ عليه السلام ... ووجوب حبّه ومتابعته ، بل كون زمام الإمامة بيده وفي شرح حال أصحاب رسول الله ﷺ .

الحديث أيضاً .

وحينئذٍ يبقى الكلام في تحقيق المراد بالشرّ الأوّل، وأياً ما كان فإنّما هو في عصر الصحابة وبينهم، وفي الدين كما بيّنا أولاً. هذا، مع وجود جماعة من الصحابة في الشرّ الثاني أيضاً، فافهم .

وإذا أردت تعيين الشرّ الأوّل، فاعلم أنّ الحقّ أنّ ذلك إنّما هو ما وقع يوم السقيفة من نزعهم عن عليّ عليه السلام قميص الخلافة؛ ولهذا لما رجعت إليه أخيراً، عدّه خيراً، ولما قُتل عليه السلام وأخرجوها عن الأئمة من ولده، وتركوا الناس بغير إمام عدل مجاهر بالدين، مجاهد في حيازة جماعة المسلمين، عدّ ذلك أيضاً كلّه شرّاً ممدوداً، بيان ذلك :

أما أولاً: فلما سيّضح من أنّ الإمامة كالنبوة لها أهل مخصوصون بتعيين من الله ورسوله .

وأما ثانياً: فلانحصار ما وقع من حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى خلافة عليّ عليه السلام من عظيم الحوادث التي أثّرت في الدين، وعمّت عامة المسلمين في هذه الواقعة فقط؛ ضرورة أنّ وقائع مالك بن نويرة^(١) والمسيلمة^(٢)

(١) هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعي التميمي، يكتنّى أبا حنظلة، من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد استعمله على صدقات بني تميم، ونهاية إخلاصه لعليّ عليه السلام مشهورة، ويكفي في جلالته ما قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل». ولم يبايع أبا بكر، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد بقتله، وقصّته مشهورة .

انظر: تنقيح المقال ٢: ٥٠ - ١٠٠٤٤/٥١ (أبواب الميم)، أسد الغابة ٤:

٤٦٤٨/٢٧٦، وفيات الأعيان ٦: ١٣ - ١٤ .

(٢) كذا ورد معرفاً، وهو مسيلمة بن حبيب الكذاب ممّن ادّعى النبوة في عهد النبي صلى الله عليه وآله بعد انصراف النبيّ من حجة الوداع، وهو الذي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، سلام عليك، فإنّي قد أشركت في الأمر معك، وإنّ لنا لله

وأمثالهما إنما كانت من قبيل الغزوات ولا مدخل لها فيما ذكرناه من الصفات، كغزوات زمان النبي ﷺ من الأحزاب وأحد وغيرهما مما نشأ من أهل الفساد، وحكاية عثمان وقتله أيضاً ليس بذلك المكان .

أما أولاً: فلأن قتله لم يكن أمراً ممتداً، ولا ترتب عليه التغيير في الدين، بل كان قتل خليفة ونصب آخر، كقتل عمر ونصب عثمان، فإن عد هذا شراً، فذلك أيضاً كان شراً، وما ترتب عليه هو ما ذكره في الخبر من الدخن، على أن ذلك كان بالاجتهاد بل الإجماع اللذين كانا مناط واقعة السقيفة، فإن كانا حجة فلم يكن ذلك شراً، وإلا فقضية السقيفة أيضاً كذلك، بل هي أولى بذلك؛ لكونها أقدم، حتى أن مناط الدخن أيضاً عند الأكثر ذلك، فالتزام الحجية في بعض دون بعض تحكّم ساقط .

وأما ثانياً: فلأنه من فروع واقعة السقيفة وليس أمراً خارجاً؛ لترتبه على أفعاله المترتبة على خلافته المترتبة على تلك الواقعة .

وأما ثالثاً: يمكن أن يقال: إنه كان خيراً، حيث ترتبت عليه خلافة عليّ عليه السلام التي عدّها خيراً، بل كانت خيريتها مسلمة .

هذا، مع ما سيأتي في المقصد الثاني من بيان ترتب جميع المفاصد على قضية السقيفة، وذكر الأخبار الدالة على حصول الشر من حين وفاة النبي ﷺ، فتأمل .

ولنكتف ها هنا بما ذكرناه، وسيأتي متفرقاً غيرها أيضاً، مع ما يدل على أن مناط الشر هو ترك التمسك بآل محمد ﷺ، وحسداهم، وعداوتهم، فلا تغفل .

المطلب الثالث :

في بيان نبذ ممّا نقله المخالفون للشيعة في كتبهم المعتبرة عندهم من الأقوال، والأفعال الصادرة من أعيان علمائهم، وأكابرهم، ومشايخهم، والتابعين، والصحابة.

وهي دالة على ما نحن فيه ممّا ذكرناه في عنوان الفصل من شيوع ميل النفوس إلى الدنيا في هذه الأمة أيضاً، ووجود الفسقة والظلمة وأهل المعاصي والشهوات والنفاق، والمنافسات بينهم كثيراً، الصحابي وغيره.

ثمّ لا نذكر هاهنا أيضاً إلا شيئاً قليلاً على قدر ما يثبت به المطلوب؛ إذ ليس مرادنا التشنيع والتفضيح، بل المراد أن يظهر، بل يستبين أنّ السلامة من أطماع الدنيا وتنافسها في غاية الندرة بالنسبة إلى أهل كلّ زمان، وأن لا ينبغي الاعتماد إلا على من ثبتت عصمته من الطمع والحسد والطغيان.

هذا، مع ما سيأتي فيما بعد، لاسيّما في مقالات المقصد الثاني ممّا ينادي على هذا المطلب.

ولنذكر ما نريد ذكره هاهنا في مقامين :

المقام الأول : في بيان نبذ مِمَّا نقل القوم في بيان^(١) أحوال ما عدا الصحابة وأمثالهم مِمَّا يدلّ على المقصود .

نقل صاحب كتاب تاريخ الإسلام فيه : عن يزيد بن محمّد الرهاوي^(٢) قال : سمعت أبي يقول : قلت لعيسى بن يونس^(٣) : أيّما أفضل الأوزاعي؟^(٤) أو سفيان (الثوري)؟ - وكلاهما من أعظم علماء الجمهور ، والمجتهدين ، والثقات عندهم ، وكان الأوزاعي ساكناً بالشام وإمامهم^(٥) - فقال : وأين أنت من سفيان؟ فاستبعدت ذلك ، وذكرت فضل الأوزاعي وفقهه وعلمه ، فغضب وقال : أتراني أؤثر على الحقّ شيئاً! سمعت الأوزاعي يقول : ما أخذنا العطاء حتّى شهدنا على عليّ عليه السلام بالفسق وتبرأنا

(١) لم ترد في «م» و«س» .

(٢) هو يزيد بن محمّد بن ستان ، يكتنّى أبا فروه الرهاوي، روى عنه أبو عروبة الحرّاني وجماعة، ومات سنة ٢٦٩ في رمضان بالرّها .
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢ : ٢١٤/٥٥٥ .

(٣) هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق يكتنّى أبا عمرو ، وأبا محمّد الهمداني ، سكن الشام ، كان واسع العلم كثير الرحلة ، ومات سنة ١٨٧ هـ ، وقيل : ١٨٨ .
انظر : تهذيب الكمال ٢٣ : ٦٢/٤٦٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٤٨٩/١٣٠ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٤٤٠/٢١٢ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمّد الأوزاعي ، يكتنّى أبا عمرو ، كان يسكن بمحلّة الأوزاع بدمشق ، والأوزاع بطن من حمير ، وله كتب ، منها : السنن ، والمسائل .

ولد بعلبك سنة ٨٨ ، ومات سنة ١٥٧ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٣ : ١٢٧/٣٦١ ، تهذيب الكمال ١٧ : ٣٠٧/٣٩١٨ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ١٠٧/٤٨١ ، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ١٤١ - ١٦٠) : ٤٨٣ ، البداية والنهاية ١٠ : ١١٥ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٢١٦/٤٨٧ .

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

منه ، وأخذ علينا بذلك العتاق والطلاق وأيمان البيعة .

قال : فلما عقلت أمرى سألت مكحولاً^(١) ، ويحيى بن أبي كثير^(٢) ، وعطاء بن أبي رباح^(٣) ، وعبدالله بن عبيد^(٤) ، فقالوا : ليس عليك شيء إنما أنت مكره .

قال : فلم تقرّ نفسي حتى فارقت نسائي ، وأعتقت رقيقى ، وخرجت من مالي ، وكفرت أيماني ، فأخبرني هل كان سفيان يفعل مثل ذلك من القبيح الفضيح لأجل هذه الدنيا الدنيئة^(٥) ؟

(١) لعنه مكحول بن أبي مسلم ، يكنى أبا عبدالله ، وقيل : أبا أيوب ، فقيه أهل الشام ، وقيل : لم يكن في زمنه أبصر بالفتيا منه في علماء العامة ، وهو الذي يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، مات سنة ١١٣ هـ ، وقيل : سنة ١١٦ هـ .
انظر : تهذيب الكمال ٢٨ : ٦٦٤/٤٦٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٥٧/١٥٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ : ٥١١/٢٥٨ .

(٢) يحيى بن أبي كثير ، واختلف في اسم أبيه ، قيل : صالح ، وقيل : يسار ، وقيل : نشيط ، يكنى أبا نصر الطائي : كان من أصحاب الحديث ، وقالوا : ما نعلم أحداً بعد الزهري أعلم بحديث أهل المدينة من يحيى ، مات سنة ١٢٩ هـ ، وقيل : سنة ١٣٢ هـ .
انظر : تهذيب الكمال ٣١ : ٦٩٠٧/٥٠٤ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٩/٢٧ ، تهذيب التهذيب ١١ : ٤٤٠/٢٣٥ .

(٣) يكنى أبا محمد القرشي ، عدّه الشيخ عليه السلام من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، كان من علماء العامة في الفقه والحديث والتفسير ، قال : أدركت مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، روى عنه خلق كثير ، مات سنة ١١٥ هـ ، وقيل : سنة ١١٤ هـ .
انظر : تنقيح المقال ٢ : ٧٩١٩/٢٥٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤١٩/٢٦١ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٩/٧٨ .

(٤) عبدالله بن عبيد بن عمير ، يكنى أبا هاشم ، مات سنة ١١٣ هـ بمكة .
انظر : تهذيب الكمال ١٥ : ٣٤٠٦/٢٥٩ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٥٧/١٥٧ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٥٢٤/٢٦٩ .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠) : ٤٩٧ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ١٣٠ ، وفيهما بتفاوت .

قال ابن الأثير^(١): هذه الحكاية نقلها الحاكم أيضاً، عن أبي علي الحافظ، عن مكحول، عن يزيد بن محمد^(٢).

أقول: هذا مع ما صدر من سفيان أيضاً ممّا مرّ في ضمن الحديث الحادي عشر المذكور قبل الفهرست.

ونقل في التاريخ: عن ابن عيينة^(٣) أنّ ربيعة الرأي^(٤) بكى يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: رياء حاضر وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمرؤهم ائتمروا، وإن نهؤهم انتهوا^(٥).
ونقل فيه أيضاً: عن شعبة^(٦) أنّه قال: ما من الناس أحد أقول: إنّه

(١) هو عليّ بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، يكتنّى أبا الحسن، كان حافظاً للتواريخ، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم. له كتب، منها: الكامل في التاريخ، أسد الغابة، تاريخ الموصل، ولد في سنة ٥٥٥ هـ بجزيرة ابن عمر، ومات سنة ٦٣٠ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣: ٤٦٠/٣٤٨، سير أعلام النبلاء ٢٢: ٢٢٠/٣٥٣.

(٢) لم نعثر على قوله.

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، يكتنّى أبا محمد، الإمام الكبير، قال: أدركت نيفاً وثمانين نفساً من التابعين، له كتب، منها: تفسير القرآن، وجوابات القرآن، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ، ومات سنة ١٩٨ هـ بمكة ودفن بالحجون.

انظر: كتاب التاريخ الكبير ٤: ٢٠٨٢/٩٤، الثقات ٦: ٤٠٣، وفيات الأعيان ٢: ٢٦٧/٣٩١، سير أعلام النبلاء ٨: ١٢٠/٤٥٤، تهذيب التهذيب ٤: ٢٠٥/١٠٤.

(٤) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فزوخ التيمي، يكتنّى أبا عثمان، المعروف بريبعة الرأي من الفقهاء بالمدينة، أدرك بعض الصحابة والأكابر من التابعين، وعنه أخذ مالك، وكان كثير الحديث، مات سنة ١٣٦ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢: ٢٣٢/٢٨٨، تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠):

٤١٧، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٣/٨٩، تهذيب التهذيب ٣: ٤٩١/٢٢٣.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠): ٤٢١، سير أعلام النبلاء ٦: ٩٠.

(٦) هو شعبة بن الحجاج بن الورد واسطي الأصل، يكتنّى أبا بسطام، من علماء

طلب الحديث يريد به الله تعالى غير هشام الدستوائي^(١).

ثم روى عن هشام أنه قال: والله، لا أستطيع أن أقول: ذهبت يوماً قطّ أطلب الحديث أريد به وجه الله تعالى^(٢).

ونقل فيه أيضاً: أن عبدالله بن ذكوان^(٣) كان فاضلاً فقيهاً عالماً ثقةً بالإجماع، ثم نقل: أنه تولّى حساب ديوان المدينة من هشام بن عبدالملك^(٤)، وسعى عند والي المدينة في ربيعة الرأي حتى أخذه الوالي وجلده، وحلق رأسه ولحيته، وكان ربيعة يقدر فيه ولا يرتضيه^(٥).

ونقل فيه أيضاً مدحاً عظيماً لعثمان بن عاصم الأسدي^(٦)، وأنه كان

العامّة في البصرة في زمانه، روى عنه الأعمش وجماعة. قال أبو داود: سمعت من شعبة سبعة آلاف حديث، ولد سنة ٨٢ هـ، ومات سنة ١٦٠ بالبصرة.

انظر: وفيات الأعيان ٢: ٢٩٢/٤٦٩، سير أعلام النبلاء ٧: ٨٠/٢٠٢، تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠): ٤١٦، تهذيب التهذيب ٤: ٥٩٠/٢٩٧.

(١ و ٢) هو هشام بن أبي عبدالله سنبر الربيعي، يكتى أبا بكر البصري، سمي الدستوائي لأنه كان يبيع الثياب التي تجلب من دستواء، ودستواء بليدة من أعمال الأهواز، مات سنة ١٥٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٧: ٥١/١٤٩. تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠):

٦٥٥، تهذيب التهذيب ١١: ٨٥/٤٠، معجم البلدان للحموي ٢: ٤٥٥.

(٣) هو عبدالله بن ذكوان القرشي، يكتى أبا عبدالرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، ولد سنة ٦٥ هـ في حياة ابن عباس، ومات سنة ١٣١ هـ.

انظر: الكنى والألقاب ١: ٧٦، تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠): ٤٦١، سير أعلام النبلاء ٥: ١٩٩/٤٤٥، تهذيب التهذيب ٥: ٣٥٢/١٧٨.

(٤) هو هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة، يكتى أبا الوليد القرشي الأموي، كان أحول خشناً فظاً غليظاً، لم ير زمان أصعب من زمانه، مات سنة ١٢٥ هـ بالرصافة.

انظر: مروج الذهب ٣: ٢٠٥، سير أعلام النبلاء ٥: ١٦٢/٣٥١.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠): ٤٦١ - ٤٦٢ بتفاوت.

(٦) هو عثمان بن عاصم بن حصين، وقيل بدل حصين: زيد بن كثير، يكتى أبا حصين، كان عثمانياً، وقيل: إنه كان ينكر بعض مناقب أمير المؤمنين ﷺ الثابتة،

صالحاً، ثم نقل أنه كذف الأعمش^(١) ونسب أمته إلى الزنى افتراءً؛ لردّه عليه ما صدر منه من اللحن في كلمة في الصلاة^(٢).

ونقل في التاريخ أيضاً في ترجمة عبدالله العمري الزاهد^(٣) من نسل عمر بن الخطاب: أنه كتب إلى محمد بن أبي ذئب عبد الرحمن العامري القرشي^(٤) - الذي قال في حقّه: إنه أفضل من مالك - كتاباً (أغلظ له فيه، وقال: أنتم علماء تميلون إلى الدنيا، وتلبسون اللين وتدعون التّقشّف)^(٥)(٦).

للأروى عن الأعمش: أن أبا حصين يسمع منّي، ثمّ يذهب فيرويه، ومات سنة ١٢٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥: ١٨٢/٤١٢، تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠): ١٧٣.

(١) هو سليمان بن مهران، يكتبى أبا محمد الأسيدي، أصله من نواحي الري، قدم إلى الكوفة طفلاً، وقرأ القرآن على زيد بن وهب وغيره، وروى عنه جماعة من رجال الصحاح عند أهل السنّة، ولد سنة ٦١ هـ، ومات سنة ١٤٨ هـ. انظر: طبقات القراء ١: ٣٩/٨٣، سير أعلام النبلاء ٦: ١١٠/٢٢٦، تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠): ١٦١.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠): ١٧٣ - ١٧٤ بتفاوت. (٣) عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن محمد بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي العمري، يكتبى أبا عبد الرحمن، كان قليل الرواية، مشتغلاً بنفسه، لم يكن يقبل من السلطان ولا من غيره، ومنّ ولي من معارفه وأقاربه لا يكلمه، مات سنة ١٨٤ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ١٩٠/٢١١، سير أعلام النبلاء ٨: ٣٧٣/١١١، تهذيب التهذيب ٥: ٥١٥/٢٦٤.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، يكتبى أبا الحارث وهو صاحب الإمام مالك، وكانت بينهما ألفة أكيدة ومودة صحيحة، ولد سنة ٨١ هـ، ومات سنة ١٥٩ هـ.

انظر: المنتظم ٨: ٨٥٨/٢٣٢، وفيات الأعيان ٤: ٥٦٦/١٨٣، سير أعلام النبلاء ٧: ٥٠/١٣٩، تهذيب التهذيب ٩: ٥٠٥/٢٧٠.

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «ن».

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ٢١٤، سير أعلام النبلاء ٨: ٣٧٤.

وحكي عنه أيضاً: أَنَّ مالكَأ كتب إليه: إِنَّكَ صرت بدويّاً فلو كنت عند مسجد رسول الله ﷺ .

فكتب إليه: إِنِّي أكره مجاورة مثلك، إِنَّ الله لم يرك متغيّر الوجه فيه ساعة قط^(١).

ونقل أيضاً: أَنَّ رجاء بن خَيوة^(٢) كان يلعن مكحولاً، وقال: كان مكحول فقيه أهل الشام وشيخ أهل دمشق، عشريناً مع بني أمية، فشكى إلى رجاء يوماً، فقال له: إِنَّ الناس يريدون دمي؟ فقال رجاء له: إِنِّي قد حذرتك القرشيين ومجالستهم، ولكنهم قد أدنوك وقرّبوك وأطمعوك، فحدثتهم بأحاديث، فلمّا أفشوها عنك كرهتها^(٣).

وقال أيضاً: إِنَّ عمر بن عبد العزيز^(٤) أمر بإحراق أحاديث مكحول في الدليات^(٥).

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ٢١٤ - ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٨: ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) رجاء بن خَيوة بن جرو، وقيل: ابن جزل، وقيل: ابن جندل، يكتنّى أبا نصر الكندي الأزدي، كان عالماً، وكبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، روى عنه: مكحول والزهري وخلق كثير، مات سنة ١١٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٢٢٠/٥٧٧، تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ٣٦٠/٣٨٧، تهذيب التهذيب ٣: ٢٢٩/٥٠٠.

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ٤٨١ - ٤٨٢.

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، يكتنّى أبا حفص، وصفوه بالعدل من بين الحكّام الأمويين، حيث صرف عمّال من كان قبله من بني أمية، واستعمل أصلح من قدر عليه، وأمر بترك لعن عليّ عليه السلام على المنابر، وجعل مكانه ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا...﴾ (الحشر ٥٩: ١٠). ولد سنة ٦٣ هـ، ومات سنة ١٠١ هـ.

انظر: مروج الذهب ٣: ١٨٢، المنتظم ٧: ٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ١٨٧، سير أعلام النبلاء ٥: ٤٨/١١٤، تهذيب التهذيب ٧: ٧٩١/٤١٨.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ٤٨١.

ونقل عن الليث بن سعد^(١) - بعدما مدحه بالعلم والفضل -: أنه كان له صحبة عظيمة مع الرشيد^(٢) ومدخلية في أمور السلطنة، وأنه احتال لهارون بحيلة فأعطاه مبالغ عظيمة، قال: وهي أنه جرى بين هارون وزبيدة^(٣) امرأته ملاحاة في شيء، فقال هارون في عرض كلامه: أنتِ طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتمًا جميعاً، فجمع العلماء كلهم، فقال الليث: يا أمير المؤمنين، ادع بمصحف، فدعا، ففتح له سورة الرحمن، فقال له: إقرأها، فقرأها، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٤) قال: قف هاهنا، فوقف، فقال له: قل والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إنك تخاف مقام الله عزوجل، فقال هارون ذلك،

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، يكتنى أبا العارث، ترجم له بأنه كان كبير الديار المصرية ورئيسها ومحتشمها وعالمها، وأمير من بها في عصره، ولد سنة ٩٤ هـ، ومات سنة ١٧٥ هـ.

انظر: تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠): ٢٤٦/٣٠٢، سير أعلام النبلاء ٨: ١٢/١٣٦، تهذيب التهذيب ٨: ٨٣٤/٤١٢.

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، يكتنى أبا جعفر، خامس حكام الدولة العباسية في العراق، ولي الحكم بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ، وهو أول من لعب بالكرة والصولجان، وكان مشهوراً بالعداء لأهل البيت عليهم السلام، ولد سنة ١٤٨ هـ ومات سنة ١٩٣ هـ.

انظر: مروج الذهب ٣: ٣٣٦، تاريخ الإسلام (حوادث ١٩١ - ٢٠٠): ٣٣١/٤٢٣، سير أعلام النبلاء ٩: ٨١/٢٨٦، الأعلام ٨: ٦٢.

(٣) هي أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور تكتنى أم جعفر، زوجة هارون الرشيد والدة الأمين، لقبها أبو جعفر المنصور بـ: «زبيدة» لبضاستها ونضارتها، فغلب ذلك عليها، ماتت سنة ٢١٦ هـ.

انظر: الكنى والألقاب ٢: ٢٥٨، تاريخ بغداد ١٤: ٧٨٠٢/٤٣٣، سير أعلام النبلاء ١٠: ٦٤/٢٤١.

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ٤٦.

فقال: فلك جنتان، فأعطاه الجوائز والقطائع، وكذا زبيدة^(١).

ونقل عن شريك القاضي^(٢) بعد نقله فضله وكماله وتوثيقه: أنه ولي قضاء الكوفة، وكان لا يجلس للحكم حتى يتغذى ويشرب أربعة أرطال نبيذ! قال: وكان قبل ذلك له ارتزاق من المهدي العباسي^(٣)، وربط معه حتى صار معلماً لأولاد الخليفة^(٤).

ثم نقل: أنه كتب له برزقه على صيرفي فضايقه في النقد، فقال له: إنك لم تبع به بزاً^(٥)، فقال شريك: بل والله، بعث به ديني^(٦).

ونقل عن أبي يوسف^(٧) أنه كان قاضي القضاة في بغداد زمن الرشيد،

(١) انظر: حلية الأولياء ٧: ٣٢٣ - ٣٢٤، تاريخ دمشق ٥٠: ٣٢٨ - ٥٨٥٦/٣٢٩، سير أعلام النبلاء ٨: ١٢/١٤٥.

(٢) هو شريك بن عبدالله الحارث بن أوس النخعي يكتى أبا عبدالله، ولأه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة فلم يزل عليها حتى مات أبو جعفر، وولي المهدي فأقره على القضاء ثم عزله، وهو من رجال الصحاح عند أهل السنة، ولد سنة ٩٥ هـ، ومات سنة ١٧٧ هـ بالكوفة.

انظر: الطبقات لابن سعد ٦: ٣٧٨، تاريخ بغداد ٩: ٤٨٣٨/٢٧٩، سير أعلام النبلاء ٨: ٣٧/٢٠٠، تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠): ١٣١/١٦٥.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله، يكتى أبا عبدالله، أحد حكام الدولة العباسية، بويح له بعد وفاة أبي جعفر بمكة سنة ١٥٨ هـ، ولد سنة ١٢٧ هـ، ومات سنة ١٦٩ هـ.

انظر: المعارف لابن قتيبة ٣٧٩، مروج الذهب ٣: ٣٠٩، تاريخ بغداد ٥: ٢٩١٧/٣٩١، سير أعلام النبلاء ٧: ١٤٧/٤٠٠، شذرات الذهب ١: ٢٦٦.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠): ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) في «ش» نسخة بدل: «براً».

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠): ١٧٤.

(٧) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، يكتى أبا يوسف، صاحب أبي حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، ولي القضاء ببغداد أيام المهدي، والهادي وهارون لله

وزميله في الأسفار، ووزيره في المشاورات^(١).

وقال ابن الأثير في الجزء الأول من منتخبات السير: إن أبا يوسف كان متهماً عند بعض أهل العلم بالفتنة والنمائية^(٢).

ونقل عنه أنه قال عند وفاته: كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة^(٣).

ونقل في التاريخ عن ابن حبان، أنه قال: كان حريز بن عثمان^(٤) - الذي من أكابر علمائهم بالشام - يلعن علياً عليه السلام، فعاتبوه^(٥)، فقال: هو القاطع رأس أجدادي بالقوس^(٦).

ونقل عن الخطيب في تاريخه أنه روى بإسناد له عن إسماعيل بن

علاء الرشيد، وهو أول من لُقّب: قاضي القضاة، وله كتب، منها: الخراج، والآثار، والفرائض، وولد سنة ١١٣ هـ بالكوفة، ومات سنة ١٨٢ هـ.

انظر: الطبقات لابن سعد ٧: ٣٣٠، تاريخ بغداد ١٤: ٧٥٥٨/٢٤٢، وفيات الأعيان ٦: ٨٢٤/٣٧٨، تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ٤٥٥/٤٩٦، سير أعلام النبلاء ٨: ١٤١/٥٣٥.

(١) انظر: تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ٥٠١.

(٢) منتخبات السير غير متوفّر لدينا.

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠): ٥٠٠.

(٤) حريز بن عثمان بن جبر، يكنى أبا عثمان الرحبيّ، وأبا عون، من صفار التابعين، كان ناصبياً، ويكفي في خبث سيرته وفساد عقيدته ما نقل المؤلف عنه من تاريخ الإسلام، وتاريخ بغداد، وولد سنة ٨٠ هـ، ومات سنة ١٦٣ هـ.

انظر: كتاب المجروحين ١: ٢٦٨، تاريخ بغداد ٨: ٤٣٦٥/٢٦٥، تهذيب الكمال ٥: ١١٧٥/٥٦٨، تاريخ الإسلام (حوادث ١٦١ - ١٧٠): ٦٦/١٢٠، تهذيب التهذيب ٢: ٤٣٦/٢٠٧، شذرات الذهب ١: ٢٥٧.

(٥) في «م» زيادة: في ذلك.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ١٦١ - ١٧٠): ١٢٤، وفي المصدر: (بالقوس) بدل (بالقوس).

عياش^(١) قال : سمعت حريزاً يقول : هذا الذي يرويه الناس عن النبي ﷺ : أنه قال لعليّ عليه السلام : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » حقٌّ ، ولكن أخطأ السامع ، إنما هو : أنت مني بمنزلة قارون من موسى ، فقلت له : عمّن ترويه ؟ قال : سمعت أنا الوليد بن عبد الملك^(٢) يقوله على المنبر^(٣) .

ونقل عن واصل بن عطاء^(٤) - مولى بني مخزوم ، من أكابر علماء المعتزلة بالبصرة - عقائد منها : أنه كان يجيز قراءة القرآن بالمعنى ؛ لأنه كان يبذل الرأء بالغيث ولم يقدر على إفصاحه ، فقيل له يوماً في مجلس الخليفة : اقرأ أول سورة البراءة ، فقال على البديهة : عهد من الله ونبيّه إلى الذين عاهدتم من الفاسقين فسيحوا في البسيطة هلالين وهلالين^(٥) .

(١) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي ، يكتنّى أبا عتبة ، عالم الشام ومحدّثها في عصره ، قال عثمان بن صالح : كان أهل حمص ينتقصون عليّاً عليه السلام ، حتّى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش ، فحدّثهم بفضائل عليّ عليه السلام ، فكفّروا عن ذلك .

وفي ولادته عدّة أقوال ، منها : أنه ولد سنة ١٠٢ هـ ، ومات سنة ١٨١ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢ : ٦٥٠/١٩١ ، كتاب المجروحين ١ : ١٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٨٣/٣١٢ ، تهذيب التهذيب ١ : ٥٨٤/٢٨٠ .

(٢) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، يكتنّى أبا العباس ، من حكام الدولة الأمويّة في الشام ، مات في جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ .

انظر : تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٨٣ ، مروج الذهب ٣ : ١٥٦ ، المنتظم ٦ : ٢٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٤٧ / ١٢٠ .

(٣) تاريخ بغداد ٨ : ٢٦٨ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٦١ - ١٧٠) : ١٢٢ .

(٤) واصل بن عطاء المعتزلي ، يكتنّى أبا حذيفة ، المعروف بالغزالي ؛ يلقّب بذلك لأنه كان يلازم الغزاليين ليعرف المتعقّفات من النساء ، وهو رأس المعتزلة ، وأحد الأئمّة المتكلّمين في علم الكلام ، وله كتب منها : أصناف المرجئة ، ومعاني القرآن ، والمنزلة بين المنزلتين ، ولد سنة ٨٠ هـ ، ومات سنة ١٣١ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٦ : ٧٦٨/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠) :

٥٥٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٢١٠/٤٦٤ ، ولسان الميزان ٧ : ٩٠٦٨/٣٠٨ .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠) : ٨٥٩ .

ونقل عن الشعبي^(١) بعد ما مدحه بالعلم الغزير ومدائح عظيمة: أنه كان صاحباً لعبد الملك بن مروان، وأنه أرسله حاجباً إلى الروم، وكذا صار صاحباً للحجاج^(٢)، وأنه كان يكرمه ويعطيه ويسأله، وجعله عريفاً على الشعبين، وفرض له العطاء، وأنه خرج بعد هذا مع محمد بن الأشعث^(٣)

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، يكنى أبا عمرو، يُنسب إلى شعب بطن من همدان، يُعدّ من كبار التابعين، وكان فقيهاً شاعراً، وقاضياً على الكوفة، وحكي عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، ورأى علياً عليه السلام وصلّى خلفه، كان ممن خرج مع القراء على الحجاج لظلمه، ثم اختفى زماناً، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه ورسوله إلى ملك الروم، وممن روى عن علي عليه السلام، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، وغيرهم.

واختلف في ولادته ووفاته على أقوال، منها: أنه ولد في فترة خلافة عمر، ومات سنة ١٠٣ هـ.

انظر: الكنى والألقاب ٢: ٣٢٧، الطبقات لابن سعد ٦: ٢٤٦، تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٧/٦٦٨٠، وفيات الأعيان ٣: ٣١٧/١٢، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٩٤/١١٣. (٢) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، يكنى أبا محمد، وولى عبد الملك الحجاج الحرمين مدة، ثم استقدمه فولاه الكوفة، وجمع له العراقيين، فسار بالناس سيرة جائرة؛ كان ظلوماً، جباراً، ناصبياً، سفاكاً للدماء، ورمى الكعبة بالمنجنيق، ويحكي عن الشعبي أنه قال: لو أخرجت كل أمة خبيثها وفاسقها وأخرجنا الحجاج بمقابلتهم لغلبناهم، هلك سنة ٩٥ هـ.

انظر: مروج الذهب ٣: ١٢٥، المنتظم ٦: ٣٣٦/٥٣٣، و٧: ٣، وفيات الأعيان ٢: ٢٩/١٤٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٨١-١٠٠): ٣١٤/٢٣٣، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤٣/١١٧، تهذيب التهذيب ٢: ٣٨٨/١٨٤.

(٣) هو محمد بن الأشعث بن قيس الكِندي الكوفي، يكنى أبا القاسم.

روى عنه الشعبي، ومجاهد، والزهري، وغيرهم، وهو ممن شرك في دم الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، وأيضاً نقل الكليني عليه السلام في الكافي ٨: ١٨٧/١٦٧ عن أبي عبدالله عليه السلام: «أن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام» كان هلاكه في سنة ٦٧ هـ.

- قاتل الحسين عليه السلام - على الحجاج ، وكان معه حتى انكسروا وانهمزم ، ثم صار كاتباً لوالٍ من ولاة الحجاج ، فأراد الحجاج قتله ، ثم جاز عن ذلك ، ثم تولى القضاء من طرف بعض ولاة بني أمية ^(١) .

ونقل في تاريخ الإسلام وغيره : عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ^(٢) بعد ما مدحه بالعلم والكمال والتوثيق أنه قدم العراق فأكرمه الرشيد وبرّه وأعطاه فسأله عن الغناء فأفتى بتحليله ، ثم تولى القضاء وبيت المال في بغداد ، وقال : إنه كان يستمع الغناء واللعب والمعازف ، حتى أنه جاءه رجل ليسمع منه الحديث فسمعه يغني ، فعاتبه على ذلك ، فغضب فحلف أنه لا يحدث أحداً بحديث إلا أن يغني قبله ، فاشتهر ذلك منه إلى أن وصل هارون ، فدعاه وسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وآله في السرقة فدعا بعود ، فقال الرشيد : أعود البخور ؟ فقال : لا ، ولكن عود الطرب ، فتبسّم ، ففهمها إبراهيم بن سعد ، فقال : لعله بلغك يا أمير المؤمنين ، حديث السفية الذي آذاني بالأمس والجأني إلى أن حلفت ؟ قال : نعم ، ودعاه الرشيد بعود فغناه بهذا البيت :

⚭ انظر : تاريخ مدينة دمشق ٥٢ : ٦١١٢/١٢٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠) : ٨٩/٢٢١ ، الإصابة ٣ : ٨٥٠٢/٥٠٩ .

(١) انظر : تاريخ حوادث الإسلام (١٠١ - ١٢٠) : ١٢٤ - ١٢٩ بتصرف .

(٢) يكتنى أبا إسحاق القرشي ، كان من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه ، ولي بيت المال ببغداد ، وهو ممن يترخص في الغناء على عادة أهل المدينة ، وقاضي المدينة ، ولد سنة ١٠٨ هـ ، ومات سنة ١٨٣ هـ ، وقيل : سنة ١٨٤ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٦ : ٣١١٩/٨١ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ٨١/٣٠٤ ، تهذيب

التهذيب ١ : ٢١٦/١٠٥ .

يا أم طلحة إنَّ البين قد أزفا^(١)

إلى آخر الأبيات .

فقال له الرشيد: من كان من فقهاءكم يكره السماع؟ قال: من ربطه الله .

قال: فهل بلغك عن مالك^(٢) في هذا شيء؟

قال: أخبرني أبي أنهم اجتمعوا في مدعاة^(٣) كانت في بني يربوع ،

ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنون ويلعبون ، ومع مالك دف مرتع وهو يغنيهم .

سليمي أجمعت بيننا فأين لقاؤها أينا^(٤)

إلى آخر الأبيات .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، انظر : ديوانه : ١٢٣/٦٢ ، والأغاني ١ : ٢٠٠ ، وفيه :

يا أم طلحة إنَّ البين قد أفيدا قَلَّ الشَّواءُ لئن كان الرحيل غدا

أمسى العراقي لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك ، يكتى أبا عبدالله ، أحد الأئمة الأربعة لأهل السنة ،

وإليه تنسب المالكية ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ، والقراءة عرضاً عن نافع بن أبي

نعيم ، وأول طلبه العلم في حدود سنة ١١٠ هـ ، وفيها مات الحسن البصري ، له

كتب منها : الموطأ ، وتفسير غريب القرآن ، والوعظ ، ولد سنة ٩٣ هـ ، ومات سنة

١٧٩ هـ .

انظر : المعارف لابن قتيبة ٤٩٨ - ٤٩٩ ، وفيات الأعيان ٤ : ١٣٥/٥٥٠ ،

تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠) : ٢٤٧/٣١٦ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ١٠/٤٨ ،

وتهذيب التهذيب ١٠ : ٣/٥ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٨٩ .

(٣) مدعاة : كُنَّا في مدعاة فلان : أي دعوته .

انظر : شمس العلوم ٤ : ٢٠٩٧ .

(٤) البيت لعروة بن أذينة ، انظر : ديوانه : ٣٩٨ ، والأغاني ٢ : ٢٣٧ . وهي :

سليمي أزمعت بيننا فأين تقولها أينا

وقد قالت لأتراپ لها زُهر تلاقينا

تعالين فقد طاب لنا العيشُ تعالينا

فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم^(١) .

هذا، مع أنه نقل بعضهم عن مالك : تحريم الغناء ، وأنه قال : إنه فعل
الفسقة^(٢) .

وذكر صاحب تاريخ الإسلام في ترجمة داود العباسي^(٣): أن في الخلفاء
وأبائهم وأهاليهم وأتباعهم قوماً أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف
حالهم ؛ خوفاً من السيف والضرب ، وما زال هذا في كل دولة قائمة يصف
المؤرخ محاسنها ويغضي عن مساوئها، وإن كان المحدث ذا دين وخير^(٤) .
أقول : هذا نقل أقل قليل ممّا نقله المعتمدون عن المعدودين من
أهل العلم والكمال فضلاً عن غيرهم ، ولو أردنا الاستقصاء لملئت الطوامير ،
من أراد ذلك فعليه بكتاب الذهبي ، وكتاب ابن الأثير .

ولكن نحن من حيث لا نحبّ ذكر أمثال هذه الأشياء في هذا
الكتاب ، نكتفي في كل مقام بذكر ما يمكن به إثبات المرام ، وربما نزيد في
بعض المواضع إلى أن يصل إلى حدّ الإيضاح التامّ ، وسيأتي أيضاً - لاسيّما
في المقام الآتي ، وفي مقالات المقصد الثاني ، سيّما من السادسة إلى
الأخيرة - مؤيّدات لما ها هنا .

(١) تاريخ بغداد ٦ : ٨١ - ٨٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠) : ٥٠ - ٥٢ .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ - ١٨٠) : ٣٢٨ بتفاوت في الألفاظ .

وانظر أيضاً : المدونة الكبرى ٤ : ٤٢١ ، والمغني لابن قدامة ٤ : ٢٦٤ ، والمجموع

١٢ : ٣٢٢ .

(٣) داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، يكنى أبا سليمان الهاشمي العباسي ، عمّ
المنصور والسفاح ، وكان أوّل من ولّاه أبو العباس الكوفة والحجاز ، حدّث عن أبيه ،
وروى عنه الأوزاعي ، والثوري ، وشريك ، وغيرهم ، ولد سنة ٨١ هـ ، ومات سنة ١٣٣ هـ .
انظر : تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥١ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٩٨/٤٤٤ ، تهذيب

التهذيب ٣ : ٣٧١/١٦٨ .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ - ١٤٠) : ٤١٢ .

ولقد كفى في هذه الاختلافات التي حصلت بينهم أصولاً وفروعاً، بحيث انجرت إلى تكفير بعضهم بعضاً والتفسيق، مع أن عندهم المخطئ في الاجتهاد معذور؛ إذ لو لم يكن هناك علة الميل إلى هوى النفس لشملهم التوفيق، وهداهم ربهم إلى ما هو عين التحقيق، كما مرّ مراراً، ويأتي غير مرّة، والله الهادي.

المقام الثاني: في بيان نبذ ممّا نقل القوم من أطوار بعض أهل عصر النبي ﷺ من الصحابة وأمثالهم، وما صدر منهم ولو بعد النبي ﷺ، ممّا ينادي بالمقصود، أعني: وجود الحالات التي ذكرناها هنا وفي أصل الباب، وبيّنا أنّها من نتائج الميل إلى الهوى والحرص على الدنيا فيهم أيضاً.

نقل الزبير بن بكار^(١) - من ولد الزبير المشهور - في كتابه: عن مطرف بن المغيرة بن شعبة^(٢)، قال: وفدت مع أبي على معاوية، وكان أبي يأتيه بالليالي فيتحدّث معه ويأتينا وهو راض عنه ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة مغتماً، فسألته بعد ساعة وقلت له: ما لي أراك مغتماً؟ فقال: يا بني، جئت من عند أخصب الناس^(٣)، قلت: وما ذلك؟ قال: معاوية، ثم قال: إنّي خلوت به، فقلت له: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو

(١) هو الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب، يكنى أبا عبدالله، وأبا بكر، كان عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين، وسائر الماضين، ولي القضاء بمكة، له كتب منها: أخبار العرب وأيامها، ونوادر أخبار النسب، ونوادر المدنيتين، ولد سنة ١٧٢ هـ، ومات سنة ٢٥٦ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٨: ٤٥٨٥/٤٦٧، وفيات الأعيان ٢: ٣١١/٢٤٠، سير أعلام النبلاء ١٢: ١٢٠/٣١١، تهذيب التهذيب ٣: ٥٨٠/٢٦٩.

(٢) هو من ولاية الحجاج ولّاه على المدائن مات سنة ٧٧ هـ.

انظر: تاريخ الطبري ٦: ٢٨٤، المنتظم ٦: ١٩٢، الكامل لابن الأثير ٤: ٤٣٣.

(٣) في المصدر: جئت من أكفر الناس وأخصبهم.

أظهرت عدلاً، وبسطة خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إختوك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله، ما عندهم اليوم شيء تخافه؟ فقال: هيهات هيهات، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله، ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر سنين فوالله، ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، (ثم ملك عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ففعل ما فعل، وعمل به ما عمل فوالله، ما عدا أن هلك فهلك ذكره)^(١) وإن أخا بني هاشم^(٢) يصاح به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأبي عمل يبقى بعد هذا لا أم لك! لا والله، إلا دفناً دفناً^(٣).

أقول: هذا مصداق المثل المشهور عند الناس من قولهم: «ويل لمن كفره نمرود»؛ لأن المغيرة^(٤) هو الذي يأتي في مقالات المقصد الثاني لاسيما السادسة أنه وردت فيه ذموم، وكان شارب الخمر زانياً حتى شهد عليه ثلاثة بالزنا في خلافة عمر، ولما أراد الرابع أن يشهد احتال عمر في دفع شهادته عنه بما هو مشهور وخلصه من الرجم؛ لكونه من خواصه.

ولهذا كان عليّ عليه السلام يقول: «إن مكّني الله من المغيرة لأرميته بالحجارة»^(٥) فانهزم في خلافته عليه السلام إلى معاوية، وصار من ولاته، وكان

(١) ما بين القوسين لم يرد في المصدر.

(٢) في المصدر: (ابن أبي كيشة).

(٣) الأخبار الموقيات: ٣٧٥/٤٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٢٩ - ١٣٠ بتفاوت.

(٤) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، يكنى أبا عبدالله، وأبا عيسى، يقال له: مغيرة الرأي، يكنى في خبثه ما نقل المؤلف عن عليّ عليه السلام في حقه، مات سنة ٥٠ هـ.

انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٩٤، أسد الغابة ٤: ٥٠٦٤/٤٧١، سير أعلام

النبلاء ٣: ٧/٢١.

(٥) الكافي ٧: ٨/١٨٢ (باب ما يوجب الجلد)، الاستبصار ٤: ٨٠٣/٢١٥ بتفاوت

يسير فيهما.

من أشدّ أعادي عليّ عليه السلام ، وهذه الصفات منه مشهورة .

نقل صاحب كتاب تاريخ الإسلام ، والحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء بإسنادهما عن عيسى بن يونس ، قال : سمعت الأعمش يقول : كان أنس بن مالك يمرّ بي طرفي النهار فأقول : لا أسمع منك حديثاً ، خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ جئت إلى الحجاج وعاشرته حتى ولّك ^(١) .

ونقل صاحب كتاب الاستيعاب أبو عمرو بن عبد البرّ في كتابه : أنّ الأشعث بن قيس الكندي ^(٢) أسلم في زمان النبي صلى الله عليه وآله ، ثمّ ارتدّ بعده ، فأسره أبو بكر فرجع إلى الإسلام ، وزوّجه أبو بكر أخته أمّ فروة ، فولدت منه محمّد بن الأشعث الذي قاتل الحسين عليه السلام ^(٣) .

وعن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام : « أنّ الأشعث كان من مشاوري ابن ملجم ^(٤) في قتل عليّ عليه السلام ، وسمّ جعدة ^(٥) - بنته - الحسن عليه السلام ،

(١) حلية الأولياء ٥ : ٥٣ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠) : ١٦٦ .

(٢) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية ، يكنّى أبا محمّد ، كان في الجاهلية رئيساً في كندة ، وفي الإسلام كان وجيهاً في قومه ، وكان ممّن ألزم الإمام عليّ عليه السلام بالتحكيم ، هلك سنة ٤٢ هـ ، وقيل : ٤٠ هـ .

انظر : الاستيعاب ١ : ١٣٣/١٣٥ ، أسد الغابة ١ : ١١٨/١٨٥ ، سير أعلام النبلاء ٨/٣٧ : ٢ ، تهذيب التهذيب ١ : ٦٥٣/٣١٣ .

(٣) الاستيعاب ١ : ١٣٣/١٣٥ بتصرف .

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي ، يكفي في كفره وخبثه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : « يا عليّ ، من أشقى الأولين والآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أشقى الأولين عاقر الناقة ، وأشقى الآخرين قاتلك » ، هلك سنة ٤٠ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٣ : ٣٣ ، لسان الميزان ٤ : ٥١١٣/٣١٢ .

(٥) جَعْدَةُ بنت الأشعث بن قيس الكندي زوجة الإمام الحسن عليه السلام ، أرسل لها معاوية السّمّ لقتل الإمام عليه السلام ، ووعدها بمال وافر وبتزويجها من ابنه يزيد ولم يفب لها .

انظر : المعارف : ٢١٢ ، مروج الذهب ٢ : ٤٢٧ ، المنتظم ٥ : ٢٢٦ ، تراجم

وقاتل ابنه - محمد - الحسين عليه السلام» (١) .

ونقل في الاستيعاب أيضاً: أن بسر بن أرطاة (٢) كان من المقرّبين عند عمر، ثم صار (٣) إلى معاوية فكان معه في صفين، ثم أمره على اليمن رداً على علي عليه السلام، فدخل اليمن وكان فيه عبيد الله بن العباس (٤) والياً من [قبيل] (٥) علي عليه السلام، فانهزم، فقتل بسر ولديه الصغيرين في حجر أمهما، وسبى نساء، وفعل فساداً بشيعة علي عليه السلام .

قال: ودخل المدينة أيضاً بأمر معاوية وكان يومئذ أبو أيوب

(١) الكافي ٨ : ١٨٧/١٦٧ بتفاوت .

(٢) هو بسر بن أرطاة، وقيل: ابن أبي أرطاة، يكنى أبا عبد الرحمن، كان - خذله الله - قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء، هلك سنة ٨٦ هـ في أيام الوليد بن عبد الملك .

انظر: مروج الذهب ٣ : ١٦٢ - ١٦٣، الاستيعاب ١ : ١٧٤/١٥٧، تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ٨٧٢/١٤٤، سير أعلام النبلاء ٣ : ٨٧٢/٤٠٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠) : ١٤٤/٣٦٧ .

(٣) في حاشية نسخة «س»: هذا الرجل (يعني: بسر بن أرطاة) هو الذي نقل جمع ومنهم صاحب الاستيعاب: أنه كان من الأبطال، فأغراه معاوية على علي عليه السلام في صفين، فخرج إليه فصرعه علي عليه السلام، وهم بقتله فتكشّف له فكف عنه! ولهذا ذكر الشاعر هذا العمل في هجوه، منه عفي عنه .

(٤) هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، يكنى أبا محمد، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخو عبداً والفضل، وأمه لبابة الكبرى أم الفضل بنت الحارث، كان أصغر سنّاً من أخيه عبداً، وكان عظيم الكرم والجود، يضرب به المثل في السخاء، ولآه علي بن أبي طالب عليه السلام على اليمن، ولم يزل على اليمن حتى قُتل علي عليه السلام .

واختلف في وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ٨٧ هـ بالمدينة .
انظر: مروج الذهب ٣ : ١٦١، أسد الغابة ٣ : ٣٤٦٤/٤٢٠، تاريخ الإسلام (حوادث ٨١ - ١٠٠) : ١٠٢/١٤٦، سير أعلام النبلاء ٣ : ١٢١/٥١٢ .

(٥) ما بين المعقوفين يقتضيه السياق .

الأنصاري^(١) والياً عليها من [قبَل] ^(٢) عليّ عليه السلام ، فانهرم منه أبو أيوب ، فلمّا دخلها بُسر جدّ في قتل جابر بن عبد الله الأنصاري ، فأمرت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله جابراً وابنها عمر بن أبي سلمة ^(٣) فبايعاه خوفاً من القتل ، فأخرب بيوت المدينة ، وانطلق إلى مكّة ، فخاف أبو موسى الأشعري أن يقتله ، فهرب منه ، فلمّا سمع بسر ذلك ، قال : إنّي ما كنت أقتله ؛ حيث خلع عليّاً عليه السلام عن الخلافة ^(٤) .

ثمّ نقل في هذا الموضوع عن المقداد بن الأسود : أنّه كان يقول : والله ، لا أشهد لأحد أنّه من أهل الجنّة ، حتّى أعلم ما يموت عليه ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «القلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت

(١) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، يكتى أبا أيوب الأنصاري من بني النجار ، صحابيّ ، مشهور بكنيته ، ولمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل عليه ، وأقام عنده حتّى بنى حُجره ومسجده ، وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين مُصعب بن عمير ، شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولآه عليّ عليه السلام على المدينة ، وشهد مع عليّ عليه السلام حرب الخوارج ، مات سنة ٥٢ هـ على قول .

انظر : الطبقات لابن سعد ٣ : ٤٨٤ ، الاستيعاب ٢ : ٤٢٤ / ١٠٠ ، أسد الغابة ١ : ١٣٦١ / ٥٧١ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٨٣ / ٤٠٢ ، تهذيب التهذيب ٣ : ١٧٤ / ٧٩ ، شذرات الذهب ١ : ٥٧ .

(٢) ما بين المعقوفين يقتضيه السياق .

(٣) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي يكتى بـ: أبا حفص ، صحابيّ ، وريب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ أمّه أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله ، وهو أخو سلمة بن أبي سلمة . وشهد مع عليّ عليه السلام الجمّل ، وولاه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على البحرين وعلى فارس . ولد قبل الهجرة بستين أو أكثر في الحبشة ، ومات ٨٣ هـ أيام عبد الملك بن مروان .

انظر : تاريخ بغداد ١ : ٣٢ / ١٩٤ ، أسد الغابة ٣ : ٣٨٣٠ / ٦٨٠ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٦٣ / ٤٠٦ .

(٤) الاستيعاب ١ : ١٥٩ - ١٦٢ بتفاوت .

غلباً»^(١) .

وروى أيضاً: أن المقداد قال لبسر في بعض الغزوات قبل فعله تلك الأفعال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»^(٢) .

وسياتي في هذا المقام أيضاً ما يدل على أنه شهد زوراً بأمر معاوية على علي بن أبي طالب بأنه قتل عثمان .

وتنقل في كتاب الاستيعاب أيضاً: عن الأعمش، عن شمر بن عطية^(٣)، عن شهر بن حوشب^(٤)، عن عبدالرحمن بن غنم^(٥)، قال: كنت

(١) الاستيعاب ١ : ١٥٩ - ١٦٢ بتفاوت .

(٢) الاستيعاب ١ : ١٥٨ .

(٣) في نسخنا: سمرة بن عطية، وما أثبتناه من المصدر وكتب التراجم، وهو شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي، عثمانى غال، روى عن شهر بن حوشب، وسعيد بن جبير، وزر بن حبيش، وغيرهم، وروى عنه الأعمش، وعاصم بن بهدلة، وعمرو بن مرة، وغيرهم .

مات في ولاية خالد بن عبدالله على العراق .

انظر: الثقات لابن حبان ٦ : ٤٥٠، تهذيب الكمال ١٢ : ٢٧٧٣/٥٦٠، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٧٤٣/٢٨٠، تهذيب التهذيب ٤ : ٦٢٥/٣١٩ .

(٤) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي: فقيه قارئ، كان من علماء التابعين، وولي بيت المال مدة، فأخذ خريطة فيها دراهم، فقيل فيه:

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمُنُ الْقِرَاءَ بِعَدِّكَ يَا شَهْرُ

وهو متروك الحديث، وقيل: إنه رافق رجلاً من أهل الشام فخانته، ويسمى الغناء بالآلات، مات سنة ١٠٠هـ، وقيل: مات سنة ١١١هـ .

انظر: تهذيب الكمال ١٢ : ٢٧٨١/٥٧٨، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٥١/٣٧٢، تهذيب التهذيب ٤ : ٦٣٥/٣٢٤، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٧٥٦/٢٨٣ .

(٥) هو عبد الرحمن بن غنم الأشعري: من أهل الشام، شيخ أهل فلسطين، وقد أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه، وحدث عن غير واحد من الصحابة، ولد في عهد النبي ﷺ

عند أبي الدرداء بعد نفي عثمان أبا ذرٍّ إلى الربذة إذ دخل رجل من أهل المدينة، فقال له: أين أدركت أبا ذرٍّ؟ قال: بالربذة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو أن أبا ذرٍّ قطع منِّي عضواً لما هيَّجته؛ لما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيه من المدائح (١).

ونقل فيه: أن الحكم بن أبي العاص (٢) - والد مروان بن الحكم - كان عمَّ عثمان بن عفَّان، وكان من مُسلمة الفتح، وأنه كان يستمع بعض أسرار النبي ﷺ فيفشي ذلك عنه، وكان يمشي فيحكي في مشيه مشي النبي ﷺ - فإنه ﷺ كان إذا مشى يتكفأ - فأخرجه النبي ﷺ من المدينة، فنزل بالطائف، وخرج معه ابنه مروان، فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولي عثمان، فردَّه عثمان إلى المدينة وبقي فيها، بل أدخله في أموره (٣).

وروى فيه: عن عائشة أنها قالت لابنه مروان: أما أنت يا مروان، فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه (٤).

١- النبي ﷺ، ومات سنة ٧٨ هـ.

انظر: تهذيب الكمال ١٧: ٣٩٢٨/٣٣٩، سير أعلام النبلاء ٤: ١٠/٤٥، تهذيب

التهذيب ٦: ٥٠١/٢٢٥.

(١) الاستيعاب ١: ٢٥٦.

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، يكتى أبا مروان طريد

رسول الله ﷺ، هلك سنة ٣١ هـ.

انظر: الاستيعاب ١: ٥٢٩/٣٥٩، أسد الغابة ١: ١٢١٧/٥١٤، سير أعلام

النبلاء ٢: ١٤/١٠٧، الإصابة ١: ١٧٨١/٣٤٥.

(٣) الاستيعاب ١: ٣٥٩، ٣٦٠.

(٤) الاستيعاب ١: ٣٥٩، ٣٦٠.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص^(١) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل عليكم رجل لعين»، فدخل الحكم بن أبي العاص^(٢).

ونقل أيضاً في الاستيعاب: أن عبدالله بن الزبير^(٣) بعد ما أعطى هو وأبوه وطلحة وعائشة الأمان لعثمان بن حنيف^(٤) والي عليّ عليه السلام على البصرة حتى يجيء عليّ عليه السلام، وكان من أعيان الصحابة، دخل عليه ليلاً

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، يكنى أبا محمّد وأبا عبدالرحمن، شهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك وشهد صفين مع معاوية، ولآه معاوية الكوفة مدة قصيرة.

اختلف في وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ٦٣ هـ. انظر: أسد الغابة ٣: ٣٠٩/٢٤٥، سير أعلام النبلاء ٣: ١٧/٧٩، الأعلام للزركلي ٤: ١١١.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٦٠.

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، يكنى أبا بكر، ويقال: أبو خبيب، شهد الجمل مع أبيه الزبير مقاتلاً لعليّ عليه السلام. كان عليّ عليه السلام يقول: «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله».

بويج له سنة ٦٤ هـ بعد موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر، والحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان وأكثر الشام.

ولد سنة ٥٢ هـ، وقتله الحجاج بن يوسف في أيام عبدالملك بن مروان سنة ٧٣ هـ. انظر: الاستيعاب ٣: ١٥٣٥/٩٠٥، أسد الغاية ٣: ٢٩٤٧/١٣٨، تهذيب الكمال ١٤: ٣٢٦٩/٥٠٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٣/٣٦٣، تهذيب التهذيب ٥: ٣٧٢/١٨٧.

(٤) عثمان بن حنيف بن واهب بن عكيم بن ثعلبة، يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبدالله: من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد أحداً والمشاهد كلها، وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولآه عليّ عليه السلام على البصرة سنة ٣٦ قبل وقعة الجمل، ونقل المؤلف بعض ما جرى عليه من الأعداء مما يدل على عظم جلالته ومنزلته، توفي في زمن معاوية.

انظر: أعيان الشيعة ٨: ١٣٩، الاستيعاب ٣: ١٧٦٩/١٩٣٣، أسد الغاية ٣: ٣٥٧١/٤٧٣، سير أعلام النبلاء ٢: ٦١/٣٢٠.

غدرأ وأخذهُ وَحَبَسَهُ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ حِرَّاسِهِ وَأَتْبَاعَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى عَائِشَةَ ، فَأَمَرَتْ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَثْمَانَ وَصَحْبَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : احْبِسُوهُ وَلَا تَقْتُلُوهُ ، فَضَرْبُوهُ وَتَفْتَرُوا شِعْرَ لِحْيَتِهِ وَحَاجِبِيهِ وَأَشْفَارِ عَيْنِيهِ ، فَبَلَغَ الْخَبْرَ إِلَى حُكَيْمٍ ^(١) ، فَقَالَ : لَسْتُ أَخَاهُ إِنْ لَمْ أَنْصَرِهِ ، فَجَاءَ فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ وَقَالَ : أَطْلَقُوا عَثْمَانَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، مَعَ أَنَّ دِمَاءَكُمْ لِحَلَالٍ بِمَنْ قَتَلْتُمْ الْبَارِحَةَ مِنْ إِخْوَانِنَا ، أَمَا تَخَافُونَ اللَّهَ ! بِمَ تَسْتَحْلُونَ الدَّمَاءَ ؟ قَالُوا : بِدَمِ عَثْمَانَ ، قَالَ : فَالَّذِينَ قَتَلْتُمُوهُمْ قَتَلُوا عَثْمَانَ أَوْ حَضَرُوا قَتْلَهُ ؟ أَمَا تَخَافُونَ اللَّهَ .

فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : لَا نَطْلُقُ عَثْمَانَ ، وَلَا نَسْكُتُ عَنْكُمْ حَتَّى يَخْلُعَ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

فَقَالَ حُكَيْمٌ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي لَسْتُ فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ هَؤُلَاءِ ، فَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ فَلْيَنْصَرَفْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ^(٢) . وَنَقَلَ فِيهِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ ^(٣) أَنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَوَلَّاهُ عَمْرَ

(١) هُوَ حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ بْنِ حَصِينِ الْعَبْدِيِّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، مَطَاعًا ، شَجَاعًا فِي قَوْمِهِ ، وَمِنْ سَادَاتِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَزَهَادٍ رَبِيعَةٍ ، وَعَدَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَمَخْتَبِيهِمْ كَمَا فِي مَكْتُوبِهِ ، قُتِلَ سَنَةَ ٣٦ هـ .

انظر : تنقيح المقال ١ : ٣٦١/٣٢٥٦ ، أعيان الشيعة ٦ : ٢١٣ ، الاستيعاب ١ : ٥٤٠/٣٦٦ ، أسد الغابة ١ : ١٢٣٣/٥٢١ .

(٢) الاستيعاب ١ : ٣٦٦ - ٣٦٩ .

(٣) هُوَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَالِكِ الْأَكْبَرِ الْقُرَشِيِّ الْفَهْرِيِّ ، يَكْنَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يُقَالُ لَهُ : حَبِيبُ الرُّومِ ؛ لِكَثْرَةِ دَخُولِهِ بِغَزْوِهِمْ ، وَوَلَّاهُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَعْمَالَ الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، وَيَكْفِي فِي خَيْبِ سِيرَتِهِ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَلِّفُ ، هَلَكَ سَنَةَ ٤٢ هـ . انظر : الاستيعاب ١ : ٤٧٠/٣٢٠ ، أسد الغابة ١ : ١٠٦٨/٤٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٧/١٨٨ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٤٩/١٦٧ .

أعمال الجزيرة وأذربيجان، ثم كان مع معاوية مجاهراً بعداوة عليّ عليه السلام، فصار بينه وبين الحسن عليه السلام كلام، فقال له الحسن عليه السلام: «أنت كما قال الله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١)، وأنت الذي قد طاوعت معاوية على دنياه، وسارعت في هواه، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك»^(٢)، الخبر.

ونقل فيه أيضاً عن جمع منهم الشعبي وابن أبي ليلى: أن علياً عليه السلام قال في خطبته حين نهوضه إلى حرب الجمل: «إن الله تعالى فرض الجهاد وجعله نصرته وناصره» إلى أن قال: «والله، إن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنني على الحق، وأنهم مبطلون».

وقال: «إنهم الفئة الباغية، بايعوني ونكثوا بيعتي، وإنني لراضٍ بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، وما تبعه عثمان إلا عندهم»^(٣).

ونقل فيه أيضاً: اتفاق الناس على أن مروان بن الحكم رمى طلحة بسهم يوم الجمل، وكان معه في الحرب فقتله، وقال: لا أطلب بثأر عثمان بعد اليوم^(٤).

ونقل فيه عن ابن عباس: أنه أتى معاوية بعد الحسن عليه السلام، فقال له يا ابن عباس، احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك، فقال: أما ما أبقاك الله لي يا أمير المؤمنين، فلا يحزنني الله ولا يسوءني، فأعطاه بكلمته هذه ألف ألف وعروضاً وأشياء، وقال: خذها واقسمها على أهلك^(٥).

(١) سورة المطففين ٨٣ : ١٤ .

(٢) الاستيعاب ١ : ٣٢٠ - ٣٢١ بتقديم وتأخير في بعض الألفاظ .

(٣) الاستيعاب ٢ : ٤٩٨ - ٤٩٩ بتقديم وتأخير في بعض الألفاظ .

(٤) الاستيعاب ٢ : ٧٦٨ - ٧٦٩ بتفاوت .

(٥) الاستيعاب ١ : ٣٩٠ .

ونقل فيه في ترجمة محمد بن أبي حذيفة^(١): أنه كان أشد الناس تأليباً^(٢) على عثمان، قال: وكذلك عمرو بن العاص مذكوره عثمان عن مصر يعمل حيلته في التأليب والطعن على عثمان^(٣).

ونقل فيه بإسناده عن عبدالله بن محمد بن عقيل^(٤): أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري^(٥)، فقال له معاوية: يا أبا قتادة، تلقاني الناس كلهم غيركم معشر الأنصار، فما منعكم؟ قال: لم تكن لنا دواب، قال معاوية: فأين النواضح؟ قال: عقروناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر،

(١) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي، يكنى أبا القاسم، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان، ولما قُتل أبوه كفله عثمان بن عفان إلى أن كبر، ثم سار إلى مصر فصار أشد الناس تأليباً على عثمان. مات سنة ٣٦ هـ.

انظر: أسد الغابة ٤: ٤٧١٣/٣١١، سير أعلام النبلاء ٣: ١٠٣/٤٧٩، الإصابة ٣: ٧٧٦٧/٣٧٣.

(٢) التأليب: التحريض. انظر: الصحاح للجوهري ١: ٨٨. (٣) الاستيعاب ٤: ١٣٦٩.

(٤) هو من أصحاب الصادق عليه السلام، يكنى أبا محمد، أمه زينب الصغرى بنت علي عليه السلام، كان كثير العلم، فاضلاً خيراً موصوفاً بالعبادة، من فقهاء الإمامية، روى عن أبيه، وخاله محمد بن الحنفية، وجابر، وغيرهم، وتوفي سنة ١٤٢ هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ٧٠٥٥/٤٨٤، ميزان الاعتدال ٢: ٤٥٣٦/٤٨٤، تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠): ١٩٦، تهذيب التهذيب ٦: ١٣ - ١٩/١٤.

(٥) هو الحارث بن ربيع بن بلدمة، يكنى أبا قتادة الأنصاري، كان من أصحاب الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وألهما، وأنه شهد مع علي عليه السلام المشاهد كلها، وولاه علي عليه السلام على مكة ثم عزله، يقال له: فارس رسول الله ﷺ. واختلف في سنة وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ٤٠ هـ في خلافة علي عليه السلام بالكوفة، وصلى عليه فكبر سبعاً.

انظر: تنقيح المقال ١: ٢٠٧٥/٢٤٤، الاستيعاب ١: ٤٠٢/٢٨٩، أسد الغابة ٥: ٦١٦٦/٢٥٠، سير أعلام النبلاء ٢: ٨٧/٤٤٩.

قال: نعم، يا أبا قتادة، قال أبو قتادة: إن النبي ﷺ قال لنا: «إنا سنرى بعده أثره»، قال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، قال: فاصبروا حتى تلقوه، ونقل غيره: أن هذا الكلام كان لنعمان بن عجلان^(١) على معاوية، قالوا: فقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^(٢) لما سمع ذلك:

ألاً أبليغ معاوية بن صخر أمير المؤمنين ثنا كلامي
 بأننا صابرون ومنظروكم أي يوم التغابن والخصام^(٣)

ونقل فيه أيضاً: أن معاوية قال: كنت أحب إلى قريش من عليّ عليه السلام لأنني كنت أعطيهم، وكان يمنعمهم، فكم من جامع إليّ ونافر عنه! فنلت ما شئت^(٤).

ونقل فيه عن مسطح بن أثانة^(٥) ابن خالة أبي بكر: أنه كان من

(١) هو النعمان بن العجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الأنصاري، كان لسان الأنصار وشاعرهم، وسيداً في قومه، استعمله علي بن أبي طالب عليه السلام على البحرين، مات بعد سنة ٣٧ هـ.

انظر: الاستيعاب ٤: ٢٦١٩/١٥٠١، أسد الغابة ٤: ٥٢٤٧/٥٥٨، الأعلام للزركلي ٣٧: ٨.

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري المدني، يكنى أبا سعيد، وأمّه سيرين القبطية أخت مارية وخالة إبراهيم ابن النبي ﷺ، كان شاعراً، اشتهر به في زمن أبيه، وكان مقيماً في المدينة، مات سنة ١٠٤ هـ في المدينة.

انظر: الطبقات لابن سعد ٥: ٢٦٦، تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ١٣٥/١٤٥، سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢/٦٤.

(٣) الاستيعاب ٣: ١٤٢١، الكشاف للزمخشري ٣: ١٨٠، وفيه «أمير الظالمين»، تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ١٤٥ - ١٤٦.

(٤) الاستيعاب ٣: ١٤٢٢ بتفاوت في بعض الألفاظ.

(٥) هو مسطح بن أثانة بن عبادة بن المطلب بن عبد مناف يكنى أبا عبادة، وأبا عبدالله، وقيل: اسم مسطح: عوف بن أثانة، ومسطح لقب، مات سنة ٣٤ لله

الصحابه البدرين ، ثم خاض في الإفك على عائشة ، فجلده النبي ﷺ لذلك (١) .

ونقل عن مالك بن الدُخشم (٢) : أنه من البدرين أيضاً ، ثم اتهم بالنفاق ، وأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : «أَوْ لَا يَقُول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟! أَوْ لَا يَصَلِّي؟! أولئك الذين نهاني الله عنهم» (٣) .

ونقل فيه بسندين وأكثر ، وصححها عن ابن عمر أنه قال : ما أجد أتي أسى على شيء فأتني إلا أتي لم أقاتل مع عليّ ﷺ الغنة الباغية (٤) .
ونقل فيه أيضاً : أن سبب موت ابن عمر كان من الحجج ، حيث دس رجلاً أن يضربه برمح فيه سم (٥) .

ونقل فيه عن أبي موسى الأشعري : أن عمر ولّاه على البصرة ، ثم عزله عثمان ، فسكن الكوفة إلى أن ولّاه عثمان أيضاً على الكوفة إلى أن عزله عليّ ﷺ ، فقال : فكان لم يزل واجداً على عليّ ﷺ حتى جاء منه ما جاء . ثم قال : وقد قال فيه حذيفة كلاماً كرهت ذكره ، والله يغفر له (٦) .

وسياتي في المقالات الأخيرة من المقصد الثاني ذكر نبذ من حكاية

جلاه ، وقيل : ٣٧ هـ .

انظر : الاستيعاب ٤ : ٢٥٥٠/١٤٧٢ ، أسد الغابة ٤ : ٤٨٦٥/٣٨٠ .

(١) الاستيعاب ٤ : ٢٥٥٠/١٤٧٢ ، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة ٤ : ٤٨٦٥/٣٨٠ .

(٢) هو مالك بن الدُخشم بن مالك بن غنم ، اختلفوا في أنه شهد العقبة ، ولم يختلفوا أنه شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ بإحراق مسجد ضرار .

انظر : الاستيعاب ٣ : ٢٢٦٤/١٣٥٠ ، أسد الغابة ٤ : ٤٥٨٥ / ٢٤٦ .

(٣) الاستيعاب ٣ : ١٣٥٠ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ٩٥٣ .

(٥) الاستيعاب ٣ : ٩٥٢ .

(٦) الاستيعاب ٣ : ٩٨٠ .

أبي موسى ، وفيه : أن حذيفة كان يقول : إنه منافق .

ونقل فيه عن عبد الرحمن بن خالد بن وليد^(١) : أنه كان مع معاوية منحرفاً عن عليّ عليه السلام وبني هاشم ، خلافاً لأخيه المهاجر بن خالد^(٢) ، وأن معاوية دسّ في آخر عمره إلى طبيب يهودي ليسمّه في مرضٍ عرض له ، فسمّه اليهودي ومات بذلك^(٣) .

وكذا نقل فيه قولاً : بأن الحسن عليه السلام لمّا صالح معاوية شرط عليه أن تكون الخلافة بعد معاوية للحسن عليه السلام ، فلمّا عزم معاوية على أن يأخذ البيعة ليزيد ابنه دسّ إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس أن تسمّ الحسن عليه السلام ، وبذل لها مالاً في ذلك ، وشرط لها أن يزوّجها من يزيد ، وكانت لها ضرائر أيضاً ، فقبلت وسمّته ، ثمّ ذكر أيضاً أن معاوية كان يريد الخلافة ليزيد ولم يقدر على إظهاره إلّا بعد وفاة الحسن عليه السلام^(٤) .

ونقل فيه عن عبد الرحمن بن عُديس^(٥) : أنه ممّن بايع تحت

(١) يكتى أبا محمّد ، أدرك النبي صلى الله عليه وآله ورآه ، وكان من فرسان قریش وشجعانهم ، ومنحرفاً عن عليّ عليه السلام كما نقل المؤلف ، مات سنة ٤٧ هـ .

انظر : الاستيعاب ٢ : ١٤٠٢/٨٢٩ ، أسد الغابة ٣ : ٣٢٨٧/٣٣٦ .

(٢) المهاجر بن خالد بن الوليد ، كان غلاماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، هو وأخوه عبد الرحمن كانا مختلفين ، شهد أخوه صقّين مع معاوية ، وشهدها المهاجر مع عليّ عليه السلام وشهد معه الجمل أيضاً ، مات بصقّين .

انظر : أسد الغابة ٤ : ٥١٢٨/٥٠٢ .

(٣) الاستيعاب ٢ : ٨٢٩ - ١٤٠٢/٨٣٠ .

(٤) الاستيعاب ١ : ٣٨٥ - ٣٩١ .

(٥) هو عبد الرحمن بن عُديس بن عمرو البلوي ، صحابي ، قبض عليه معاوية فسجنه ، فهرب من السجن ، فأدرکه فارس فقتله ، مات سنة ٣٦ هـ .

انظر : المنتظم ٥ : ٢٩٠/١١٤ ، أسد الغابة ٣ : ٣٣٥٢/٣٧٠ ، تاريخ الإسلام

(عهد الخلفاء الراشدين) : ٥٣١ .

الشجرة، وأنه كان الأمير على الجيش القادمين من مصر إلى المدينة الذين حصروا عثمان وقتلوه (١).

ونقل فيه عن عائشة: أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا قلت، إلا عمّار بن ياسر (٢)، فيأتي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ملئ عمّار إيماناً» (٣) حتى أحمص قدميه» (٤). ثم نقل: أن غلمان عثمان ضربوه بأمر عثمان ضرباً انفتق له فتق في بطنه، وكسروا ضلعاً من أضلعه (٥).

ونقل فيه ما نقله ابن الجوزي أيضاً عن ابن عباس: أنه دخل على عمرو بن العاص في مرضه، فقال له: كيف أصبحت؟ فقال له: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت، ولو كان ينفعني الطلب لطلبت، ولو كان ينجيني الهرب لهربت، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين، ولا أهبط برجلين (٦).

ونقل أيضاً: أنه لما حضرته الوفاة بكى، فقال له ابنه: أتبكي جزءاً

(١) الاستيعاب ٢: ١٤٣٧/٨٤٠.

(٢) هو عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، يكنى أبا اليقظان، وأمّه سمية، وهي أول من استشهد في سبيل الله، هو وأبوه وأمّه من السابقين الأولين إلى الإسلام. كان عمّار من أجلاء أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، ووردت في مدحه وجلالته روايات كثيرة، استشهد في صقّين سنة ٣٧ هـ.

انظر: أعيان الشيعة ٨: ٣٧٢، تنقيح المقال ٢: ٨٥٩٨/٣٢٠، الاستيعاب ٣: ١٨٦٣/١١٣٥، أسد الغابة ٣: ٣٧٩٨/٦٢٦، سير أعلام النبلاء ١: ٨٤/٤٠٦.

(٣) في النسخ كلمة إيماناً مكرر.

(٤) (٥) الاستيعاب ٣: ١١٣٦ - ١١٣٧.

(٦) الاستيعاب ٣: ١١٨٩، المنتظم ٥: ١٩٩ بتفاوت.

من الموت؟ فقال: لا والله، ولكن لما بعد الموت، ثم قال: إذا متَّ شدوا عليّ إزارِي فأبِي مخاصم^(١)، الخبر.

ونقل فيه عن عمرو بن الحمق^(٢): أنه كان من كبار الصحابة، حافظاً عن النبي ﷺ أخباراً، وروى عنه جماعة، ونقل أنه من الأربعة الذين دخلوا على عثمان داره لقتله، وأنه كان من شيعة عليّ ﷺ وشهد مشاهدته كلها، إلى أن حكى حكاية زياد^(٣)، وأنه أرسل رأسه إلى معاوية، وكان أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد^(٤).

وسأتي في بيان جلالة شأن عمرو هذا في المقالة السادسة من المقصد الثاني.

ونقل فيه عن عامر بن واثلة^(٥): أنه آخر من مات ممّن رأى

(١) الاستيعاب ٣: ١١٩٠.

(٢) هو عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخزاعي، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن ﷺ، وقد وردت فيه أخبار دالة على غاية جلالته، ويكفي في عظم قدره ما أشار إليه المؤلف، مات سنة ٥٠ هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ٨٦٨٦/٣٢٨، أسد الغابة ٣: ٣٩٠٦/٧١٤.

(٣) هو زياد بن أبيه، ابن سمية التي كانت بغياً، ولم يعرف أباه حتى جاء معاوية فأدعاه ونسبه إلى أبي سفيان، فمال إليه، وولاه البصرة، ثم الكوفة، فكان يستنح شيعة عليّ ﷺ ويقتلهم كحجر بن عدي وجماعته؛ فدعا عليه الإمام الحسن ﷺ فأصابه الطاعون، ومات سنة ٥٣ هـ بالكوفة.

انظر: مروج الذهب ٢٦/٣، الاستيعاب ٢: ٨٢٥/٥٢٣، تاريخ مدينة دمشق

١٩: ٢٣٠٩/١٦٢، سير أعلام النبلاء ٣: ١١٢/٤٩٤، الأعلام للزركلي ٣: ٥٣.

(٤) الاستيعاب ٣: ١١٧٣ - ١٩٠٩/١١٧٤، وفيه: ثم صار من شيعة عليّ ﷺ.

(٥) هو عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمير الكناني، يكنى أبا الطفيل، اشتهر بكنيته، كان من أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والسجاد ﷺ، أدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين، وهو من المحبين لعليّ ﷺ، وشهد معه المشاهد كلها، لله

النبي ﷺ ، وأنه كان ثقةً مأموناً، ثم ذكر أنه قدم على معاوية، فقال له : كيف وجدك على خليك أبي الحسن عليّ؟ فقال : كوجد أم موسى على موسى عليّ ، وأشكو إلى الله التقصير، فقال له : كنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكني كنت فيمن حصره، فقال : وما منعك عن نصره؟ قال : وأنت ما منعك عن نصره إذ تربّصت به ريب المنون، وكنت في أهل الشام، وكلهم تابع لك فيما تريد؟ فقال معاوية : أو ما ترى طلبي بدمه نصره له ؟ قال : ولكن كما قال أخو بني فلان :

لَأَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدِبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا^(١)(٢)

ونقل فيه عن معاوية : أنه كان يكتب كل ما ينزل به من المعضلات إلى بعض الناس سرّاً ليسأل عليّ بن أبي طالب عليّ ، فلمّا بلغه قتل عليّ عليّ ، قال : ذهب الفقه والعلم بموت عليّ بن أبي طالب عليّ ، فقال له عتبة^(٣) أخوه : لا يسمع منك هذا أهل الشام، فقال : دعني عنك^(٤) .

١. تأسكن الكوفة ثم انتقل إلى مكة، ولد عام أحد، ومات سنة ١٠٠ هـ، وقيل : سنة ١١٠ .
انظر: تنقيح المقال ٢ : ١١٧/٦٠٦، الاستيعاب ٢ : ٧٩٨/١٣٤٤، أسد الغابة ٣ : ٤١٣/٢٧٤٥ .
(١) أورده ابن بكار في الأخبار الموقّفات : ١٣٩ ، وفيه : (لا أَلْفَيْتُكَ ... زادي بدل (لألفيتك... زادا) ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ٤ : ١٦٩٧ وفيه : (لا أَلْفَيْتُكَ) بدل (لألفيتك) وفيهما غير منسوب لأحد .

(٢) الاستيعاب ٤ : ١٦٩٦ - ١٦٩٧ .

(٣) هو عتبة بن أبي سفيان ، أخو معاوية يكتنّى أبا الوليد ، ولآه عمر بن الخطاب الطائف ، وشهد صفّين مع أخيه معاوية ، والحكمين بدومة الجندل ، ومع عائشة في الجمل فذهبت عينه يومئذ ، ولمّا مات عمرو بن العاص ولآه معاوية مصر ، وأقام عليها ، سنة ، مات سنة ٤٤ هـ ، وقيل : سنة ٤٣ هـ .

انظر: الاستيعاب ٣ : ١٧٦٢/١٠٢٥ ، أسد الغابة ٣ : ٣٥٤٠/٤٥٦ ، تاريخ الإسلام

(عهد معاوية ٤١ - ٦٠) : ٧٩ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ١١٠٨ ، ١١١٠ ، ١١١١ .

ونقل فيه عن جابر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

ونقل فيه عن علي عليه السلام: أنه لا يخص بالفيء حميماً ولا قريباً، ولا يخص بالولايات إلا أهل الأمانات والديانات ^(٢).

وكان يقول: «لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، أخبرني بذلك حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، ونقل هذا أيضاً عن جماعة من الصحابة ^(٣)، وسيأتي مفصلاً في محله إن شاء الله تعالى.

ونقل فيه بإسناد له عن أبي قيس الأودي ^(٤)، قال: أدركت الناس وهم ثلاث طبقات: أهل دين يحبون علياً عليه السلام، وأهل دنيا يحبون معاوية، وخوارج ^(٥).

ونقل فيه: أن بني أمية كانوا ينالون من علي عليه السلام ويتقصونه، فما زاده الله بذلك إلا سمواً ورفعاً، وأن عامر بن عبدالله بن الزبير ^(٦)، سمع ابناً له

(١) الاستيعاب ٣: ١١٠٨، ١١١٠، ١١١١.

(٣) الاستيعاب ٣: ١١٠٠.

(٤) في نسخنا: أبو قوس، وما أثبتناه من المصدر، وهو عبد الرحمن بن ثروان الأودي الكوفي. روى عن الأرقم بن شرحبيل، وشريح القاضي، وعكرمة بن سلمة، وسفيان الثوري، وسليمان الأعمش، وشعبة، وغيرهم، مات سنة ١٢٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٦: ٣٢٢، التاريخ الكبير ٥: ٨٥٥/٢٦٥، الكنى والأسماء ٢: ٨٨، الشقات ٥: ٩٦، تهذيب الكمال ١٧: ٣٧٧٨/٢٠، ميزان الاعتدال ٢: ٤٨٣٢/٥٥٣.

(٥) الاستيعاب ٣: ١١١٥.

(٦) هو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام، يكنى أبا حارث، وأمّه حنثمة بنت عبد الرحمن بن هشام، وله أحاديث يسيرة، مات سنة ١٢١هـ. انظر: تهذيب الكمال ١٤: ٣٠٤٩/٥٧، سير أعلام النبلاء ٥: ٩٠/٢١٩، تهذيب التهذيب ٥: ١١٧/٦٤.

ينتقص علياً عليه السلام ، فقال : يا بني ، إياك والعودة إلى ذلك ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته [الدينيا] ^(١) ، والدنيا لم تبين شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته ^(٢) .

ونقل فيه عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ^(٣) : أنه لما ذهب إلى معاوية غاضباً على أخيه علي عليه السلام ، قال معاوية يوماً بحضرته : هذا أبو يزيد لولا علمه أنني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ، فقال عقيل : أخي خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي ، وقد آثرت دنياي ، وأسأل الله خاتمة خير ^(٤) .

ونقل فيه عن فضالة بن عبيد ^(٥) : أنه شهد أحداً وسائر المشاهد كلها ، ثم ذهب إلى الشام وصار قاضياً لمعاوية حتى مات بها ، وأنه لما مات حمل معاوية جنازته ، وأن أبا الدرداء لما حضرته الوفاة قال له معاوية : من ترى لهذا الأمر؟ فقال : فضالة بن عبيد ، فولاه معاوية القضاء ، وكان قاضيه في

(١) زيادة من المصدر يقتضيها السياق .

(٢) الاستيعاب ٣ : ١١١٨ .

(٣) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، يكنى أبا يزيد ، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخو علي عليه السلام وجعفر عليه الرحمة لأبويهما ، وهو أكبرهما ، وكان عالماً بأنساب العرب فصيحاً لطيف الطبع وحسن المجاورة ، روى الفريقان ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم : «إني أحبك حبين : حباً لقربانك ، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك» ، توفي في خلافة معاوية .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ٨٠٠٩/٢٥٥ ، الاستيعاب ٣ : ١٨٣٤/١٩٧٨ ، أسد الغابة ٣ : ٣٧٢٦/٥٦٠ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٥/٢١٨ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ١٠٧٩ .

(٥) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب ، يكنى أبا محمد ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من كبار القراء ، وله عدة أحاديث .

واختلف في وفاته على أقوال ، منها : أنه مات سنة ٥٣ هـ .

انظر : الاستيعاب ٣ : ٢٠٨٠/١٢٦٢ ، أسد الغابة ٤ : ٤٢٢٦/٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٣/١١٣ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٢٤١ .

خروجه إلى صفين^(١) .

ونقل فيه عن فروة بن عمرو الأنصاري^(٢) : أنه شهد بدرأً وسائر المشاهد، ثم ذكر: أن فلاناً وفلاناً كانا يقولان: إنه كان ممن قد أعان على عثمان^(٣) .

ونقل فيه عن قدامة بن مظعون^(٤) : أنه كان خال حفصة^(٥) وزوج أخت عمر بن الخطاب، وكان ممن شهد بدرأً وسائر المشاهد، وأن عمر استعمله على البحرين، فلما قدم الجارود^(٦) سيد عبد القيس على عمر من البحرين أخبره بأن قدامة شرب فسكر، وقال: هذا حد من حدود الله أخبرتك به، فقال عمر: من يشهد معك؟ قال: أبو هريرة، فلما سأل أبا هريرة، فقال: لم أراه يشرب ولكني رأيته سكران بقيء، فزعزع عمر

(١) الاستيعاب ٣ : ١٢٦٢ - ١٢٦٣ .

(٢) فروة بن عمرو بن ودقة بن عبيد الأنصاري، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله ابن مخزومة العامري، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ .
انظر: الاستيعاب ٣ : ٢٠٧٤/١٢٥٩، أسد الغابة ٤ : ٤٢١٣/٥٧ .

(٣) الاستيعاب ٣ : ١٢٥٩ .

(٤) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب يكتى أبا عمرو، وقيل: أبا عمر، وهو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة مع أخويه عثمان وعبد الله، مات سنة ٣٦هـ .

انظر: الاستيعاب ٣ : ٢١٠٨/١٢٧٧، أسد الغابة ٤ : ٤٢٧٧/٩٤، سير أعلام النبلاء ١ : ١٠/١٦١ .

(٥) حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجها الأول خنيس بن حذافة، وأمها وأم أخيها عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون، أخت قدامة ابن مظعون، ماتت سنة ٤٥ هـ، وقيل: سنة ٢٧ هـ .

انظر: الاستيعاب ٤ : ٣٢٩٧/١٨١١، أسد الغابة ٦ : ٦٨٤٥/٦٥ .

(٦) هذا هو الجارود الذي نقلنا عنه حديثاً طويلاً مشتملاً على أسماء الأئمة في أول الكتاب، منه عفي عنه .

شهادته ، ولكن كتب إليه فطلبه .

فلَمَّا جاء قدامة من البحرين قال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد، فقال: قد أدت شهادتك . قال: فصمت الجارود، ثمّ غدا على عمر، فقال له: أقم على هذا حدّ الله، فقال: ما أراك إلاّ خصماً، وما شهد معك إلاّ رجل واحد، فقال الجارود: إنّي أنشدك الله، فقال عمر: لتمسكنّ لسانك أو لأسؤنّك، فقال: يا عمر، ما والله ذلك بالحقّ أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوئي .

فقال أبو هريرة: إن كنت تشكّ في شهادتنا فأرسل إلى امرأته بنت الوليد فسلها، فأرسل عمر إليها فأقامت الشهادة على زوجها، فقال عمر لقدامة: إنّي حادّك، فقال قدامة: لو كنت شربت كما يقولون ما كان لكم أن تحدوني، فقال عمر: لِمَ؟ قال: لأنّ الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾^(١) الآية، فقال عمر: أخطأت التأويل إنك إن اتقيت الله اجتنبت ما حرّم الله عليك، ثمّ أمر عمر فحدّوه، فغضب على عمر مدّة مديدة، ثمّ نقل وجه صلحهما أيضاً^(٢) . ونقل فيه أيضاً: أنّ سعد بن أبي وقاص الذي هو عند العامة من العشرة المبشرة^(٣)، وكذا عبدالله بن عمر، ومحمّد بن مسلمة^(٤) قعدوا عن

(١) سورة المائدة ٥ : ٩٣ .

(٢) الاستيعاب ٣ : ٢١٠٨/١٢٧٧ .

(٣) أي : بالجنة .

(٤) هو محمّد بن مسلمة بن سلمة بن خالد، يكنى أبا عبدالله، وقيل : أبا سعيد، واختلف في سنة وفاته على أقوال منها: أنّه مات سنة ٤٣ هـ .

انظر: أسد الغابة ٤ : ٤٧٦١/٣٣٦، سير أعلام النبلاء ٢ : ٧٧/٣٦٩، تهذيب

التهذيب ٩ : ٧٣٩/٤٠١ .

مبايعة عليّ عليه السلام ، فسُئِلَ عليّ عليه السلام عنهم ، فقال : «أولئك الذين خذلوا الحقّ ، ولم ينصروا الباطل» ؛ وذلك لأنّ معاوية طمع فيهم فكاتبهم ودعاهم إلى المطالبة بدم عثمان فردّوا عليه ، وطعنوا فيه ، وذكروا له مناقب عليّ عليه السلام ، حتّى أنّ سعداً كتب إليه بأبيات يطعن بها عليه ، ومن جملة ما كتب سعد إليه :

وَأَمَّا أَمْرُ عُمَانَ فَدَعَا فَإِنَّ الدَّاءَ أَذْهَبَهُ البَلَاءُ^(١)

مع هذا سيأتي في محله أنّ سعداً هذا شهد عند معاوية بمحضر جماعة من الصحابة والتابعين بأنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ، يدور معه أينما دار»^(٢) ، وأنّه استشهد في ذلك بأُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله فشهدت له^(٣) ، فافهم .

ونقلوا فيه عن سليمان بن صرد الخزاعي^(٤) : أنّه كان مع عليّ عليه السلام في صفين ، ثمّ إنّ كتب إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم إلى العراق ، فلمّا

(١) الاستيعاب ٢ : ٦٠٦ - ٦١٠ ، وفيه : (الرأي) بدل (الداء) ، وغير منسوب لأحد .

(٢) الاستغاثة : ١٦٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٧٦ ، ٧٧ ، بتفاوت يسير .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٠ : ٣٦١ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ .

(٤) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون الخزاعي يكنّى أبا مطرف ، من أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، كان اسمه في الجاهليّة : يسار ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان ، كان من كبار التابعين ورؤسائهم وزهادهم ، وشهد مع عليّ عليه السلام مشاهده كلّها ، وهو الذي قتل حوشباً ذا ظلميم الألهاني ، وممن كاتب الحسين عليه السلام فلمّا اطّلع ابن زياد على مكاتبة أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام حبس عدّة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأبطاله ، منهم سليمان بن صرد ، وإبراهيم الأشتر ، فلم يتمكّنوا من نصرة الإمام الحسين عليه السلام ، وتوفّي سنة ٦٥ هـ .

قدمها ترك القتال معه ، فلما قُتل الحسين عليه السلام ندم هو والمسيب بن نجبة (١) وأمثالهما ممن لم يقاتل معه ، وقالوا: ما لنا توبة إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه عليه السلام ، فخرجوا (٢) ، وحكايتهم مشهورة .

ونقل فيه عن سمرة بن جندب (٣) بعد ما مدحه : بأنه كان من حفاظ الأخبار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، وأنه صار والياً على البصرة بأمر زياد ، ولما مات زياد أقره معاوية على عمله (٤) .

وسأتي في المقصد الثاني ما يشتمل على أنه روى بأمر معاوية على رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً كذباً في تأويل آية ذم في علي عليه السلام ، وآية (٥) مدح في قاتله (٦) .

(١) هو المسيب بن نجبة الفزاري الكوفي من أصحاب أمير المؤمنين والحسن المجتبي صلوات الله عليهما ، ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم ، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام غزوة الجمل ، كان مع سليمان بن صرد ، مات سنة ٦٥ هـ .
انظر : تنقيح المقال ٣ : ١١٨١٦/٢١٧ .

(٢) الاستيعاب ٢ : ٦٥٠ ، أسد الغابة ٢ : ٢٩٧ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٤٠/١٤٥ .

(٣) هو سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مزة ، يكنى أبا سعيد ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، من أشرار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مؤذياً في نخيلات له . . . حتى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقلعها ورميها ، وقال : « لا ضرر ولا ضرار » . وقد وردت روايات في ذمه ، منها : أنه من شرطة ابن زياد ، ويحرض الناس على قتال الإمام الحسين عليه السلام .
مات سنة ٥٩ هـ ، وقيل : سنة ٥٨ هـ .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ٦٨ - ٥٢٨٣/٦٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ :

٧٧ - ٧٩ .

(٤) الاستيعاب ٢ : ٦٥٣ - ١٠٦٣/٦٥٤ بتقديم وتأخير .

(٥) الآيتان في سورة البقرة : الأولى (٢٠٧) قوله : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ زُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ » .

والثانية (٢٠٤) قوله : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ إِلَى قَوْلِهِ : « وَهُوَ الَّذِي

الخصام » .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٣ .

ونقل فيه عن شرحبيل بن السمط^(١): أنه كان والياً على حِمص^(٢) من طرف معاوية، وأنه لما قدم جرير^(٣) على معاوية من عند عليّ عليه السلام قيل لمعاوية: إن جريراً يفسد عليك الناس، ويردّ بصائر أهل الشام في أن عليّاً عليه السلام لم يقتل عثمان، فلا بدّ لك من رجل يناقضه في ذلك ممّن له صحبة (مع النبي صلى الله عليه وآله)^(٤)، ومنزلة عند الناس، ولا نعلمه إلا شرحبيل، فإنّه عدوّ لجرير.

فاستقدمه معاوية وهياً له رجالاً يشهدون عنده أن عليّاً عليه السلام قتل عثمان، منهم: بسر بن أرطاة، ويزيد بن أسد^(٥) جدّ خالد القسري،

(١) هو شرحبيل بن سمط بن أسود بن جبلة الكندي، يكنى أبا يزيد، كان له أثر عظيم في مخالفة عليّ عليه السلام وقاتله، له حديث واحد عن النبي صلى الله عليه وآله، هلك سنة ٤٠هـ، وقيل: سنة ٤٢هـ.

انظر: أسد الغابة ٢: ٣٦١/٢٤١٠، تهذيب التهذيب ٤: ٥٦٤/٢٨٣.

(٢) حِمص: بلد مشهور قديم كبير بين دمشق وحلب في نصف الطريق، بناه رجل يقال له: حمص بن مهر بن جان.
انظر: معجم البلدان ٢: ٣٠٢.

(٣) هو جرير بن عبدالله بن جابر البجلي يكنى أبا عبدالله، أسلم في السنة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله مع قومه وهم مائة وخمسون رجلاً، وسكن في الكوفة، وقدم الشام برسالة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية، وتخريب عليّ عليه السلام داره بعد لحوقه بمعاوية مشهور، وعدّ مسجده بالكوفة من المساجد الملعونة، وقد خلط في أواخر عمره، هلك سنة ٥١هـ، وقيل: سنة ٥٤هـ.

انظر: تنقيح المقال ١: ٢١٠/١٧١٤، قاموس الرجال ٢: ٥٨٤/١٣٩٣، أسد الغابة ١: ٧٣٠/٣٣٣.

(٤) من هنا إلى ص ٣٢٢ بياض في نسخة «ن».

(٥) هو يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبدالله القسري، جدّ خالد بن عبدالله القسري، كان في المدينة أيام عمر، ومن ثقات معاوية وخاصّته، وشهد معه صفين، وأرسله معاوية قائداً لأهل دمشق، ويكفي في خبث سيرته ما أشار إليه لله

وأبو الأعمور السلمي، وحابس بن سعد الطائي^(١)، ومخارق بن الحارث الزبيدي^(٢)، وحمزة بن مالك الهمداني^(٣)، وقد واطأهم معاوية على ذلك فشهدوا عنده أن علياً عليه السلام قتل عثمان، فقبل ذلك، وخرج في مدائن الشام يندب إلى طلب دم عثمان^(٤).

ونقل فيه عن الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٥): أنه أخو عثمان بن

جاء المؤلف رحمه الله. هلك في حدود سنة ٥٥ هـ.

انظر: الاستيعاب ٤: ٢٧٥٣/١٧٥٠، أسد الغابة ٤: ٥٥١٦/٦٩٩، الأعلام ٨: ١٧٩.

(١) هو حابس بن سعد الطائي، ويقال: ابن ربيعة المنذر، يعرف في أهل الشام باليماني، ولآه عمر بن الخطاب قضاء حمص - ناحية من نواحي الشام -، وشهد صفين مع معاوية ومعه راية طيء، فقتل يومئذ.

انظر: الاستيعاب ١: ٣٧٨/٢٧٩، أسد الغابة ١: ٨٣٦/٣٧٥، الأعلام للزركلي ٢: ١٥١، العبر ١: ٢٨.

(٢) مخارق بن الحارث الزبيدي الأزدي، شهد مع معاوية صفين، وكان أميراً على مذبح الأردن، وممن شهد في صحيفة اصطلاحه مع علي عليه السلام على التحكيم، ولم يترجم له بأكثر من هذا.

انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٧، تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ٧٢٦٥/١٣٠.

(٣) حمزة بن مالك بن ذي مشعار الهمداني من وجوه أهل الشام، وممن وجهه أبو بكر إلى الشام، وشهد مع معاوية صفين، كان أميراً على همدان الأردن، وأحد شهوده حين صالح علياً عليه السلام على تحكيم الحكيمين، وفي بعض المصادر ورد حمزة ابن مالك، كتاريخ مدينة دمشق، والإصابة.

انظر: تاريخ مدينة دمشق ١٥: ١٧٤٤/١٨٥، أسد الغابة ١: ١٢٥٦/٥٣٤، بغية الطلب ٦: ٢٩٦٥، الإصابة ٢: ١٨١٨/٣٦.

(٤) الاستيعاب ٢: ٦٩٩ - ٧٠٠.

(٥) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، يكنى أبا وهب، ولآه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، كان يشرب الخمر، ولما قتل عثمان تحول وليد إلى الجزيرة الفراتية، وكان فاسقاً، وفي حقه نزلت الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، الحجرات ٤٩: ٦.

انظر: الاستيعاب ٤: ٢٧٢١/١٥٥٢، أسد الغابة ٤: ٥٤٦٨/٦٧٥، سير أعلام النبلاء ٣: ٦٧/٤١٢، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين): ٦٦٣.

عَفَان لَأَمَّة، وَأَنَّهُ كَانَ مَجَاهِرًا فِي الْفَسُوقِ شَارِبَ الْخَمُورِ، وَأَنَّ فِيهِ وَفِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَتْ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾^(١)، وَأَنَّ عَثْمَانَ جَعَلَهُ وَالِيًا عَلَى الْكُوفَةِ إِلَى أَنْ جَلَدَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَيْثُ شَرِبَ الْخَمْرَ فَسَكَرَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ صَلَاةَ الصُّبْحِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَزِيدُكُمْ؟ ثُمَّ صَارَ مِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ وَكَانَ يَحْرُضُهُ عَلَى حَرْبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُغْرِيهِ، وَلَمَّا صَارَ الْحَرْبُ انْعَزَلَ عَنْهُمَا وَقَالَ: فَرَبِّ حَرِيصٍ مَحْرُومٍ.

قال صاحب الكتاب: وله أخبار فيها بشاعة تدل على سوء حاله وقبح أفعاله، ثم قال: ومن أنكر صدور ما صدر منه، فكلامه غير صحيح عند أهل العلم، ومحض الاعتساف.

ومن الغرائب أنه نقل: أن عثمان عزل سعداً عن الكوفة وولّاه الوليد، فلما قدم على سعد، قال سعد: والله، ما أدري أكسيت بعدنا أم حمقنا بعدك^(٢)! فقال: لا تجزعن يا أبا إسحاق، فإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون، فقال سعد: والله، أراكم ستجعلونها ملكاً^(٣).

ونقل فيه عن أبي العادية^(٤): أنه كان هو الراوي عن النبي ﷺ قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٥)، ومع هذا قتل

(١) سورة السجدة ٣٢ : ١٨ .

(٢) ما أثبتناه من المصدر وفي النسخ: «أكسيت بعدنا أم جمعنا» والظاهر أنه خطأ من النسخ.

(٣) الاستيعاب ٤ : ١٥٥٤ - ١٥٥٧ بتقديم وتأخير .

(٤) اختلف في ضبط كنيته، فورد تارة بالغين المعجمة، وأخرى بالعين المهملة، ولا ضير فيه بعد أن كان المراد منهما يسار بن أزهر الجهني الذي كان من محبّي عثمان، وهو قاتل عمّار بن ياسر .

انظر: الكنى والأسماء للدولابي ١ : ٤٧، الاستيعاب ٤ : ٣١١٣/١٧٢٥، أسد

الغاية ٥ : ٢٣٧/٦١٤٠، سير أعلام النبلاء ٢ : ١١٤/٥٤٤ .

(٥) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٧، الكنى والأسماء للدولابي ١ : ٤٧ .

عمّار بن ياسر مفتخراً بذلك ، بحيث كان كلما يستأذن على معاوية يقول :
إن قاتل عمّار يريد أن يدخل عليك^(١) .

ونقل فيه عن جماعة أنهم قالوا: كان أبو سفيان والد معاوية من
المؤلفة قلوبهم أسلم عام الفتح ، وعمي في آخر عُمره ، وأنه كان كهفأ
للمنافقين ، وكان منافقأ ، وأنه لمأ ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان ،
فقال : قد صارت إليك بعد تيم وعدي ، فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني
أمية ، فإنمأ هو الملك ، وما أدري ما جنّة ولا نار^(٢)!

وسياتي تفصيل أحواله وكفره ونفاقه في المقالة السادسة من المقصد
الثاني .

ونقل جماعة كما في تاريخ الإسلام وغيره : أن أبا هريرة ذهب في
زمان معاوية إلى عليّ عليه السلام ليجعل الخلافة شورى بين الناس ، ثم ندم على
فعله ، وعرف توهمه في ذلك لمأ تكلموا عليه وذكروه من فضائل عليّ عليه السلام
وذمّ تركه ، ومع هذا اعتزل في صفين ولم ينصر عليأ عليه السلام ، بل كان من
أصحاب بني أمية لاسيما مروان بن الحكم ، حتّى نقلوا : أن يوماً في جنازة
رجل أخذ أبو هريرة بيد مروان فجلسا ناحية قبل أن توضع الجنازة ، وشرعا
يتكلمان ، فجاء إليهما أبو سعيد الخدري وأقام مروان وقال له : والله ، لقد
علم صاحبك هذا - يعني أبا هريرة - أن النبي صلى الله عليه وآله نهانا عن ذلك ، يعني
الجلوس ، فلم يقدر أبو هريرة على تكذيبه ، بل صدقه^(٣) .

وسياتي في المقصد الثاني ما يدلّ على أنه كان يكذب على
رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة عليّ عليه السلام وعمر جميعأ .

(١) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٧ ، وقعة صفين : ٣٤١ ، الاستيعاب ٤ : ٣١١٣/١٧٢٥ .

(٢) الاستيعاب ٤ : ١٦٧٧ - ٣٠٠٥/١٦٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ٢ : ١٠٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ٤ : ٢٦ بتفاوت يسير فيهما .

ونقل الحميدي^(١) في الجمع بين الصحيحين : أن أبا بكر كان يقسم الخمس نحو قسمة النبي ﷺ ، غير أنه ما كان يعطي قرابة النبي ﷺ مثل ما كان النبي ﷺ يعطيهم^(٢) .

ونقل في تاريخ الإسلام : عن عبدالله بن المبارك^(٣) أنه قال : الذي كان بين الصحابة كان فتنة ، ولا أقول لأحد منهم مفتون^(٤) .

ونقل ابن الجوزي في كتاب المنتظم بإسناد له متصل إلى عبدالله بن أحمد بن حنبل^(٥) أنه قال : سألت أبي فقلت له : ما تقول في عليّ ﷺ ومعاوية؟ فأطرق ، ثم قال : أيش أقول فيهما ، اعلم أن علياً ﷺ كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا ، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله

(١) هو محمد بن فتوح بن عبدالله ، يكتنّى أبا عبدالله ، مؤرخ محدث ، كان ظاهري المذهب ، وهو صاحب ابن حزم وتلميذه ، وأول ارتحاله في العلم كان في سنة ٤٤٨ هـ ، وله كتب ، منها : الجمع بين الصحيحين ، والذهب المسبوك في وعظ الملوك ، والترسل ، ولد قبل سنة ٤٢٠ هـ ، ومات سنة ٤٨٨ هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ١٩ : ٦٣/١٢٠ ، الوافي بالوفيات ٤ : ١٨٦٣/٣١٧ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٩٢ .

(٢) الجمع بين الصحيحين ٣ : ٢٨٥٦/٣٦٩ بتفاوت يسير .
(٣) عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي ، يكتنّى أبا عبدالرحمن ، من تابعي التابعين ، يحكى : أنه أحسن إلى علوية فرأى في المنام أنه يخلق الله تعالى على صورته ملكاً يحيى عنه كل عام ، وكان من رواة العلم ، ولد سنة ١١٨ هـ ، ومات ١٨١ هـ .
انظر : الكنى والألقاب ١ : ٣٨٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٢ : ٣٥٥٥/٣٩٦ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٢٢/٣٢ ، سير أعلام النبلاء ٨ : ١١٢/٣٧٨ .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ١٨١ - ١٩٠) : ١٩٣/٢٢٧ ، ترجمة ابن المبارك .
(٥) عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، يكتنّى أبا عبد الرحمن ، من أهل بغداد ، حافظ للحديث ، سمع من أبيه شيئاً كثيراً من العلم ، له كتب ، منها : الزوائد على كتاب الزهد لأبيه ، وزوائد المسند ، ولد سنة ٢١٣ هـ ، مات سنة ٢٩٠ هـ .
انظر : تاريخ الإسلام (حوادث ٢٨١ - ٢٩٠) : ١٩٧ - ٣٠٠/١٩٩ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٥٧/٥١٦ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤٦/١٢٤ .

فأطروه ، كياداً منهم له (١) .

ونقل في المنتظم أيضاً بإسناد له متصل : عن عبدالله بن جعفر (٢) ، عن أم بكر بنت المسور (٣) ، عن أبيها ، قال : ولّى عمر على بيت المال عبدالله بن الأرقم (٤) ، وكان يقول : ما رأيت أحداً أحشى لله منه ، فكان عمر إذا استسلف شيئاً منه كان يتقاضاه عند إخراج العطاء فيقضيه ، فلما ولّى عثمان أقرّه على بيت المال ، وكان يستسلف منه حتى اجتمع عنده مال كثير وحضر وقت العطاء ، فقال له عبدالله : أدّ المال الذي استسلفته ، فقال عثمان له : ما أنت وذاك ، إنّما أنت خازن ، فخرج عبدالله حتى وقف على المنبر فصاح بالناس وأخبرهم بما قال عثمان ، وقال : هذه مفاتيح بيت مالكم . ثم قال ابن الجوزي عند روايته ذلك : فقيل : إنّهُ لمّا ردّ المفاتيح استخزن عثمان زيد بن ثابت (٥) (٦) .

(١) المنتظم ٥ : ١٢٩ بتفاوت يسير .

(٢) عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخزوم ، يكنى أبا محمد ، كان مفتياً ، عارفاً بالمغازي ، حدّث عن أبيه ، وسعد بن إبراهيم ، وعمته والدة أم بكر ابنة المسور وغيرهم ، وروى عنه : عبدالرحمن بن مهدي ، والواقدي وغيرهما . مات سنة ١٧٠ هـ . انظر : تهذيب الكمال ١٤ : ٣٧٢/٣٠٢٣ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٦١ - ١٧٠) : ١٩٥/٢٩١ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ١١٤/٣٢٨ .

(٣) أم بكر بنت المسور بن مخزوم الزهرية ، روت عن أبيها ، وروى عنها ابن ابن أخيها عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخزوم .

انظر : تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٨٧/٢٩١٦ ، لسان الميزان ٩ : ١٥٦٩٨/٥٦٠ .

(٤) هو عبدالله بن الأرقم بن يغوث بن وهب الزهري ، وأمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ ، عمّة أبيه الأرقم ، ولأه عمر بيت المال ووليه أيضاً لعثمان مدّة . مات سنة ٦٤ هـ . انظر : المنتظم ٥ : ١٤٢/٣٠٠ ، أسد الغابة ٣ : ٢٧٠٩/٦٨ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٩٨/٤٨٢ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤٩/١٢٨ .

(٥) المنتظم ٥ : ١٤٣ .

(٦) هو زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد الأنصاري ، يكنى أبا سعيد ، وقيل لله

ونقل في المنتظم: أن عمّاراً قتله أبو العادية، طعنه برمح فسقط، فلما وقع أكبّ عليه رجل آخر فاحتزّ رأسه، فأقبلا يتخاصمان فيه، كلُّ يقول: أنا قتلكه، فقال عمرو بن العاص: والله، إن تختصمان إلا في النار، فسمعها منه معاوية، فلما انصرف الرجلان قال لعمرو: ما رأيت منك مثل ما صنعت اليوم، قوم بذلوا أنفسهم دوننا، تقول لهما: إنكما تختصمان في النار؟! فقال عمرو: هو والله، ذاك، والله، إنك لتعلمه، ولوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة^(١).

ونقل أيضاً فيه بإسناد له متصل عن محمّد بن جميل^(٢) عن محمّد بن يحيى الأحمري^(٣)، قال: حدّثنا ليث^(٤) عن مجاهد^(٥)، قال: جيء برأس

جاء أبابا عبدالرحمن، وأبا خارجة، كان ممن يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، وشهد مع النبي ﷺ الخندق وما بعدها، استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرّات، وكذلك عثمان كان يستخلفه إذا حجّ، فقد كان عثمانياً ولم يشهد مع عليّ ﷺ شيئاً من حروبه، وكان يُظهر فضل عليّ ﷺ وتعظيمه، واختلف في وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ٤٥ هـ.

انظر: الاستيعاب ٢: ٨٤/٥٣٧، أسد الغابة ٢: ١٨٢٤/١٢٦، سير أعلام النبلاء ٨٥/٤٢٦: ٢.

(١) المنتظم ٥: ١٤٨.

(٢) كذا في «م» و«س» و«ش»، وفي «ن» ساقطة، وفي المصدر: محمّد بن أحمد.

(٣) لم نعر على ترجمته.

(٤) هو ليث بن أبي سليم، وفي اسم أبيه «أبي سليم» اختلاف؛ قيل: أيمن، وقيل: أنس، وزيادة، وعيسى، وهو من محدّثي الكوفة وعلمائها، روى عن طاووس، ومجاهد، وعطاء، وغيرهم.

ولد بعد سنة ٦٠ هـ، واختلف في وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ١٤٣ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٦: ٨٤/١٧٩، تهذيب التهذيب ٨: ٨٣٥/٤١٩.

(٥) هو مجاهد بن جبر، يكتنّى أبا الحجاج المكي، تابعي، إمام في التفسير، له كتاب

الحسين بن عليّ عليه السلام ، فوضع بين يدي يزيد بن معاوية ، فتمثل بهذين البيتين :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
فَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ (١)
ثم نقل أن مجاهداً قال : هذا نفاق صريح (٢) .

ونقل فيه أيضاً عن كتاب المدائني (٣) عن أبي قرّة (٤) ، قال : قال هشام ابن حسان (٥) : ولدت ألف امرأة بعد وقعة الحرّة من غير زوج ، وكانت

جلافي التفسير .

ولد في مكّة ، واختلف في وفاته على أقوال ، منها : إنه مات سنة ١٠٢ هـ .
انظر : تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠) : ٢٢١/٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٧٥/٤٤٩ ، طبقات المفسرين للداودي ٢ : ٦١٧/٣٠٥ ، الأعلام للزركلي ٥ : ٢٧٨ .
(١) البيت الأوّل لعبدالله الزبيري ، انظر ديوانه : ٤٢ .
انظر : مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢ : ٥٩ ، اللهوف : ٢١٤ ، الفتوح ٥ : ١٥٠ ، الرسائل للجاحظ ٢ : ١٥ بتفاوت يسير .

(٢) المنتظم ٥ : ٣٤٣ .

(٣) هو عليّ بن محمّد بن عبدالله المدائني ، يكنى أبا الحسن ، كان عالماً بالفتوح والمغازي والأنساب وأيام العرب ، وهو بصري سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد ، فلم يزل بها إلى حين وفاته ، وله كتب ، منها : تسمية المناققين ، وتاريخ الخلفاء ، وأخبار أهل البيت ، وغيرها .

ولد سنة ١٣٢ هـ ، واختلف في وفاته على أقوال ، منها : أنه مات سنة ٢٢٥ هـ .
انظر : الفهرست لابن النديم : ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٦٤٣٨/٥٤ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ١١٣/٤٠٠ .

(٤) لعله موسى بن طارق اليماني ، كان يكنى أبا قرّة الزبيدي صاحب ابن جريج .

انظر : ميزان الاعتدال ٤ : ٨٨٨٢/٢٠٧ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ١١٢/٣٤٦ ، تقريب التهذيب ٢ : ١٤٧١/٢٨٤ .

(٥) هو هشام بن حسان الأزدي ، يكنى أبا عبدالله ، محدث من أهل البصرة ، وأعلم لله

القتلى يومئذ سبعمائة من وجوه الناس من قریش والمهاجرين والأنصار ووجوه الموالي ، وعشرة آلاف ممن لا يُعرف من عبد وحرّ وامرأة ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام^(١) .

وذكر فيه أيضاً عن جمع من أهل المدينة منهم : عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة^(٢) : أنهم كانوا يصرّحون بأنّ يزيد بن معاوية كان ينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويضرب بالطنابير ، ويترك الصلاة^(٣) .

ونقل صاحب كتاب تاريخ الإسلام فيه ما ملخصه : أنّ المعتضد العباسي^(٤) أراد أن يأمر بلعن معاوية على المنابر ، وأمر أن يجمعوا مثالبه

على الناس بحديث الحسن ، وأدرك أنس بن مالك ، وحدث عن عكرمة ، والحسن ، وابن سيرين ، وغيرهم ، وروى عنه روح بن عبادة ، وعبد الرزاق ، وغيرهما ، مات سنة ١٤٨ هـ .

انظر : تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ - ١٦٠) : ٣١٨ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ١٥٤/٣٥٥ ، تهذيب التهذيب ١١ : ٧٥/٣٢ .

(١) المنتظم ٦ : ١٥ - ١٦ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٢١ .

(٢) هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب ، يكتنّى أبا عبد الرحمن ، وقيل : أبا بكر ، أبوه معروف بغسيل الملائكة ، استشهد يوم أحد فغسلته الملائكة لكونه جنباً ، وأمه جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول ، كان أميراً على المدينة في وقعة الحرّة ، مات سنة ٦٣ هـ .

انظر : الاستيعاب ٣ : ١٥١٧/٨٩٢ ، أسد الغابة ٣ : ٢٩٠٦/١١٤ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٩/٣٢١ .

(٣) المنتظم ٦ : ١٩ بتفاوت .

(٤) هو أحمد بن طلحة المعتضد بالله ، يكتنّى أبا العباس ، أحد حكام بني العباس ، وأمه أمّ ولد روميّة يقال لها : اضرار ، بويغ له في اليوم الذي مات فيه المعتضد على الله سنة ٢٧٩ هـ فكانت خلفته تسع سنين وتسعة أشهر .

من نزاعه علياً عليه السلام حقّه، وأنه من الفئة الباغية التي قتلت (١) عمّاراً، وأنه سفك الدماء، وسبى الحرّيم، وانتهب الأموال المحرّمة، وقتل حُجراً، وعمرو بن الحمق، وادّعى زياد بن أبيه جرأةً على الله ورسوله فإنّ الله يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَيّٰتِهِمْ﴾ (٢)، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (٣)، وأنه دعا إلى ابنه يزيد، وقد علم فسقه حتّى فعل بالحسين عليه السلام ما فعل، وكذا يوم الحرّة، وحرّق البيت الحرام، وأنه كان من الشجرة الملعونة في القرآن، وأمثال ذلك.

فقالوا له: ما لك قدرة على فتنة العامّة إن سمعوا هذا.

(فقال (٤): أضع السيف عليهم، فقالوا: فما تصنع بالعلويّين الذين هم في كلّ ناحية قد خرجوا عليك؟ وإذا سمع الناس هذا وهو من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل وصاروا أبسط ألسنة، فحينئذٍ أمسك المعتضد عمّا أراد (٥).

أقول: هذا الذي ذكرناه هاهنا ليس عشراً من معشار ما ذكره علماء

كثّ مات سنة ٢٨٩ هـ .

انظر: مروج الذهب ٤ : ١٤٣ ، تاريخ بغداد ٤ : ٤٠٣ - ٤٠٧ / ٢٣٠٧ ، سير أعلام

النبياء ١٣ : ٢٣٠ / ٤٦٣ .

(١) سقط في «ن»، وفي «س» و«ش»: قتلوا .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥ .

(٣) الكافي ٥ : ٤٩١ ، تهذيب الأحكام ٨ : ٥٨٧ / ١٦٨ ، صحيح مسلم ٢ : ١٠٨٠ / ١٤٥٧ ،

مسند أحمد ٦ : ٢١٧٩١ / ٣٥٧ ، سنن الدارمي ٢ : ١٥٢ ، صحيح البخاري ٤ : ٤ ،

سنن ابن ماجه ١ : ٢٠٠٦ / ٦٧٤ .

(٤) من هنا إلى صفحة ٢٩٩ سقط في نسخة «م» .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ٢٨١ - ٢٩٠) : ١٧ - ١٩ بتفاوت .

العامة، وعمدة معتبريهم في كتبهم من مساوئ أحوال كثير من الصحابة، وقبائح أفعالهم وأعمالهم، وقدح بعضهم بعضاً، ولو بحسب تعارف الدنيا، حتى أنهم نقلوا ذمواً لعثمان من جماعة من الصحابة، وكذا لأبي بكر، وعمر، بل نقلوا تعريضات، بل تصريحات من خصوص عمر في ذم أبي بكر، وسيأتي نبذ منها في مقالات المقصد الثاني وفي الختام وغيرهما، حتى أنه يأتي بعض ما ذكرناه هاهنا أيضاً.

فهذه المنقولات وإن كان كل واحد منها آحاداً، بحيث أمكن قدح ما لم يكن منها محفوظاً بقرائن الصدق إلا أنه لا يبقى مجال شك في صحة المعنى المستفاد من الجميع المشترك بين الكل، أعني: كون أهل عصر النبي ﷺ من الصحابي وغيره كأهل سائر الأعصار في وجود الأخيار فيهم، والأشرار والمنافقين، وضعفاء العقل والدين، والمائلين إلى الهوى، وأهل الحرص على الدنيا، وأمثال ذلك من أقسام اختلاف حالات الناس، وتفاوت الأشخاص، بل كون الأكثر ممن لا يعاب بشأنه، ولا يعتمد عليه، كما سيأتي، لاسيما في مقالات المقصد الثاني.

بل ينادي بذلك أيضاً ما هو الثابت المسلم الواضح من فرارهم في الحروب، وتركهم النبي بين الأعداء في أقل قليل بعد مبايعتهم معه على الموت وترك الفرار، وأمثال ذلك من المنكرات التي لا شك في صدورها عنهم.

ألا ترى إلى أنهم كيف اشتغلوا بعد رسول الله ﷺ إلى الدنيا؟ بحيث لم يتوجهوا إلى ضبط سننه وعباداته وآدابها، حتى الصلوات الخمس التي كان يصلي بهم كل يوم خمس مرات، والأذان الذي كان ينادي به لهم كل

يوم كذلك؛ بحيث صار سبب هذا الاختلاف العظيم الموجود بينهم في كلٍ منها إلى الآن، حتى أنهم لا يدرون أنه كان يقنت في الصلاة أم لا؟ وكان يجهر بالبسملة، بل يبسمل أم لا؟ وكان يغسل رجله أو يمسح؟ وكيف كانت كَيْفِيَّة وضوئه وصلاته؟ وفصول أذانه وإقامته؟ وهلمَّ جرأً.

حتى نقلوا عن أنس خادم النبي ﷺ أنه كان يبكي في آخر عمره، فيقول: لا أرى شيئاً مما كان في عهد النبي ﷺ إلا هذه الصلاة، وهي أيضاً قد ضُيِّعت وغيِّرت^(١).

وكفاك شاهداً حصول الخلاف في أكثرها؛ ضرورة عدم وجود الاختلاف في زمن النبي ﷺ، فلو أنهم ضبطوها بعده على ما كان لم يوجد خلاف ولا اختلاف.

ألا تنظر إلى القرآن كيف هو مملوء من المعاتبات التي عاتبهم الله بها، حتى أنه حكم صريحاً بوجود المنافق والفاسق والظالم وأمثالها فيهم، كما قد ذكرنا نبذاً من ذلك في المطلب الأول.

وقد نقل في تاريخ الإسلام في ترجمة عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة^(٢)، بعد أن ذكر توثيقه عن جمع: أن الصلت بن دينار^(٣) روى

(١) صحيح البخاري ١ : ١٤١ (باب تضييع الصلاة عن وقتها)، التعديل والتجريح ٢ : ٩٧٩/١١٦، تاريخ مدينة دمشق ٩ : ٨٢٩/٣٣٥، تهذيب الكمال ١٩ : ٣٨٠٩/٣٦٧، البداية والنهاية ٩ : ٨٩، بتفاوت فيها.

(٢) يكتى أبو محمد التيمي المكي، كان قاضياً لابن الزبير، ولآه قضاء الطائف، ومؤذناً له، روى عن ابن عباس، وابن عمر، والمِسُور، وغيرهم، وعنه ابنه يحيى، وابن أخيه عبدالرحمن بن أبي بكر، ومات سنة ١١٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٠/٨٨، كتاب التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ٢ : ٣٤٣٤/٨٨٨، تهذيب التهذيب ٥ : ٥٢٣/٢٦٨.

(٣) الصلت بن دينار الأزدي الهنائي، يكتى أبو شعيب البصري، المعروف بالمجنون، لله

عنه أنه قال: أدركت أكثر من خمسمائة من الصحابة، كلهم خاف النفاق على نفسه.

قال: وفي رواية أخرى عن ابن جريج^(١)، عنه، قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي، الخبر، ثم حكم بصحة الثاني^(٢)، وهو أيضاً كافٍ. ونقل في جامع الأصول من صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ وقد شهدوا بدرًا، كلهم يخاف على نفسه النفاق، ولا يأمن من المكر على دينه^(٣).

ونقل صاحب الاستيعاب في ترجمة حذيفة بن اليمان: أنه كان معروفًا في الصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ؛ حيث عرفه المنافقين، وأن عمر كان ينظر إليه إذا مات أحد، فمن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدا عمر^(٤)، وأمثال هذه الأشياء كثيرة ويأتي بعضها، فتأمل.

١) كان مبغضاً لعليّ عليه السلام، روى عن أنس بن سيرين، والحسن البصري، وغيرهما، وعنه جماعة كثيرة.

مات سنة ١٦٠هـ.

انظر: المجروحين ١: ٣٧٥، الكامل لابن عدي ٥: ٩٢٨/١٢٥، ميزان الاعتدال ٢: ٣٩٠٦/٣١٨، تهذيب الكمال ١٣: ٢٨٩٧/٢٢١.

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، يكنى أبا خالد، وأبا الوليد، كان أحد العلماء المشهورين، روى عن أبيه، ومجاهد، وعطاء، وغيرهم، وعنه ابنه عبد العزيز، ومحمد، ويحيى الأنصاري، وله تفسير القرآن.

ولد سنة ٨٠هـ، واختلف في سنة وفاته على أقوال منها: أنه مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣: ٣٧٥/١٦٣، سير أعلام النبلاء ٦: ١٣٨/٣٢٥، كتاب التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ٢: ٤٢٠٣/١٠٦٨، طبقات المفسرين للداودي

١: ٣٠٦/٣٥٨.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠): ٤٠١ - ٤٥٧/٤٠٢.

(٣) صحيح البخاري ١: ١٩، جامع الأصول ١١: ٩١٩٦/٥٧٥، وفيهما بتفاوت.

(٤) الاستيعاب ١: ٣٣٤ - ٤٩٢/٣٣٥.

الفصل الثالث

في توضيح ما يدلّ على خصوص النهي عن تلك الحالات التي ذكرنا الامتحان بها في الباب ، والتشديد في تركها بناءً على كونها منبع الفتن والفساد ، لاسيما في الدين ، حتّى أنّ منها كان سبب عداوة الشيطان لآدم ، وكذا هي سبب التعادي والتحاسد في كلّ زمان ، بل هي داء دفين في قلب كلّ شخص إلا من رحمه الله بالعصمة والتوفيق ، وأنه لأجل هذا ورد النهي مع التهديد عنها كثيراً ، وألزم الله الناس بالجهد في إزالتها ، وتزكية النفس عنها جداً ، وقرّر لها تأديبات وتعزيرات ، وقراراً وحداً^(١) ، حتّى أنّه لم يكتف بذلك بل جعل الأنبياء والأمراء من جانبه مبشرين ومنذرين ومؤدبين لأجل رفع هذه الأشياء أيضاً .

وبالجملة : نذكر هاهنا ما يدلّ على أمثال هذه الأشياء ، ويشتمل على المواعظ الشافية :

قد تقدّم في ما مضى أنفاً من الفصلين وغيرهما ما لا حاجة معه إلى تطويل الكلام في هذا المقام ، وسيأتي أيضاً في الفصول الآتية ، لاسيما في الباب الرابع كثيراً ، بل كفى هاهنا ما يجده الإنسان في نفسه من رغبته الجبليّة إلى المشتبهات الدنيويّة ، وابتلائه لأجلها بالمساوئ الدنيئة ، كالحسد

(١) في نسخة «ن»: وقراراً واحداً .

والحمية وأشباههما من المنافسات؛ بحيث إنه وإن جاهد طول عمره في إزالتها لم يتيسر له الاستخلاص منها بالكليّة إلا من أخلصه الله بالعصمة كالأنبياء والأوصياء، بل لم يتيسر التقليل أيضاً بدون عناية الله بالتوفيق.

ولا عبرة بما قد يتوهمه بعض الجهال، أو يلقي الشيطان في البال من ظنّ الزوال أو الوصول إلى حدّ الكمال في الإقلال، فإنّه محض الخيال بسبب عدم التفحص عما هو المكنون في صميم البال، بل هو من جملة خطوات الشيطان، ليسلب التوجه إلى السعي في الإزالة عن الإنسان، بل في الحقيقة أنّه عين العجب المذموم وتزكية النفس الممنوعة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (١).

ولهذا ورد في الحديث: «ما تمّ عقل امرئ حتى يرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم في نفسه» (٢).

ألا ترى إلى الشيطان الذي عبد الله وجهد في طاعته بحيث فاق بذلك، وترقى حتى أعجب الملائكة، ثمّ لما كان الكبر في صميم قلبه - وإن لم نقل: إنه أشعر به - قاس قياساً دعاه إلى مخالفة أمر الله جهاراً؛ بحيث انجرّ إلى حسده لآدم عليه السلام، وعداوته له ولبنيه، حتى أشعل نار الفتنة، وانتشر فساده في العالم، كما أخبر الله عنه في كتابه (٣).

وقد قال عليّ عليه السلام: «إنّ إبليس لم يزل يعبد الله تعالى مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم عليه السلام، فامتنع من ذلك حسداً وشقاوةً غلبت عليه،

(١) سورة النجم ٥٣ : ٣٢ .

(٢) الكافي ١ : ١٤ - ١٢/١٥ (كتاب العقل والجهل) ضمن الحديث، بحار الأنوار ١ : ٣٠/١٤٠ .

(٣) الآيات كثيرة بهذا المعنى، انظر: سورة البقرة ٢ : ٢٦٨، وسورة المائدة ٥ : ٩١، وسورة الأعراف ٧ : ٢٠ .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٢٩٩

فلعنه عند ذلك ، وأخرجه عن صفوف الملائكة ملعوناً مدحوراً ، فصار عدو آدم وولده بذلك السبب»^(١) ، الخبر .

فهكذا حال عامة الناس ، وإن عدّ بعضهم من العلماء والأخيار^(٢) وأهل الإحساس ، لاسيما ضميمة خطوات الشيطان ووسواس الخناس التي لا ينفك عنها أكثر الناس ، حتى أنه قد تبين مما مرّ آنفاً ويأتي في المقصد الثاني أيضاً: ابتلاء جماعة من الصحابة وعلماء الأمة وأشباههم بهذا الداء الدفين .

وكفى هاهنا ما فعل عقيل بن أبي طالب ، حيث رحل من أخيه عليّ عليه السلام إلى معاوية طمعاً في أخذ المال منه كما صرح هو به عند معاوية . على ما مرّ في المقام الثاني من المطلب السابق^(٣) .

وعلى هذا ، فكيف يبقى الاعتقاد بحسن حال عامة المتقدّمين ، لاسيما من صدر منه القبائح باليقين؟

وكيف يجوز الاعتماد لاسيما في أمور الدين على الصادر مما سوى المعصوم من هذا الخطر المبين ما لم يتضح أنه من صريح كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله الأمين؟

وكيف يصحّ دعوى طلب الحقّ وقبوله ممن لا يجد في نفسه الصبر على مفارقة محبوبه وأمّوله؟ فتأمل تفهم .

ولنذكر حينئذٍ نبذاً من الروايات والمواعظ وأمثالها المشتملة على ذمّ

(١) الاحتجاج ٢ : ٢١٨ ، بحار الأنوار ١٠ : ٢/١٦٧ ، و ١١ : ٢/١٣٨ ، وفيهما عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٢) من صفحة ٢٩٢ إلى هنا سقط من نسخة «م» .

(٣) راجع ص ٢٧٨ .

تلك الحالات والنهي عنها مما يناسب المقام ، ولا يطول به الكلام .

وأما الآيات : فهي وإن كانت كثيرة أيضاً إلا أنه قد ذكرنا فيما مضى ، لا سيما في الفصلين الأخيرين ما يكفي هاهنا ، بل يزيد جداً ، ولقد كفى قوله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(١) ، وقوله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ^(٢) .

ففي الحديث إن لقمان قال لابنه : «يا بني ، تواضع للحق تكن أعقل الناس ، فإن الكيس لدى الحق يسير ، وإن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها عالم كثير ، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكل ، وقيمتها العقل ، ودليلها العلم ، وسكانها الصبر» .

وفيه : «كفى بك جهلاً أن تتركب ما نهيت عنه» .

وفيه : «إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا» .

وفيه : «إن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها ، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً ، ورسره لعلانيته موافقاً» ^(٣) .

وفيه : «من خاف العاقبة تثبت عن التوغل فيما لا يعلم ، ومن هجم

(١) سورة الأعلى ٨٧ : ١٤ - ١٩ .

(٢) سورة الشمس ٩١ : ٩ - ١٠ .

(٣) الكافي ١ : ١٣ - ١٢/١٤ (كتاب العقل والجهل) قطعة من الحديث .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٣٠١

على أمر بغير علم جدع أنف نفسه»^(١).

وفي الحديث القدسي: «كيف تخشع لي خليقة لا تعرف فضلي عليها؟ وكيف تعرف فضلي عليها وهي لا تنظر فيه؟ وكيف تنظر فيه وهي لا تؤمن به؟ وكيف تؤمن به وهي قد قنعت بالدنيا واتخذتها مأوى، وركنت إليها ركون الظالمين؟»^(٢).

وفي الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال في حديث له: «... بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين، وبئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات، وبئس العبد عبد له هوى يضلّه»، الخبر، رواه الترمذي في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وغيرهما عن أسماء بنت عميس^(٣) وغيرها، عنه ﷺ^(٤).

وفي وصايا رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام.

«يا عليّ، شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره.

يا عليّ، أنهاك عن ثلاث خصال: الحسد، والحرص، والكبر.

(١) الكافي ١ : ٢٩/٢٠ (كتاب العقل والجهل).

(٢) الكافي ٨ : ٨/٤٦ قطعة من الحديث.

(٣) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث، أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وأخت أم الفضل امرأة العباس، وكانت أسماء من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قُتل جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عنه تزوجها أبو بكر، فولدت له محمّد بن أبي بكر، وبعد موت أبي بكر تزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له يحيى بن عليّ بن أبي طالب.

انظر: الاستيعاب ٤ : ٣٢٣٠/١٧٨٤، أسد الغابة ٦ : ٦٧٠٦/١٤.

(٤) سنن الترمذي ٤ : ٢٤٤٨/٦٣٢، المستدرک للحاكم ٤ : ٣١٦، علل الحديث لأبي حاتم الرازي ٢ : ١٨٣٨/١١٥، شعب الإيمان ٦ : ٨١٨١/٢٨٧، كنز العمال ١٦ : ٤٤٠٥٤/٩٧.

يا عليّ، أفة العلم الحسد .

يا عليّ، أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وطول الأمل، وحبّ البقاء .

يا عليّ، ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه .

يا عليّ، للظالم ثلاث علامات: يقهر من دونه بالغلبة، ومن فوقه بالمعصية، ويظاهر الظلمة .

يا عليّ، من تعلم علماً ليماري به السفهاء، أو يجادل به العلماء، أو ليدعو الناس إلى نفسه، فهو من أهل النار .

يا عليّ، ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا قوتاً .

يا عليّ، لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحشة أوحش من العجب، ولا ورع كالكفّ عن محارم الله، لا عبادة مثل التفكير .
يا عليّ، العقل ما اكتسب به الجنان، وطلب به رضا الرحمن^(١) .

وفي الحديث: «إنّ التي كانت في معاوية وأمثاله هي النكراء والشيطنة وليست بالعقل وهي شبيهة له»^(٢) .

وفي الحديث: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم خُلقان: اتّباع الهوى، وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٢ - ٥٧٦٢/٣٧٥ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ . وانظر: تحف العقول: ٦ - ١٢ وفيه: بعض الوصايا .

(٢) المحاسن ١: ٦١٣/٣١٠، الكافي ١: ٣/٨ (كتاب العقل والجهل)، معاني الأخبار: ١/٢٣٩ باب معنى العقل، بتفاوت يسير فيها .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٣٠٣
الآخرة»^(١).

وفي بعض خطب عليّ عليه السلام: «إنما بدءُ وقوع الفتن من أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً، ألا إن الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجي، لكنّه يأخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه»^(٢).

وقال في خطبة أخرى: «فلا يلهينكم الأمل ولا يطولنّ عليكم الأجل، فإنّما أهلك من كان قبلكم امتداد أملهم، وتغطية الأجال عنهم، حتّى نزل بهم الموعود، واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد، حتّى تعرفوا الذي تركه، ولن تعرفوا الضلالة، حتّى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى، حتّى تعرفوا الذي تعدّى، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه، ورأيتم كيف هدى الله من هدى، فلا يجهلنكم الذين لا يعلمون، إنّكم لن تنالوا ما تريدون إلاّ بترك ما تشتهون، ولن تظفروا بما تأملون إلاّ بالصبر على ما تكرهون»^(٣).

وفي خطبة أخرى: «إنّ من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ فأولئك هم شياطين الإنس والجنّ، وإنّ لشياطين الإنس حيلاً ومكرراً وخدائع، ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا

(١) الخصال ١: ٥١ - ٦٢/٥٢ - ٦٤، الأمالي للمفيد: ١/٩٢، و٤١/٢٠٧، الأمالي للطوسي: ١٨٣/١١٧، و٤٠٩/٢٣١، نهج البلاغة: ٨٣ الخطبة ٤٢، بتفاوت في بعض الألفاظ.

(٢) نهج البلاغة: ٨٨ الخطبة ٥٠، الكافي ١: ١/٤٣، (باب البدع والرأي)، الأصول الستة عشر: ٢٥ أصل عاصم الحنّاط، بتفاوت.

(٣) الكافي ٨: ٣٨٩ - ٥٨٦/٣٩٠.

أكرمهم الله به من النظر في دين الله»^(١) ، الخبر .

وفي خطاب الله عز وجل لموسى عليه السلام : «يا موسى ، أتهم نفسك على نفسك ، ولا تأمن ولدك على دينك إلا أن يكون مثلك يحبّ الصالحين .
يا موسى ، لا تحسد من هو فوقك ، فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

يا موسى ، إنّ ابني آدم تواضعا في منزلة لينا [بها]^(٢) من فضلي ورحمتي ، فقرّبا قرباناً ولا أقبل إلا من المتقين ، فكان من شأنهما ما قد علمت ، فكيف تثق بالصاحب بعد الأخ والوزير؟»^(٣) .
وفي وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ : «يا أبا ذرّ ، لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره .

يا أبا ذرّ ، إنّ شرّ الناس منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه ، ومن طلب علماً يصرف وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنّة ، ومن ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنّة .

يا أبا ذرّ ، إنّ القلب القسيّ بعيد عن الله ، ولكن لا يشعرون .

يا أبا ذرّ ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من

اتّبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

يا أبا ذرّ ، إنّ الدنيا ملعونة ، ملعون معلنون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله ،

وما من شيء أحبّ إلى الله تعالى من إيمان به ، وترك ما أمر بتركه .

يا أبا ذرّ ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين ، وزهده في الدنيا

(١) الكافي ٨ : ١١/١ ، قطعة من الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام ، بحار الأنوار ٧٨ : ٢٢١ .

(٢) أثبتناها من المصدر .

(٣) الكافي ٨ : ٤٢ - ٨/٤٦ متفرقة في ضمن الحديث .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٣٠٥
وبصره بعيوب نفسه ، وما زهد عبد في الدنيا إلا أثبت الله الحكمة في قلبه ،
وأنطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها ، وإذا رأيت أخاك قد
زهد في الدنيا ، فاستمع منه فإنه يلقي [إليه] ^(١) الحكمة» .

فقلت : من أزهّد الناس؟

قال : «من لم ينس المقابر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر
ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعدّ غداً من أيامه ، وعدّ نفسه في الموتى .

يا أبا ذرّ ، حبّ المال والشرف أذهب لدين الرجل من ذنوب ضارّين
في زرب ^(٢) الغنم فأغاراً فيها حتّى أصبحت فماذا أبقيا منها؟

يا أبا ذرّ ، الدنيا مشغلة للقلوب والأبدان .

يا أبا ذرّ إنّي دعوت الله جلّ ثناؤه أن يجعل رزق من أحبّني الكفاف ،
وأن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد .

يا أبا ذرّ ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، الذين
اتخذوا أرض الله بساطاً ، وتراها فراشاً ، وماءها طيباً ، واتخذوا كتاب الله
شعاراً ودعاءه دثاراً ، يقرضون الدنيا قرصاً .

يا أبا ذرّ ، حرث الآخرة العمل الصالح ، وحرث الدنيا المال والبنون .
يا أبا ذرّ ، إذا دخل النور القلب انفسح القلب واستوسع» .

قلت : فما علامة ذلك؟

قال : «الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد

للموت قبل حلول الفوت .

(١) أثبتناها من المصدر .

(٢) في «ن» ساقطة ، وفي «م» : سرب . والزرب والزريبة : حظيرة للغنم من خشب .
انظر : الصحاح ١ : ١٤٢ - زرب - .

يا أبا ذرّ، اتق الله ولا تُرِ (١) الناس أنك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر .

يا أبا ذرّ، ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم والأكل .
يا أبا ذرّ، ليعظم جلال الله في صدرك ، فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب : اللهم اخزه ، وعند الخنزير : اللهم اخزه .

يا أبا ذرّ، الحقّ ثقيل مرئى (٢) ، والباطل خفيف وبئى (٣) ، وربّ شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً .

يا أبا ذرّ، لا تصيب حقيقة الإيمان حتى ترى الناس كلّهم حمقى في دينهم عقلاء في دنياهم .

يا أبا ذرّ، حاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وتجهّز للعرض الأكبر .

يا أبا ذرّ، أحبّ أن تدخل الجنّة؟» قلت : نعم فذاك أبي!

قال : «فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينيك، واستحي من الله حقّ الحياء» .

قلت : كلنا نستحي من الله .

قال : «ليس كذلك الحياء ، ولكنّ الحياء من الله تعالى أن لا تنسى

المقابر والبلى ، والجوف وما وعى ، والرأس وما حوى .

ومن أراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا ، فإذا كنت كذلك أصبت

ولاية الله .

يا أبا ذرّ، ما من شابّ يدع لله الدنيا ولهوها ، وأهرم شبابه في طاعة

(١) وردت في نسخنا : «ترى» ، والظاهر أنّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٢) كذا في «م» و«س» و«ش» ، وساقطة من «ن» وفي المصادر : مرّ .

(٣) كذا في «م» و«س» و«ش» ، وساقطة من «ن» وفي المصادر : حلّو .

الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً .

يا أبا ذرّ، الجلّيس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جلّيس
السوء، وإملاء الخبر خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشّرّ،
إنّ الله عند لسان كلّ قائل، فليتّق الله امرؤ وليعلم ما يقول .

يا أبا ذرّ، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكلّ ما يسمع .

يا أبا ذرّ، ما من شيء أحقّ بطول السجن من اللسان .

يا أبا ذرّ، لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما (سيء خلقه) ^(١) .

يا أبا ذرّ، كن بالعمل بالتقوى أشدّ اهتماماً منك بالعمل، فإنّه (لا يقبل

عمل إلا بالتقوى) ^(٢)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ^(٣) .

يا أبا ذرّ، لا يكون الرجل من المتّقين، حتّى يحاسب نفسه أشدّ من

محاسبة الشريك شريكه .

يا أبا ذرّ، من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتّق الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ^(٤) .

يا أبا ذرّ إنّ أنجلكم من عذاب الله أشدّكم له خوفاً .

يا أبا ذرّ، إنّ المتّقين الذين يتّقون الله من الشيء الذي لا يُتقى منه

خوفاً من الدخول في الشبهة .

يا أبا ذرّ، من أطاع الله فقد ذكره وإن قلّت صلّاته وصيامه .

يا أبا ذرّ، أصل الدين الورع ورأسه الطاعة، وخير دينكم الورع، إنّ

(١) في «م» و«س» و«ش»: مشى خلفه، وما أثبتناه من المصادر .

(٢) كذا في «ش» وحاشية «م» و«س»، وفي نسخة «س» و«م»: لا يقلّ عمل بالتقوى،

وهي ساقطة من «ن» .

(٣) سورة المائدة: ٥ : ٢٧ .

(٤) سورة الحجرات: ٤٩ : ١٣ .

الله لا يخدع عن جنته ، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته .

يا أبا ذرّ، يقول الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي، لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكففت عنه ضيقه^(١) وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر .

يا أبا ذرّ، إنّ الله تعالى يقول: إنّي لست كلام الحكيم أتقبّل ولكن همّه وهواه، فإن كان همّه وهواه فيما أحبّ وأرضى جعلت صمته حمداً لي ووقاراً وإن لم يتكلّم .

يا أبا ذرّ، إنّ الله عزّ وجلّ لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

يا أبا ذرّ، التقوى هاهنا التقوى هاهنا»، وأشار إلى صدره .

«يا أبا ذرّ، أوّل شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع حتّى لا يكاد يرى خاشعاً .

يا أبا ذرّ، سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة لحمه» .

أقول: هذا صريح في كفر من قاتل عليّاً عليه السلام، إذ لا كلام عند المسلمين في إسلامه، بل كمال إيمانه، فافهم .

«يا أبا ذرّ، من مات وفي قلبه مثقال ذرّة من كبر لم يجد رائحة الجنّة، إلا أن يتوب قبل ذلك» .

ثمّ قال: «إنّ الكبر أن تترك الحقّ وتتجاوزته إلى غيره، وتنظر إلى الناس، فلا ترى أحداً عرضه كعرضك ولادمه كدمك، وأكثر من يدخل النار المتكبرون، طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن

(١) كذا في «ش» و«م» و«س» وساقطة في «ن» وفي المصادر: «ضيعة» .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٣٠٩

الناس شره، وعمل بعمله، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله».

وقال أبو ذر: قلت يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟

قال: «الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله».

قلت: أي المسلمين أفضل؟

قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

قلت: وأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر السوء»^(١).

وقد قيل لعلي عليه السلام: أي سلطان أغلب وأقوى؟ قال: «الهُوى».

قيل: فأَي ذل أذل؟ قال: «الحرص على الدنيا».

قيل: فأَي فقر أشد؟ قال: «الكفر بعد الإيمان».

قيل: فأَي مصاحب شر؟ قال: «المزِين لك معصية الله».

قيل: فأَي الناس أكيس؟ قال: «من أبصر رشده من غيّه، فمال إلى

رشده».

قيل: فأَي الناس أحمق؟ قال: «المعترّ بالدنيا وهو يرى ما فيها من

تقلّب أحوالها».

قيل: فأَي المصائب أشد؟ قال: المصيبة في الدين»^(٢).

وفي رواية: أن أبا ذر عليه السلام قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال:

«أوصيك بتقوى الله، فإنّه رأس أمرك كلّه».

قلت: زدني، قال: «عليك بالصمت، إلا من خير، فإنّه مطردة

(١) الأمالي للطوسي: ٥٢٥ - ١١٦٢/٥٣٩، تنبيه الخواطر ٢: ٥١ - ٦٦، مكارم

الأخلاق ٢: ٣٦٢ - ٢٦٦١/٣٨٢، أعلام الدين: ١٨٩ - ٢٠٤ بتفاوت في عدد الوصايا.

(٢) معاني الأخبار: ٤/١٩٨، قطعة من الحديث، الأمالي للصدوق: ٦٤٤/٤٧٨، من

لا يحضره الفقيه ٤: ٥٨٣٣/٣٨٢، كتاب الغايات لأبي محمد جعفر القمي: ١٧٥ -

١٧٦ (ضمن جامع الأحاديث)، تنبيه الخواطر ٢: ١٧٤، بتفاوت يسير.

للسيطان عنك ، وعون لك على أمور دينك» .

قلت : زدني ، قال : «قل الحق وإن كان مرأاً» .

قلت : زدني ، قال : «لا تخف في الله لومة لائم»^(١) .

وفي وصايا النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود : «يا بن مسعود ، إن الدنيا دار غرور ، ودار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له ، إن أحقق الناس من طلب الدنيا .

يا بن مسعود ، من اشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات ، ومن خاف النار ترك الشهوات ، ومن ترقب الموت انتهى^(٢) عن اللذات ، ومن زهد في الدنيا قصر أمله ، وتركها لأهلها ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(٣) .

أقول : تأمل في دلالة قوله تعالى : ﴿وهو مؤمن﴾ على أن الصلاح والتعبد بدون تحقيق الحق عبث ، فافهم .

«يا بن مسعود ، من تعلم العلم يريد به الدنيا ، وأثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عليه ، وكان في الدرك الأسفل من النار مع اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

يا بن مسعود ، من تعلم العلم ولم يعمل بما فيه حشره الله يوم القيامة أعمى ، ومن تعلم العلم رياءً وسمعةً يريد به الدنيا نزع الله عنه بركته ،

(١) الخصال : ١٣/٥٢٥ ، الأمالي للطوسي : ١١٦٢/٥٤١ ، قطعة من الحديث ، تنبيه

الخواطر ٢ : ٦٨ - ٦٩ ، مكارم الأخلاق ٢ : ٣٨٤ .

(٢) في المصدر : أعرض .

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ١٨ - ١٩ .

ووكله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه فقد هلك، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)، من لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة.

يا بن مسعود، احذر سكر الخطيئة، فإن للخطيئة سكرًا كسكر الشراب، بل هو أشد سكرًا منه، يقول الله تعالى: ﴿صُمِّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

يا بن مسعود، الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما كان لله، وملعون من طلبها وأحبها ونصب لها.

يا بن مسعود، فلا تلهيتك الدنيا وشهواتها، فإن الله يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

يا بن مسعود، لا تقدم الذنب وتؤخر التوبة، ولكن قدم التوبة وأخر الذنب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾^(٤).

وإياك أن تستن سنة بدعة، فإن العبد إذا استن سنة لحقه وزر من عمل بها، قال الله تعالى: ﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾^(٥).

يا بن مسعود، فلا تركن إلى الدنيا ولا تطمئن إليها فتفارقها عن قليل، واذكر القرون الماضية، والملوك الجبابرة الذين مضوا، ولا تؤثرن الدنيا على الآخرة بالذات والشهوات، فإن الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ * وَءَاثَرَ

(١) سورة الكهف ١٨ : ١١٠ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٨ .

(٣) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٥ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٥ .

(٥) سورة يس ٣٦ : ١٢ .

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١﴾ .

يا بن مسعود، لا تتكلم إلا بالعلم بشيء سمعته ورأيت، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (٢) الآية، وقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (٣) .

يا بن مسعود، إذا تكلمت بلا إله إلا الله، ولم تعرف حقها، فإنه مردود عليك، ولا يزال قول: لا إله إلا الله يرد غضب الله عز وجل عنهم حتى إذا لم يبالوا ما ينقص من دينهم بعد إذ سلمت دنياهم، يقول الله تعالى: (كذبتم كذبتم، لستم بها بصادقين، فإنه يقول) (٤): ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٥) .

أقول: تأمل في هذا حتى تفهم أن محض قول: «لا إله إلا الله» لا يفيد بدون شروطه، فلا يدخل في الأخبار كل من لهج به كما توهمه العامة (٦)، على ما سيأتي في محله .

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «يا بن مسعود، عليك بالسكينة والوقار، وكن سهلاً لئناً عفيفاً، مسلماً تقياً نقياً، باراً طاهراً مطهراً، صادقاً خالصاً، سليماً صحيحاً، لبيباً، صالحاً، شكوراً، مؤمناً، أميناً ورعاً، عابداً، زاهداً، رحيماً، عالماً فقيهاً»، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم الآيات الدالة عليها .

ثم قال: «يا بن مسعود، أنصف الناس من نفسك، وانصح الأمة

(١) سورة النازعات ٧٩ : ٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٣٦ .

(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ١٩ .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في المصدر .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ١٠ .

(٦) الاعتقاد للبيهقي : ١٠٦ - ١٠٧ ، بتفاوت .

في النهي عما امتحن الله عباده به ٣١٣

وارحمهم، وإياك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للآدميين، وأنت فيما بينك وبين ربك مصرّ على المعاصي والذنوب، يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١)، ولا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه، ولا تكونن ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم به وهو غافل عنه، يقول الله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢).

يا بن مسعود، إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل، وإياك أن تعمل عملاً بغير تدبّر وعلم، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَّضْتُ عَنْهَا مِِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾^(٣)، وعليك بالصدق، وأنصف الناس من نفسك، وأحسن وادع الناس إلى الإحسان، ولا تمكر الناس، وأوف الناس بما عاهدتهم^(٤)، الخبر، وهو طويل وكذا ما قبله أخذنا من كل واحد نبذاً مما يناسب المرام.

والأخبار المناسبة له المشهورة بين الفريقين - الشيعة والسنة - كثيرة جداً فضلاً عن غيرها، لكن لا حاجة ها هنا إلى الإكثار؛ إذ لا منكر ها هنا حتى يحتاج إلى الإثبات والإقرار، ولكن أوردنا طرفاً منها تذكرةً لأولى الأبصار، وتبصرةً لمن أراد الاستبصار، وموعظةً لقوم يعقلون، وسيأتي أيضاً كثير من الموضحات وما هو من هذا الباب في الفصول الآتية، فلا تغفل، والله الموفق والهادي.

(١) سورة غافر ٤٠ : ١٩ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٤ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ٩٢ .

(٤) مكارم الأخلاق ٢ : ٣٣٨ - ٢٦٦٠/٣٦١ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ .

الباب الثالث

في بيان الامتحان بإمهال الظالمين في الدنيا ، وابتلاء المؤمنين ،
ورواج الباطل وكثرة أهله ، وقلة أهل الحق .

اعلم أن الله عزّ وجلّ حيث أراد أن يكون دار تنعم أوليائه الجنة ،
ومحلّ راحتهم النشأة الأخرى ، بعكس ما هو لأعدائه من تلاعبهم في
الدنيا ، لأجل هوانها عنده سبحانه ، ولغير ذلك من المصالح العظيمة التي
منها : إتمام الحجّة ، وإزالة العذر بالنهي عن ذلك ، والتوبيخ والتهديد ، جعل
من جملة ما امتحن به عباده أيضاً إمهال أهل الدنيا والفراغنة والظالمين
وأمثالهم وأتباعهم ، وشدة رواج الباطل ورونق سوقه ؛ بحيث يشبهه بالحقّ
على الجاهل في الوثوق به ؛ لغلبة أهله وكثرة أبناء الدنيا وشوكتهم ، وكذلك
جعل من ذلك شدة مصائب أولياء الله ، ومتاعب أهل طاعته ، وضعف أهل
الأخرة وابتلاءهم ، وكساد الحقّ وبواره ؛ بحيث يشبهه الحقّ على الجاهل
بالباطل من ضعف أهله وقلة أتباعه وسقوط اعتباره .

ولهذا ذمّ الفرقة الأولى ونهى عن أتباعهم والميل إليهم ، وبين شدة
عذابهم وعلائم بطلانهم ، ومدح الأخرى ، وأمرهم بالصبر على البلوى ،
وتحمل الأذى ، والسلوك مع أبناء الدنيا ، والمداراة مع أهل الهوى ، وكتمان
الحقّ عن الظالمين والأشرار ، وستر العلوم عنهم والأسرار .

وكذا نبين هاهنا شمول هذه العادة لجميع الأزمنة، حتى على هذه الأمة، ولو على سبيل الشدة والضعف، وتوضيح هذا أيضاً في ضمن خمسة فصول:

الفصل الأول

في بيان اقتضاء حكمة الله ومصلحته أن يكون لأعدائه ومخالفيه التاركين للحق والدين إمهال واستدراج بالغلبة والشوكة والتنعم في هذه الدنيا التي هي دار الراحة لهم والتمتع لهم ، وبإقبالها إليهم ، وتوجه أهلها وزخارفها عليهم ليزدادوا إثمًا ، وتكون الحجّة عليهم تاماً ، فيستحقّوا بذلك الهلاك وشدة العذاب .

وفي توضيح أن ذلك ليس من آثار الخير ، بل هو علامة الجهالة والضلالة ، والسخط من الله عزّ وجلّ ، وأن الله سبحانه نهى عن هذه الحالات ، وذمّ أهلها ، ولعنهم وفسقهم .

اعلم أن الآيات والروايات والتجربات صريحة في هذا الأمر ، بل إنمّا ذلك مقتضى العدل وإنجاح مراد العبد ، ومراعاة التناسب ؛ ضرورة أن الإنسان إذا ترك الحقّ ولزم الباطل ورجح الدنيا على الآخرة بعد ظهور البيّنة ووضوح ترتّب الضرر عليه فقد اختار ذلك ، وأزاده متعمّداً ، بل طلبه وعزم عليه ولو بلسان الحال .

ولا شك أن مثل هذا باغض لربّه ومبغوض عنده ، كاذب إن ادّعى غيره ، فلمّا لم يرد الله حرمان الخلق رأساً جعل لهؤلاء الدار التي هي مبغوضة عنده أيضاً وهي الدنيا ، وأعطاهم فيها ما أرادوه منها على حسب شهوتهم ورغبتهم وإن استوجب الضرر العظيم في عاقبتهم ؛ لتعمّدهم في

الرضا بذلك - كما تبين مما مرّ - حتّى أنّ الشيطان طلبه بلسان المقال ، حيث
﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) .

وحاصل المرام : أنّ الله تعالى لما خلق الدنيا والآخرة ، وجعلهما متباينتين ؛ حيث جعل الأولى فانية ذنيئة مشتملة على بلايا ومتاعب ومشاقّ التكليفات وغيرها ؛ إذ لم يخلقها إلا لأجل أن يوصل بها إلى استحقاق نعيم الآخرة التي جعلها دار الالتذاذ والبقاء والراحة ؛ ولهذا أبغض الدنيا وزخارفها ، ومن اغترّ بها وأرادها ورجّحها على ما اختار الله له من دار الآخرة ؛ إذ ذلك عين المضادة مع الله عزّ وجلّ ، المستلزمة لاستحقاق العذاب والنكال ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ومن ثمّ اقتضى عدله وكرمه أن لا يحرم هؤلاء عمّا أرادوا فأعطاهم منها على وفق حكمته كما بيّنّا ، وجعل في العوض زيادة العذاب على حسب ذلك ، لكن مع تبيان ذلك لهم ليتمّ الحجّة عليهم ، وفي مقابل ذلك خصّ أولياءه الذين قبلوا قوله ، واختاروا ما اختاره لهم من الآخرة بالبلايا فيها والمتاعب والمصائب ؛ ليستحقوا بذلك زيادة الأجر والثواب .

فافهم هذا وتأمل جدّاً ، حتّى تعلم أنّ توجّه الدنيا إلى الإنسان علامة بغض الرحمن ، وعكسه بالعكس ، فتجعل هذا من قرائن تمييز الخبيث من الطيب ، مع عدم الغفلة عن كون الدنيا الموصلة إلى خير الآخرة من غير هذا الباب ، وأنّ مناط تمييز المهلكة والمنجية ملاحظة هذا الإيصال ، وتمام انكشاف ما نحن فيه في ضمن نقل الآيات والروايات ، فلنذكر نبذاً منها :
 قال الله عزّ وجلّ وتعالى : **﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُسَلِّي**

لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ .
 وقال أيضاً: ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢) .

وقال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٣) .

وقال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٥) .

وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ﴾ (٦) الآية .

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ (٧) .

وقال: ﴿فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ (٨) الآية .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفِيفًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٩) .

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٧٨ .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) سورة لقمان ٣١ : ٢٤ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٢٦ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٦) سورة طه ٢٠ : ١٣١ .

(٧) سورة الشعراء ٢٦ : ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٨) سورة التوبة ٩ : ٥٥ .

(٩) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٢ .

وقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ (٣) الآية.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٤).

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَمْلَى لَهُمْ أَنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَمْلَى لَهُمْ أَنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٧).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَسْكَرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٨).

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٠ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ٨ .

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ١٨ .

(٤) سورة الشورى ٤٢ : ٢٠ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٨٢ - ١٨٣ .

(٦) سورة القلم ٦٨ : ٤٤ - ٤٥ .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ٤٤ .

(٨) سورة الأنعام ٦ : ١٢٣ .

وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) الآية .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ﴾ (٣) الآية .

وقال تعالى: ﴿ وَأَمِّم سُنْمَتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .
 وقال تعالى: ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَل لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ (٥).

وقال: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ ﴾ (٦) .

وقال: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٧) الآية .

وقال عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سُقْفًا مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَيُوبِتُهُمْ أَتُوبًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعٌ

(١) الإسراء ١٧ : ١٦ .

(٢) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٠ .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣٢ .

(٤) سورة هود ١١ : ٤٨ .

(٥) سورة الكهف ١٨ : ٥٨ .

(٦) سورة الحجر ١٥ : ٤ .

(٧) سورة فاطر ٣٥ : ٤٥ .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمِهِ سَبُحْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ (٥) .

وقال عز وجل: ﴿فَمَهِّلِ الْكُفْرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ (٨) إلى آخر الآيات وغيرها كثيرة، وكفى ما ذكرناه هاهنا، لاسيما مع ما مرّ ويأتي سابقاً ولاحقاً .

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، إن الله تعالى

قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يُعذكم من أن يستليكم، وقد قال

جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (٩)» (١٠) .

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٣٣ - ٣٥ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٨٦ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ١١٢ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٨٠ .

(٥) من صفحة ٢٨٣ إلى هنا بياض في «ن» .

(٦) سورة المزمل ٧٣ : ١١ .

(٧) سورة الطارق ٨٦ : ١٧ .

(٨) سورة المدثر ٧٤ : ١١ - ١٣ .

(٩) سورة المؤمنون ٢٣ : ٣٠ .

(١٠) نهج البلاغة : ١٥٠ خطبة ١٠٣ .

وقال عليه السلام: «كم من مستدرج بالإحسان إليه ، وكم من مغرور بالستر عليه ، وكم من مفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء»^(١) .

وبرواية أخرى : «كم من مغرور بما أنعم الله عليه ، وكم من مستدرج بستر الله عليه ، وكم من مفتون بثناء الناس عليه»^(٢) .

وقال عليه السلام: «أيها الناس ، ليراكم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم من النعمة فرقين ، إنه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً ، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً»^(٣) .
وسئل عليه السلام عن قوم يعملون بالمعاصي ويقولون : نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت ؟

فقال : «هؤلاء قوم يترجحون في الأمانى ، كذبوا ، ليسوا براجين ، من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه»^(٤) .

وفي أخبار أهل البيت : أن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمةٍ ويذكره الاستغفار ، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ، ويتمادى بها ، وهو قول الله عز وجل : ﴿سَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) ، أي : بالنعم عند المعاصي»^(٦) .

(١) نهج البلاغة : ٤٨٩ و ٥١٣ ، قصار الحكم ، رقم ١١٦ و ٢٦٠ .

(٢) الكافي ٢ : ٤/٣٢٧ (باب الاستدراج) ، بحار الأنوار ٧٨ : ٧٨/٢٢٥ .

(٣) نهج البلاغة ٣٥٨/٥٣٧ ، قصار الحكم .

(٤) الكافي ٢ : ٥/٥٥ (باب الخوف والرجاء) .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٨٢ .

(٦) الكافي ٢ : ١/٣٢٧ (باب الاستدراج) .

وفي رواية أخرى: أنه سئل عن الاستدراج، فقال: «هو العبد يذنب الذنب فيملى له، ويجدد له عنده النعمة، فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب، فهو مستدرج من حيث لا يعلم»^(١).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كما رواه الغزالي وغيره -: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته، فاعلموا أن ذلك استدراج، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)»^(٣) الآية.

وقال رجل للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنني تركت فلاناً - يعني رجلاً أكل مال أبيه وأنكره - من أعدى خلق الله لك!

قال: «ذلك شرّ له»، قال الرجل: ما أعجب ما أسمع منك جعلت فذاك! قال: «أعجب من ذلك إبليس، كان في جوار الله في القرب منه، فأمره فأبى، وتعزز وكان من الكافرين، فأملى الله له، والله ما عذب الله بشيءٍ أشدّ من الإملاء، والله، ما عذبهم الله بشيءٍ أشدّ من الإملاء»^(٤).

أقول: الإملاء بمعنى: الإمهال وترك الاستعجال.

والاستدراج قيل: هو من المدرجة وهي الطريق. ودرج: إذا مشى سريعاً، فمعنى الآية: أنا سنأخذهم من حيث لا يعلمون، أي طريق سلكوا، فإن مرجع جميع الطرق إلينا ولا يفوتنا هارب.

(١) الكافي ٢: ٢/٣٢٧ (باب الاستدراج)، بحار الأنوار ٥: ١٠/٢١٧.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٤٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٤: ١٣٢، المعجم الكبير ١٧: ٩١٣/٣٣٠، مسند أحمد ٥: ١٣٩/١٦٨٦٠، شعب الإيمان ٤: ٤٥٤٠/١٢٨، إحياء.

(٤) رجال الكشي: ٥٩٦ - ١٠٤٥/٥٩٧، بحار الأنوار ٥: ٣/٢١٦، وفيهما بتفاوت في بعض الألفاظ.

وقيل : إنه من الدرج ، أي : سنطويهم في الهلاك ، ونرفعهم عن وجه الأرض ، يقال : طويت فلاناً وطويت أمر فلان ، إذا تركته وهجرته (١) .
وقيل : أي : نقرّبهم إلى الهلاكة ، أو إلى العذاب درجة درجة حتى يقعوا فيه .

وقيل : معناه كلما جدّوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة (٢) ، كما هو صريح ما ذكرناه من الأخبار ، ومآله أيضاً إلى بعض ما ذكر ، لاسيّما الأخير .
وما قيل : من أن معناه أنه يستدرجهم إلى الكفر والضلال غير وجيه ؛ لأنّ الآية وردت في الكفّار ، وتضمّنت أنه يستدرجهم في المستقبل ، فإنّ السين مختصّ بالمستقبل ، ولأنّه جعل الاستدراج جزاءً على كفرهم وعقوبةً ، فلا بدّ أن يريد به معنى آخر غير الكفر .

نعم ، قد يتحقّق هذا في الفسّاق من أهل القبلة ؛ ضرورة كون بعض المعاصي مستلزماً للكفر ، ومنتيةً إليه ، بل بعضها عين الكفر .
وعلى أيّ تقدير ، التفسير بالهلاكة أولى وأحسن ؛ لأنّ الكفر هو الهلاكة أيضاً ، فتأمل .

وفي الحديث المشهور - الذي مرّ ويأتي أيضاً - أن النبي ﷺ قال : «سبعة لعنتهم ولعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب» ، وعدّ منهم : «المتسلّط في سلطانه بالجبريّة (٣) ليعزّ من أذلّ الله ، ويذلّ من أعزّه الله ، والمتكبّر على عباد الله ، والمستحلّ من عترة النبي ﷺ ما حرّم الله» (٤) .

(١) انظر : لسان العرب ١٥ : ١٩ - مادة طوي - .

(٢) انظر : مجمع البيان ٢ : ٥٠٤ .

(٣) في «م» و«ش» : بالجبروت .

(٤) المعجم الكبير ١٧ : ٨٩/٤٣ ، مجمع الزوائد ١ : ١٧٦ ، كنز العمال ١٦ :

٤٤٠٣٨/٩٠ ، وفيها بتفاوت في بعض الألفاظ .

وفي تفسير العياشي: أَنَّ الصَادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ - مُشَدَّدة مَنْصُوبَةٌ - يَعْنِي: كَثَرْنَا أَكْبَارَهَا ﴿فَفَسَّقُوا فِيهَا﴾^(١) «(٢)». وفي القاموس: أمير - كَفَرِحَ - أَمْرًا وَأَمْرَةً: كَثُرَ، وَتَمَّ، فَهُوَ أَمِيرٌ، وَالْأَمْرُ: اشْتَدَّ، وَالرَّجُلُ كَثُرَتْ مَاشِيَتُهُ، وَأَمْرُهُ اللهُ، وَأَمْرُهُ، كَنْصَرَهُ، لُغِيَّةٌ: كَثُرَ مَاشِيَتُهُ وَنَسَلَهُ^(٣). انتهى .

وفي تفسير النعماني عن عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ فِي مَعْنَى الضَّلَالِ الْوَارِدِ فِي الْقُرْآنِ: «الضَّلَالُ مِنْهُ مَحْمُودٌ وَمِنْهُ مَذْمُومٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْمُودٍ وَلَا مَذْمُومٍ، وَمِنْهُ ضَّلَالُ النَّسِيَانِ».

ثمَّ قَالَ: أَمَّا الضَّلَالُ الْمَحْمُودُ فَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَقَوْلِهِ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، هُوَ ضَلَالُهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِفَعْلِهِمْ، وَالْمَذْمُومُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥) وَأَمْثَالُهُ.

أَمَّا الضَّلَالُ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْأَصْنَامِ، كَقَوْلِهِ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْتَنَيْتِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾^(٦)، فَالْأَصْنَامُ لَا يُضِلُّنَ أَحَدًا عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا ضَلَّ النَّاسُ بِهَا وَكَفَرُوا حِينَ عَبَدُوهَا.

وَأَمَّا الضَّلَالُ الَّذِي هُوَ النَّسِيَانُ، فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا

(١) سورة الإسراء ١٧ : ١٦ .

(٢) تفسير العياشي ٣ : ٢٤٧٨/٤١ عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَفَسَّقُوا فِيهَا﴾ .

(٣) القاموس المحيط ٢ : ٨ - مَادَّةُ الْأَمْرِ - .

(٤) سورة المدثر ٧٤ : ٣١ .

(٥) سورة طه ٢٠ : ٨٥ .

(٦) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٥ - ٣٦ .

فَتَذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴿١﴾».

قال عليه السلام: «وأما ما نسبته منه إلى نبيّه على ظاهر اللفظ، كقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٢)، معناه: ووجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك».

ثم قال عليه السلام: «وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضدّ الهدى، والهدى هو البيان، مثل قوله تعالى: ﴿فَهَدَيْتُهُمْ فَاسْتَحَبُّوا آلَ عَمِيٍّ عَلَىٰ آلِهِدَى﴾^(٣)، أي: بيّنا لهم».

وبسط الكلام عليه السلام إلى أن قال: «فإنّه لما أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به النبي المنذر فخالقوه، ولما بيّن لهم ما يأخذون وما يذرون فخالقوه، ضلّوا» إلى أن قال عليه السلام:

«فحزفوا دين الله، وبدّلوا أحكامه، وعدلوا عمّن أمروا بطاعته، واضطّروهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس، فزادهم ذلك حيرةً والتباساً، فكان تركهم اتّباع الدليل الذي أقام [الله]^(٤) لهم ضلالةً لهم، فصار ذلك كأنّه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره في اتّباع الإمام».

وقال: «ثمّ إنهم افترقوا واختلّفوا، ولعن بعضهم بعضاً، واستحلّ بعضهم دماء بعض، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال، فأنتى يؤفكون؟!»^(٥).

أقول: وعلى هذا، فمعنى ما مرّ من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ

(١) سورة البقرة ٢: ٢٨٢.

(٢) سورة الضحى ٩٤: ٧.

(٣) سورة فصلت ٤١: ١٧.

(٤) أضفناها من البحار ٩٣: ١٤ - ١٥.

(٥) نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٥: ٤٨/٢٠٨، و٩٣: ١٣ - ١٥.

فَلَاهَادِي لَهُ وَيَدْرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ^(١): أَنْ مَنْ خَالَفَ اللَّهَ فِي اتِّبَاعِ
الإمام الحقّ الهادي إليه، وضلّ بذلك عن طريق الجنّة، فلا مخلص له عن
الباطل، ولم يزل في مخالفة الله عزّ وجلّ، فافهم، حتّى تعلم أنّ مآل تحقيق
الحال في معنى الإضلال، وكذا ما يفيد مفاده إلى منع التوفيق الذي هو
الخذلان؛ إذ كما في الحديث: «لا حول لنا عن معصية الله إلّا بعون الله،
ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بتوفيق الله»^(٢)، كما هو معنى الحقولة.

ولا شكّ أيضاً: أنّ الله تعالى رؤوف بعباده، ويريد لهم الخير
ويحثّهم عليه، حتّى يتوجّهوا إليه، فيعينهم حينئذٍ لطفاً منه بأنواع أسباب
التوفيق، ليفعلوا، فعلى هذا إذا لم يتوجّهوا إلى ما يريد، ولم يعزموا على
ما أحبّ، بل وطّئوا أنفسهم على خلاف ذلك، وهو لم يرد إجبارهم،
تركهم حينئذٍ وأنفسهم، وحرّمهم عن التوفيق والإعانة.

ومعلوم أنّ النفس أمّارة بالسوء فتوقعهم فيه، ويستحوذ عليهم حينئذٍ
الشیطان، فهذا هو الضلال، وكلّما داموا على هذا الحال زاد الضلال^(٣)
وقسى القلب، وبعثوا عن شمول التوفيق، واستحقّوا زيادة الخذلان إلى أن
التهبوا بالشهوات النفسانيّة، واندرجوا في مقام الاستدرج والتجاهر
بالمعاصي وهلمّ جرأً إلى حدّ عدم المبالاة بمخالفة الله بالكلّيّة، نعوذ بالله
من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

فتأمّل جدّاً، حتّى تعرف صريحاً أنّ نسبة الإضلال إليه سبحانه على
سبيل التجوّز والاتّساع، وأنّ هذا هو المراد به وبأمثاله ممّا هو من هذا

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٨٦ .

(٢) التوحيد للصدوق : ٣٢٤٢ / ٣ .

(٣) في «م» : زاده الضلالة .

القبيل، لا كما توهمه الجبرية^(١) والمشبهة^(٢)، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا هو «الأمر بين الأمرين»^(٣) الوارد عن أهل البيت المصطفين الأخيار، وأخبارهم كلها تنطبق على هذا، بل الآيات أيضاً تستقيم على هذا بأدنى معونة تلوح في كل موضع على المتأمل الصادق، فتأمل ولا تغفل عن عدم تنافي هذا [مع]^(٤) سائر ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام عن معنى الضلال في بعض الآيات، كما مرّ شيء من ذلك؛ لعدم لزوم الورد في جميع المواضع بمعنى واحد، وأهل البيت أدري بما في البيت.

نعم، مهما لم يصل إلينا معنى منهم حملناه على هذا لثلاً يشبهه على بعض الجهال فيقعوا في الضلال، ولأجل هذا أيضاً ذكرنا هاهنا هذا المرام وإن لم يكن مقام بسط هذا الكلام، فتفظن.

وفي الحديث أن الله عزّ وجلّ يقول: «لولا أن يجد عبدي المؤمن في

(١) المجبرة أو الجبرية: فرقة ظهرت أوائل الحكم الأموي منادية: أن الإنسان مجبور في جميع شؤونه، ولا حول ولا قوة ولا اختيار، ولا قدرة له مؤثرة ولا كاسية، وكلّ ما يصدر منه بمشيئة البارئ تعالى وإرادته، حاله حال الماء الجاري على وجه الأرض.

انظر: كتاب الردّ على المجبرة للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد): ٣٠٣، التمهيد لقواعد التوحيد للماتريدي: ١٢٨/٩٧، كشاف اصطلاحات الفنون ٥٥١: ١ وهامشه.

(٢) المشبهة أو الحلوية: فرقة شبهوا البارئ عزّ وجلّ بالمخلوقات، ومثّلوه بالحداد على اختلاف في الطريقة، منهم مشبهة الحشوية والكرامية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

انظر: العدل والتوحيد للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد): ٢٦٠، أصول الدين للبغدادي: ٣٣٧، التبصير في الدين: ١١٩، كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٥٤٥. (٣) التوحيد للصدوق ٨/٣٦٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧/١٢٤، الاحتجاج ٢: ٣٠٤/٣٩٧.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

نفسه لعصبت الكافر بعصابة من ذهب»^(١).

أقول : وهذا معنى ما مرّ من قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٢) الآية ، فإن معناه : ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم ، لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا ... إلى آخره .

وفي الخبر عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام : «لم يكن من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ، ولا كافر إلا غنياً ، حتى جاء إبراهيم عليه السلام ، فقال : ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣) ، فصير الله تعالى في هؤلاء أموالاً وحاجة ، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة»^(٤).

وفيه : أن عمر بن الخطاب قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مشربة أم إبراهيم^(٥) ، وأنه لمضطجع على خصفة^(٦) وإن بعضه على التراب ، وتحت

(١) علل الشرائع : ٧٤/٦٠٤ باب ٣٨٥ نادر العلل .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٣٣ .

(٣) سورة الممتحنة ٦٠ : ٥ .

(٤) الكافي ٢ : ١٠/٢٠٢ (باب فضل فقراء المسلمين) ، بحار الأنوار ٧٢ : ١٢/١٢ .

(٥) المشربة : بفتح الميم وفتح الراء وضمها : الغرفة ، ومنه مشربة أم إبراهيم عليها السلام ، وإنما سميت بذلك لأن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولدته أمه فيها .

انظر : مجمع البحرين ٢ : ٨٩ .

وأم إبراهيم هي مارية القبطية مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأم ولده إبراهيم ، أهداها وأختها سيرين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيرين لحسان بن ثابت .

توفيت سنة ١٦ هـ في خلافة عمر .

انظر : الاستيعاب ٤ : ٤٠٩١/١٩١٢ ، أسد الغابة ٦ : ٧٢٦٨/٢٦١ .

(٦) الخصفة - محرّكة - الجلّة تُعمل من الخوص للتمر ، والثوب الغليظ جداً .

انظر : القاموس المحيط ٣ : ١٨٠ ، والنهاية ٢ : ٣٧ - خصف - .

رأسه وسادة محشوة ليفاً، فسلمت عليه، ثم جلست، فقلت: يا رسول الله، أنت نبيُّ الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على سرير الذهب وفرش الديباج والحريز، فقال: «أولئك قوم عجّلت طبيّاتهم، وهي وشيكة»^(١) الانقطاع، وإنا أخرت لنا طبيّاتنا»^(٢).

وفيه: أن النبيَّ ﷺ دعاه رجل إلى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت فوقعت البيضة على وتدٍ في حائط، فثبتت عليه ولم تسقط، ولم تنكسر، فتعجب النبيُّ ﷺ منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحق، ما رزئت شيئاً قطّ، فنهض النبيُّ ﷺ ولم يأكل من طعامه شيئاً وقال: «من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة»^(٣).

وفي صحيح البخاري ومسلم، وصحيح الترمذي وابن ماجه: عن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ قال: «إن الله تعالى ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته»^(٤).

وفي بعض خطب عليِّ عليه السلام: «أيها الناس، إن الله تعالى لم يقصم جبّاري دهر إلا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الأمم إلا بعد أزل وبلاء»^(٥).

«فقد أمهل شداد بن عاد، وثمود بن غبود، وبلعم بن باعوراء،

(١) وَشُكَّ، يوشك وشكاً: أي أسرع فهو وشيك، أي: سريع.

انظر: مجمع البحرين ٥: ٢٩٧ - وشك -

(٢) مجمع البيان ٥: ٨٨، بحار الأنوار ٦٦: ٣٢٠.

(٣) الكافي ٢: ٢٠/١٩٨ (باب شدة ابتلاء المؤمن)، بحار الأنوار ٢٢: ١٠٧/١٣٠.

(٤) صحيح البخاري ٦: ٩٤، صحيح مسلم ٤: ٢٥٨٣/١٩٩٧، سنن الترمذي ٥:

٢٨٨/٣١١٠، سنن ابن ماجه ٢: ٤٠١٨/١٣٣٢.

(٥) نهج البلاغة: ١٢١ الخطبة ٨٨.

وأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَأَمَدَّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَعْمَارِ ، وَأَتَتْهُمْ
الْأَرْضُ بِبَرَكَاتِهَا ، لِيَذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ ، وَلِيَعْرِفُوا الْإِهَابَةَ لَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَلِيَنْتَهُوا
عَنِ الْاِسْتِكْبَارِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْمَدَّةَ وَاسْتَمْتَمُوا الْأَكْلَةَ أَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
وَاصْطَلَمَهُمْ ^(١) فَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفَ ^(٢) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
أَحْرَقَتْهُ الظُّلْمَةُ ^(٣) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أودتْهُ الرَّجْفَةُ ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٤) ^(٥) .

وقال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام : «إِنَّ أُمَّتِي سَيَفْتَنُونَ بَعْدِي ، يَفْتَنُونَ
بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْتَنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحْلُونَ حَرَامَهُ
بِالشَّبَهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، فَيَسْتَحْلُونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسَّحْتِ بِالْهَدِيَةِ ، وَالرِّبَا
بِالْبَيْعِ» ^(٦) ، الخبر .

(١) الاصطلام : الاستئصال وإياداة القوم من أصلهم .

انظر : العين ٧ : ١٢٩ ، المحيط في اللغة ٨ : ١٥٢ ، لسان العرب ١٢ : ٣٤٠ ،
مادة - صلّم - .

(٢) في هامش «س» و«م» و«ن» نسخة بدل : (حصب) والْحَصْبُ : رميك بالحصباء ،
وهي صغار الحصى أو كبارها .

انظر : كتاب العين ٣ : ١٢٣ ، المحيط في اللغة ٢ : ٤٦٦ ، لسان العرب ١ :
٣١٩ ، مادة - حصب - .

(٣) في المصدر : الظُّلْمَةُ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلُمَةِ﴾ في سورة
الشعراء ٢٦ : ١٨٩ .

والظُّلْمَةُ : ما سترك من فوق ، والشَّيْءُ يَسْتَرُّ بِهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَالظُّلْمَةُ :
الصَّيْحَةُ . وَالظُّلْمَةُ : الغاشية .

انظر : كتاب العين ٨ : ١٤٩ ، المحيط في اللغة ١٠ : ٩ ، لسان العرب ١١ :
٤١٧ ، مادة - ظلل - .

(٤) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٠ .

(٥) الكافي ٨ : ١٨ - ٣٠ (خطبة الوسيلة) ، في ذيل الخطبة .

(٦) نهج البلاغة : ٢٢٠ الخطبة ١٥٦ .

وقد مرَّ ويأتي أيضاً قول النبي ﷺ لأصحابه: «إني أخاف عليكم من فتنة السراء أكثر مما أخاف من فتنة الضراء»^(١).

وقال بعض الصحابة: بلينا بفتنة الضراء فصبيرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر^(٢).

أقول: وسنذكر إن شاء الله تعالى - فيما سيأتي - نبذاً مما ورد في الحديث من التصريح بكون خصوص جماعة من هذه الأمة على هذا المنوال، وأنهم من الأشرار، كالتصريح بخصوص بني أمية، وبني العباس وأتباعهم وأمثال ذلك، لاسيما المعادين لآل محمد ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء»^(٣).

وفي خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام: «ياموسى، أبناء الدنيا فتن بعضهم لبعض، فكل مزين له ما هو فيه، والمؤمن (من)^(٤) زين له الآخرة، ياموسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً، فقل: ذنب عجّل عقوبته».

وقال: «ولا تغرنك الدنيا وزهرتها، ولا ترض بالظلم، فإني للظالم رصيد حتى أدبيل منه المظلوم، كيف يجد قوم لذّة العيش لولا التماذي في الغفلة، والاتّباع للشقوة، والتتابع للشهوة، ومن دون هذا يجزع

(١) الجامع الصغير ٢: ٧١٩٨/٣٩٨، مجمع الزوائد ١٠: ٢٤٥ - ٢٤٦، كنز العمال

٣: ٦٤٣١/٢٥٧، وفيها بتفاوت في بعض الألفاظ.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٢٤٦٤/٦٤٢ عن عبد الرحمن بن عوف بتفاوت.

(٣) مسند أحمد ١: ٢٠٨٧/٣٨٨، و٣٣٧٦/٥٩٣، و٥: ١٩٣٥١/٥٩٢، كنز العمال ١٦:

٤٥٠٣٥/٣٨٧ بتفاوت يسير فيهما.

(٤) أثبتناها من نسخة «ش».

الصدّيقون»^(١) .

وفي الحديث : «أَنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَرَّ بِسَاحِلِ فِإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَصْطَادُ حَيْتَانًا ، فَقَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَأَلْقَى الشَّبَكَةَ فَلَمْ يَخْرُجْ فِيهَا إِلَّا حَوْتٌ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ مَرَّ بِآخَرَ ، فَقَالَ : بِاسْمِ الشَّيْطَانِ ، وَأَلْقَى شَبَكْتَهُ فَخَرَجَ فِيهَا مِنَ الْحَيْتَانِ مَا كَانَ يَتَقَاعَسُ مِنْ كَثْرَتِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ : يَا رَبِّ ، مَا هَذَا ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ بِيَدِكَ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : اكشَفُوا لِعَبْدِي مِنْ مَنزِلَتِهِمَا ، فَلَمَّا رَأَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِهَذَا مِنَ الْكِرَامَةِ ، وَلِذَلِكَ مِنَ الْهَوَانِ ، فَقَالَ : رَضِيَتْ يَا رَبِّ ، الْأَمْرُ لَكَ وَعَزَّتْ قُدْرَتُكَ»^(٢) .

وفيه : «إِنَّ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُ مَا كُنْتَ ؟ فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَبْرِئِيلُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهَا ، وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهَا ، قَدْ يَجْمَعُهَا مِنْ لَا عَقْلَ لَهَا»^(٣) له ، فقال له جبرئيل : يَا مُحَمَّدُ ، ثَبَّتَكَ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»^(٤) . وكان عليّ عليه السلام يقول : «يا صفراء ، غُزِّي سِوَايَ ، وَيَا بَيْضَاءَ ، غُزِّي غَيْرِي»^(٥) .

ويقول : «يَادُنْيَا ، غُزِّي غَيْرِي ، فَإِنِّي قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا»^(٦) .

(١) الكافي ٨ : ٤٧ - ١٨/٤٨ قطعة من الحديث ، تحف العقول : ٤٩٤ - ٤٩٦ ، أعلام الدين : ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) انظر : المؤمن : ١٩/١٤ ، أعلام الدين : ٤٣٣ ، بحار الأنوار ١٣ : ٣٤٩ - ٣٨٠/٣٥٠ ، وفيها بتفاوت .

(٣) في «م» : مال .

(٤) الشفا للقاضي عياض ١ : ٢٨٠ بتفاوت .

(٥) كشف الغمّة ١ : ١٦٥ بتفاوت يسير ، بحار الأنوار ٤٠ : ٣٣٣ .

(٦) نهج البلاغة : ٤٨٠ / ٧٧ (قصار الحكم) .

وكان يقول: «إنّ دنياكم هذه لأهون عندي من عفتة عنز»^(١).
وقد روي: أنّ الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه «احذر أن أمقتك
فتسقط من عيني، فأصبّ عليك من الدنيا صبّاً»^(٢).

وفي كلام الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ ليلة المعراج: «يا أحمد،
لا تتزيّن بلبين اللباس، وطيب الطعام، وليّن الوطاء، فإنّ النفس مأوى كلّ
شرّ، وهي رفيق كلّ سوء، تجرّها أنت إلى طاعة الله، وتجرّك إلى معصيته،
وتخالفك في طاعته، وتطيعك فيما يكره، وتطغى إذا شبت، وتتكبر إذا
استغنت، وتنسى إذا كبرت، وتغفل إذا أمنت، وهي قرينة الشيطان.

يا أحمد، أبغض الدنيا وأهلها، وأحبّ الآخرة وأهلها».

فقال النبيّ ﷺ: «ياربّ، ومن أهل الدنيا؟ ومن أهل الآخرة؟».

قال: «أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا،
قليل التفكّه، قليل الخوف، كثير الكلام، لا يعتذر إلى من أساء إليه،
ولا يقبل عذر من اعتذر إليه، كسلان عند الطاعة، شجاع عند المعصية، إنّ
أهل الدنيا يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون، ويدّعون بما ليس لهم»^(٣)،
الخبر.

وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه،
فقال: «أما ما في ضروعها فصبح»^(٤) الحيّ، وأما ما في آئتنا فغبوقهم»^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٥٠ الخطبة ٣، بتفاوت.

(٢) فيض القدير ١: ٨٣.

(٣) إرشاد القلوب ١: ٣٧٥ (الباب ٥٥ في معراج النبيّ ﷺ)، بحار الأنوار ٧٧: ٢٣،
الجواهر السنّية: ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) الصبح بالفتح: الشرب بالغةة.

انظر: مجمع البحرين ٢: ٣٨٢، الصحاح ١: ٣٨٠، مادة - صبح - .

فقال رسول الله ﷺ : «اللهم أكثر ماله وولده» .

ثم مَرَّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه، فحلب ما في ضروعها وأكفى ما في إنائه في إناء رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك؟

فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ارزقه الكفاف» .

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، دعوت للذي ردك بدعاءٍ عامتنا نحبّه، ودعوت للذي أسعفك^(١) بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه؟

فقال رسول الله ﷺ : «ما قل وكفى خير مما كثر وألهي، اللهم ارزق محمداً وآل محمداً والكفاف»^(٢) .

وفيه: أن النبي ﷺ قال: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»^(٣) .

وقال ﷺ : «إن الله خلق النار فقال لجبرئيل: اذهب انظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفظها بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إليها، فنظر فقال: وعزتك، خشيت أن لا يبقى أحد إلا يدخلها، وخلق الجنة فقال لجبرئيل: اذهب فانظر إليها، فقال: فبعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفظها بالمكاره، ثم قال:

(٥) الغبوق: الشرب بالعشي .

انظر: مجمع البحرين ٥: ٢٢١، الصحاح ٤: ١٥٣٥، مادة - غبق - .
(١) الإسعاف: الإعانة وقضاء الحاجة .

انظر: مجمع البحرين ٥: ٧٠، والصحاح ٤: ١٣٧٤ - سف - .

(٢) الكافي ٢: ٤/١١٣، (باب الكفاف)، بحار الأنوار ٧٢: ٤/٦١ بتفاوت يسير .

(٣) مسند أحمد ٣: ٨٧٢١/٧٩، و١٢١٤٩/٦٢٥، و٤: ١٣٢٥٩/١٤٨ .

و١٣٦١٦/٢٠٠، صحيح مسلم ٤: ٢٨٢٢/٢١٧٤، سنن الترمذي ٤: ٢٥٥٩/٦٩٣ .

جامع الأصول ١٠: ٨٠٧٠/٥٢١، كنز العمال ٣: ٦٨٠٥/٣٣٢ .

اذهب فانظر إليها، فنظر فقال: وعزّتك، خشيت أن لا يدخلها أحد»^(١).
وفي كلام لعليّ بن الحسين عليه السلام: «أيّها المؤمنون، لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها»^(٢)، الخبر.

وقال الصادق عليه السلام في حديث له في أئمة الضلالة: «قضى الله أن يكون لهم دول في الدنيا على أولياء الله - الأئمة من آل محمد عليهم السلام - يعملون في دولتهم بمعصية الله ومعصية رسوله؛ ليحقّ عليهم كلمة العذاب، وليتمّ أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل من الكفر الذي سبق في علمه أن يخلقهم له في أصل الخلق، ومن الذين سمّاهم الله في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(٣).

ثمّ قال: «تدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه، فإنّ من جهل هذا وأشباهه ممّا افترض الله عليه في كتابه ممّا أمر به ونهى عنه، ترك دين الله وركب معاصيه، فاستوجب سخط الله، فأكبّه الله على وجهه في النار»^(٤) الخبر.
وفي الحديث: «لو أنّ الوضيع^(٥) في قعر بئر لبعث الله تعالى إليه

(١) مسند أحمد ٢: ٦٣٦/٨١٩٤، سنن النسائي ٧: ٣ - ٤، كنز العمال ١٤: ٣٩٥٦٣/٥٤٥، بتفاوت فيها.

(٢) الكافي ٨: ٢/١٤، الأمالي للمفيد: ٢٠٠ (المجلس الثالث والعشرون)، تحف العقول: ٢٥٢، بحار الأنوار ٧٨: ١١/١٤٨.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٤١.

(٤) الكافي ٨: ١/٢ (رسالة أبي عبد الله عليه السلام إلى جماعة الشيعة)، آخر الرسالة، بحار الأنوار ٧٨: ١٠/٢٢٣.

(٥) الوضيع: الذي يفتن الناس.

ريحاً ترفعه فوق الأخيار في دولة الأشرار» (١).

وروى الطبراني عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها» (٢).

وفيه أيضاً عنه ﷺ قال: «قوام أمّتي بشرارها» (٣).

أقول: الأخبار فيما نحن فيه كثيرة ويأتي بعضها أيضاً، وكفى ما ذكرناه، بل كفى ما رأيناه وسمعناه: من أطراد تسلط أهل الباطل والجائرين في كل زمان كفراعنة الأزمنة السابقة المذكورة في القرآن، وكسلاطين بني أمية وبني العباس، والذين من بعدهم في كل أوان بحيث يعلم كل أحد أن إنكار ذلك ظاهر البطلان، بل محض الجهل والطغيان، والله الهادي.

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٥٧٦٢/٣٦٢ ، (باب النوادر، وصايا النبي ﷺ لعليّ عليه السلام)،
مكارم الأخلاق ٢ : ٥٧٦٢/٣٢٦ ، بحار الأنوار ٧٧ : ٣/٥٣ ، وفيها قطعة من الحديث ،
وفي الأخيرين: المتواضع بدل الوضيع .

(٢) المعجم الأوسط ٨ : ٧٧٥٤/٢٤ .

(٣) المعجم الأوسط ١ : ٧٥٩/٣١٢ ، و ٨ : ٧٩٨٨/١٠٩ .

الفصل الثاني

في بيان اقتضاء الحكمة ابتلاء أولياء الله في الدنيا وأهل طاعته - المتمسكين بالحق واليقين - بالمصائب، والمتاعب، والخوف، والأذى من الجهال وأعداء الدين، وكونهم في أغلب الأوقات مقهورين، وبين الناس في أكثر الحالات مستضعفين، لاسيما الأنبياء والأوصياء والصالحين؛ بحيث كلما زادت رتبة شخص في العقبي زاد بلاءً وعناءً في الدنيا، وفيه ذكر نبذ من مناقب هؤلاء وعظيم أجرهم وقربهم عند الله عز وجل.

اعلم أنه قد تبين السر في ذلك والحكمة فيه مما ذكرناه في ابتداء ماز من الفصل السابق عليه، فلا حاجة إلى الإعادة مع وضوح استلزام ما مر في ذلك الفصل من غلبة أهل الباطل، وتوجه الدنيا إليهم، وعكس ذلك بالنسبة إلى أهل الحق، فافهم.

ولنذكر هاهنا بعض الآيات والروايات الواردة فيه:

قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١).

وقال: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصِرُوا وَتَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١).

وقال: ﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي
سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (٥) الآية.

وقال سبحانه خطاباً للكفار: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٦).

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (٧)، الآية.

وقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ (٨).

وقال حكاية عن قول الأنبياء لمن خالفهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ
مَا آذَيْتُمُونَا﴾ (٩)، الآية.

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٨٦ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٥ .

(٣) سورة محمد ٤٧ : ٣١ .

(٤) سورة محمد ٤٧ : ٤ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٩٥ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٨٧ .

(٧) سورة إبراهيم ١٤ : ١٣ .

(٨) سورة التوبة ٩ : ٥١ .

(٩) سورة إبراهيم ١٤ : ١٢ .

وقال في حكاية نوح عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١).

وفي حكاية أيوب عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٢).

وقال تعالى في حكاية قوم شعيب: ﴿قَالُوا يُشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَتَقَوْمِ ارْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (٣)، الآية.

وقال تعالى في حكاية بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ (٤)، الآية.

وقال فيهم أيضاً: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ (٥)، الآية.

وفيهم أيضاً: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (٦)، الآية.

وفي حكاية هارون عليه السلام: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ (٧)، الآية.

(١) سورة الصافات ٣٧ : ٧٦ .

(٢) سورة ص ٣٨ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) سورة هود ١١ : ٩١ - ٩٢ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٢٩ .

(٥) سورة يونس ١٠ : ٨٣ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٤٩ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ١٥٠ .

وفي حكاية موسى ﷺ لقومه: ﴿يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (١).

وفيه أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢).

وقال: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ (٣)،
الآية .

وقال: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ (٤)، الآية .

وقال: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - إلى قوله
تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٥).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ، الآية - إلى
قوله -: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٦)، الآية .

وقال: ﴿وَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ﴾ (٧).

وقد مرّت آيات مؤيّدات وتأتي أيضاً، لاسيّما في الفصل الرابع، مع
أنّ جميعها قليل من كثير ما ذكره الله تعالى .

ففي الحديث المستفيض: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (٨).

(١) سورة الصف ٦١ : ٥ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٢٥ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦٩ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ٣٣ .

(٥) سورة المائدة ٥ : ٦٧ .

(٦) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٧ - ٥٨ .

(٧) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٨ .

(٨) من لا يحضره الفقيه ٤: ٧١٥/٣٦٣، الأمالي للطوسي: ٥٥/٥١٧، تحف العقول: ٥٣،

وفي الحديث أيضاً: «إِنَّ الله تعالى يَخْصُّ أوليائه بالمصائب؛ ليأجرهم عليها من غير ذنب»^(١).

وسئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى في حكاية الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢) الآية، فقال: «لا يسلط الشيطان من المؤمن على دينه، ولكن قد يسلط منه على بدنه، وقد سلط على أيوب عليه السلام فشوّ خلقه»^(٣).

أقول: لعل المراد من المؤمن فيه: الكامل الموقن، كالأنبياء، والأوصياء، والراسخين في الدين، ويحتمل شموله كل مؤمن بصميم قلبه. وعلى هذا إذا صدر من مدعي الإيمان ما يدل على خلافه، فهو قرينة عدم اتصافه ابتداءً بالإيمان من صميم القلب وإن لم يستشعر هو به أيضاً.

وهذا هو أيضاً معنى ما ورد من قوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الله تعالى يبتلي المؤمن بكلّ بليّة، ولا يبتليه بذهاب عقله» إلى أن قال: «أما ترى أيوب كيف سلط إبليس على ماله، وعلى ولده، وعلى كلّ شيء منه ولم يسلط على عقله، تُرك له ليوحّد الله به»^(٤) إذ دلالاته لائحة على أن الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن؛ ولهذا يُرى بعض من يذهب كمال عقله من المؤمنين بحيث يُعدّ من المجانين ثابتاً على ما هو من لوازم الإيمان، فافهم.

﴿التمحيص: ٧٦/٤٨، دعائم الإسلام ١: ٤٧، المجازات النبوية: ٣٥/٧١، مسند أحمد ٣: ٨٨١٢/٩٥، صحيح مسلم ٤: ٢٩٥٦/٢٢٧٢، سنن الترمذي ٤: ٢٣٢٤/٥٦٢. (١) الكافي ٢: ٣/٢٣٦ (باب نادر أيضاً)، وسائل الشيعة ١٦: ٢١٠٥١/٨٥. (٢) سورة النحل ١٦: ٩٩.

(٣) الكافي ٨: ٤٣٣/٢٨٨، تفسير العياشي ٣: ٢٤٢٥/٢٢، بتفاوت يسير.

(٤) الكافي ٢: ٢٢/١٩٩ (باب شدّة ابتلاء المؤمن)، مستدرک الوسائل ٢: ١٦٥٦/١٤٥، وفيهما عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي أخبار آل محمد صلوات الله عليهم - الأئمة عليهم السلام - التي ذكرها مخالفوهم أيضاً - أكثرها - كما سنشير إلى بعض منها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أخذ الله ميثاق المؤمن على أن لا تُصدّق مقالته ولا ينتصف من عدوّه» (١).

وقال ﷺ: «إن الله جعل وليّه في الدنيا غرضاً لعدوّه» (٢).

وقال ﷺ: «ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث، ولربّما اجتمعت

الثلاث عليه: إمّا بغض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه، ولو أنّ مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل الله له من إيمانه أنساً لا يستوحش معه إلى أحد» (٣).

وقد روى الطبراني، والبيهقي، وغيرهما عن أنس، عنه ﷺ هكذا:

«لو كان المؤمن في جحر ضبّ لقيض الله [له فيه] (٤) من يؤذيه» (٥).

وقال ﷺ: «إنّ أهل الحقّ لم يزالوا منذ كانوا في شدّة، أما إنّ ذلك

إلى مدّة قليلة، وعافية طويلة» (٦).

(١) الكافي ٢: ١/١٩٤، (باب ما أخذه الله على المؤمن من الصبر...)، المؤمن:

٣٨/٢٥ بتفاوت يسير، وفيهما عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٢) الكافي ٢: ٥/١٩٥، (باب ما أخذه الله على المؤمن من الصبر...)، المؤمن:

١٧/٢٠ بتقديم وتأخير، وفيهما عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٣) الكافي ٢: ٣/١٩٤، (باب ما أخذه الله على المؤمن من الصبر...)، التمحيص:

٢٨/٣٥، وفيهما عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٤) ما بين المعرفين من المصدر.

(٥) المعجم الأوسط ٩: ٩٢٨٢/٢١٠، شعب الإيمان ٧: ٩٧٩١/١٤٦، كشف الأستار

٤: ٣٣٥٩/١٢٦: ١: ٧١٧/١٤٦.

(٦) الكافي ٢: ١٦/١٩٨، (باب شدّة ابتلاء المؤمن)، الغيبة للنعمان: ٤/٢٨٥،

المؤمن: ١٦/٢٠، تنبيه الخواطر ٢: ٢٠٤، بحار الأنوار ٥٢: ١٢٥/٣٥٨، وفيها

عن أبي عبدالله عليه السلام.

وشكى رجل حاله إلى الصادق عليه السلام ، فقال له : «اصبر» .

ثم قال له : «أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو» فقال : أصلحك الله ، ضيق متن وأهله بأسوأ حال . قال : «فإنما أنت في السجن فتريد أن تكون في سعة ، أما علمت أن الدنيا (سجن المؤمن)»^(١) «^(٢) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما من مؤمن إلا وقد وكل الله به أربعة : شيطاناً يغويه ويريد أن يضلّه ، وكافراً يفتاله»^(٣) ، ومؤمناً يحسده ، ومنافقاً يتتبع عثرته»^(٤) .

وعنه عليه السلام قال : قال صلى الله عليه وآله : «إن أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الأمثل فالأمثل»^(٥) .

ورواه الطبراني عن فاطمة^(٦) ، عنه صلى الله عليه وآله هكذا : «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثمّ الصالحون»^(٧) .

وقال صلى الله عليه وآله : «أشدّ الناس بلاءً في الدنيا النبيون ، ثمّ الأمثل فالأمثل ، ويبتلى المؤمن بَعْدَ على قدر إيمانه وحسن أعماله ، فمن صحّ إيمانه

(١) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٢) الكافي ٢ : ٦/١٩٥ ، (باب ما أخذَه الله على المؤمن من الصبر...) ، المؤمن : ٤٣/٢٦ ، التمهيص : ٧٧/٤٨ ، مشكاة الأنوار ٢ : ١٥٨٣/٢٠١ .

(٣) في «ن» و«س» : يقاتله ، وفي حاشيتهما «يفتاله» ، وفي «ش» نسخة بدل : «يقاتله» .

(٤) الكافي ٢ : ٩/١٩٥ ، (باب ما أخذَه الله على المؤمن من الصبر...) ، بحار الأنوار ٦٨ : ١٢/٢٢١ وفيهما عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٥) الكافي ٢ : ١/١٩٦ ، (باب شدّة ابتلاء المؤمن) ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٦) هي خولة بنت اليمان أخت حذيفة ، وهي من راويات الحديث ، روى عنها أبو سلمة بن عبد الرحمن .

انظر : الاستيعاب ٤ : ٣٣٢٧/١٨٣٤ ، أسد الغابة ٦ : ٦٨٩٢/٩٩ .

(٧) المعجم الكبير ٢٤ : ٦٢٩/٢٤٥ .

وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سَخَفَ إيمانه وضعف عمله قَلَّ بلاؤه»^(١).

وقد روى مثله الترمذي، والنسائي، وابن ماجه في صحاحهم، وقال الترمذي: إنّه حديث حسن صحيح. ورواه ابن حبان وصحّحه أيضاً، وكذا رواه جماعة آخرون، منهم مالك في موطأه^(٢).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَظِيمَ الْأَجْرِ لَمَعَ عَظِيمُ الْبَلَاءِ، وَمَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا إِلَّا ابْتَلَاهُمْ»^(٣).

وفي كتاب المختارة: عن أنس عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ».

ورواه الطبراني، والبيهقي أيضاً^(٤).

وفي صحيح أبي داود، وتاريخ البخاري، وكتاب ابن سعد: عن محمد بن خالد السلمي^(٥)، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنْ اللَّهِ مَنزَلَةٌ لَمْ يَنْلِهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، وَأَهْلِهِ،

(١) الكافي ٢: ٢/١٩٦، (باب شدّة ابتلاء المؤمن)، التمهيص: ٣٩/٣٩، تحف العقول: ٣٩، مشكاة الأنوار ٢: ١٧٣٤/٢٥٥.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٢٣٩٨/٦٠١، سنن ابن ماجه ٢: ٤٠٢٣/١٣٣٤، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤: ٢٩٠٩/٢٥٣، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٧٢، كنز العمال ٣: ٦٧٧٨/٣٢٦، ولم نعثر عليه في سنن النسائي والموطأ.

(٣) الكافي ٢: ٣/١٩٦، (باب شدّة ابتلاء المؤمن)، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَام، التمهيص: ٦/٣١، المؤمن: ٣٦/٢٤، مشكاة الأنوار ٢: ١٧٣٠/٢٥٤.

(٤) المعجم الأوسط ٣: ٣٢٤٠/٤٣٥، كنز العمال ٣: ٦٧٧٦/٣٢٥، شعب الإيمان ٧: ٩٧٨٢/١٤٤، الأحاديث المختارة ٦: ٢٣٥٠/٣٢٨، و٢٣٥١.

(٥) هو محمد بن خالد السلمي: وروى عن أبيه، روى عنه أبو المليح الرقي، ولم يترجم بأكثر من هذا.

انظر: تهذيب الكمال ٢٥: ٥١٨٣/١٥٢، ميزان الاعتدال ٣: ٧٤٦٨/٥٣٣، تهذيب التهذيب ٩: ٢٠٤/١٢٧.

وماله ، ثم صَبْرَهُ على ذلك حتى ينال تلك المنزلة»^(١) .

وفي صحيح الترمذي ، ومسند أحمد وغيرهما : عن ابن النعمان^(٢) ، عن النبي ﷺ قال : «إذا أحبَّ الله عبداً حماه الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمته»^(٣) . وقال الصادق عليه السلام : «إنَّ لله عزَّ وجلَّ عبادةً في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم ، ولا بليَّة إلا صرفها إليهم»^(٤) .

وعنه عليه السلام عن جدِّه أنَّه قال ﷺ : «إنَّما المؤمن بمنزلة كَفَّة الميزان ، كلُّما زيد في إيمانه زيد في بلائه»^(٥) .

وقال عليه السلام : «إنَّما المؤمن يتلى بكلِّ بليَّة ، ويموت بكلِّ ميتة ، إلا أنَّه لا يقتل نفسه»^(٦) .

(١) سنن أبي داود ٣ : ٣٠٩٠/١٨٣ ، الطبقات الكبرى ٧ : ٤٧٧ ، ولم نعثر عليه في تاريخ البخاري ، وحكاها عنه المتقي الهندي في كنز العمال ٣ : ٦٦٨٣/٣٠٧ .

(٢) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري ، يكتى أبا عمرو ، وقيل : أبا عبدالله ، شهد العقبة وبدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وكان من فضلاء الأنصار ، ومن أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمته ، وأصيب عينه يوم بدر ، وقيل : يوم أحد ، فردَّها رسول الله ﷺ . مات سنة ٢٣ هـ .

انظر: تنقيح المقال ٢ : ٩٦٢٦/٢٧ من أبواب القاف ، الاستيعاب ٣ : ٢١٠٧/١٢٧٤ ، أسد الغابة ٤ : ٤٢٧١/٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٦/٣٣١ .

(٣) سنن الترمذي ٤ : ٢٠٣٦/٣٨١ ، المستدرک للحاكم ٤ : ٢٠٧ ، شعب الإيمان ٧ : ١٠٤٤٨/٣٢١ ، أسد الغابة ٤ : ٩١ ، ولم نعثر عليه في مسند أحمد بن حنبل .

(٤) الكافي ٢ : ٥/١٩٦ ، (باب شدَّة ابتلاء المؤمن) ، تنبيه الخواطر ٢ : ٢٠٤ .

(٥) الكافي ٢ : ١٠/١٩٧ ، (باب شدَّة ابتلاء المؤمن) ، مشكاة الأنوار ٢ : ١٠/١٧٣٥ ، بحار الأنوار ٦٧ : ١٣/٢١٠ ، وفيها عن أبي عبدالله عليه السلام .

(٦) الكافي ٢ : ١٢/١٩٧ ، (باب شدَّة ابتلاء المؤمن) ، تنبيه الخواطر ٢ : ٢٠٤ ، بحار الأنوار ٦٧ : ٤/٢٠١ ، وفيها عن أبي جعفر عليه السلام .

وقال ﷺ : «لو يعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب، لتمنى أن يقرض بالمقاريض»^(١).

وقال ﷺ : «إن الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»^(٢).

وقد روى مثله البيهقي وابن عساكر عن حذيفه، عنه ﷺ ، (وكذا روى نحوه - لاسيما الخبر الأخير - الترمذي في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وابن حنبل في مسنده عن الخدري، عنه ﷺ (٣). قال ﷺ (٤): «لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا، ولكنه آمنه من العمى فيها والشقاء في الآخرة»^(٥).

وقال ﷺ : «لولا إلهاح المؤمنين على الله لتقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيقت منها»^(٦).

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل في حكاية مؤمن آل فرعون: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا﴾^(٧)، فقال: «أما لقد سطوا عليه فقتلوه،

(١) الكافي ٢ : ١٥/١٩٨ ، (باب شدة ابتلاء المؤمن) ، المؤمن : ٣/١٥ ، التمهيص : ١٣/٣٢ ، تنبيه الخواطر ٢ : ٢٠٤ ، مسكن الفؤاد : ١١٤ .

(٢) الكافي ٢ : ١٧/١٩٨ ، (باب شدة ابتلاء المؤمن) ، المؤمن : ٢١/٢١ ، تنبيه الخواطر ٢ : ٢٠٤ ، مشكاة الأنوار ٢ : ١٦٨٩/٢٤٠ ، مسكن الفؤاد : ١١٥ ، وفيها عن أبي جعفر عليه السلام .

(٣) المستدرک للحاكم ٤ : ٢٠٨ ، مسند أحمد ٦ : ٢٣١١٦/٥٩٥ ، شعب الإيمان ٧ : ١٠٤٥٢/٣٢٢ ، تاريخ مدينة دمشق ١٢ : ٢٨٨ ، ولم نثر عليه في سنن الترمذي .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

(٥) الكافي ٢ : ١٨/١٩٨ ، (باب شدة ابتلاء المؤمن) ، تنبيه الخواطر ٢ : ٢٠٤ ، بحار الأنوار ٦٧ : ٢٠/٢١٣ .

(٦) الكافي ٢ : ٥/٢٠١ ، (باب فضل فقراء المسلمين) ، التمهيص : ٨٣/٤٩ ، وفيه باختلاف ، مشكاة الأنوار ٢ : ١٦٤٢/٢٢٥ .

(٧) سورة غافر ٤٠ : ٤٥ .

ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه»^(١).

وقال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الغمّ والهَمّ بالمؤمن حتّى ما يدع له من ذنب»^(٢).

وقال: «إنّ للحقّ دولةً وللباطل دولةً وكلّ واحد منهما في دولة صاحبه دليل، وإنّ أدنى ما يصيب المؤمن في دولة الباطل العقوق من ولده، والجفاء من إخوانه، وما من مؤمن يصيب شيئاً من الرفاهية في دولة الباطل إلّا ابتلى قبل موته، إمّا في بدنه، أو ولده، أو ماله حتّى يخلّصه الله ممّا اكتسب في دولة الباطل، ويوفّر حظّه في دولة الحقّ، فاصبروا وابشروا»^(٣).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتّى أستوفي منه كلّ خطيئة عملها، إمّا بسقم في جسده، وإمّا بضيق في رزقه، وإمّا بخوف في دنياه»^(٤)، الخبر.

وفي كتاب ابن عسّاكر: عن أنس قال: قال النبيّ ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذلّ من شاتيه»^(٥).

وفي صحيح الترمذي وابن ماجّة، ومسنّد ابن حنبل، وكتاب ابن حبان: عن أنس، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لقد أوديت في الله وما يؤذّي

(١) المحاسن ١: ٧١٦/٣٤٥، الكافي ٢: ١/١٧١، (باب سلامة الدين)، بحار الأنوار ٦٨: ١/٢١١، الباب ٢٣.

(٢) الكافي ٢: ٧/٣٢٣ و٩، (باب تعجيل عقوبة الذنب) باختلاف يسير.

(٣) الكافي ٢: ١٢/٣٢٤، (باب تعجيل عقوبة الذنب) باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٤) الكافي ٢: ٣/٣٢٢، (باب تعجيل عقوبة الذنب)، إرشاد القلوب ١: ٣٤٣ - ٣٤٤.

(الباب الثاني والخمسون)، مشكاة الأنوار ١: ٨٢٤/٣٥١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٥٤: ٤١٤ عن عليّ بن أبي طالب، وحكاه عنه السيوطي في جامع

الأحاديث ٩: ٢٧٤٢٠/١٠٣.

أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد»^(١) ، الخبر .

وفي كتاب الديلمي : عن أنس قال : قال النبي ﷺ : «إِنَّ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا رَبِّ ، اجْعَلْنِي مِمَّنْ لَا يَقَعُ النَّاسُ فِيهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا يَحْيَى ، هَذَا شَيْءٌ لَمْ أَسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي كَيْفَ أَفْعَلُهُ بِكَ ؟ اقْرَأْ فِي الْمَحْكَمِ ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢) ، وقالوا : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٣) »^(٤) ، الخبر .

وفي كتاب البيهقي : عن أبي قتادة ، عن النبي ﷺ قال : «أنزل الله جبرئيل عليه السلام في أحسن صورة ، فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : أُوْحِيَتْ إِلَى الدُّنْيَا أَنْ تَمْرُرِي وَتَكْدِرِي وَتَضِيْقِي وَتَشْدَدِي عَلَى أَوْلِيَائِي ، كَيْ يَحْبُوا لِقَائِي ، فَإِنِّي خَلَقْتُهَا سَجْنًا لِأَوْلِيَائِي ، وَجَنَّةً لِأَعْدَائِي»^(٥) .

وستأتي أخبار عن النبي ﷺ أنه قال : إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قِتْلًا ، وَبَلَاءً ، وَتَشْدِيدًا ، وَتَشْرِيدًا ، وَتَطْرِيدًا ، وَاللَّهُ أَخْبَرَ بِشَهَادَةِ عَلِيٍّ وَالحَسَنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَالْأَذَى الَّذِي يَلْحَقُهُمْ وَيَلْحَقُ أَصْحَابَهُمْ - بِلِ خُصُوصِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَيْضًا - مِنْ شَرَارِ الْأُمَّةِ ، كَمَا صَدَرَ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ أُمَّتِهِ .

ولقد كفى ما ذكرناه هاهنا ، وإلا فالأخبار من هذا القبيل لا تحصى ، وقد مرَّ شيء منها ، ويأتي أيضاً ما ليس بقليل ، لاسيما في الفصل الرابع الآتي ، فلا تغفل .

(١) سنن الترمذي ٤ : ٢٤٧٢/٦٤٥ ، سنن ابن ماجه ١ : ١٥١/٥٤ ، مسند أحمد ٣ : ٦٥٢٦/١٨٢ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٣٠ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٦٤ .

(٤) لم نعثر عليه في فردوس الأخبار ، وحكاه عنه علاء الدين الهندي في كنز العمال ١١ : ٣٢٤٤٠/٥٢٣ .

(٥) شعب الإيمان ٧ : ٩٨٠٠/١٤٩ .

الفصل الثالث

في بيان قلة أهل الحق والخير، وأصحاب الإيمان واليقين ، وكثرة أهل الجهالة والبطالة المائلين إلى خلاف ما عليه أهل الدين ، وكون عامة الناس مع الدنيا وأهلها كيف ما قالت وأينما مالت ، بحيث يتوهم الجاهل أن ذلك هو الحق المتين^(١) ، بل يعدّ أهل الدين من الجاهلين ، مع توضيح كون أصل الكثرة واجتماع العامة من علائم البطالة والضلالة ، كما أن عكسه علامة الحقيقة والهداية .

اعلم ، أنه بعد ما بيّناه سابقاً من ميل الطبائع إلى زخارف الدنيا ومتابعة الهوى وأمثال ذلك ممّا مرّ في البابين الأولين ، لا تبقى شبهة في صحّة ما ذكرناه هاهنا ، مع كونه معلوماً في نفسه ، محسوساً في جميع أوقاته ، كما ينادي بذلك ما ثبت نقله من أحوال كلّ نبيّ وأهل عصره وملوك وقته ، بل إن هذا أمر مطّرد من زمان آدم إلى عصر الخاتم وهلمّ جزءاً ، بحيث صار من علائم الفرق بين الحقّ والباطل .

وكفى في هذا حكاية اتّفاق عامة قوم موسى عليه السلام على متابعة السامريّ ومناقضة هارون في مثل عبادة العجل ، وترجيحها على عبادة الله عزّ وجلّ ، مع أن كلّ مدّة تخلّف موسى عنهم لم تكن إلا عشرة أيام ، وغيبته

(١) في «ن» : المبين .

غير أربعين يوماً، من أراد الاطلاع على تفاصيل هذه الحالات من أهل كل زمان فعليه بمطالعة التفاسير المبسطة والتواريخ المعتبرة، ونحن لا نظيل الكلام بنقلها حذراً من الخروج عن المقصود مع اشتهاً أكثرها، بل نكتفي بذكر نبذ من الآيات والروايات، والإشارة إلى شيء من المنقولات:

قال الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ (١).

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَنْفِئَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٥).

وقال: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

وقال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧).

وقال في حكاية نوح عليه السلام: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٨).

وفي حكاية لوط عليه السلام: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنَاتٍ مِّنْ

(١) سورة سبأ ٣٤ : ١٣ .

(٢) سورة سبأ ٣٤ : ٢٠ .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٢٤ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٥) سورة السجدة ٣٢ : ٩ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٨٨ .

(٧) سورة النساء ٤ : ١٥٥ .

(٨) سورة هود ١١ : ٤٠ .

الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ .

وفي إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (٣) الآية .

وقال : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (٤) .

وقال : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥) .

وقال سبحانه وتعالى في مواضع عديدة : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦) .

وقال : ﴿وَلَا تَجِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٧) .

وقال عز وجل : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (٨) .

وقال : ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرَهُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (٩) .

وقال في مواضع عديدة : ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٠) .

(١) سورة الذاريات ٥١ : ٣٦ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ١٢٠ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٦٦ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٠ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ٣ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢٤٣ وسورة يونس : ١٠ : ٦٠ وسورة غافر ٤٠ : ٦١ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ١٧ .

(٨) سورة الأعراف ٧ : ١٠٢ .

(٩) سورة آل عمران ٣ : ١١٠ .

(١٠) سورة الحديد ٥٧ : ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ .

وقال عزّ وتعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾ (١) الآية .

وقال: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَثِيرًا لِّيَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٤) .

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٥) .

وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦) .

وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (٧) .

وقال: ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَسْتَدْرِئُونَ﴾ (٨) .

وقال في مواضع عديدة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩) ، ﴿وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠) .

وقال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ

(١) سورة المائدة ٥ : ٦٢ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٦٦ .

(٣) سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٠ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ١١٩ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ١١٦ .

(٦) سورة الصفات ٣٧ : ٧١ .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ١١١ .

(٨) سورة يونس ١٠ : ٩٢ .

(٩) سورة الأنعام ٦ : ٣٧ ، سورة الأعراف ٧ : ١٣١ ، سورة الأنفال ٨ : ٣٤ ، سورة

يونس ١٠ : ٥٥ ، سورة القصص ٢٨ : ١٣ ، ٥٧ ، سورة الدخان ٤٤ : ٣٩ ، سورة

الطور ٥٢ : ٤٧ .

(١٠) سورة الأعراف ٧ : ١٨٧ ، سورة يوسف ١٢ : ٢١ ، ٤٠ ، ٦٨ ، سورة النحل ١٦ :

٣٨ ، سورة الروم ٣٠ : ٦ ، ٣٠ ، سورة سبأ ٣٤ : ٢٨ ، ٣٦ ، سورة غافر ٤٠ : ٥٧ .

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

وقال في مواضع عديدة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

وكذا قال عديداً بل في ذكر قوم كل نبي: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .

وقال أيضاً: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِحْنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٥) .

وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٦) .

وقال: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٧) .

وقال عز وجل: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٨)، الآية .

وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ (٩) .

وقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٠) .

وقال: ﴿فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ (١١) .

وقال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً

(١) سورة يس ٣٦ : ٧ .

(٢) سورة يوسف ١٢ : ١٠٣ .

(٣) سورة هود ١١ : ١٧ ، سورة الرعد ١٣ : ١ ، سورة غافر ٤٠ : ٥٩ .

(٤) سورة الشعراء ٢٦ : ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .

(٥) سورة سبأ ٣٤ : ٤١ .

(٦) سورة يوسف ١٢ : ١٠٦ .

(٧) سورة الروم ٣٠ : ٤٢ .

(٨) سورة المائدة ٥ : ٨٠ .

(٩) سورة الروم ٣٠ : ٨ .

(١٠) سورة النحل ١٦ : ٨٣ .

(١١) سورة الإسراء ١٧ : ٨٩ .

وَكُفْرًا ﴿١﴾ .

وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ (٢)، الآية .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)، وفي موضع

آخر: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٥)، وفي آخر: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)، وفي آخر:

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٧) .

وقال في مواضع: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٨) .

وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٩) .

وقال عز وجل: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) .

وقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا

(١) سورة المائدة ٥ : ٦٤ - ٦٨ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١١٤ .

(٣) سورة سبأ ٣٤ : ٩ .

(٤) سورة الرعد ١٣ : ٤ .

(٥) سورة يونس ١٠ : ٦٧ ، سورة الروم ٣٠ : ٢٣ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٩٩ ، سورة النحل ١٦ : ٧٩ ، سورة النمل ٢٧ : ٨٦ ، سورة

الروم ٣٠ : ٣٧ ، سورة الزمر ٣٩ : ٥٢ .

(٧) سورة إبراهيم ١٤ : ٥ ، سورة لقمان ٣١ : ٣١ ، سورة سبأ ٣٤ : ١٩ ، سورة

الشورى ٤٢ : ٣٣ .

(٨) سورة الرعد ١٣ : ١٩ ، سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٩) سورة ق ٥٠ : ٣٧ .

(١٠) سورة يس ٣٦ : ٣٠ .

مُعْرِضِينَ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ (٢)، الآية .

وقال في حكاية نوح لقومه: ﴿لَقَدْ أْبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ (٣) .

وفي حكاية موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآءَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ (٤)، الآية .

وقال في حكاية الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٥) .

وقال في حكاية أهل النار: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٦) .

وأمثال هذه الآيات وما يفيد مفادها - لاسيما الأخيرات - كثيرة لا تحصى وقد مرّت طائفة منها، ويأتي أيضاً غيرها .

وأما الروايات فأكثرها ممّا مضى ويأتي في الفصول السابقة واللاحقة ، فلنكتف هاهنا ببعض ما يوضح قلة الأخيار ؛ لاستلزامه كثرة غيرهم أيضاً مع كون وضوح ما نحن فيه - كما بيّنا آنفاً - بحيث لا حاجة فيه إلى البيان .

(١) سورة الأنعام : ٦ : ٤ .

(٢) سورة يس : ٣٦ : ٩ - ١١ .

(٣) سورة الأعراف : ٧ : ٧٩ .

(٤) سورة يونس : ١٠ : ٨٨ .

(٥) سورة ص : ٣٨ : ٨٢ - ٨٣ .

(٦) سورة ص : ٣٨ : ٦٢ - ٦٣ .

ألا ترى إلى قوم نوح وصالح وهود ولم يؤمن بهم إلا أقل قليل، وقد أفسد الباقون، بحيث أزالهم الله جميعاً؟

ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام إنه كان أمة وحده ^(١)، ثم آمن به لوط وبعثه إلى قومه ^(٢)، فلم يوجد فيهم غير بيت من المسلمين؟

ألا ترى إلى قوم فرعون لم يكن فيهم إلا مؤمن واحد وامرأة فرعون؟ وإلى بني إسرائيل كيف عبدوا العجل إلا هارون وقليل معه، وأخذ موسى عليه السلام معه إلى الطور سبعين رجلاً منتخبين من سبعين ألفاً، فلم يجدهم إلا منافقين بأجمعهم؟

ألا ترى إلى جنود طالوت كيف خالفوه إلا قليل منهم؟ وهلمّ جراً إلى هذه الأمة، فانظر كيف لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من قومه إلا من هو كقطرة من البحر؟

ثم الذين أقرّوا به وادّعوا الإطاعة والإخلاص له وبايعوه على الموت، لاسيّما في بيعة الشجرة، كيف هربوا في أكثر الحروب، لاسيّما حرب أحد وحينئذ بحيث تركوه في شردمة قليلة جداً!!؟

ثم حكاية تركهم قرّة عين الرسول وفلذة كبد البتول، وسيّد شباب أهل الجنة في أقلّ قليل من بين العالم الذين كاتبوه وطلبوه، بل ومن بين كثير من المهاجرين والأنصار والتابعين، والذين خرجوا معه من أمة جدّه ومدّعي محبّته، ثم تركوه، حتّى أنّ جماعة منهم لم يكتفوا بالترك أيضاً، حتّى أنّهم قاتلوه فقتلوه وسبوا بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس في رابعة النهار.

(١) في «م»: واحدة .

(٢) في نسخة «ش»: قوم .

ثمّ متابعة جماهير الناس حتّى العلماء وأرباب البأس حكّام بني أميّة وبني العباس ممّا لا يمكن إنكاره، مع إجهارهم بالجور والفجور، وإظهارهم البدع والمعاصي وشرب الخمر، وسبهم عليّاً عليه السلام على المنابر، وشتمهم الزهراء البتول عليها السلام، وقتلهم الأئمّة (١) ممّن أوجب الله مودّتهم من آل الرسول.

ومن الغرائب أنّ عامّة العامة كانوا يقولون بصحّة خلافة هؤلاء مع علمهم بوجود هذه الأوصاف فيهم، بل مع روايتهم أخباراً في ذمّ خصوص هؤلاء، بل كفرهم وضلالهم.

وما نقلوا عنه عليه السلام أنّه قال: «الخلافة ثلاثون سنة ثمّ ملك عضوض» (٢) (٣).
وما استفاض نقله بين الفريقين عنه عليه السلام أنّه قال: «سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعد الله» (٤). وسيأتي الخبر أيضاً.

وقد مرّ نبد من أحوال جمهور الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين بين المخالفين، ويأتي أيضاً كثير منها، فاعتبروا يا أولي

(١) في «ن» و«س» و«ش»: ألقاً.

(٢) «ملك عضوض»: أي يصيب الرعيّة فيه عسف وظلم، كأنّهم يُعضّون فيه عضّاً. والعضوض: من أبنية المبالغة.

انظر: النهاية ٣: ٢٥٣ - مادة عضض -.

(٣) غوالي اللآلي ١: ٦١/١٢٥، مسند أحمد ٦: ٢١٤١٢/٢٨٩، المعجم الكبير ١: ١٣/٥٥، سنن الترمذي ٤: ٢٢٢٦/٥٠٣، كنز العمّال ٦: ١٤٩٦١/٨٧، وفيها بتفاوت يسير.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة ١٥: ١٩١٤٣/٧١، مسند أحمد ٧: ٢٥٩٨٩/٤١٩، المعجم الأوسط ٥: ٤٧٤٥/١٦٣، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٦٧، ٨: ١٥٨، كنز العمّال ٥: ١٤٣٧٨/٧٨٣، وفيها بتفاوت، ولم نعر عليه في مصادر الخاصّة.

الأبصار .

ففي الحديث : أن رجلاً قال لعلِّي عليّ عليه السلام : ما الناس وما أشباه الناس وما النسناس؟ فقال للحسين عليه السلام : «أجبه»، فقال : «أمّا الناس فرسول الله صلى الله عليه وآله ونحن ، وأمّا أشباه الناس فهم أتباعنا وشيعتنا ، وأمّا النسناس فهذا السواد الأعظم» (١) .

وفيه عن الصادق عليه السلام أنه قال : «المؤمنة أعزّ من المؤمن ، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر ، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟» (٢) .
وعنه عليه السلام أنه قال ثلاثاً : «الناس كلهم بهائم إلا قليلاً من المؤمنين» (٣) ، الخبر .

وقال الكاظم عليه السلام : «أما والله ، إنّ المؤمن لقليل ، وإنّ أهل الكفر كثير» ، ثم قال : «ولقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحد يعبد الله ، ولو كان معه غيره لأضافه الله إليه حيث يقول : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (٤) ، فصبر بذلك ما شاء الله ، ثم إنّ الله أنسه بإسماعيل وإسحاق عليهما السلام فصاروا ثلاثة» (٥) ، الخبر .

وقال الباقر عليه السلام : «إنّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ومن يبغض» (٦) .

(١) الكافي ٨ : ٣٣٩/٢٤٤ ، بحار الأنوار ٢٤ : ٢/٩٥ .

(٢) الكافي ٢ : ١/١٨٩ ، (باب في قلّة عدد المؤمنين) ، بحار الأنوار ٦٧ : ٣/١٥٩ .

(٣) الكافي ٢ : ٢/١٨٩ ، (باب في قلّة عدد المؤمنين) ، بحار الأنوار ٦٧ : ٤/١٥٩ عن أبي جعفر عليه السلام ، وفي أكثر نسخ الكافي «قليل» ولا تساعده القواعد النحوية .

(٤) سورة النحل ١٦ : ١٢٠ .

(٥) الكافي ٢ : ٥/١٩٠ ، (باب في قلّة عدد المؤمنين) ، بحار الأنوار ٦٧ : ٧/١٦٢ بتقديم وتأخير .

(٦) الكافي ٢ : ٢/١٧٠ و٤ ، (باب أنّ الله إنّما يعطي الدين من يحبّه) ، التمهيد :

وفي رواية أخرى: «البرّ والفاجر، ولا يعطي دينه إلا من يحب»^(١).
 وفي أخرى: «إلا صفوته من خلقه»^(٢).
 وقد روي مثله عن جمع من الأئمة الاثني عشر^(٣).
 وفيه: أن رجلاً من أصحاب الصادق عليه السلام قال له: والله، لا يسعك القعود، لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، فقال: «وكم عسى أن يكونوا؟»
 فقال: مائة ألف، فقال عليه السلام: «مائة ألف؟» قال: نعم، ومائتي ألف، بل نصف الدنيا، فسكت الصادق عليه السلام، وقال له: «هل يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟»^(٤) قال الرجل، فقلت: نعم، وركبت معه فمضينا حتى صرنا إلى أرض حمراء، فنظر إلى غلام يرعى جداءً^(٥)، فقال: «والله، يا فلان، لو كان لي شيعة وأنصار بعدد هذه الجداء لما وسعني القعود»، فعطفت إلى الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر^(٦).

وبهذا المعنى ما ورد في الحديث: أن رجلاً قال للحسن بن عليّ المجتبي عليه السلام: إني من شيعتكم، فقال: «إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا

(١) الكافي ٢: ٣/١٧٠، (باب أن الله إنما يعطي الدين من يحبّه)، المحاسن ١: ٧٠٤/٣٤١، والتمحيص: ٩٥/٥١.

(٢) الكافي ٢: ٣/١٧١، (باب أن الله إنما يعطي الدين من يحبّه)، المحاسن ١: ٧٠٧/٣٤٢ و ٧٠٨.

(٣) انظر: مصادر الهامش ١ و ٢.

(٤) ينبع - بالفتح فالسكون وضمّ الموحدة - قرية كبيرة، بها حصن على سبع مراحل من المدينة، تُقل أنه لما قسم رسول الله ﷺ الفياء أصاب عليّ عليه السلام أرضاً فاحتفر عيناً فخرج منها ماء ينبع في الماء كهيئة عنق البعير، فسماها عين ينبع.

انظر: مجمع البحرين ٤: ٣٩٤ - ينبع -.

(٥) الجدي: من أولاد المعز، وهو ما بلغ ستة أشهر أو سبعة، والجمع جداء.

انظر: مجمع البحرين ١: ٨١، الصحاح ٦: ٢٢٩٩ - جدى -.

(٦) الكافي ٢: ٤/١٩٠ (باب في قلّة عدد المؤمنين)، بحار الأنوار ٤٧: ٩٣/٣٧٢.

مطيعاً، فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك، فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، قل: أنا من مواليكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خير وإلى خير»^(١).

وعن الرضا عليه السلام: أنه قال - في حديث له لقوم من المقرّين بإمامته، حيث أخبروه أنّهم من شيعة علي عليه السلام وشيعته -: «إنما شيعة عليّ: الحسن والحسين عليه السلام، وسلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار ومحمّد بن أبي بكر، والذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره وزواجره، فأما أنتم فقولوا: نحن موالوه ومحّبوه، والمعادون لأعدائه»^(٢)، الخبر.

وفي الحديث المشهور بين الفريقين من قول النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(٣)، وأنّ الصحابة قالوا: ومن الغرباء يارسول الله؟ فقال - كما في رواية -: «إنّهم ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثر ممّن يحبّهم»^(٤).

وكذا بمعناه ما في رواية أخرى من أنّه صلى الله عليه وآله قال: «إنّهم الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنّتي»^(٥)، و«الذين يحيون ما أماتوه من سنّتي»^(٦)؛ لظهور قلّة هؤلاء.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٨ - ١٥٣/٣٠٩، تنبيه الخواطر

١٠٦: ٢، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ٤: ٨٩٩٥/٦٠٢، قطعة من الحديث.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣١٣، قطعة من حديث ١٥٩، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ٤: ٦٠٤ - ٨٩٩٥/٦٠٥، قطعة من الحديث.

(٣) كمال الدين: ٢٠٠ - ٤٤/٢٠١ و ٤٥، مشكاة الأنوار ٢: ١٦٤٥/٢٢٥، سنن الترمذي ٥: ٢٦٢٩/١٨، المعجم الأوسط ٩: ٨٩٧٧/٧٦، كنز العمّال ١: ١١٩٤/٢٣٨.

(٤) المعجم الأوسط ٩: ٨٩٨٦/٧٩، مجمع الزوائد ٧: ٢٧٨.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٢٦٣٠/١٨، المعجم الكبير ١٧: ١١/١٦، كنز العمّال ١: ١١٩٤/٢٣٨.

(٦) انظر: العمدة لابن البطريق: ٩١٥/٤٣٥.

بل يستفاد منهما معنى ما في رواية ثالثة أيضاً من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هم المستمسكون بما أنتم عليه اليوم»^(١)؛ لأنَّ الصحابة ذلك اليوم كانوا على محض اقتفاء أفعال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقواله، والتزام أوامره ونواهيه، وإنما أحدثوا ما أحدثوا بعده، ولا شك أن ذلك كان إقامة السنَّة، وأنَّ الجاري بعده على ذلك المنوال في غاية القلَّة، فافهم.

وقد مرَّ غير مرَّة قول الإمام عليه السلام: «إنَّ رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل، وكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب»^(٢)، الخبر. ونعم ما قيل: «إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء، فاعلم أنه مخلط؛ لأنه إن نطق بالحقِّ، أبغضوه»^(٣).

ولهذا أيضاً قال عليه السلام: «العالم حقاً هو الذي تنطق عنه أعماله الصالحة»^(٤).

وبمعناه كلام ابن مسعود، حيث قال: أنزل القرآن ليُعمل به، فاتَّخذتم دراسته عملاً^(٥).

أقول: وصدق كلامه ظاهر على من تأمل فيما ذكره مفسِّروهم في تفاسيرهم، فإنَّها محشوة من النكات اللفظية، والقواعد الاصطلاحية وأمثالها ممَّا هو في جانب عن الإيصال إلى كنه الأسباب الأخروية، وعلى من لاحظ

(١) كنز العمال ١: ١١٨٩/٢٣٩، قريب منه، ولم نعر على نصه فيما توفر لدينا من المصادر.

(٢) الكافي ١: ٦/٣٩ (باب النوادر)، منية المرید: ٣٧٠، مستطرفات السرائر: ٦/١٥٠ بحار الأنوار ٢: ٩٨/٢٠٦، بتفاوت يسير.

(٣) فيض القدير ٤: ٢٧٤.

(٤) مصباح الشريعة: ١٤، بحار الأنوار ٢: ٢٥/٣٢.

(٥) إحياء علوم الدين ١: ٦٤.

القراء عند قراءتهم، حيث إن همّتهم مقصورة على محض الغناء فيه، وتحسين الصوت، وأداء القواعد المصطلحة عند القراء، بحيث لا يتجاوز حناجرهم أصلاً، فضلاً عن التدبّر في معناه، والتأمل فيما هو أصل مغزاه. وقال عليّ عليه السلام في بعض كلامه: «إن هاهنا» وأشار إلى صدره «لعلماً جماً لو أصبت له حملة! بلى أصيب لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهِراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه» - وبسط الكلام عليه السلام إلى أن ذكر أهل الحق - ثم قال: «أولئك والله، الأقلون عدداً، والأعظمون قدراً»^(١)، الخبر.

وقال عليه السلام أيضاً: «القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق»^(٢)، الخبر.

وفي روايات العامة قال النبي صلى الله عليه وآله: «الخير كثير وفاعله قليل» رواه الطبراني وغيره^(٣).

أقول: ولقد كفي في مزيد توضيح هذا المقام ما ثبت من إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها الناجية^(٤).

(١) نهج البلاغة: ١٤٧/٤٩٦ (قصار الحكم)، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ، تاريخ يعقوبي ٢: ٢٠٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٩٥ - ١٤٧/٤٩٦ (قصار الحكم)، تاريخ يعقوبي ٢: ٢٠٥، الخصال ١٨٦/٢٥٧، كمال الدين: ٢/٢٩٠ قطعة من الحديث، الإرشاد ١: ٢٢٧، تاريخ بغداد ٦: ٣٧٩، وفيها بتفاوت يسير.

(٣) المعجم الأوسط ٦: ٥٦٠٨/٤٧، كتاب ذكر أخبار إصفهان لأبي نعيم ١: ٢٠٣، تاريخ بغداد ٨: ١٧٧، جامع الأسانيد ١: ١٠٧، مجمع الزوائد ١: ١٢٥.

(٤) وردت هذه الرواية بألفاظ مختلفة وأسانيد متعدّدة من العامة والخاصّة.

وظاهر أيضاً أنّ في الفرقة الناجية علماء وغير علماء، وأنّ الثاني أكثر، وأنّ العلماء فيهم العاملون العابدون وغيرهم، ولا شك أنّ الأولين هم الأقلّون، وهكذا العاملون فيهم الموقنون المخلصون وغيرهم، والأخيريون أكثر، وكذلك غير العلماء على أصناف ومراتب عديدة، بحيث يشاهد أنّ أعلاها أقلّ؛ ولهذا ورد في الحديث - ومعلوم أيضاً - أنّ الإيمان على مراتب بحسب الشدّة والضعف وتحقّق الشرائط^(١)، حتّى في الروايات أنّه على عشر درجات^(٢).

وبالجملة: من الواضحات البيّنة أنّ النفيس من كلّ شيء - حتّى في غير الإنسان أيضاً - أعزّ وجوداً وأقلّ عدداً من أدنى منه رتبةً، وجميع ما ذكر كلّ شاهد صدق على أن لا اعتماد على الكثرة، ولا اعتناء بشأن أكثر الناس، ولا بما مضوا عليه واشتهر عندهم بغير مستندٍ آخر، ولهذا قيل: كم من مشهور لا أصل له، بل ربّما أمكن في بعض الأشياء أن يجعل الاشتهار قرينة عدم الحقيقة، فافهم.

ولنختم هذا الفصل بذكر خلاصة أحاديث واردة في أصناف الناس: قال الصادق عليه السلام: «الناس على ستّ فِرَق، يؤلون كلّهم إلى ثلاث فِرَق: الإيمان، والكفر، والضلال»، ثمّ ذكر تلك الفِرَق بما حاصله أنّ: **الأولى:** أهل الوعد بالجنّة، وهم المؤمنون، أي: من آمن بالله

١: انظر: الكافي ٨: ٢٨٣/٢٢٤، الخصال ٢: ١١/٥٨٥، كمال الدين: ٦٦٢، كفاية الأثر: ١٥٥، العمدة لابن البطريق ٧٢ - ٨٩/٧٤، الطرائف ٢: ٧٤، سعد السعود: ٥٩٧، غوالي اللآلي ٤: ٢٣/٦٥، سنن الترمذي ٥: ٢٦٤١/٢٦، كنز العمال ١: ١٦٤٣/٣٧٨.

(٢ و) الكافي ٢: ١/٣٥ و٢ (باب درجات الإيمان) و١/٣٧ - ٤، (باب آخر منه)، الخصال: ٤٤٧ و٤٨/٤٤٨ و٤٩، روضة الواعظين: ٢٨٠، بحار الأنوار ٢٢: ٥٢/٣٤١.

ورسوله وبجميع ما جاء به الرسول ﷺ بلسانه وقلبه ، وأطاع الله بجوارحه
لله عزّ وجلّ ،

والثانية : أهل الوعيد بالنار ، وهم الكافرون ، أي : من كفر بالله أو
برسوله ﷺ ، أو بشيء مما جاء به الرسول ﷺ إمّا بقلبه أو بلسانه أيضاً ،
أو خالف الله في شيء من كبائر الفرائض استخفافاً .

وإنّ الباقيين : أهل الضلال ، لا مؤمنون ولا كافرون ، وأمرهم إلى الله
عزّ وجلّ إن شاء أدخلهم الجنّة برحمته ، وإن شاء أدخلهم النار بعدله ،
وجعلهم ﷻ أربع فِرَق :

الأولى : المستضعفون الذين لا يهتدون إلى الإيمان سبيلاً ؛ لضعف
عقولهم ، أو عدم استطاعتهم كالصبيان والمجانين والبله ، ومن لم تصل
الدعوة إليه .

والثانية : هم ضعفاء الدين الذين عدّهم الله صريحاً من المرجئين
لأمر الله في الآية (١) ، أي : مؤخّر حكمهم صريحاً إلى مشيئته يوم القيامة ،
وهم الذين تابوا من الكفر ودخلوا في الإسلام ، إلّا أنّه لم يستقرّ في قلوبهم
ولم يطمئنوا إليه بَعْدُ ، قال ﷻ : ومنهم «المؤلّفة قلوبهم» و«من يعبد الله
على حرف» قبل أن يستقرّ على الإيمان أو الكفر .

والثالثة : فساق المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، ثمّ
اعترفوا بذنوبهم فعسى الله أن يتوب عليهم .

والرابعة : أصحاب الأعراف ، قال ﷻ : «وهم قوم استوت حسناتهم
وسيئاتهم لا يرجح أحدهما على الآخر ليدخلوا به الجنّة أو النار ، فيكونون

(١) سورة التوبة ٩ : ١٠٦ ﴿وَأَخْرَجُونَ مُزْجِجُونَ لَأْمُرِ اللَّهِ...﴾ .

في الأعراف حتى يرجح أحد الأمرين بمشيئة الله سبحانه»^(١).

فهذا خلاصة ذكر الفرق الست.

أقول: ولعل ما في سورة الحمد أيضاً هذا هو المراد به، بأن يكون قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى الفرقة الأولى، و﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى الثانية، و﴿الضَّالِّينَ﴾^(٢) إشارة إلى الباقيين.

ثم لا يخفى دلالة هذا أيضاً على قلة المؤمن وكثرة غيره، كما هو مانحن فيه، فتأمل والله الهادي.

(١) انظر: الكافي ٢: ١/٢٨١ - ٣ (باب أصناف الناس)، مرآة العقول ١١: ١٠٤ -

١٠٦، الوافي ٤: ٢١١ - ٢١٢.

(٢) سورة الحمد ١: ٧.

الفصل الرابع

في بيان أمر الله عزوجل أولياءه من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم ،
حتى نبينا ﷺ بالصبر على جفاء الجفأة ، وأذى العتاة^(١) ، والتزام
المداراة ، والتمسك بالكظم والتقاة ، وكنم الحق والعلوم والأسرار عن
غير أهلها من الجهلة الأشرار ، وفي ذكر ما ورد في مدح أهل هذه
الحالات ، وكونهم على الحق ، وأنهم الهداة .

اعلم أن كون هذه الصفات من أجلّة الكمالات لا يحتاج إلى بيان ، بل
من أوضح الواضحات ، وقد تبين أيضاً مما سبق حتى من بعض الأخبار
التي مرّت في فاتحة هذا الكتاب ، فلنذكر هاهنا ما يدل على الأمر بها من
الآيات والروايات :

قال الله عزوجل : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

وقال : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا﴾^(٣) .

(١) في «م» : العتاد .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٥٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٧٧ .

وقال: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِيبُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (٢)

الآية .

وقال: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ (٣).

وقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٥).

وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٦).

وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا

صَبَرُوا﴾ (٧).

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُكَّمَ اللَّهُ﴾ (٨)

الآية .

وقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي

صَبِيحٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٠).

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٢٠٠ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٢٨ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٩٦ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ١٠ .

(٦) سورة الشورى ٤٢ : ٤٣ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ١٣٧ .

(٨) سورة يونس ١٠ : ١٠٩ .

(٩) سورة هود ١١ : ٤٩ .

(١٠) سورة النحل ١٦ : ١٢٧ .

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)، الآية .
وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(٢)، الآية .

وقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٣) .
وقال في حكاية قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلًا﴾^(٤) .

وقال سبحانه: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥) .

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٦) .

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَانذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٧) .

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٨) .

(١) سورة الكهف : ١٨ : ٢٨ .

(٢) سورة الأحقاف : ٤٦ : ٣٥ .

(٣) سورة المزمل : ٧٣ : ١٠ .

(٤) سورة يوسف : ١٢ : ١٨ ، ٨٣ .

(٥) سورة الأنعام : ٦ : ١٠٦ .

(٦) سورة النساء : ٤ : ٦٣ .

(٧) سورة يونس : ١٠ : ١١ .

(٨) سورة العنكبوت : ٢٩ : ٤٦ .

وقال تعالى: ﴿وَجَدَلْتَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وقال: ﴿أَذْفَعُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، الآية، وأمثالها كثيرة.

وقال سبحانه في وصف الأخيار: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ﴾^(٥).

وقال عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ

تَقَةً﴾^(٦)، الآية، وأمثالها عديدة لا حاجة إلى الإطالة فيها.

ففي الأخبار التي رواها مخالفونا، أو هي عندنا وعندهم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قال: «الصبر نصف الإيمان»^(٧)، حتى سئل مرّة: وما الإيمان؟ فقال:

«الصبر»^(٨).

(١) سورة النحل ١٦ : ١٢٥ .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ : ٩٦ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٣٤ .

(٤) سورة القصص ٢٨ : ٨٣ .

(٥) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ٢٨ .

(٧) إرشاد القلوب ١ : ٢٥٢ ، (الباب التاسع والثلاثون) ، المحجّة البيضاء ٧ : ١٠٦ ،

مسكّن الفؤاد : ٤٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣١٩ .

(٨) المحجّة البيضاء ٧ : ١٠٧ ، مسكّن الفؤاد : ٤٧ ، مسند أحمد ٥ : ١٨٩٤٢/٥٢٢ ،

وقال ﷺ: «من أقل ما أوتيتم اليقين، وعزيمة الصبر، ومن أعطي حظّه منهما لم يبال ما فاته من قيام وصيام، ولئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كلّ امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكنّي أخاف أن تفتح عليكم الدنيا من بعدي، فينكر بعضكم بعضاً، وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه»، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(١)، الآية^(٢).

وقال ﷺ: «الصبر كنز من كنوز الجنّة»^(٣).

وقال ﷺ: «في الصبر على ما تكره خير كثير»^(٤).

وقال ﷺ: «لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً، والله يحبّ الصابرين»^(٥).

وروي عنه ﷺ، وعن غير واحد من ذرّيته الأئمة عليهم السلام أنّهم قالوا:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»^(٦).

وقالوا: «من لا يعدّ الصبر لنوائب الدّهر يعجز»^(٧).

١) مجمع الزوائد ١: ٥٤، ٥: ٢٣٠، إحياء علوم الدين ٤: ٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٢٢.

(١) سورة النحل ١٦: ٩٦.

(٢) مسكّن الفؤاد: ٤٧، المحجّة البيضاء ٧: ١٠٦ - ١٠٧، إحياء علوم الدين ٤: ٦١.

(٣) مسكّن الفؤاد: ٤٧، إحياء علوم الدين ٤: ٦١.

(٤) مسكّن الفؤاد: ٤٨، المحجّة البيضاء ٧: ١٠٧، إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

(٥) مسكّن الفؤاد: ٤٨، المحجّة البيضاء ٧: ١٠٨، إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

(٦) نهج البلاغة: ٨٢/٤٨٢ (قصار الحكم)، الكافي ٢: ٤/٨٢، ٥ (باب الصبر)،

الخصال: ٩٥/٣١٥، ٩٦، تحف العقول: ٢٠٢، مسكّن الفؤاد: ٤٨، المحجّة

البيضاء ٧: ١٠٨، مشكاة الأنوار ١: ٦١/٤٥، إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

(٧) الكافي ٢: ٢٤/٧٦ (باب الصبر)، ٨: ٤٧/٨٦، تحف العقول: ٤٤.

وقال ﷺ: «سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، أتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن يصدق بي» (١).

وروى الترمذي في صحيحه عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم كالقابض على جمرة» (٢).

وروى الغزالي - من أكابر علمائهم - عن بعض الصحابة أنه قال: ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى، وأن رسول الله ﷺ قسم قسمة، فقال بعضهم: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأخبر رسول الله ﷺ فاحمرت وجتاه، ثم قال: «رحم الله أخي موسى عليه السلام قد أودى بأكثر من هذا فصبر» (٣).

وهذا الخبر الأخير مما رواه البخاري في صحيحه أيضاً، وفيه: أن القائل كان رجلاً من الأنصار (٤).

وروى هو وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «انتظار الفرج بالصبر عبادة» (٥).

(١) الكافي ٢: ١٢/٧٤ (باب الصبر)، مشكاة الأنوار ١: ٥٤/٤٢، بحار الأنوار ٧١: ٩/٧٥.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٢٢٦٠/٥٢٦ بتفاوت يسير.

(٣) إحياء علوم الدين ٤: ٧١.

(٤) صحيح البخاري ٨: ٣١.

(٥) إحياء علوم الدين ٤: ٧٢، الدعوات للراوندي: ١٠١/٤١، مسند الشهاب ١:

وروى^(١) عن أنس ، عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «ما تجرع عبد قطّ جرعتين أحبّ إلى الله من جرعة غيظ ردّها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها»^(٢) ، الخبر .

وروا أيضاً: أَنَّ زكريّا عَلَيْهِ السَّلَام لَمَّا هَرَبَ مِنْ كَفَّارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاخْتَفَى فِي الشَّجَرَةِ فَعَرَفُوا ذَلِكَ ، فَجِيءَ بِالْمَنْشَارِ فَنَشَرَتْ الشَّجَرَةَ حَتَّى بَلَغَ الْمَنْشَارُ إِلَى رَأْسِ زَكْرِيَّا ، فَأَنَّ أَنَّهُ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : «يا زكريّا ، لئن صعّدت منك أَنَّهُ ثَانِيَةٌ لَأَمْحُوكَ مِنْ دِيْوَانِ النُّبُوَّةِ» ، فَعَضَّ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام عَلَى الصَّبْرِ حَتَّى قَطَعَ بِشَطْرَيْنِ^(٣) .

وفي صحيح البخاري ، وصحيح الترمذي وابن ماجه ، ومسنّد ابن حنبل : عن ابن عمر ، قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لم يخالطهم ، ولا يصبر على أذاهم»^(٤) .

وفي كتاب ابن سعد^(٥) مرسلًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى

(١) في «ن» و«س» : روا .

(٢) إحياء علوم الدين ٤ : ١٣٢ .

(٣) إحياء علوم الدين ٤ : ١٣٣ ، وفيه : «على إصبه» بدل «على الصبر» .

(٤) سنن الترمذي ٤ : ٦٦٢/٢٥٠٧ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٤٠٣٢/١٣٣٨ ، مسنّد أحمد

٢ : ٥٠٠٢/١٣٤ ، و٦ : ٢٢٥٨٧/٥٠٢ ، الأدب المفرد للبخاري : ٣٩٠/١٤٠ ، فيها بتفاوت

يسير . ولم نعر عليه في صحيح البخاري .

(٥) هو محمّد بن سعد بن منيع الزهري ، يكتنّى أبا عبدالله ، كان كثير الحديث

والرواية ، وصحب الواقدي المؤرّخ زماناً ، فكتب له ، وروى عنه ، وعرف بكتاب

الواقدي ، وألّف كتبه من تصنيفات الواقدي ، له كتب ، منها : الطبقات الكبرى ،

وأخبار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولد بعد سنة ١٦٠ هـ ، وقيل : ١٦٨ هـ ، ومات سنة ٢٣٠ هـ .

أقذار (١) الناس (٢) .

وفي صحيح البخاري ومسلم: عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد أصبر - على أذى يسمعه - من الله، إنهم ليدعون له ولداً، ويجعلون له أنداداً، وهو مع ذلك يعافهم ويرزقهم» (٣) .

وفي أخبار أهل البيت عليه السلام أن الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه: «عليك بالصبر في جميع الأمور؛ فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ فأمره بالصبر والرفق، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ﴾» (٤)، الآية، فصبر ﷺ حتى نالوه بالعظام ورموه بها، فضاقت صدره، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ بَصِيْقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾» (٥)، الآية، ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله سبحانه: ﴿قَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُ لَيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾» الآية، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَيَّ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنتَهُم نَصْرُنَا﴾ (٦) (٧)، الخبر .

وقال عليه السلام: «إن الحرَّ حرَّ علي جميع أحواله إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً،

انظر: الفهرست لابن النديم: ١١١، وفيات الأعيان ٤: ٦٤٥/٣٥١، سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٤٢/٦٦٤، تهذيب الكمال ٢٥: ٥٢٣٧/٢٥٥ .

(١) كذا في جميع النسخ، وفي حواشيا: إيذاء .

(٢) الطبقات الكبرى ١: ٣٧٨، وفيه: «أوزار» بدل «أقذار»، كنز العمال ٧: ١٧٨١٨/٣٥ .

(٣) صحيح البخاري ٩: ١٤١، صحيح مسلم ٤: ٢٨٠٤/٢١٦٠، بتفاوت فيهما .

(٤) سورة المزمل ٧٣: ١٠ .

(٥) سورة الحجر ١٥: ٩٧ .

(٦) سورة الأنعام ٦: ٣٣ - ٣٤ .

(٧) الكافي ٢: ٣/٧١ (باب الصبر)، مشكاة الأنوار ١: ٨١/٥٣ .

أمر الله أوليائه بالصبر ٣٧٧

كما كان يوسف الصديق الأمين عليه السلام لم يُضِرَّ حريرته أن استُعبَد وأسر وقَهَر، ولم تضرَّه ظلمة الجبِّ ووحشته وما ناله أن منَّ الله عليه، فجعل الجبَّار العاتي له عبداً بعد إذ كان مالكا»^(١)، الخبر.

وقال عليه السلام: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإنَّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء»^(٢).

وفي رواية أخرى: «ما تجرَّعت جرعة أحبَّ إليَّ من جرعة غيظ لا أكافئُ بها صاحبها»^(٣).

وقال الكاظم عليه السلام: «اصبر على أعداء النعم، فإنَّك لن تكافئُ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه»^(٤).

وقال الصادق عليه السلام: «كظم الغيظ عن العدو في دولانهم تقيَّة حزم لمن أخذ به، وتحزَّز من التعرُّض للبلاء في الدنيا، فجاملوا النَّاسِ يسمن^(٥) ذلك لكم عندهم»^(٦)، الخبر.

وقال عليه السلام: «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه»^(٧).

(١) الكافي ٢: ٦/٧٣ (باب الصبر)، مشكاة الأنوار: ٦٥/٤٦، مسكن الفؤاد: ٥٠ - ٥١.

(٢) الكافي ٢: ٢/٨٩ (باب كظم الغيظ)، المؤمن: ٣٦/٢٤، التمهيص: ٦/٣١، تنبيه الخواطر ٢: ١٨٩.

(٣) الكافي ٢: ١٢/٩٠ (باب كظم الغيظ)، الخصال ١: ٨١/٢٣.

(٤) الكافي ٢: ٣/٨٩ و ٨/٩٠ (باب كظم الغيظ)، الفقيه ٤: ٥٨٥٢/٣٩٨، روضة الواعظين: ٤٢٢، مشكاة الأنوار ١: ٧٦/٥١.

(٥) في «م»: يسموا، وفي بعض نسخ الكافي: يُسمَى، كما جاء في هامش (٣) ص ٨٩ ح ١ من الكافي.

(٦) الكافي ٢: ٤/٨٩ (باب كظم الغيظ)، المحاسن ١: ٩١٦/٤٠٤، مشكاة الأنوار ١: ١٧٩/٨٩ وفي المصدرين الأخيرين ورد باختصار.

(٧) الكافي ٢: ٦/٩٠ (باب كظم الغيظ)، بحار الأنوار ٧١: ٢٥/٤١١.

وفي صحيح ابن ماجة: عن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء لوجه الله»^(١).
وفي كتاب الحلية: عن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ: «من أذّل نفسه في طاعة الله فهو أعزّ ممّن تعزّز بمعصية الله»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، ربك يقرؤك السلام ويقول لك: دارِ خلقي»^(٣).

وقال الباقر عليه السلام: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله تعالى به موسى ابن عمران عليه السلام أن قال له: يا موسى، أكنتم مكتوم سري في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوك وعدوي من خلقي»^(٤)، الخبر.

وفي كتاب ابن أبي شيبه^(٥): عن الأعمش، عن ابن مسعود، قال: قال النبي ﷺ: «آفة العلم النسيان، وإضاعته أن تحدّث به غير أهله»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش».

(١) سنن ابن ماجة ٢: ٤١٨٩/١٤٠١.

(٢) حلية الأولياء ٧: ٣١٨، وحكاه عنها السيوطي في جامع الأحاديث ٥: ٤٩٤/٢٠١٨٤.

(٣) الكافي ٢: ٢/٩٥، (باب المداراة)، بحار الأنوار ٧٥: ٤٣٨/١٠٥.

(٤) الكافي ٢: ٣/٩٦ (باب المداراة).

(٥) هو عبدالله بن محمد بن القاضي أبي شيبه، يكنى أبا بكر، وهو من أقران أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه في السنن والمولد والحفظ، روى عنه محمد بن سعد الكاتب، ومحمد بن يحيى، وأبو داود، وجمع كثير، له كتب منها: المسند، والمصنّف، والتفسير، ولد سنة ١٥٩ هـ، ومات سنة ٢٣٥ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٠: ٥١٨٥/٦٦، سير أعلام النبلاء ١١: ٤٤/١٢٢، تهذيب التهذيب ٦: ١/٣.

(٦) المصنّف لابن أبي شيبه ٨: ٦١٩٠/٥٤٦.

وقال عليه السلام : خالطوا الأبرار سرّاً، وخالطوا الفجّار جهاراً، ولا تاملوا عليهم فيظلموكم ، فإنّه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلّا من ظنّوا أنّه أبله ، وصبر نفسه على أن يقال له : أبلة لا عقل له» (١) .

وعن الصادق عليه السلام : «أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : أمرني ربّي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض» ، وقد روى أيضاً هذا الخبر بعينه الديلمى وغيره من علماء العامة عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وآله (٢) .

وروى البيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : «رأس العقل المدارة» (٣) .

وفي كتاب ابن أبي الدنيا ، عنه صلى الله عليه وآله قال : «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس» (٤) .

وفي رواية : «التودّد إلى الناس» (٥) .

وفي كتاب ابن حبان ، وكتاب الطبراني عن جابر ، عنه صلى الله عليه وآله قال : «مدارة الناس صدقة» (٦) .

وفي الفردوس ، وكتاب المقاصد للسخاوي : عن أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وآله قال : «داروا الناس بعقولكم» (٧) .

(١) الكافي ٢ : ٥/٩٦ (باب المدارة) ، بحار الأنوار ٧٥ : ١٠٨/٤٤٠ .

(٢) الكافي ٢ : ٤/٩٦ (باب المدارة) ، مشكاة الأنوار : ٢ : ١٢١٦/٦٣ ، فردوس الأخبار : ١ : ٦٣٣/٢١٢ ، الجامع الصغير ١ : ١٦٩٥/٢٥٩ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ١٠٩ ، شعب الإيمان ٦ : ٨٤٤٦/٣٤٣ .

(٤) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا : ٢٦ - ٢٧ ، وأورده ابن أبي شيبة في المصنّف ٨ : ٥٤٨٠/٣٦١ .

(٥) الإخوان : ١٤٠/١٩٣ ، شعب الإيمان ٦ : ٨٤٤٧/٣٤٤ ، الجامع الصغير ٢ : ٤٣٦٩/٣ .

(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١ : ٤٧١/٣٤٧ ، المعجم الأوسط ١ : ٤٦٦/٢٠٧ ، وأورده البيهقي في شعب الإيمان ٦ : ٨٤٤٥/٣٤٣ .

(٧) فردوس الأخبار ١ : ١١٤/٧٨ ، المقاصد الحسنة : ١٧٩/١١٩ وفيهما عن جابر .

وفي رواية أخرى «داروا سفهاءكم»^(١)، وفي أخرى: «ذَبُّوا عن أعراضكم»^(٢).

وفي روايات أهل البيت عن الصادق عليه السلام أنه قال: «أَمَرَ الناس بخصلتين فضيَعوهما، فصاروا منها على غير شيء: الصبر والكتمان»^(٣). وقال عليه السلام لبعض أصحابه: «إنكم على دينٍ من كتبه أعزّه الله، ومن أذاعه أذله الله»^(٤).

وقال عليه السلام في حديث له: «رحم الله عبداً اجتَرَ مودّة الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون، واستروا عنهم ما ينكرون»^(٥).

وقال عليه السلام: «إنّ التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، إنّ الله يحبّ أن يعبد في السرّ كما يحبّ أن يعبد في العلانية»^(٦).

وسئل الرضا عليه السلام عن مسألة فأبى وأمسك، ثمّ قال: «لو أعطيناكم كلّ ما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر»^(٧).

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة في كلّ شيء إلاّ في النبيذ، والمسح على الخُفّين»^(٨).

أقول: وكان وجه هذا الاستثناء وجود المندوحة عنهما.

(١) المقاصد الحسنة: ٤٧٩/٢٥٢.

(٢) المقاصد الحسنة: ٥٠٢/٢٦٣، فردوس الأخبار ٢: ٢٩٦٤/٣٦٤.

(٣) المحاسن ١: ٨٨٩/٣٩٧، الكافي ٢: ٢/١٧٦ (باب الكتمان)، مشكاة الأنوار ١: ٨٠/٥٣.

(٤) المحاسن ١: ٨٩٩/٤٠٠، الكافي ٢: ٣/١٧٦ (باب الكتمان).

(٥) الكافي ٢: ٥/١٧٦ (باب الكتمان)، الخصال ١: ٨٩/٢٥، الغيبة للنعمانى ٤/٣٥،

روضة الواعظين: ٣٦٩ بتفاوت يسير.

(٦) الكافي ٢: ٨/١٧٧ (باب الكتمان).

(٧) قرب الإسناد: ١٣٤٠/٣٨٠، الكافي ٢: ١٠/١٧٨ (باب الكتمان).

(٨) المحاسن ١: ٩١٣/٤٠٤، الكافي ٢: ٢/١٧٢ (باب التقيّة)، الخصال ١: ٧٩/٢٢.

وقال الباقر عليه السلام : « لا والله ، ما على وجه الأرض شيء أحب إلي من التقية ، من كانت له تقية رفعه الله ، ومن لم تكن له تقية وضعه الله »^(١) .

وقال عليه السلام : « اتقوا على دينكم ، واحجوبوه بالتقية ، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له ، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته »^(٢) .

وقال عليه السلام في قوله تعالى : « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ »^(٣) ، وقوله سبحانه : « ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ »^(٤) : إن الحسنه والأحسن التقية ، والسئنة الإذاعة »^(٥) .

وقال الصادق عليه السلام : « أبى الله لنا ولكم في دينه إلا التقية »^(٦) .

وقال عليه السلام : « التقية من دين الله الذي أمر عباده بها » .

قال الراوي: قلت ، من دين الله ؟ قال : « إي والله ، ولقد قال

يوسف عليه السلام : « أَيَّتَهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ »^(٧) ، والله ، ما كانوا قد سرقوا شيئاً ، ولقد قال إبراهيم عليه السلام : « إِنِّي سَقِيمٌ »^(٨) ، والله ، ما كان سقيماً »^(٩) .

(١) المحاسن ١ : ٣٩٩ / ٨٩٨ ، الكافي ٢ : ١٧٢ / ٤ (باب التقية) ، مشكاة الأنوار ١ : ١٧٣ / ٣ .

(٢) المحاسن ١ : ٤٠١ / ٩٠٤ ، الكافي ٢ : ١٧٢ / ٥ (باب التقية) ، بحار الأنوار ٧٥ : ٣١ / ٣٩٨ .

(٣) سورة فصلت ٤١ : ٣٤ .

(٤) سورة المؤمنون ٢٣ : ٩٦ .

(٥) المحاسن ١ : ٤٠٠ / ٩٠١ ، الكافي ٢ : ١٧٣ / ٦ (باب التقية) ، مشكاة الأنوار ١ : ١٧٤ / ٨٨ ، وفيها بتفاوت في بعض الألفاظ .

(٦) الكافي ٢ : ١٧٣ / ٧ (باب التقية) .

(٧) سورة يوسف ١٢ : ٧٠ .

(٨) سورة الصافات ٣٧ : ٨٩ .

(٩) المحاسن ١ : ٤٠٢ / ٩٠٧ ، الكافي ٢ : ١٧٢ / ٣ (باب التقية) ، مشكاة الأنوار ١ :

١٨٩ / ٩٣ ، وفيها بتفاوت يسير .

أقول : لعل مراده عليه السلام أنّهما ورّيا في كلامهما على ما سيأتي في جواز التورية والتجوز في الكلام تقيّةً ومصلحةً .

وقال عليه السلام : «ما بلغت تقيّةً أحدٍ تقيّةً أصحاب الكهف، إنهم كانوا يشهدون الأعياد ويشدّون الزّنانير^(١)، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين»^(٢) .

وقال عليه السلام : «التقيّة في كلّ شيء يضطرّ إليه ابن آدم، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به»^(٣) .

وفي رواية عن الباقر عليه السلام أنّه قال : «إنّما جعلت التقيّة ليحقن بها الدّم، فإذا بلغ الدم فليس تقيّة»^(٤) .

وأخبار أهل البيت في هذا الباب أكثر من أن تحصى، وسيأتي بعض منها في المقالة التاسعة من المقصد الثاني الموضوع لتحقّق التقيّة ونحوها، وكذا أخبار المخالفين في هذا كثيرة جدّاً، مع وجود شواهد صدقها، وسنذكر تحقيق ذلك مفصلاً على ما ينبغي في المقالة المذكورة، وقد ذكرنا هاهنا أيضاً أنفاً بعض أخبارهم، ولنذكر بعضاً آخر أيضاً تمهيداً لما سيأتي - إن شاء الله - في المقالة المذكورة :

روى البخاري، والطبراني عن ابن عباس، عن النبي صلّى الله عليه وآله (أنّه قال : «يكفي المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع له تغييراً أن يعلم الله تعالى أنّه له

(١) الزّنّار والزّنّارة : ما على وسط المجوسي والنصراني، وفي تهذيب اللغة : ما يلبسه الذمّي يشدّه على وسطه . تهذيب اللغة ١٣ : ١٨٩، لسان العرب ٤ : ٣٣٠ - مادة زنر - .

(٢) تفسير العياشي ٣ : ٢٦٣٣/٨٩، الكافي ٢ : ٨/١٧٣، (باب التقيّة) بتفاوت يسير .

(٣) انظر : الكافي ٢ : ١٣/١٧٤ و ١٨/١٧٥ (باب التقيّة) .

(٤) المحاسن ١ : ٩١٤/٤٠٤، الكافي ٢ : ١٦/١٧٤ (باب التقيّة)، تهذيب الأحكام ٦ :

منكير»^(١) .

وفي الكتاب الكبير للطبراني : عن عبادة بن الصامت ، عنه عليه السلام (٢) قال : «إنها ستكون فتن لا يستطيع المؤمن أن يغير فيها بيد ولا بلسان» .
قيل : وهل ينقص ذلك من إيمانهم ؟ قال : «لا إلا كما ينقص المطر من الصفا» .

قيل : ولم ذلك ؟ قال : «لأنهم يكرهونه بقلوبهم»^(٣) .

وفي كتاب البيهقي : عن أبي فاطمة الأيادي^(٤) ، عن النبي عليه السلام ، وفي مستدرك الحاكم ، وكتابي الديلمي والسخاوي : عن ابن الحنفية^(٥) مرسلًا ، عنه عليه السلام قال : «ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد له من معاشرته بدأ حتى يجعل الله له من ذلك مخرجًا»^(٦) .

قال السخاوي : نقل هذا الخبر جماعة من المشايخ ، حتى نقل عن

(١) التاريخ الكبير ٣ : ٩٥١/٢٧٨ ، المعجم الكبير ١٠ : ١٠٥٤١/٢٧٥ ، وفيهما بتفاوت .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «ن» .

(٣) وجدناه في المعجم الأوسط ٦ : ٦١٥٣/٢٦٢ ، بتفاوت في بعض الألفاظ .

(٤) لم نعر على ترجمة له .

(٥) هو محمد بن علي بن أبي طالب أخو الحسن والحسين عليهما السلام ، يكتى أبا عبدالله ، والحنفية لقب أمه ، واسمها خولة بنت جعفر بن قيس ، وما جرى بين محمد بن الحنفية وبين السجاد عليه السلام ومحاكمتها إلى الحجر الأسود ، كان ذلك منه تنيهاً للغائلين ، وفضله وجلالته أشهر من أن توصف ، مات سنة ٨٠ هـ ، وقيل : سنة ٨١ هـ .
انظر : تنقيح المقال ٣ : ١٠٦٤٩/١١١ ، الطبقات الكبرى ٥ : ٩١ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٦/١١٠ .

(٦) شعب الإيمان ٦ : ٢٦٦ - ٨١٠٤/٢٦٧ ، فردوس الأخبار ٣ : ٥٢٨٤/٤٥٣ ، المقاصد الحسنة : ٩١٢/٤١٣ ، ولم نعر عليه في مستدرك الحاكم ، وحكاه عنه المناوي في فيض القدير ٥ : ٣٦٣ ، وفيها بتفاوت يسير .

ابن المبارك أنه قال: لولا هذا الحديث ما جمعني الله وإياكم على حديث^(١).

وفي كتاب الحلية لأبي نعيم: عن حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة، كيف يقتلون^(٢) ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم، فالؤمن التقي يصانعهم بلسانه، ويفرّ منهم بقلبه»^(٣).

وفي الفردوس: عن ابن مسعود، عنه ﷺ قال: «بئس القوم قوم يمشي المؤمن فيهم بالتيّة والكتمان»^(٤).

وفي أخبار تأتي في المقالة المذكورة عنه ﷺ قال: «إن من شرار الناس من اتّقاء الناس لشرّه»^(٥).

وفي صحيح ابن ماجّة: عن عبادة بن الصامت، عنه ﷺ، وفي كبير الطبراني: عن ابن عمر عنه ﷺ قال: «سيكون أمراء - وفي رواية: أئمة^(٦) - يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلّوا، لوقتها، فإذا حضرت معهم الصلاة فصلّوا واجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً»^(٧).

وفي كتاب ابن عدي، وكتابي البيهقي والسخاوي: عن عمران بن

(١) المقاصد الحسنة: ٤١٣ - ٩١٢/٤١٤.

(٢) في «م» و«ش»: يفعلون.

(٣) وجدناه في عقد الدرر: ٩٥ حكاه عن (صفة المهدي) لأبي نعيم.

(٤) فردوس الأخبار ٢: ١٩٦٧/٢٨.

(٥) المعجم الأوسط ٧: ٧٦١٨/٣٧٠.

(٦) جامع الأحاديث ٤: ١٢٩٠٢/٤٧٨، عن ابن عمرو.

(٧) انظر: سنن ابن ماجّة ١: ١٢٥٧/٣٩٨، انظر: الجامع الكبير للطبراني ٧:

٧١٥٥/٣٤٤، عن عمر والمعجم الأوسط ١: ٩٦٢/٣٨٧ عن عبدالله بن عمرو بن

العاص، وحكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٤: ١٩٢٠٠/٤٧٨.

الحصين^(١)، عنه عليه السلام قال: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ»^(٢).

وفي كتاب البيهقي: عن عمرو بن العاص، عنه عليه السلام قال: «لقد

أمرت أن أتجوز في القول؛ فَإِنَّ الْجَوَازَ فِي الْقَوْلِ هُوَ خَيْرٌ»^(٣).

وفي كتاب الطبراني: عن عمرو أيضاً: أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ يَقْبَلُ

بوجهه وحديثه على شَرِّ الْقَوْمِ يَتَأَلَّفُهُ بِذَلِكَ^(٤).

وفي صحيح البخاري ومسلم: عن أنس، عنه عليه السلام قال: «إِنِّي أُعْطِي

رَجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْكَفْرِ أَتَأَلَّفُهُمْ»، الخبر - إلى أن قال: - «وَإِنَّكُمْ سَتْرُونَ

بِعَدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»^(٥).

وفي صحيح البخاري والترمذي: عن ابن مسعود، عنه عليه السلام قال:

«إِنَّكُمْ سَتْرُونَ بَعْدِي مَأْثِرَةً وَأُمُورًا تَنْكُرُونَهَا» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟

قال: «أَدْوُوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُّوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»^(٦).

وفي كتاب عبدالله بن أحمد بن حنبل: عن علي عليه السلام قال: «قال

(١) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، يكنى أبا نُجيد، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله عليه السلام غزوات، وولي قضاء البصرة، مات سنة ٥٢ هـ.

انظر: أسد الغابة ٣: ٤٠٤٢/٧٧٨، سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٥/٥٠٨، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ٤١ - ٦٠): ٢٧٣ - ٢٧٦.

(٢) الكامل لابن عدي ٣: ٦٣٤/٥٦٧، السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٩٩، المقاصد الحسنة: ٢٢٧/١٤٣.

(٣) شعب الإيمان ٤: ٤٩٧٥/٢٥٢.

(٤) لم نعثر عليه في كتابه، وحكاه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٥، والسيوطي في الجامع الصغير ٢: ٧١٢٣/٣٨٨، والمتقي في كنز العمال ٧: ١٨٥٢٢/١٦٠.

(٥) صحيح البخاري ٤: ١١٤ - ١١٥، و٥: ٢٠١، صحيح مسلم ٢: ١٠٥٩/٧٣٣ بتفاوت.

(٦) صحيح البخاري ٩: ٥٩، سنن الترمذي ٤: ٢١٩٠/٤٨٢.

رسول الله : سيكون اختلاف أوامر^(١) ، إن استطعت أن تكون السّلم فافعل^(٢) .

وفي مستدرك الحاكم : عن أبي ذرّ قال : قال لي رسول الله ﷺ :
«كيف أنت وأئمة يستأثرون بهذا الفيء؟» فقلت : أضع سيفي على عاتقي
وأجاهدهم حتّى أقتل ، فقال : «ألا أدلك على خير من ذلك ، اصبر حتّى
تلقاني»^(٣) .

وأمثال هذه الأخبار عديدة لا يمكن إنكارها ، وكفى ما ذكرنا ها هنا ،
وسنفضّل تحقيق لزوم التقيّة والمداراة ، وما هو من فروعها فيما يأتي من
المقالة التي أشرنا إليها^(٤) إن شاء الله تعالى ، فتأمل ولا تغفل .

(١) في «م» : أمراء ، وفي حاشية «ن» و«س» و«ش» : نسخة بدل (أمراء) .

(٢) مسند أحمد ١ : ٦٩٧/١٤٥ ، وحكاه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٤ .

(٣) انظر : المستدرك للحاكم ٤ : ٤٢٤ بتفاوت يسير .

(٤) في ص ٣٨٢ .

الفصل الخامس

في بيان أنّ المدار على هذا النوع من الامتحان المذكور في الباب وفصوله ، وكذا الامتحان الآتي [وأنه] كان في كل زمان حتى في هذه الأمة ولو على سبيل الشدة والضعف ، كما مرّ أنه كانت كذلك الامتحانات المتقدمة ، وهكذا يكون إلى قيام قائم آل محمّد عليه السلام . ونذكر هاهنا ما يدلّ على اقتفاء هذه الأمة من قبلهم من الأمم السابقة ^(١) في كل شيء حذو النعل بالنعل .

اعلم أنّ الجزء الأول من المقصود في هذا الفصل قد تبين تبيانا تاماً ممّا قد سبق ، كما هو ظاهر ، وسيأتي في الباب الآتي أيضاً ما يزيده بياناً ، ومع هذا نذكر بعض آياته وأخباره في ضمن بيان الجزء الثاني ؛ لالتحاد مفادهما جميعاً ، فلتوجه هاهنا إلى ذكر ما يوضح الجزء الثاني صريحاً وتلويحاً ، وإن كان هو أيضاً ممّا تبين ممّا سبق ضمناً ، فلنذكر أولاً نبذاً من الآيات ، ثم الروايات .

قال الله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ^(٢) أي : لتتبعن سنن السابقين حذو النعل بالنعل ، كما سيأتي في الأخبار ، وهذا تفسير صريح به

(١) في «م» : السالفة .

(٢) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٩ .

جمع من المفسرين^(١)، ووردت فيه أخبار من أئمة أهل البيت عليهم السلام أجمعين^(٢).

وقال عز وجل: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ

النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٥)، الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا

آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٦)، الآية.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَبْلِ﴾^(٧).

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ

فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٨).

وقال أيضاً: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا

(١) انظر: تفسير القمّي ٢: ٤١٣، مجمع البيان ٥: ٤٦٢، البحر المحيط ٨: ٤٤٨.

(٢) كمال الدين ٢: ٦/٤٨٠، و٥٧٦ (الباب الرابع والخمسون)، كتاب سليم بن قيس ٥٩٩: ٢.

(٣) سورة فصلت ٤١: ٤٣.

(٤) سورة المؤمنون ٢٣: ٨١.

(٥) سورة البقرة ٢: ١١٣.

(٦) سورة البقرة ٢: ١١٨.

(٧) سورة التوبة ٩: ٣٠.

(٨) سورة فاطر ٣٥: ٢٤ - ٢٥.

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ (٢) الآية .

وقال عزَّ شأنه: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣) .

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤) .

وقال أيضاً: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (٥) .

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وقال: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (٦) .

وقال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٧) .

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٨٤ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٠١ .

(٣) سورة الزخرف ٤٣ : ٦ - ٨ .

(٤) سورة الحجر ١٥ : ١٠ - ١٣ .

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٧٧ .

(٦) سورة النحل ١٦ : ٣٦ - ٣٧ .

(٧) سورة الفتح ٤٨ : ٢٣ .

وقال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

وقال أيضاً: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا﴾^(٢).

وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٣).

وقال: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٤).

وقال عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٦)، الآية.

وقال في ذكر المنافقين وأمثالهم: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْفِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾^(٧)،

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٦٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٨ .

(٣) سورة فاطر ٣٥ : ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ١٣٧ .

(٥) سورة النساء ٤ : ٢٦ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ١٤٤ .

(٧) سورة التوبة ٩ : ٦٩ .

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ (١) الآية .
وقال عز وجل: ﴿وَكَايُنَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢)، الآية .

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (٣)، الآية . وكفى من الآيات ما ذكرناه .

وفي بعض خطب علي عليه السلام: «واعلموا أن الله لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء يرضيه ممن كان قبلكم، وإنما تسيرون في أثر بين، وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم» (٤)، الخبر .

وفي أخرى: «إن الدهر يجري بالباقيين كجريه بالماضين» إلى قوله عليه السلام: «آخر أفعاله كأوله متشابهة أموره، متظاهرة أعلامه» (٥)، الخبر .
وفي أخرى: «حتى إذا قبض الله نبيه رجع قوم على الأعقاب» إلى قوله عليه السلام: «قد ماروا» (٦) في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن، ومفارق للدين مباين» (٧) .

(١) سورة البقرة ٢ : ٢١٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٤٦ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ١١٢ .

(٤) نهج البلاغة : ٢٦٦ الخطبة ١٨٣ بتفاوت يسير .

(٥) نهج البلاغة : ٢٢١ الخطبة ١٥٧ بتفاوت يسير .

(٦) مار الشيء ويمور موراً : أي : تحرك .

انظر : الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، ومجمع البحرين ٣ : ٤٨٥ - مادة مور - .

(٧) نهج البلاغة : ٢٠٩ الخطبة ١٥٠ بتفاوت يسير .

وفي أخرى: «لو لم تتخاذلوا عن نصره الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، لكنكم تهتمّ متاه بني إسرائيل ولعمري، ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد»^(١)، الخبر.

ولعل مراده عليه السلام بالتية في هذه الأمة تحيّرهم في أودية الضلالة بحيث يموتون على هذه الحالة، أو حرمانهم من معرفة بقية الأئمة.

وفي صحيح البخاري ومسلم: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»^(٢) وفي موضع من البخاري وصحيح مسلم: «حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» قلنا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!»، ورواه الحميدي هكذا أيضاً في الجمع بين الصحيحين^(٣)، وأخبار أهل البيت عليهم السلام بهذا المضمون مستفيضة^(٤).

وفي صحيح البخاري أيضاً: عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمّتي بأخذ القرون السابقة قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع»، فقيل: يارسول الله، كفارس والروم، قال: «ومن الناس^(٥) إلا أولئك»، ورواه الحميدي أيضاً وفيه: «حتى تأخذ أمّتي مأخذ القرون

(١) نهج البلاغة: ٢٤١ الخطبة ١٦٦.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠٦.

(٣) صحيح البخاري ٩: ١٢٦، صحيح مسلم ٤: ٢٠٥٤/٢٦٦٩، الجمع بين الصحيحين ٢: ١٧٥٣/٤٣٧، وأورده السيوطي في جامع الأحاديث ٥:

١٦٩٥٠/٢٢

(٤) كمال الدين ٢: ٤٨٠، كتاب سليم بن قيس ٢: ٥٩٩، تفسير القمي ٢: ٤١٣.

(٥) في «ش» نسخة بدل: «ومن هم».

الخالية»^(١) إلى آخر الخبر .

وفي جامع السيوطي : من صحيح الترمذي عن ابن عمر^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : «لِأَتَيْنَ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مَلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مَلَّةً ، كُلَّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مَلَّةً وَاحِدَةً»^(٣) .

ومن كتاب المستدرک للحاکم : عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «التَّركِبُ سُنَنٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشْبَرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ ، وَحَتَّى لَوْ جَامَعَ أَحَدُهُمْ امْرَأَتَهُ فِي الطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»^(٤) .

ومن كتاب ابن أبي شيبة : عن حذيفة عنه ﷺ قال : «التَّركِبُ سَنَةٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ ، وَالقَدَّةُ^(٥) بِالقَدَّةِ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أُدْرِي تَعْبُدُونَ الْعَجَلَ أَمْ لَا؟»^(٦) .

وفي الكشاف عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ

(١) صحيح البخاري ٩ : ١٢٦ ، الجمع بين الصحيحين ٣ : ٢٥٤١/٢٤٨ بتفاوت يسير .

(٢) كذا في النسخ ، وفي المصادر : ابن عمرو ، وهو عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٢٦٤١/٢٦ ، الجامع الصغير ٢ : ٧٥٣٢/٤٤٤ ، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول ١٠ : ٧٤٩١/٣٣ .

(٤) المستدرک للحاکم ٤ : ٤٥٥ ، الجامع الصغير ٢ : ٧٢٢٤/٤٠١ .

(٥) القَدَّةُ - بالضم والتشديد - : ريش السهم ، والجمع قُدْدٌ .

انظر : مجمع البحرين ٣ : ١٨٦ ، الصحاح ٢ : ٥٦٨ - مادة قُدْدٌ - .

(٦) المصنّف لابن أبي شيبة ١٥ : ١٩٢٣٤/١٠٦ ، جامع الأحاديث ١٩ : ١٤٦٤٤/٣١٨ .

الله ﴿١﴾، الآية، روى حديث حذيفة هكذا: قال النبي ﷺ: «أنتم أشبه الأمم سمناً بيني إسرائيل، لتركبن طريقهم»^(٢) إلى آخر الخبر .
وفي جامع الأصول روى حديث الترمذي هكذا: إنه كان للمشركين شجرة يسمونها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقال المسلمون للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، فقال: «هذا مثل قول قوم موسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة؛ لتركبن سنن من كان قبلكم». أخرجه الترمذي^(٣)، وزاد فيه رزين^(٤): «حذو النعل بالنعل، والقدة بالقدة، حتى إن كان فيهم من أتى أمه يكون فيكم، ولا أدري أتعبدون العجل، أم لا؟»^(٥) انتهى .

وستأتي أخبار اختلاف هذه الأمة كسائر الأمم في الباب الآتي، وسنبيّن هاهنا ما هو نظير عبادة العجل .
والظاهر أن مراده ﷺ بقوله: «ولا أدري أتعبدون العجل، أم لا؟» الإشارة إلى تحقّق النظر دون أصله، كطلبهم ذات أنواط، لا كإتيان الأمّ مثلاً، وحينئذٍ فالتعبير هكذا للإشعار بشدّة التشابه، فافهم .

وروى السيوطي أيضاً من الكتاب الكبير للطبراني عن ابن مسعود، قال: قال النبي ﷺ: «أنتم أشبه الأمم بيني إسرائيل لتركبن طريقتهن حذوة

(١) سورة المائدة ٥ : ٤٤ .

(٢) تفسير الكشاف ٢ : ٢٤٣ .

(٣) سنن الترمذي ٤ : ٤٧٥ / ٢١٨٠ .

(٤) رزين بن معاوية بن عمّار البغدادي الأندلسي السرقسطي، يكتنّى أبا الحسن، إمام الحرمين، جاور بمكة دهوراً، له كتب، منها: التجريد للصالح السنّة، مات سنة ٥٣٥هـ . انظر: روضات الجنّات ٣ : ٣٤٥ / ٣٠٣، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٢٩ / ٢٠٤ ،

شذرات الذهب ٤ : ١٠٦ ، الأعلام ٣ : ٢٠ .

(٥) جامع الأصول لابن الأثير ١٠ : ٧٤٩٢ / ٣٤ .

القذّة بالقذّة، حتّى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله، حتّى إنّ القوم لتمرّ عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها، ثمّ يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه»^(١).

وفي صحيح البخاري ومسلم، وكتاب الضياء المقدسي: عن عقبه ابن عامر^(٢)، قال: قال النبي ﷺ، وذكر الحديث - إلى أن قال عليه السلام: - «وإنّي أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم»^(٣).

وفي كتاب ابن عساکر^(٤): عن الحسن (بن عليّ عليه السلام)^(٥)، عن النبي ﷺ أنّه قال: «عشر خصال عملها قوم لوط، بها هلكوا، وتزيدها أمتي بخلة: إتيان الرجال بعضهم بعضاً، ورميهم بالجلاهق»^(٦)

(١) المعجم الكبير ١٠: ٩٨٨٢/٤٧، جامع الأحاديث ٣: ٨٦٧٧/٢٨٧.

(٢) عقبه بن عامر بن عيس بن عمرو بن عديّ، يكنى أبا حمّاد، وقيل: أبا عمرو، وغير ذلك، كان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وشهد صفين معه، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص، وولي مصر سنة ٤٤ هـ، ومات سنة ٥٨ هـ. انظر: الاستيعاب ٣: ١٨٢٤/١٠٧٣، أسد الغابة ٣: ٣٧٠٥/٥٥٠، سير أعلام النبلاء ٢: ٩٠/٤٦٧، الأعلام ٤: ٢٤٠.

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٢٠، ورد فيه مختصراً، صحيح مسلم ٤: ٣١/١٧٩٦.

(٤) هو علي بن أبي محمّد الحسن بن هبة الله، يكنى أبا القاسم، المعروف بابن عساکر، كان محدثاً في الشام في زمانه، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، له كتب، منها: تاريخ مدينة دمشق، والإشراف على معرفة الأطراف، وفصائل أصحاب الحديث، مات سنة ٥٧١ هـ بدمشق.

انظر: معجم الأدباء للحموي ١٣: ١٤/٧٣، وفيات الأعيان ٣: ٤٤١/٣٠٩، سير أعلام النبلاء ٢٠: ٣٥٤/٥٥٤.

(٥) ما بين القوسين لم يرد في المصدر.

(٦) الجلاهق - هي بضمّ الجيم - البندق المعمول من الطين، ومنه قوس الجلاهق.

انظر: مجمع البحرين ٥: ١٤٣ - ١٤٤، الصحاح ٤: ١٤٥٤.

والخذف^(١)، ولعبهم بالحمام، وضرب الدفوف، وشرب الخمر، وقصّ اللحية، وطول الشارب، والصغير، والصفيق، ولباس الحرير، وتزيدها أمّتي: إتيان النساء بعضهنّ بعضاً^(٢).

وروى السيوطي أيضاً، أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ بعثني رحمة للناس كافة، فأدّوا عني رحمكم الله، ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام، فإنّه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه، فأبى من قرب مكانه فكرهه، فشكى عيسى عليه السلام ذلك إلى الله تعالى، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلّم بلسان القوم الذين وجّه إليهم»^(٣)، الخبر.

وكان المراد أنّهم لما لم يتفقوا على محض متابعة عيسى عليه السلام، وكرهوا الاقتصار على ما أتاهم به، أوقع الله بينهم الاختلاف، فأنتم أيضاً كذلك إن لم تكتفوا على ما جئت به فتشركوا به مقتضيات آرائكم، وفيه دلالة على عدم حسن حال جميع الحواريين، فلا تغفل.

وستأتي في الباب الآتي أخبار متواترة في ذم الاختلاف ومتابعة الآراء، وإنّ ذلك الذي يوقع في الضلال، وأنّ مناط حسن الحال وسوئه في هذه الأمة وسائر الأمم جميعاً، إنّما هو الاقتصار على التمسك بمحكمات الكتاب وثابتات السنّة، وعدمه بإدخال الرأي وأمثاله، حتّى في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما قول النبي ﷺ: «إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنّما كتاب الله

(١) الخذف بالحصى: الرمي به بالأصابع.

انظر: الصحاح ٤: ١٣٤٧، مجمع البحرين ٥: ٤٢ - مادة خذف -.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٥٠: ٣٢٢، وحكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٦:

١٤١٣٨/١٧٤.

(٣) جامع الأحاديث ٢: ٦٧٠٠/٤٧٢، وفيه «فأماً» بدل «فأبى».

يصدق بعضه بعضاً» إلى قوله عليه السلام : «فما علمتم فيه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»^(١).

وفي صحيح ابن ماجه، والكبير للطبراني، كما سيأتي: عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لم يزل أمر بني إسرائيل كان معتدلاً حتى نشأ فيهم المولودون، وأبناء سبايا الأمم التي كانت بنو إسرائيل تسيبها، فقالوا بالرأي فضلوا وأصلوا»^(٢).

وسيأتي أيضاً من كتابي الطبراني وابن عساكر، وغيرهما قول النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله لم يبعث نبياً قبلي إلا كان في أمته من بعده مرجئة وقدريّة يشوشون أمر الأمة وإنهما لا يدخلان الجنة»^(٣) حتى فيه: «إن القدرية مجوس هذه الأمة»^(٤).

وفي كتاب الطبراني: عن ابن عمر، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»^(٥).

وفي كتاب البيهقي: عن علي عليه السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكيمين فضلاً وأصلاً، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا

(١) المصنّف للصنعاني ١١ : ٢١٦/٢٠٣٦، صحيح مسلم ٤ : ٢٠٥٣/٢٦٦٦، وفيه صدر الحديث، المعجم الأوسط ٣ : ٣٢١/٣٠١٩، جامع الأحاديث ٣ : ٢٠٦/٨١٨٦، ولم نعثر عليه في صحيح البخاري .

(٢) سنن ابن ماجه ١ : ٥٦/٢١، وفيه: عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ولم نعثر عليه في المعجم الكبير، وحكاها عنهما السيوطي في جامع الأحاديث ٥ : ٩٢/١٧٤٠٩.

(٣) انظر: المعجم الكبير ٢٠ : ١١٧/٢٣٢، وتاريخ مدينة دمشق ٦٥ : ١٥٥ - ١٥٦/٨٢٦١، وجامع الأحاديث ٢ : ٤٩١/٦٨٠٧.

(٤) كنز العمال ١ : ٣٦٢ - ٣٦٣/١٥٩٧ ضمن الحديث .

(٥) المعجم الأوسط ٨ : ٢٤/٧٧٥٤.

حكيمين فيضلاً ويضلاً من يتبعهما»^(١).

وسنذكر بعض بقية الأخبار، لاسيما الدالة على كون أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم نظراء أهل الحق في الأمم السابقة، فلنشرع الآن في بيان تفصيل الانطباق.

فاعلم أولاً: أنه لا يلزم - كما هو مفاد ما ذكرناه من الأخبار - أن يكون كل من أقسام الانطباق صورياً وبعين الكيفية التي وقعت في الأمم السابقة من جميع الجهات، ومع وجدان كل جهة كانت هناك هاهنا، بل يكفي مطلق التشابه وصدق النظر في الجملة، ولا حرج أيضاً في تعدد وقوع نظير شيء طول الأعصار وإن كان وجه الشبه في بعض غير الوجه في آخر.

ثم اعلم ثانياً: أنه لا شك، بل لا كلام أيضاً - كما تنادي به الأخبار المتواترة، لاسيما التي تأتي في فصول المقالة الأخيرة من المقصد الأول - في كون علي عليه السلام في هذه الأمة نظير هارون في بني إسرائيل، وكذا نظير يوشع بن نون فيهم، بل نظير كل وصي من أوصياء الأنبياء، بل كل ثابت الخيرية، حتى أن في كتابي العصامي^(٢) والخلعي^(٣): عن النبي صلى الله عليه وآله أنه

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٤٢٣ .

(٢) هو عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي المكي الشهير بالعصامي، المؤرخ الأديب، وهو حفيد الملا عصام عبدالملك بن جمال الدين (٩٧٨ هـ - ١٠٣٧) .

له كتب منها: سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي، ومنها: قيد الأوابد من الفوائد والعوائد، ولد بمكة سنة ١٠٤٩ هـ، وتوفي فيها سنة ١١١١ هـ . انظر: الأعلام ٤ : ١٥٧، هدية العارفين (ضمن كشف الظنون) ١ : ٦٢٨، البدر

الطالع ١ : ١٨٦/٢٠٤ .

(٣) هو القاضي علي بن الحسن بن الحسين الموصلي الأصل، يكتنى أبا الحسن،

قال: «ما من نبي إلا وله نظير من أمته وعليّ عليه السلام نظيري»^(١).

وكون الحسين عليه السلام نظير أبي هارون شبر وشبير، وكون الحسين عليه السلام نظير يحيى عليه السلام، وكون فاطمة عليها السلام نظيرة مريم عليها السلام؛ فمقابلهم مقابلهم . ولا بأس إن أشرنا إلى بعض تلك الروايات الموضّحات ها هنا ليكون من قبيل الأنموذج لما سيأتي ..

روى السيوطي في جامعه الكبير من مسند ابن حنبل وغيره، عن أسماء بنت عميس وغيرها: أن النبي صلى الله عليه وآله قال في حديث له: «اللهم إنني أقول كما قال أخي موسى عليه السلام: اجعل لي وزيراً من أهلي علياً عليه السلام أشدّ به أزرى وأشركه في أمري»^(٢)، وسيأتي مع غيره مفصلاً في الفصل الثاني من المقالة الأخيرة من المقصد الأول.

ومن كتاب ابن المغازلي^(٣) وغيره في حديث سدّ أبواب المسجد إلا

بها واشتهر بالخلعي، لأنه كان يبيع الخلع لأملاك مصر، وقد سمع أبا محمد عبدالرحمن بن عمر بن النحاس، وحدث عنه: أبو عليّ الصدفي، له كتب منها: المغني في الفقه، ولد سنة ٤٠٥ هـ، ومات سنة ٤٩٢ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣: ٤٤٤/٣١٧، سير أعلام النبلاء ١٩: ٤٢/٧٤، طبقات الشافعية للسبكي ٥: ٤٩٩/٢٥٣، شذرات الذهب ٣: ٣٩٨.

(١) الرياض النضرة ١: ٨١/٢٤٧ عن الخلعي، سمط النجوم العوالي ٣: ٣٠.

(٢) فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأحمد بن حنبل: ٢٨٠/٢٠٢، الدر المنثور للسيوطي ٥: ٥٦٦، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفي ١: ٢٢٢/٣٠٣، وانظر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٥٢، لم نعث عليه في الجامع الكبير.

(٣) هو عليّ بن محمد بن محمد بن الطيب الجلابي، يكتنّى أبا الحسن، المعروف بابن المغازلي من أهل واسط العراق، كان فاضلاً عارفاً برجال واسط وحديثهم، وكان حريصاً على سماع الحديث وطلبه، له كتب منها: مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، وذيل التاريخ لواسط، مات سنة ٤٨٣ هـ.

انظر: الأنساب ٢: ١٣٧.

باب عليّ عليه السلام : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ كَلَامَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ فَنَخِطَبُ وَقَالَ : «إِنَّ رَجُلًا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنِّي أَسْكُنُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ وَاللَّهِ ، مَا أَخْرَجْتُهُمْ وَلَا أَسْكَنْتُهُ (١) ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ : أَنْ تَبَوُّا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بِيوتًا ، وَاجْعَلُوا بِيوتَكُمْ قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَأَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ لَا يَسْكُنَ مَسْجِدَهُ ، وَلَا يَنْكَحَ فِيهِ ، وَلَا يَدْخُلُهُ جُنْبًا إِلَّا هَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُ ؛ وَأَنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ أَخِي دُونَ أَهْلِي ، وَلَا يَجُوزُ مَسْجِدِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْكَحَ فِيهِ النِّسَاءَ إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَنْ شَاءَ فَهَاهُنَا» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ (٢) ، وَسَيَّأَتِي هَذَا مَعَ غَيْرِهِ مَفْضَلًا ، لِأَسِيمَا فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ .

ومن كتاب صحيح النسائي (٣) والخوارزمي وغيرهما - كما يأتي - عن النبي ﷺ قال : «لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ وَوَارِثٌ ، وَإِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَارِثِي عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (٤) ، وَسَيَّأَتِي هَذَا مَعَ غَيْرِهِ مَفْضَلًا فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ مِنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ .

(١) في علل الشرائع زيادة : «بل الله أخرجهم وأسكنه» .
 (٢) علل الشرائع ١ : ٣/٢٠٢ (باب ١٥٤) ، المناقب لابن المغازلي : ٣٠٣/٢٥٥ ، الطرائف ١ : ٦١/٨٧ ، العمدة لابن البطريق : ٢٧٥/١٧٨ ، بتفاوت سير .
 (٣) هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي النسائي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، كان عارفاً في الحديث ، سئل في دمشق عن معاوية وفضائله ؟ فقال : لا أعرف له فضيلة إلا : «لا أشبع الله بطنك» ! له كتب منها : السنن ، والضعفاء والمتروكون ، وخصائص علي عليه السلام ، ولد سنة ٢١٥ هـ ، ومات سنة ٣٠٣ هـ .
 انظر : العبر ١ : ٣٠٣/٤٤٤ ، المنتظم ١٣ : ٢١١٢/١٥٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٩/٧٧ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٦٧/١٢٥ .

(٤) المناقب للخوارزمي : ٧٤/٨٤ ، الكامل لابن عدي ٥ : ٨٨٨/٨/٢١ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٣٨/٢٠٠ ، فردوس الأخبار للدليمي ٣ : ٥٠٤٧/٣٨٢ ، ولم نثر علي في سنن النسائي .

وروى البغوي، وكذا عبد الغني^(١) في الإيضاح، وابن عساكر وغيرهم، عن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «سَمِيَ هَارُونَ ابْنِيهِ شَبْرًا وَشَبِيرًا، وَإِنِّي سَمَيْتُ ابْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام كَمَا سَمَى بِهِ هَارُونَ ابْنِيهِ»^(٢)، وسيأتي هذا وغيره في فصل ذكر أحوالهما في الفصل الثالث من تلك المقالة.

وفي كتب وروايات عديدة، منها: كتابا ابن عدي وابن عساكر، عن ابن مسعود وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ الْخُلَفَاءَ بَعْدِي عِدَّةٌ نَقَبَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٣)، وسيأتي هذا مفصلاً في الفصل الحادي عشر من تلك المقالة. وفي كتاب أبي الشيخ^(٤) وابن عساكر، والرافعي: عن أنس، عن

(١) عبد الغني بن سعيد أبو محمد الأزدي المصري، الحافظ النسابة محدث الديار المصرية، له كتب منها: المؤلف والمختلف، مشتهبه النسبة، ولد سنة ٣٣٢ هـ ومات سنة ٤٠٩ هـ بمصر.

انظر: المنتظم ١٥: ٣٠٧٨/١٣٠، وفيات الأعيان ٣: ٤٠١/٢٢٣، سير أعلام النبلاء ١٧: ١٦٤/٢٦٨، شذرات الذهب ٣: ١٨٨، هدية العارفين ١: ٥٨٩.

وقد نقل عن كتاب الإيضاح لعبد الغني بن سعيد العسقلاني في تهذيب التهذيب ٤: ٢٣٤/١٢٢ والمكتفي الهندي في كنز العمال ٣: ٧٥٥٥/٤٩٠، و١٢: ٣٥٢٠٥/٣٢١، والمناوي في فيض القدير ٣: ٣١٦٣/٢٠٨، و٤: ٤٩٧١/١٨٦. ولم نر من نسب إليه هذا الكتاب فيما رأينا من تراجمه، والله العالم.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١١٨، و١٥٦٦/١١٩، وحكاة عنهم السيوطي في جامع الأحاديث ٦: ١٣٠٠٨/٥.

(٣) الكامل لابن عدي ٣: ٤٣٢، و٨: ٥٧٨، تاريخ مدينة دمشق ١٦: ١٩٢٨/٢٨٦، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٣٥٢، و٣٦٢، وفيها بتفاوت.

(٤) عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، يكنى أبا محمد، المعروف بأبي الشيخ، الحافظ المحدث، وقد سمع من أبي خليفة الجُمحي، والمروزي، وأبي القاسم البغوي وغيرهم، وحدث عنه ابن مندة، وابن مردويه، وأبو سعد الماليني

النبي ﷺ قال: «إِنَّ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ دَعَا رَبَّهُ - وَذَكَرَ الدُّعَاءَ - فَاحْتَبَسَتْ لَهُ الشَّمْسُ بِإِذْنِ اللَّهِ»^(١)، الخبر، وسيأتي هو، وصدور مثله عن عليّ عليه السلام في الفصل الثالث من تلك المقالة.

وفي مسند ابن حنبل وغيره: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْصَّادِقُونَ ثَلَاثَةٌ: حَبِيبَ النَّجَّارِ مُؤْمِنَ آلِ يَسَّ، وَحَزْبِيلَ مُؤْمِنَ آلِ فَرْعُونَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ»^(٢) وسيأتي هذا مع غيره، لاسيما في الفصل التاسع من تلك المقالة.

وفي أخبار كثيرة مرَّ بعضها سابقاً ويأتي بعضها أيضاً: أَنَّ الْأُمَّةَ تَغْدُرُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ .

منها: ما في الجمع بين الصحيحين عن عبدالله الغنوي^(٣)، عن عليّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ بِالرَّحْبَةِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ قَدْ أُبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ أَقُولَهَا، وَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنَّ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدُرُ بِكَ مِنْ بَعْدِي»^(٤).

وغيرهم، ولد سنة ٢٧٤ هـ، ومات سنة ٣٦٩ هـ.

انظر: ذكر أخبار إصهبان ٢: ٩٠، سير أعلام النبلاء ١٦: ١٩٦/٢٧٦، تذكرة الحفاظ ٣: ٨٩٦/١٠٥، العبر ٢: ١٣٢، النجوم الزاهرة ٢: ٣٦٩.

(١) التدوين في أخبار قزوين ٤: ٦٤ - ٦٥ بتفاوت، وحاكاه عنهم السيوطي في جامع الأحاديث ٣: ٨٠٢٤/١٨١.

(٢) فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابن حنبل: ١٩٤/١٣١، المؤلف والمختلف للدارقطني ٢: ٧٧٠، معرفة الصحابة لأبي نعيم ١: ٣٣٨/٣٠٢، المناقب لابن المغازلي: ٢٩٢/٢٤٥ - ٢٩٤.

(٣) عبدالله بن بكير الغنوي الكوفي، روى عنه: ابن مهدي، وإبراهيم بن الحسن الثعلبي، وغيرهما، وروى عن حكيم بن جببر، ولم يذكروا تاريخ وفاته. انظر: الجرح والتعديل ٥: ٧٣/١٦، الثقات لابن حبان ٨: ٣٣٥، ميزان الاعتدال ٢: ٤٢٣٣/٣٩٩، لسان الميزان ٣: ٧٥٣٢/٧٣٥.

(٤) المصدر غير متوفّر لدينا، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج عن الغنوي ٤: ١٠٧.

ومنها: ما في كتاب الخوارزمي: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اتَّقِ الضَّغَائِنَ الَّتِي لَكَ فِي صُدُورٍ مِنْ لَا يُظْهَرُهَا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِي»** ثم بكى **عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وقال: **«أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ أَنَّهُمْ يَظْلِمُونَهُ، وَيَمْنَعُونَهُ حَقَّهُ، وَيَقَاتِلُونَهُ وَيَقْتُلُونُ وَلَدَهُ وَيَظْلِمُونَهُمْ بَعْدَهُ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ ذَلِكَ يَزُولُ إِذَا قَامَ قَائِمُهُمْ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُمْ، وَاجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَكَانَ الشَّانِي لَهُمْ قَلِيلًا»** (١)، الخبير.

وسياتي في فصل الآيات - وهو الفصل التاسع من المقالة الثانية عشرة من المقصد الأول - عند ذكر قوله تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** (٢) حديث من طريق المخالفين، بأن جميع أمم الأنبياء كآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى **عليهم السلام** ما وفوا بعهد أنبيائهم في تعيين أوصيائهم، وأن هذه الأمة أيضاً تسلك مسلكهم ولا تُوفي بوصي رسول الله **ﷺ**، أي: علياً **عليه السلام**، لينظر في الحديث.

وإذ قد تبين هذا كله، فنقول: إذ كان علي **عليه السلام** نظير هارون، فجميع الذين تركوا مبايعته بعد وفاة النبي **ﷺ** - الذي هو بمنزلة زمان غيبة موسى **عليه السلام** للمناجاة - واتخذوا من لم يأمرهم النبي **ﷺ** إماماً ومطاعاً، زاعمين كون إطاعته أحق من إطاعة علي **عليه السلام** - الذي نص النبي على منزلته المذكورة - بمحض اختيار جماعة إياه عليه، فهم نظراء عبّاد العجل من بني إسرائيل.

ولا يندفع هذا باجتماع عامة الأمة على ذلك الاتخاذ، بل إنما هو من شواهد الانطباق؛ ضرورة أن قوم موسى **عليه السلام** أيضاً هكذا فعلوا، كما ينادي به قول هارون **عليه السلام**: **﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾** (٣).

(١) المناقب للخوارزمي: ٣١/٦٢ ضمن الحديث.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٠.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٥٠.

وقد ورد في الحديث - كما يأتي في محله - أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضاً تَوَجَّهَ أَيَّامَ السَّقِيْفَةِ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَاطَبَهُ شَاكِيًّا بِهَذِهِ الْآيَةِ (١).

ولا يخفى أَنَّهُ عَلَى هَذَا تَكُونُ ضَلَالَةٌ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَشَدَّ؛ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَعُوا أُخِيرًا وَهَوَّلَاءَ لَمْ يَرْجِعُوا؛ ضَرُورَةً أَنَّ يَبْعَتَهُمْ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ عُثْمَانَ إِنَّمَا كَانَتْ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّشْرِيكِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا لَيْسَ مَخْتَصًّا بِحِكَايَةِ السَّقِيْفَةِ، بَلْ يُمْكِنُ التَّطْبِيقَ عَلَى حِكَايَةِ الْجَمَلِ وَمَعَاوِيَةَ أَيْضاً، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ، إِلَّا أَنَّ تَطْبِيقَ أَمْرِ السَّقِيْفَةِ أَوْفَقٌ؛ لِعَدَمِ مَحَارَبَةِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابِ الْعَجَلِ، بَلْ تَمَسَّكَ بِالصَّبْرِ وَالسَّكُوتِ بَعْدَ إِضْحَاحِ النَّصِيْحَةِ لَهُمْ وَعَدَمِ قَبُولِهِمْ مِنْهُ.

وَأَمَّا حِكَايَةُ الْجَمَلِ فَهِيَ بَعِيْنَهَا مِثْلُ مَا فَعَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ مُوسَى بِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَصِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَيْثُ إِنْتَهَمَ - كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْيَهُودِ أَيْضاً - خَالَفُوا يُوشَعَ بْنَ نُونٍ بَعْدَ مَا تَمَكَّنَ عَلَى أَمْرِهِ، فَأَخْرَجُوا صَفُورَاءَ امْرَأَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَيْثُ كَانَتْ مَعْتَبَرَةً عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيْضاً - مَعَهُمْ، وَنَازَعُوهُ بِالْمَحَارَبَةِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَلَزِمَ صَفُورَاءَ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَسْكِنِهَا، وَقَالَ لَهَا: سَأَشْكُو عَلَيْكَ عِنْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى أَنْ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَ عَلَى يُوشَعَ - بَدُونَ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ بِقُوَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - بَعْضُ قَوْمِهِ (٢).

وَقَدْ اتَّفَقَ الْيَهُودُ أَيْضاً عَلَى أَنَّ الْوَصَايَةَ انْتَقَلَتْ بَعْدَ يُوشَعَ بِأَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَسْلِيمِ يُوشَعَ إِلَى شُبَّيرَ، ثُمَّ إِلَى شَبِيرِ ابْنِي هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ

(١) انظر: تفسير العيَّاشي ٢: ١٧٥٦/٢٠٤ - ٧٦ ضمن الحديث، شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد ١١: ١١١.

(٢) انظر: بشارة المصطفى: ٩/٤٢٨.

كانت في نسل شبير^(١) .

من أراد تحقيق ذلك كله فعليه بعلماء اليهود وكتبهم ، وقد أخبر به أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً ، ونقل نبذاً منه العامة عن كعب الأحبار وغيره ، كما سيأتي في محله .

• وأما حكاية معاوية فهي بحكاية فرعون وموسى أشبه ، لاسيما بعد ورود ما سيأتي في المقالة السادسة من المقصد الثاني من تصريح النبي صلى الله عليه وآله بأن : «معاوية فرعون هذه الأمة يموت على غير الملة»^(٢) ولا شك حينئذٍ أن هامانه عمرو بن العاص .

ومن الشواهد هاهنا ما صدر منه ومن أتباعه - الذين بمنزلة قوم فرعون - بالنسبة إلى شيعة علي عليه السلام وأتباعه - الذين بمنزلة مؤمني بني إسرائيل - من القتل والقمع والنهب والسبي ، حتى أنه لم يكن أحد يذكر علياً عليه السلام بخير إلا قتلوه وأخربوا بيته ، كما هو مسطور^(٣) في التواريخ مفصلاً^(٤) ، إلى أن غرق هو وجنوده في بحر ضلالة الغواية ، ولم ينجوا منه ؛ ضرورة أنه لم يرجع إلى أن مات ، ويمكن أن يكون نظير الغرق يوم انكساره في صفين ، حيث رفع القرآن وأظهر الإيمان ، كما قال فرعون عند الإشراف على الغرق ، بل الحق أن كل من لم يكن حكمه في هذه الأمة من الله كان بمنزلة فرعون وسائر الجبارين في الأمم .

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢١١ .

(٢) انظر : الإيضاح لابن شاذان : ٨٧ ، الخصال : ١/٥٧٥ ، (أبواب السبعين) ضمن الحديث .

(٣) في «م» : مذكور .

(٤) انظر : الغارات ٢ : ٥٩٨ - ٦٢١ ، مروج الذهب ٣ : ٢١ - ٢٢ ، الاستيعاب ١ :

١٦٢ - ١٦٣ ، تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ١٥١ ، و١٥٢ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٧٧ - ٣٨٥ .

والإمام الحقّ في زمانه كالنبيّ في تلك الأعصار، كما قال رسول الله ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»^(١).

ألا ترى إلى الحسين عليه السلام كيف كالكبش لأجل ولد زنا، كما ذبح يحيى لأجل زانية؟ ولهذا قال النبيّ - كما سيأتي في محلّه -: «إنّ الله تعالى قتل بدم يحيى سبعين ألفاً، وسيقتل بدم ابني هذا - يعني الحسين عليه السلام - سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً، وسبعين ألفاً»^(٢).

وروى أبو مخنف^(٣) وغيره: أنّ رجلاً من الصحابة لقي عليّ بن الحسين عليه السلام بالشام، فقال له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ فقال: «أصبحنا كبني إسرائيل في قوم فرعون، يذبّحون رجالنا ويسبون نساءنا»^(٤). ودخل أبو بصير^(٥) على الصادق عليه السلام، وله نفس عالٍ وحال مشوّش

(١) غوالي اللآلي ٤ : ٦٧/٧٧ ، منية المرید : ١٨٢ .

(٢) إعلام الوری ١ : ٤٢٩ ، تاریخ بغداد ١ : ١٤٢ في ترجمة الحسين بن عليّ عليه السلام ، فردوس الأخبار ٣ : ٤٥٥٤/٢٣٨ ، تاریخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٢٥ ، وفيها بتفاوت في بعض الألفاظ .

(٣) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن سالم الأزدي الغامدي ، يكتنّى أبا مخنف ، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين والسجّاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم ، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم ، وكان يسكن إلى ما يرويه . وله كتب كثيرة ، منها : المغازي ، السقيفة ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام وغيرها . انظر: رجال النجاشي: ٨٧٥/٣٢٠ ، رجال الطوسي ٣٩٧٥/٢٧٥ ، تنقيح المقال ٢ : ٩٩٩٢/٤٣ من أبواب اللام .

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢ : ٧١ ، مثير الأحزان : ١٠٥ ، اللهوف : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، الفتوح لابن أعمش الكوفي ٥ : ١٥٥ .

(٥) هو ليث بن البختری المرادي ، يكتنّى أبا محمّد ، أو أبا بصير الأصغر ، من أصحاب الباقر والصادق والكاظم عليه السلام ، ومن المخبتين الأربعة الذين بشرهم أبو عبد الله عليه السلام

فسأله عن ذلك، فقال: لما نرى من هؤلاء المخالفين من الطعن والأذى حتى سمونا رافضة؟ فقال له ما خلاصته: «لا تحزن من هذا، فإن بني إسرائيل لما آمنوا بموسى عليه السلام ورفضوا فرعون وقومه، سماهم قوم فرعون رافضة، فأنزل الله تعالى على موسى عليه السلام: أن بشر بني إسرائيل بأنني كتبت لهم هذا الاسم في اللوح، واصطفيتهم به، فما ترضى يا أبا محمد بما سماكم الله تعالى به! فإنكم والله، رفضتم الباطل وتمسكتم بالحق، كما كان كذلك المؤمنون قبلكم، وإن هؤلاء القوم رفضوا الحق الذي أمر الله به من ولاية علي عليه السلام والتمسك بالعترة الطاهرة، واتبعوا ما أسخط الله بأهوائهم وآرائهم، فهم على سبيل فرعون وقومه، وأنتم على بينة من ربكم كموسى عليه السلام وقومه»^(١) وأمثال هذا كثيرة.

ويكفي ما ذكرناه لصاحب البصيرة، حتى أن من أشبه الأمور ما وقع بالنسبة إلى كتاب الله عز وجل، فإن علياً عليه السلام - كما نقل المخالف والمؤلف - شرع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجمع كتاب الله عز وجل، وقال: «أمرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أرتدي بردائي حتى أجمعه»^(٢)، وأخبرهم أنه جمعه على تنزيله، وما

﴿بالبجّة﴾ هو وبريد بن معاوية العجلي ومحمد بن مسلم وزارة، وعده الإمام الصادق من أوتاد الأرض وأعلام الدين.

- انظر: رجال النجاشي: ٨٧٦/٣٢١، رجال الطوسي: ٣٩٧٠/٢٧٥، الخلاصة للعلامة الحلّي: ٧٩٨/٢٣٤، تنقيح المقال ٢: ٩٩٩٨/٤٤ من أبواب اللام.
- (١) انظر: الكافي ٨: ٦/٣٣، الاختصاص: ١٠٤، وفيهما: ضمن الحديث.
- (٢) انظر: كتاب سليم بن قيس ٢: ٥٨١، تفسير العياشي ٢: ١٧٥٦/٢٠٤ - ٧٦، تفسير القمي ٢: ٤٥١، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٥١، الاحتجاج ١: ٢٠٧، حلية الأولياء ١: ٦٧، الاستيعاب ٣: ٩٧٤ في ترجمة أبي بكر، المناقب للخوارزمي ٩٣/٩٤، شواهد التنزيل ١: ٢٣/٢٦ - ٢٥، الصواعق المحرقة: ١٩٧، الإنفاق في علوم القرآن ١: ٢٠٤.

ينبغي أن يكون عليه، فلم يعبأوا بقوله ولم يتوجهوا إليه، فبقي على حاله مهجوراً، وحفظه الأئمة من أهل البيت بعد عليّ عليه السلام مستوراً، كما هو ثابت عندنا بأخبارهم متواتراً^(١)، وإن عمت عنه عيون الأجانب، بل تدلّ عليه بعض منقولات المخالفين أيضاً^(٢)، وليبانه موضع آخر.

فكانت الصحابة مكتفين برهة من الزمان بما كان منه عندهم متفرقاً، إلى أن قتل عامّة حفاظه في حرب اليمامة، حتّى نقلوا أنّه كانت بعض الأوراق منه عند منبر النبي صلى الله عليه وآله فأكلته عنزة، فعند ذلك قعد عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت في المسجد بشور أبي بكر^(٣)، ونادوا بالناس أن يأتي كلّ أحد بما عنده من القرآن، فمن كان له شاهدان على أن ما عنده من القرآن كتبه وإلا فلا، إلى أن قُتل عمر واستخلف عثمان فشرع هو في جمعه وترتيبه على هذا الوضع المشهود والكيفية الموجودة، وكتب أربعة^(٤) مصاحف على هذا الوضع المخصوص، وأرسل كلّ واحد إلى بلده، وأمر

(١) انظر: الكافي ١/١٧٨ (باب أنّه لم يجمع القرآن كلّهُ إلا الأئمة عليهم السلام)، و ٢:

٢٣/٤٦٢ (باب النوادر)، والاحتجاج ١: ٣٥٨ - ٣٦١.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١: ٤.

(٣) هو عبدالله بن أبي قحافة، يكنى أبا بكر، تَمَّصَّ الحكومة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بمبايعة صورية، كما بيّن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية: «أما والله، لقد تَمَّصَّها ابن أبي قحافة...» وكانت حكومته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

مات سنة ١٣ هـ.

انظر: الإمامة والسياسة ١: ٢١، أنساب الأشراف ٢: ٢٥٩، مروج الذهب ٢:

٣٠١ - ٣٠٤، الاستيعاب ٣: ١٦٣٣/٩٦٣، وفيات الأعيان ٣: ٣٣٩/٦٤، شرح نهج

البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥١.

(٤) في النسخ المعتمدة ورد (أربع) والظاهر أن ما أثبتناه هو الصحيح.

بالاجتماع على ذلك، وجمع سائر ما كان عند الناس من المصاحف فأحرقها، حتى ما جمعه عمر وزيد، ومصحف ابن مسعود وأبي بن كعب^(١) وغيرهم معتذراً بأن مراده رفع الاختلاف، وجميع هذا مما استفاضت فيه أخبار المخالفين^(٢).

وفي الأخبار المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام: (٣) أن مقصدهم إنما كان إسقاط ما لم يريدوا ذكره ونحو ذلك، كإسقاط أسامي جماعة من المشركين، ولفظة «في علي» من آية التبليغ^(٤) (٥) وأمثال ذلك. حتى ورد في أخبار: «أن الله تعالى لما كان يعلم بعلمه الكامل أنهم يسقطون بعض الأشياء الصريحة، أجمل في ذكر بعض الأشياء ليسلم من

(١) هو أبي بن كعب بن قيس النجاري الأنصاري المدني، يكتى أبا المنذر، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعيد بن زيد، شهد العقبة الأولى وبدراً، والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عُدَّ من القراء، وتصدى لإقراء كتاب الله تعالى.

واختلف في وفاته على أقوال، منها: أنه مات سنة ٢٠ هـ.

انظر: رجال البرقي: ٦٣، رجال الطوسي: ١٥/٢٢، الخلاصة للعلامة الحلبي: ١٢٣/٧٤، الطبقات لابن سعد ٣: ٤٩٨، الاستيعاب ١: ٦/٦٥، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٤٤/١٠٨، طبقات القراء ١: ٣/٩.

(٢) انظر: جامع الأصول ٢: ٩٤٧/٥٠١، و٩٧٥/٥٠٣، التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ١، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري في هامش جامع البيان ١: ٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١: ٥٢ - ٥٤.

(٣) من هنا إلى صفحة ٤١٣ هامش (٢) بياض في «ن».

(٤) سورة المائدة ٥: ٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾.

(٥) انظر: تفسير العياشي ٢: ٦٣، اختيار معرفة الرجال: ٥١١/٣٥٨، ثواب الأعمال: ١/١٣٧، تفسير القمي ١: ١٠، شواهد التنزيل ١: ٢٤٣/١٨٧، الاحتجاج ١:

الإسقاط ، ويهتدي به أصحاب البصائر»^(١)؛ حَتَّى قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَبِیَوْمٍ يَعْصُ الْأَطْلَامُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَسْلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ * بِنُوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٢)»^(٣) ، وأمثال ذلك .

وعلى أيّ تقدير ، لا شكّ في أنّ مثل هذا الجمع يستلزم عدم إدخال بعض الآيات وتغيير بعض الكلمات ، ولحن بعض العبارات والتقديم والتأخير ونحو ذلك ، وإن لم ندع التعمد ، كما ورد أنّ قوله تعالى : ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤) تصحيف ﴿صراط علي﴾ يعني : أمير المؤمنين عليه السلام^(٥) ، وأنّ ﴿إِلَ يَاسِينَ﴾^(٦) هو : آل ياسين ، أي : آل محمد عليه السلام^(٧) ، وأنّ آية بيعة الرضوان في سورة الفتح^(٨) كانت قبل آية البيعة^(٩) ونكثها^(١٠) ، وأنّ آية

(١) انظر : الاحتجاج ١ : ١٣٧/٥٩٥ .

(٢) سورة الفرقان ٢٥ : ٢٧ - ٢٩ .

(٣) انظر : الاحتجاج ١ : ١٣٥/٥٧٥ .

(٤) سورة الحجر ١٥ : ٤١ .

(٥) بصائر الدرجات : ٢٥/٥٣٢ ، تفسير فرات الكوفي : ١٦٤/١٣٧ ، الكافي ١ :

٦٣/٣٥١ ، (باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية) ، الطرائف ١ : ١٣٥/١٤٠ ،

تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١/٢٤٧ .

(٦) سورة الصافات ٣٧ : ١٣٠ .

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٣٧ قطعة من حديث ١ ، (باب ٢٣) ، تفسير فرات

الكوفي : ٤٨٥/٣٥٦ - ٤٨٦ ، تفسير القمي ٢ : ٢٢٦ ، معاني الأخبار : ١٢٢ ،

الاحتجاج ١ : ١٣٧/٥٩٧ ، تأويل الآيات الظاهرة ٢ : ٤٩٨ - ١٣/٥٠٠ - ١٨ .

(٨) سورة الفتح ٤٨ : ١٨ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةِ...﴾ .

(٩) سورة الفتح ٤٨ : ١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ .

(١٠) تفسير القمي ٢ : ٣١٥ .

التطهير^(١) لم تكن بين آيات النساء^(٢)، وأمثال ذلك .

وبالجملة : إنكار تطرُق الاشتباه والسقوط والتحريف باللحن والتصحيف والتقديم والتأخير مكابرة صريحة في مقابل العقل والنقل ، حتى نقلوا: أن عثمان أيضاً اعترف بأن فيه بعض اللحن ، إلا أنه قال : لكن العرب يصحّحونه^(٣) بألسنتهم^(٤) ! وهذا هو بعينه ما صدر من اليهود والنصارى من تحريف الكتابين وتضيع جمّة منهما .

وخلاصة هذه القصة - على ما يظهر من ملاحظة مجموع ما نقله هم ، وأهل الإسلام ، لاسيّما أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا أعرف منهم بكتبهم وأحوالهم ، بل أصل الكتب السماوية كلّها عندهم ، كما ينادي به ما يأتي في فصل بيان علومهم - : أن موسى عليه السلام لما ارتحل عن الدنيا أوصى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون عليه السلام وصيّته من بعده ، وأودعه ما كان عنده من العلوم وكتب الأنبياء عليهم السلام ، فلما شوّش على يوشع أمره من دخل في أمره من قومه ، ولم يتمكن يوشع بذلك من إظهار ما عنده ، بقي التوراة متفرّقة ، وكان يحفظ كلّ شخص شيئاً منه إلى أن غلب عليهم بخت نصر^(٥) ، فقتل كثيراً من حفاظ ذلك ، فلما رأى بعض أولاد

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

(٢) انظر : تفسير القمي ٢ : ١٩٣ .

(٣) في النسخ وردت : (يصحّحوه) ، والظاهر أنّ ما أثبتناه هو الصواب .

(٤) التفسير الكبير ١١ : ١٠٦ بتفاوت ، كنز العمال ٢ : ٥٨٦ - ٥٨٧ / ٥٨٤ - ٤٧٨٦ .

(٥) بخت نصر : اسمه (بخترشه) ، وهو مرزبان العراق والغرب من قبل الملك لهراسب ، أحد ملوك الفرس ، والمرزبان من كان صاحب ريع من المملكة وقائداً عسكرياً ووزيراً ، وصاحب ناحية من النواحي وواليتها ، وقد بعث به للنفوذ إلى

هارون ذلك جمع من محفوظاته ومن الفصول التي كانت عند غيره أسفاراً.

فهذه التوراة التي بيد اليهود ذلك المجموع لا كتاب الله التام، وعلى هذا اتفاق اليهود، كما صرح به بعضهم، قال: وفيه التبديل والتغيير ولو من غير تعمد، لكن يظهر من الآيات القرآنية أن بعض الأخبار - وهم علماء اليهود والصلحاء منهم - أيضاً غيروا بعض الأشياء تعمداً، حتى أن من جملة ما غيروا اسم النبي ﷺ - فيما مر في أول الكتاب - من عبارة التوراة؛ حيث ذكرنا أن فيها: (بماذ ماذ شنيم عار سار سني ايم) فغير (ماذ ماذ) الذي هو محمد ﷺ بلغتهم (بماذو ماذو) بإضافة الواو، بمعنى: عظيم عظيم، وقرأ بعضهم: (مانذ مانذ) بإضافة الهمزة، بمعنى: جداً جداً، وهكذا غيره من التحريفات والإسقاط.

قال الشهرستاني^(١): إن التوراة بأسرها مشتملة على دلالات وآيات تدل على كون شريعة المصطفى حقاً، وكون صاحب الشريعة صادقاً، ولكنهم حرّفوه وغيروه وبدّلوه، إما تحريفاً من حيث الكتابة والصورة، وإما تحريفاً من حيث التفسير والتأويل.

﴿لأرض الشام وبيت المقدس، فقتل كثيراً منهم، وأجلى اليهود من هناك وسبى ذراريهم، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية الشريفة ١٥٨١ سنة .

انظر: تاريخ الطبري ١: ٥٣٨، مروج الذهب ١: ٢٤٠، ٢٥١، الكامل في

التاريخ ١: ٢٦١، و ١٢: ٣٥٨.

(١) هو محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، يكتب أبا الفتح، المتكلم على مذهب الأشعري، له كتب منها: الملل والنحل، وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، والمناهج والبيّنات، ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم سنة ٤٧٩هـ، ومات فيها سنة ٥٤٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤: ٦١١/٢٧٣، العبر ٣: ٧، معجم المؤلفين ١٠: ١٨٧.

ثم ذكر من ذلك الآية المذكورة بطولها كما مرّت في أول الكتاب ، ثم قال : إنهم أولوها بالملك دون النبوة ، وذكر جواباً شافياً عن ذلك ، ثم قال : ومن العجيب أن في التوراة : إن الأسباط من بني إسرائيل كانوا يراجعون علماء القبائل من بني إسماعيل ، ويعلمون أن عندهم علماء لدنياً لم يشتمل التوراة عليه ، حتى كانوا يسمّونهم آل الله ، أي : أهل الله (١) .

أقول : تأمل في هذا حتى تعرف التشابه فيه أيضاً ، حيث إن المخالفين - كما يأتي - معترفون بأمثال هذه الكمالات في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) (٢) ، ويجدون دلالة بعض الآيات على إمامتهم ، ومع هذا يؤولونها بتأويلات غير مستقيمة ، فافهم .

وكذلك لما ارتحل عيسى (عليه السلام) أوصى إلى شمعون الصفا ، وأودعه الأسرار والعلوم والكتب السابقة والإنجيل ، وكان هو أفضل الحواريين علماً وزهداً وورعاً وأدباً ، فشوّش أمره من أدخل نفسه في أمره (٣) .

قال الشهرستاني في الملل والنحل : إن قولوس هو الذي شوّش أمر شمعون ، وصيّر نفسه شريكاً له ، وغير أوضاع علمه ، وخلطه بكلام الفلاسفة ووسواس خاطره (٤) .

وبالجملة : لما صاروا كذا بقى الإنجيل أيضاً متفرقاً متشتتاً بيد الحواريين ، حتى ضاع كثير منه إلى أن تصدّوا لجمعه ، فجمع أربعة رجال منهم ، كل واحد إنجيلاً .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) من صفحة ٤٠٩ هامش (٣) إلى هنا بياض في «ن» .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢١ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢١ ، وفيه : (قولوس) بدل (قولوس) .

قال الشهرستاني : كان أحدهم : متى ، والآخر : الوقا ، والثالث : مارقوس ، والرابع : يوحنا^(١) ؛ ولأجل هذا صارت فيه التحريفات والتغييرات ، ثم تصرّفوا فيه أيضاً فيما بعد .

قال الشهرستاني : ومنهم نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون^(٢) ، وتصرّف في الأناجيل بحكم رأيه^(٣) .

أقول : إذا تأملت فيما ذكرناه - مع كونه مختصراً من المطوّل - ظهر لك ما ادّعيناه من التطبيق في هذا أيضاً ، بل ظهر التطابق والتشابه في أصل إدخال جمع أنفسهم في أمر يوشع وصيّ موسى عليه السلام وشمعون وصيّ عيسى عليه السلام قسراً بغير أمر النبيّ ورضا الوصيّ ، وأنّ ذلك صار سبب التفرّق وتغيير الكتاب وخراب الدين ، حتّى أنّ فيه فساد بعض الحواريين^(٤) ، وفيه من التشابه ما لا يخفى .

ومن العجائب أنّ هذا ممّا نقله جمع من المخالفين ، كالشهرستاني وغيره من أرباب نقل المذاهب ، ومع هذا لم يتفظّنوا بما فيه من الإفساد عليهم ، وأمثال هذه الأشياء كثيرة .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢١ ، وفيه : «لوقا» بدل «الوقا» و«مرقس» بدل «مارقوس» .

(٢) هو عبدالله بن هارون الرشيد بن محمّد المهدي ، يكنّى أبا العباس ، سابع الحكّام من بني العباس في العراق ، وعلى يده كان استشهاد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بعد أن دسّ له السمّ .

ولد سنة ١٧٠ هـ ، ومات سنة ٢١٨ هـ .

انظر : مروج الذهب ٣ : ٤١٦ ، تاريخ بغداد ١٠ : ١٨٣ / ٥٣٣٠ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٧٢ / ٢٧٢ ، العبر ١ : ٢٩٥ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٩ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢٤ .

(٤) في «م» : الروحانيين .

وكفى ما نقلناه هاهنا من هذا النوع من التشابه، فلنرجع حينئذٍ إلى بيان نبذٍ من التشابه في المذاهب .

قال الشهرستاني وغيره: إن اليهود أنكروا البداء على الله، وإن أكثرهم قالوا بالتشبيه والرؤية؛ حيث وجدوا التوراة مشتملة على كثير من المتشابهات، مثل: الصورة، والمشافهة، والتكلم، والنزول على طور سيناء، والاستواء على العرش، وغير ذلك، حتى قالوا: له صورة آدم، وله شعر ققط، وبكى على طوفان نوح عليه السلام، وإنه ضحك، وأمثال ذلك ^(١).
قال الشهرستاني: وأما القول في القدر، فهم مختلفون فيه أيضاً، فمنهم كالمعتزلة، ومنهم كالجبرية ...

قال: وكذا أكثرهم أنكروا الرجعة وأحالوها، وفيهم القول بها؛ استناداً إلى قصة عزيز؛ إذ أماته الله مائة عام، ثم بعثه ^(٢).
وقال أيضاً: إن اليهود انشعبت إلى إحدى وسبعين فرقة، وكبارهم أربعة، وذكر تفاصيل أكثرها.

ثم قال: وإنهم بأسرهم أجمعوا على أن في التوراة بشارةً بواحدٍ بعد موسى عليه السلام، وافترقوا في تعيين ذلك الواحد، وفي الزيادة على الواحد.
قال: وذكر المسيح وأثاره ظاهرة في الأسفار، وخروج واحد في آخر الزمان هو الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره أيضاً متفق عليه، وهم على انتظاره ^(٣).

ثم إنه ذكر في فرق اليهود فرقة صرح غيره بأنهم من أتباع بعض ولد

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢١١ - ٢١٧، وردت متفرقة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢١٢ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢١٩ بتفاوت .

هارون، وعدّهم هو من أتباع رجل يسمّى يوذعان، أو يهوذا، ولا ينافي أيضاً كونه من ولد هارون .

وبالجملة : ذكر هو مع غيره - لاسيّما رجل أسلم من اليهود وكتب في ذلك كتاباً :- أن تلك الفرقة من أتباع رجل كان يحثّ على الزهد وتكثير الصلاة، وينهى عن اللحوم والأنبذة، وكان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً، وخالف بتأويلاته عامّة اليهود، وخالفهم في التشبيه والرؤية والجبر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد، وقدّر الثواب والعقاب عليه، وقال: إنّ الشريعة لا تكون إلا واحدة، وإنّه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر، ولا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها^(١)، وأمثال ذلك حتّى القول بالبداء والنسخ في بعض الأحكام .

أقول : سيأتي في بيان المذاهب - ومن الواضحات أيضاً - أن ما سوى مذهب الهاروني والقول بالرجعة بعينه مذاهب المخالفين، كما أن قول الهاروني والرجعة عين مذهب الإمامية، ولا يبعد كون الهاروني أيضاً هو القائل بالرجعة، بل هو الظاهر، وكذا الإمامية هم أشباه من عين المبشّر بعد موسى بأنّه عيسى بن مريم عليه السلام، ومحمّد صلى الله عليه وآله بعد عيسى ؛ لتعيينهم المهدي المبشّر في هذه الأمة بأنّه الحجة بن الحسن عليه السلام، فتأمل ولا تغفل عن مشابهة إنكار الرجعة في هذه الأمة بإنكار الكفّار الحشر يوم القيامة، فافهم .

ثمّ إنّ الرجل الذي أسلم وألّف كتاباً في ذلك قال: إنّ بعد مضيّ مدّة تسلّط على بني إسرائيل جماعة من الملوك الكفرة وعبدة الأصنام، وقتلوا

الأنبياء منهم وأتباعهم ، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم ، وبنوا لأصنامهم بيعة عظيمة ، وقرروا آداباً ورسوماً لعبادتها ، ودعوا الناس إلى ذلك حتى عكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل ، لاسيما في زمان ملكٍ كان يقال له : ياربعام بن نواط ، فإنه الذي خرج على ولد سليمان بن داود عليه السلام ، وانضم إليه تسعة أسباط ^(١) ونصف من بني إسرائيل ، وتركوا أحكام التوراة وشرعها مدة طويلة بعد أن صارت مقاتلة عظيمة بينهم وبين بقية بني إسرائيل المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان في بيت المقدس ؛ بحيث قتل خمسمائة ألف رجل ، وتفرق اليهود في البلدان ، وغلب عليهم الفرس واليونان ، بحيث منعوهم عن الصلاة زعماً منهم أنهم يدعون عليهم في صلواتهم ، فاخترع اليهود أدعية مشتملة على بعض فصول صلواتهم ، وشرعوا يقرؤونها مجتمعين في أوقات صلواتهم بألحان عديدة وأنواع من التغني والنوح ، فكان الفرس إذا أنكروا عليهم ذلك قالوا لهم : إنهم يغنون أحياناً وينوحون على أنفسهم أحياناً ، فيكفوا عنهم ، إلى أن صار ذلك الغناء مباحاً عندهم ، بل صار من السنن المستحبة في الأعياد ومواضع أفراحهم يجعلونها - أي الدعوات - عوضاً عن الصلاة ، واستغنوا بها عنها من غير ضرورة داعية إلى ذلك ^(٢) . انتهى خلاصة كلامه .

ولا يخفى أن هذا المخترع الصادر من اليهود هو عين ما اتخذته تعبداً أكثر فِرَق الصوفية ، الذين اشتهروا من زمن بني أمية وبني العباس ، الذين

(١) السبط : الأمة ، كما جاء في الحديث : «الحسين عليه السلام سبط من الأسباط» أي أمة من الأمم في الخير ، وهو الولد أيضاً ، والسبط من اليهود : كالقبيلة من العرب .

انظر : لسان العرب ٧ : ٣١٠ - سبط - .

(٢) لم نعره عليه .

هم نظراء هؤلاء الكفرة من الملوك في قتل أهل البيت عليهم السلام وجمع أتباعهم وشتات شيعتهم ، وعبادة الشيطان بعداوة خلفاء الرحمن ، وترك العمل بالقرآن وأشبه ذلك ، لاسيما يزيد بن معاوية الذي فعل بآل الرسول صلى الله عليه وآله وأهل المدينة ما لم يفعله أحد بالكفار .

ومن العجائب أن اشتهار هذه البدعة صار بحيث تشبه بهذه الجماعة - بل بتعبّد طوائف النصارى أيضاً - خطباء المخالفين في الجمعات والأعياد ، حتى أنهم بنوا لهم ولمؤذنيهم محافل في مساجدهم يتغنون فيها وعلى المنابر بالقرآن والخطب والأذكار ، مع أنهم يدرون أن ذلك لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا الصحابة ، بل إنه من البدع المأخوذة من الكفار ، فافهم .

ثم قال الشهرستاني في بيان مذاهب النصارى - بعد ما بيّن أنهم أمة عيسى عليه السلام ، وأنه بعد ما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم إلى أن انتهى اختلافهم إلى اثنتين وسبعين فرقة ، حيث شوشوا أمر وصيه شمعون الصفا كما مرّ آنفاً :- إن كبار فرقتهم ثلاثة : الملكانية ، والنسطورية ، واليعقوبية ، وإنهم بين قائل بأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام وتدرّعت بناسوته ، وقائل بأنها مزجت جسد المسيح كما يمازج الماء اللبن ، وقائل بالإشراق كإشراق النور على الجسم ، وقائل بالانطباع كانطباع النقش في الشمعة ، حتى قال بعضهم بأن المسيح قديم أزلي ^(١) .

وصرح جمع : بأن الكلمة انقلبت لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده ، وهو هو كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿١﴾ (٢)

قال: وإنهم يعنون بالكلمة: أقنوم^(٣) العلم؛ لأنهم أثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة، ويعنون بالأقانيم: الصفات كالوجود والحياة والأب والابن، وروح القدس، ويقولون: إنه سبحانه واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، يعني تلك الصفات المذكورة، وقالوا: إن العلم تدرع وتجسد دون سائر الصفات. قال: وسبب هذه كلها أنهم رأوا في الإنجيل إطلاق الابن على المسيح، والأب على الله، فزعموا أن ذلك على الحقيقة ولم يعلموا أن ذلك من باب المجاز في اللغة، كما يقال لطالب الدنيا: ابن الدنيا، ولطالب الآخرة: ابن الآخرة، وكما يقال: الأب على المرابي، والكامل، والمعلم ونحوهم؛ ولهذا ورد في الإنجيل: أبوكم أيضاً.

ثم قال: وفي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأجساد، وقال: إن عاقبة الأشرار في القيامة غمّ وحزن الجهل، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم، وأنكر أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب^(٤).

أقول: لا يخفى على من له اطلاع بمذاهب الصوفية والغلاة أنها موافقة لهذه المذاهب، بل أخذوها من هؤلاء.

ثم قال الشهرستاني عند نقل مذهب النسطورية: إن نسطور الحكيم تصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إلى النصارى إضافة المعتزلة إلى

(١) سورة المائدة ٥ : ٧٢ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢٥ .

(٣) الأقنوم : واحد الأقانيم ، وهي الأصول ، وهي كلمة رومية .

انظر : الصحاح ٥ : ٢٠١٦ - قنم - .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢٠ - ٢٢٣ .

هذه الشريعة، وذكر أنه قال بأن الأقاليم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. ثم قال: وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الصفات أحوال أبي هاشم^(١) من المعتزلة، وذكر وجهه بما لا نطيل الكلام بيانه.

ثم قال: ومن النسطورية قوم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة، وترك التغذي باللحم والدمس، ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية يصفو جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات، ويرى الله جهرًا، وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية^(٢).

أقول: لا يخفى أن هذا بعينه قول جماعة من الصوفية وأكثر براهمة الهند وأمثالهم.

قال: ومن النسطورية أيضاً من ينفي التشبيه ويثبت القول بالقدر كما قالت القدرية، ثم قال: ولهم أقوال أخر أيضاً، وكلها كفر وضلال^(٣). وذكر جماعة: أن في النصارى كان قوم تبعاً لأوصياء عيسى عليه السلام، ولم يقولوا فيه، غير أنه كان عبداً صالحاً لله تعالى واصطفاه الله وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوجب عليهم طاعته وطاعة أوصيائه من بعده. ولم يرتضوا بتلك الأقوال ولم يعباؤا بها^(٤).

أقول: لا يخفى أن هذا هو مذهب الإمامية في هذه الأمة، كما سيأتي

(١) هو عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب، يكنى أبا هاشم الجبائي، المتكلم المشهور، كان هو وأبوه أبو علي الجبائي من كبار المعتزلة، سكن بغداد إلى أن مات، ولد سنة ٢٧٧ هـ، ومات سنة ٣٢١ هـ.

انظر: الفهرست لابن النديم ٢٢٢، تاريخ بغداد ١١: ٥٧٣٥/٥٥، وفيات

الأعيان ٣: ٣٨٣/١٨٣، سير أعلام النبلاء ١٥: ٣٢/٦٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٢٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء ١: ٤٨، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٢٥.

في الباب الآتي .

ثم ذكر الشهرستاني وغيره في بيان مذاهب المجوس : أنهم كانوا يحلّلون نكاح الأخوات والبنات وأمثالها من المحارم^(١) .

ولا يخفى أن نظير هذا في هذه الأمة ما أفتى به الشافعي^(٢) من تحليل تلك المحارم إذا حصلت من الزنا^(٣) .

وقالوا أيضاً : إن أكثر اليهود والنصارى يحلّلون الخمر ما لم يسكر^(٤) .

ومثله قول من قال : بحلّية النبيذ ما لم يصل إلى حدّ الإسكار^(٥) .

وقالوا أيضاً : إن من الفلاسفة والمحصّلة من العرب والبراهمة^(٦)

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣٨ ، تلبس إبليس : ٨٨ .

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ، يكتى أبا عبدالله ، وإليه يرجع المذهب الشافعي ، وله كتب ، منها : الأمّ ، الرسالة ، المسند ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، ومات سنة ٢٠٤ هـ ودفن بمصر .

انظر : الحرج والتعديل ٧ : ١١٣٠/٢٠١ ، الفهرست لابن النديم : ٢٦٣ ، تاريخ بغداد ٢ : ٤٥٤/٥٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٥٥٨/١٦٣ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ١/٥ .

(٣) الأمّ ٥ : ٢٥ .

(٤) لم نعر عليه .

(٥) بداية المجتهد ٢ : ٩١٢ .

(٦) وهم قبيلة في الهند يقولون : إنهم من ولد «برهمي» - ملك من ملوكهم قديم - ويمثّلون طائفة دينيّة تنسب إلى «براهما» ، أي : اسم الله جلّ جلاله ، في اللغة السنسكريتية ، وهو عند البراهمة : الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواسّ وإنّما يدرك بالفعل ، وكتابهم المقدّس «الفيدا» و«البوراتا» الذي يمثل الديانة مختلطة بالتثليث ، ولهم أصنام ثلاثة لألّتهم الثلاثة : براهما «الإله الخالق» ، فيشنوا «الإله الحافظ» ، سيفا «الإله الملاشي» .

انظر : الفصل في الملل والأهواء ١ : ٦٩ ، والملل والنحل للشهرستاني ٢ : ٢٥٠ ، والمعجم الموسوعي للديانات والمذاهب ١ : ١٧٥ ، وقاموس الأديان والمذاهب : ٥٠ .

والصابئة^(١) جماعة قالوا بجواز التعبد بحدود وأحكام عقلية ، لاسيما إذا كانت أصولها وقواعدها أو أشباهها مؤيد بالوحي^(٢) ، حتى قال بعضهم : إن العقل يدل على أن الله تعالى عليم حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في العقول ، فما دلّ عليه العقل واستحسنه نعتمد عليه ونعمل به وإن لم يرد في الشريعة .. ، وحتى قال بعضهم : أن لا حاجة إلى الرسول أيضاً الذي هو بشر مثلاً ؛ لأنه إن كان يأمرنا بما هو مقتضى العقول فقد استغينا عنه بعقولنا ، وكفانا العقل التام بإدراكه فلا حاجة لنا إليه ، وإن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً على كذبه ، ومع هذا قبول ما ليس بمعقول خروج عن الإنسانية ودخول في البهيمية^(٣) .

ثم ذكر الشهرستاني وغيره : إن رسلهم أجابوا هؤلاء : ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٤) فإذا عرفتم أن للعالم صناعاً ، خالقاً ، حكيماً ، فاعترفوا بأنه أمر ، ناه ، حاكم على خلقه ، وله في جميع ما يأتي ويرد ويعمل ويتفكر حكم وأمر ، وليس كل عقل إنساني

(١) جماعة يعتبرون أن يحيى عليه السلام نبي لهم ، قدسوا الكواكب والنجوم ، وكانوا يقيمون في فلسطين وهاجروا إلى حران واستقروا في جنوبي العراق وايران ، ومن كتبهم المقدسة : «الكنزآريا» أي : الكتاب العظيم و«دراسة اديها» أي : تعاليم يحيى وسيرته ، ومن معتقداتهم الايمان باله واحد ، خالق الكون لا يدرك بالحواس ولهم ثلاث صلوات قبيل الشروق وعند الزوال وقبيل الغروب ، وتسميتهم بالصابئة ؛ لأنهم انحرفوا عن دينهم الذي شرع لهم من قبل الله تعالى .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢ : ٥ - ٥٧ ، اعتقادات المسلمين والمشركين

للرازي ١٤٣ ، قاموس المذاهب والأديان : ١٣٥ .

(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) وهو قول البراهمة ، انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢ : ٢٥١ .

(٤) سورة إبراهيم ١٤ : ١١ .

على استعداد ما يعقل عنه أمره، ولا كل نفس بشرية بمثابة من يعقل عنه حكمه، بل أوجبت منته ترتيباً في العقول والنفوس، واقتضت حكمته أن يرفع بعضهم فوق بعض درجات، (وأن يصطفي منهم رجالاً يعلم بعلمه الكامل قابليتهم أن يطلعهم على حقائق أمره وحكمه، فيلقي إليهم ويعلمهم جميع ما هو على وفق إرادته ومقتضى حكمته ومصالحته؛ ليوصلوا ذلك إلى سائر من ليس كذلك، فيجمعوهم فيما أراد منهم على كلمة واحدة، ويكونوا بذلك على يقين من أمرهم وبصيرة في شأنهم)^(١).

أقول: لا يخفى على كل ذي مسكة خبير بالمذاهب أن مآل أقوال أصحاب القياس والرأي والاجتهاد من فرق المسلمين وأشباههم ممن ترك متابعة الأئمة الصادقين، وأنكر الأوصياء المنصوبين من قبل الله ورسوله بالنص والتعيين إلى ما قال أولئك الذين ذكرنا أخيراً كلامهم في الدين ومناقضتهم المرسلين، فإن هؤلاء الجماعة أيضاً قالوا بكفاية دليل العقل في استنباط أحكام الشرع من غير حاجة إلى إمام منصوب من طرف الله، وجواب الأئمة لهم أيضاً مثل جواب المرسلين، كما سيوضح جميع ذلك في الباب الآتي حقّ الأتضاع.

حتى إن من شواهد موافقة حال هؤلاء الأئمة الأوصياء مع الأنبياء فيما ذكروا من الجواب، وصدق التشابه بينهم من كل باب، أن الله عزّ وجلّ كما بعث بعض المرسلين قبل أوان بلوغه، بل في بدء حال صبوته كعيسى ابن مريم عليه السلام جعل تعلق الإمامة ببعض الأئمة في هذه الأمة في مثل ذلك السن كأبي جعفر الجواد والقائم عليه السلام، بل غيرهما أيضاً، كما سيأتي.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢: ٢٥٢، وما بين القوسين لم يرد فيه.

وأنه كما أبقي بعض المرسلين حيّاً غائباً كالخضر وعيسى عليهما السلام مثلاً، كذلك جعل قائم الأئمة عليهم السلام كذلك .

وكما أنه بيّن معظم الكرامات والآيات الدالة على جلالة شأن من أراد تبيان حاله من النبيين، كردّ الشمس ليوشع، ونزول المائدة على عيسى بن مريم وأمثال ذلك، بيّن مثلها في أئمة هذه الأمة أيضاً، كردّ الشمس لعلي عليه السلام، ونزول المائدة عليه وعلى فاطمة عليها السلام، التي أراد الله أن يبيّن أنها نظيرة مريم في هذه الأمة .

كما تبين أن الحميراء كانت نظيرة صفوراء، بل سيأتي ما يدل على أنها أيضاً ورفيقتها^(١) كامرأة نوح ولوط من نقل محبيهما .

وبالجملة : أمثال هذه الأشياء كثيرة، ونحن اكتفينا ها هنا ببيان ما كان واضحاً بحيث لم ينكره المخالفون أيضاً، وكان وجه الشبه ظاهراً بيّناً، وسيأتي في المواضع المناسبة متفرقاً، لاسيما في فصول فضائل الأئمة بعض آخر أيضاً، ويكفي ما ذكرناه ها هنا في الوصول إلى مرتبة فهم سائر أنواع الانطباق، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) يظهر أنه يقصد بها : حفصة بنت عمر .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
٣	تمهيد
٧	فاتحة الكتاب
٧	خلاصة الدليل
١٣	محصل الدليل
١٤	الروايات التي انتظم منها الدليل
١٤	الأولى: محاجة الزنديق مع الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
١٦	الثانية: مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد
٢٠	الثالثة: مناظرة الرجل الشامي مع أصحاب الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٢٣	الرابعة: حوار منصور بن حازم مع الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٢٥	الخامسة: ما روي عن الإمام الرضا <small>عليه السلام</small> في توضيح معنى الإمامة
٣٠	السادسة: ما روي عن الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> في بيان مقام الأئمة <small>عليهم السلام</small>
٣٢	السابعة: ما روي عن الباقرين <small>عليهم السلام</small> في شأن سورة القدر
٤٠	الثامنة: ما روي من أجوبة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> للزنديق
٤٣	التاسعة: بعض ما نقل عن أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>

- ٤٣ قوله ﷺ: أسألوني قبل أن تفقدوني
- ٤٤ بيانه ﷺ لافتراق الأمم السابقة
- ٤٤ موعظته للناس في انتخاب من يتولونه
- ٤٩ بيانه ﷺ لأصناف حملة الحديث في جوابه لسليم بن قيس
- ٥٠ ذكره ﷺ أن رسول الله ﷺ علمه كل ما علمه الله تعالى
- ٥١ العاشرة: ما روي من جواب الإمام الصادق ﷺ للزنديق
- ٥٢ بيانه ﷺ في وجود حجة الله في كل زمان
- ٥٤ الحادية عشرة: رسالة الإمام الصادق ﷺ لشيعته
- ٦٠ ذكر ما كتبه الإمام الصادق ﷺ لسفيان الثوري
- ٦٣ الثانية عشرة: بعض ما روي من توقعات الإمام الحجة ﷺ
- ٧٢ الثالثة عشرة: ما روي من أمر الله تعالى أنبياءه بالوصية
- ٨٠ الرابعة عشرة: روايات متفرقة:
- ٨٠ الأولى: وفود الجارود على رسول الله ﷺ مع قومه
- ٨٥ الثانية: أمر الله تعالى خليله بإسكان إسماعيل مكة
- ٨٥ الثالثة: ما جاء في التوراة من البشارة لإبراهيم ﷺ
- ٨٧ الرابعة: ما نقله عبدالله بن عمر من حكاية المعراج
- ٩٢ الخامسة: ما نقل عن عمران بن خاقان
- ٩٣ تفصيل الفهرست
- ١١٣ مقدّمة الكتاب
- ١١٣ التبيان: في عدم الخلق عبثاً وضرورة الابتلاء
- ١١٤ نبذ من الآيات الواردة في المقام

١١٦ جملة من الروايات المؤكدة لضرورة الامتحان

١٣٧ الباب الأول

في بيان الامتحان بميل النفوس إلى ما اعتادت عليه

١٣٩ الفصل الأول: في توضيح كون طبيعة البشر مجبولة على حُب السلف

١٤٢ نبذ من الآيات القرآنية الواردة في المقام

١٤٥ شمول حُب الماضي والسلف العلماء أيضاً

١٥٥ الفصل الثاني: في بيان الواجب على طالب الحق

١٥٧ الواجب الأول: قصر القصد على إصابة الحق

١٥٩ الواجب الثاني: أن يكون بمأمن من ميل النفس إلى الهوى

١٦٤ الواجب الثالث: بذل قصارى الجهد لتحصيل القدرة على تمييز الحق

١٦٩ الفصل الثالث: في بيان لزوم الحب في الله والبغض لله و...

١٦٩ بعض الآيات القرآنية الواردة في المقام

١٧٢ جملة من الأحاديث الواردة في المقام

علائم صفاء النفس :

١٧٦ الأولى: حُب أصفياء الله وأوليائه سبحانه

١٧٧ الثانية: اتباع أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ

١٧٧ الثالثة: بغض أعداء الله ورسوله ﷺ

١٧٨ كلام للفاضل عياض في بيان علامات محبة النبي ﷺ:

١٧٨ الأولى: الاقتداء به واستعمال سنته ﷺ

- ١٨٠ الثانية: الاكثار من ذكره ﷺ
- ١٨٢ الثالثة: بغض من أبغض الله ورسوله
- ١٨٣ الرابعة: الشفقة على أمة رسول الله ﷺ

الباب الثاني

في بيان الامتحان بميل النفوس إلى الهوى وذكر النهي عنه

- ١٩١ الفصل الأول: في بيان شيوع حب الدنيا وابتلاء الأغلب به
- ١٩٥ نبذ من الآيات الواردة في هذا المقام
- ٢٠٥ بعض الأخبار الدال على اختلاف الناس عن أهل البيت ﷺ
- ٢٠٩ الفصل الثاني: في توضيح شيوع حب الدنيا وشموله حتى الصحابة
- ٢٠٩ المطلب الأول: نبذ من النصوص القرآنية الدالة على المقصود
- ٢٢٣ المطلب الثاني: نبذ من أخبار العامة الدالة على المقصود
- ٢٣٤ حاصل الأخبار والمستفاد منها
- ٢٣٨ دلالة الأخبار على بطلان خلافة عامة الخلفاء
- ٢٤١ خبر حذيفة اليمان وتوضيح المراد منه
- المطلب الثالث: في بيان ما نقله العامة من الأقوال والأفعال الصادرة من أعيان
- ٢٤٥ علمائهم وأكابرهم
- ٢٤٦ المقام الأول: في بيان نبذ مما نقل القوم من أحوال ما عدا الصحابة
- ٢٦٠ المقام الثاني: في بيان نبذ مما نقل القوم من أطوار أهل عصر النبي ﷺ
- ٢٩٣ حصيلة الأخبار

- ٢٩٧ الفصل الثالث: في النهي عن موارد الابتلاء والامتحان
- ٣٠٠ بعض الآيات الواردة في المقام
- ٣٠١ بعض وصايا النبي ﷺ لعليّ عليه السلام
- ٣٠٤ وصية رسول الله ﷺ لأبي ذرّ
- ٣١٠ وصية رسول الله ﷺ لعبدالله بن مسعود

الباب الثالث:

في بيان الامتحان بإمهال الظالمين في الدنيا وابتلاء المؤمنين

- ٣١٧ الفصل الأوّل: في بيان الحكمة من إمهال الظالمين
- ٣١٨ بعض الآيات الشريفة الواردة في المقام
- ٣٢٢ بعض الأخبار الواردة في الباب
- ٣٣٩ الفصل الثاني: في بيان اقتضاء حكمة الله ابتلاء المؤمنين في الدنيا
- ٣٣٩ نبذ من الآيات الشريفة الواردة في المقام
- ٣٤٢ نبذ من الأخبار والأحاديث الواردة من الفريقين
- ٣٥١ الفصل الثالث: في بيان قلة أهل الحق وكثرة أهل الباطل والجهالة
- ٣٥٢ نبذة من الآيات الواردة في المقام
- ٣٥٨ بعض الشواهد الموضحة للمقصود
- ٣٦٠ بعض الأحاديث الواردة في بيان قلة أهل الحق
- ٣٦٥ بيان الإمام الصادق عليه السلام لأصناف الناس

- ٣٦٩ الفصل الرابع: في بيان أمر الله تعالى وأوليائه وأتباعهم بالصبر
٣٦٩ جملة من الآيات الواردة في المقام
٣٧٢ بعض ما ورد من الحديث
٣٧٦ بعض ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في لزوم الصبر والتقية والمداراة

الفصل الخامس: في بيان اقتفاء الأمة الإسلامية لسائر الأمم السالفة حذو

- ٣٨٧ النعل بالنعل
٣٨٨ نذ من الآيات الواردة في المقام
٣٩١ دلالة الروايات على كيفية اقتفاء هذه الأمة للأمم السالفة
٣٩٨ بيان كون علي عليه السلام في هذه الأمة نظير هارون في بني إسرائيل
٤٠٣ بيان وجه الشبه بين مخالفي علي عليه السلام ومخالفي هارون
٤٠٤ بيان بعض ما وقع في بني إسرائيل ونظيره في الإسلام
٤٠٧ وجه الشبه كما حدث للتوراة مع القرآن
٤١٥ تشابه بعض عقائد اليهود مع بعض فرق المسلمين
٤١٧ ذكر تشابه الصوفية مع بعض فرق اليهود
٤١٨ وجه الشبه بين بعض فرق المسلمين والنصارى
٤٢٥ فهرس المحتويات